

إضـــاءات
زوجية
نور الدين قوطيط



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي النبي الكريم–صلي الله عليه وسلم–وعلي آله صحبه أجمعين..

أما بعد..يسر موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية للنشر الإلكتروني تقديم هذا الكتاب القيم للقاريء المسلم ليعينه علي فهم الحياة بصفة عامة بومضات خاطفة، والحياة الزوجية بصفة خاصة ببعض الخواطر والإضاءات والتي لا يربطها موضوع معين ،بل خواطر متناثرة مشوقة تأخذ بلبك للتأمل والتفكر وتبين لك الداء والدواء بأسلوب سلس مشوق يربط الدين بالدنيا..

مما يعينك للفهم والإدراك للحياة وما يحيط بك من فتن لتدرك موضع قدميك.

كتاب (إضاءات زوجية) للكاتب المغربي المبدع "نور الدين قوطيط" والتي اتحفنا به فضيلته هو وغيره للنشر الدعوي في موسوعاتنا، وقامت الموسوعة بتصميم غلافة تليق به ونشره علي صفحاتها المختلفة بالتحميل بروابط مباشر لمن شاء.

ونسأل الله القبول والإخلاص أنه ولي ذلك والقادر عليه، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية



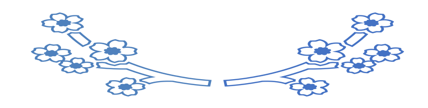

إضاءات
نورالدين قوطيط
إبرازة 1445 هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، والصلاة على سيدنا محمد المصطفى، وعلى آله وصحبه الطيبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذه إضاءات لا ينظمها موضوع معين، بل شملت مجالات مختلفة بحسب ما أضاءت في الفؤاد، ولأن هذا المجموع كمجموع "تأملات"، ومجموع "خاطرات" إذ كانا قد جُمعا في أوقات متباينة، فترتب على ذلك وجود بض المعاني المتكررة، والمضامين المتشابهة، فكذلك هذا المجموع.

أسأل الله تعالى أن يتقبّل هذا العمل بقبول حسن، إنه ولي ذلك، وهو البر الكريم.



001. الحتمية التاريخية المستقبلية

كل الفلسفات، كل الأيديولوجيات، تؤمن بـ (الحتمية التاريخية المستقبلية)، إذ بدون هذا المبدأ لن يكون لهذه الفلسفات والأيديولوجيات أي معنى وقيمة ولا أي هدف وغاية! والشيء نفسه بالنسبة للإسلام. تتجلى الحتمية التاريخية في الإلحاد _بمختلف مظاهره كالعلمانية والماركسية والحداثة_ في أن التاريخ يسير في خط مستقيم، وهو يتجه نحو المادية المطلقة، وبذلك يتحقق الفردوس المنشود. أما في الإسلام، فتتجلى الحتمية التاريخية في أن التاريخ لا يتخذ خطا مستقيما، بل يتراوح بين صعود وهبوط في التوحيد والشرك، والرخاء والشدة، بحسب منظومة السنن الإلهية في حياة البشرية. الفرق إذن بين الإسلام والمنظومات الأخرى هو: الإسلام يقرر أن مسار التاريخ مضبوط بمنظومة سنن ربانية لا يخرج عنها أبداً، كما يقرر أصالة الفعل الإلهي كما يشاء وفق مقاصد حكمته تبارك شأنه، وأيضاً يقرر مركزية الفعل الإنساني ومسؤوليته. وفي إطار هذه الثنائية (فعل الله وفعل الإنسان) يكتسب التاريخ مرونته في حتميته. أما المنظومات الإلحادية الصريحة والمتخفية كالعلمانية والماركسية، فهي تقرر أن التاريخ يسير في اتجاه جبري لا يمكن تغييره، تحكمه قوانين مادية كقوانين الفيزياء في الكون. وأيضاً تنفي أصالة الفعل الإلهي لأن الإله إما غير موجود أو مستقيل لا شأنه له بالإنسان والحياة.

002. الحقيقة بين النسبية والإطلاقية

القول بأن الحقيقة نسبية لا يكون إلا عن جهل أو ضلال! ففي عقيدتنا أن الله سبحانه خلق الإنسان بالحق وللحق، ولهذا فتركه إياه بلا معايير ضابطة لمعرفة الحقيقة، عبث لا يليق بجلاله وكماله وعظمته، وليست النبوات إلا برهاناً ساطعاً على وجود حقائق ثابتة ومطلقة، تتمثل في الجانب العقدي وكليات التشريع والأحكام وأصول المبادئ والقيم. ومن هنا، فالترويج لتلك القولة كما أن له غاية خبيثة؛ وهي تمييع لحقائق الإسلام وتسييل أحكامه ومبادئه، بحيث يمكن تمرير أي هراء وكفر وزندقة تحت شعار الحقيقة نسبية والفهوم متعددة! فإن يتضمن الاتهام الصريح لله سبحانه بالعبث والخداع والكذب والعجز!

003. موضوعية الأخلاق

تكمن قيمة الأخلاق في كونها تقع خارج نطاق الحس المادي. ومن ثم فالأخلاق من أبرز الدلائل على أن الإنسان ليس كومة مادية، بل هناك عنصر آخر هو جوهر حقيقته، وهو الروح. هذا العنصر هو الذي يمكن الإنسان من تجاوز المادة وعدم الاستجابة لها. ومن هنا، فالأخلاق مشكلة للمادية الإلحادية،

سواء على مستوى التنظير والمعرفة أم على مستوى الفعل والسلوك. وحتى عندما يكون ملحد أخلاقياً، فمن المؤكد أنه ليس كذلك لأنه ملحد بل لأنه إنسان، لأنّ الأخلاق مكون أصيل من مكونات الفطرة، ويستحيل تجاوز الفطرة بشكل نهائي.

004. إنكار السنة النبوية

لا يمكن إنكار السنة بدون إنكار نبوة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. وجه التلازم بين الأمرين أن الله سبحانه في عشرات الآيات أمر أمراً صريحاً باتباع السنة، ولم يُفرّق بينها وبين القرآن، بل كثيراً ما يقترن الأمر بطاعة الله بالأمر بطاعة رسوله. فحين ينكر المرء السنة النبوية تحت أي مبرر شاء، فهو واقعاً يرفض الأمر الإلهي، وهو ما يعني بوضوح إنكار نبوة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. ومن هنا كان إنكار السنة بوابة إلى الإلحاد الأكبر، إذ القرآن والسنة كجناحي طائر، لا يستقيم طيران المسلم إلى الله إلا بهما. ذلك لأن من أسقط السنة أسقط القرآن، ومن كان أسقط القرآن فقد دخل الكفر. ولهذا كله، لا يمكن أن يكون دين منكري السنة هو الدين الذي أمر به الله وجاء به الوحي. فكما ترى، فإن خطر هذه الطائفة الزائغة لا يقل عن خطر الملاحدة الصرحاء.

005. أسلوب الثواب العاطفي

أسلوب (الثواب العاطفي) من أهم طرق تنمية شخصية الطفل. وهو مستويان، (**الأول**) عندما يكون الطفل في حالة رضا وارتياح، يكون ثوابه هو المسارعة لاحتضانه وتقبليه. وبهذا سيفهم أنّ إظهاره للسعادة يجلب له المزيد منها. و (**الثاني**) عندما يكون الطفل في حالة غضب وانزعاج، يكون ثوابه هو المسارعة لاحتضانه مطوّلاً، ثم محاورته للتعبير عما بداخله، وبهذا سيفهم أنّه ليس وحيداً، بل هناك من يحرص على راحته. ومن ثم؛ فإن أسلوب الثواب العاطفي يساعد الطفل على أن يشبُّ وهو يشعر بالثقة في الحديث عن خصوصيّاته مع والديه، لأنّه وطيد الصلة بهما.

006. مثارات الإساءة بين الناس

إذا بحثتَ عن مثارات الإساءة وجدتها تتجلى في التالي: (**1**)، فقد تستعمل لفظاً مجملاً يحتمل الصواب والخطأ. (**2**)، قد تستعمل لفظاً بغير معناه الشائع والدارج. (**3**)، قد تهمل التخصيص والتقييد فيخرج كلامك مخرج العموم والإطلاق. ولما كانت هذه العناصر الثلاثة من أكثر أسباب الاختلاف بين الناس

ونشوب الصراعات وتبادل التهم بينهم، وجب على العاقل الذكي والداعية الحكيم أن يتأمل كلامه جيداً قبل طرحه وعرضه، خصوصاً إذا تضمن أفكاراً غير مألوفة للجمهور، لأن الغرض تبليغ الفكرة للآخرين، وبيان الحق لهم، والتنبيه على الباطل والخطأ والزيف.

007. المثقفون هم من يصنع الطغاة

قرأت لبعض "المثقفين": (الشعوب تصنع الطغاة)، وهذا القول يروجه كثير من الرموز الفكرية والثقافية والعلمية! لكن الحقيقة التي لا يريدون الاعتراف بها، هي أن الشعوب ليست هي من يصنع الطغاة، وإنما المفكرون والمثقفون، لأن الشعوب تحتاج أبداً للقدوة والنموذج لنفخ روح الحماس فيها، والصبر والثبات، ولتأطير رؤيتها لذاتها ولواقعها ومستقبلها. أتساءل إن كان هؤلاء الذين يسمون أنفسهم (مفكرين ومثقفين، وبعض المشايخ أيضاً) يريدون الجلوس في منازلهم على الكنبات المريحة أو على الكراسي الوثيرة وراء شاشة الحاسوب، ويكتفون بالكلام والشعارات، والشعب هو من عليه أن يخرج وينزل ويمارس التغيير والإصلاح!! كيف يصح هذا، والتاريخ يحدثنا بغير ذلك. الأنبياء عليهم السلام كانوا دائما في المقدمة، في ساحة المجاهدة والمقاومة، قريبين من الأتباع وعامة شعوبهم، يحثونهم على الصبر والثبات على الحق، ويطالبونهم بالثورة على الشرك والظلم والفساد، ويقاسمونهم العرق والدم والأذى. ذلك لأنهم عليهم السلام يدركون أن الشعب بلا قادة يكونون معه في ساحة الثورة والتغيير لا يستطيع عمل شيء.

008. مراتب القضاء والقدر

أنت مسلم؛ إذن أنت ملزم في القدر أن تؤمن بالآتي: **(1)** إثبات علم الله تعالى الأزلي، أي إن الله تعالى ما زال ــبلا بداية ولا أولــ يعلم كل شيء يكون في حياة العبد، قبل وجوده، وخلال وجوده، وبعد موته. فالعلم صفة من صفاته سبحانه التي لا ينفك عنها أزلاً ولا أبداً. **(2)** كتابة علمه مفصلا في اللوح المحفوظ قبل خلق الخلق بخمسين ألف سنة، كما أخبرنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكل شيء كان وكائن ويكون هو مدون مفصلا في اللوح المحفوظ. **(3)** تقديره ما شاء على من شاء، بقدرته القاهرة وإرادته الطليقة وحكمته البالغة، فلا يوجد شيء من خير وشر، حياة وموت، وكائنات وخلق، في العالم العلوي والعالم السفلي إلا قد شاءه سبحانه، وهو الذي قدّره. **(4)** خلقه سبحانه لكل شيء، فلا حركة ولا سكنة، في العبد أو عموم الخلق، من ملائكة وجن وحيوان وغير ذلك، إلا وهو سبحانه الذي يخلقه، وليس للخلق من الخلق أدنى شيء، فالخلق شأن إلهي خالص. فهذه المراتب الأربعة نطق بها الوحي، وهي معتقد

الصحابة والتابعين والأئمة السابقين، ومن اعتقد غير ذلك كان في ضلالة وبدعة، وخطيئة كبيرة، ولا يكون العبد مؤمنا إلا باعتقاد ذلك كله، وهو إجماع بين أهل العلم من الرعيل الأول الذين أسسوا قواعد هذا الدين، وبيّنوا أصوله، وفصلوا حقائقه. وتلك دواوين العقيدة المسندة إلى الصحابة والتابعين والأئمة الأولين قائمة حجة على العباد إلى يوم القيامة.

009. الدعوة إلى الإسلام

هناك نفخ زائد من بعض الدعاة في أن يكون الجميع دعاة!! وهذا غير صحيح ولا يمكن!! فالله سبحانه قد خلق الناس بقدرات شتى، ومواهب مختلفة، وقد كان قديما يقال بأن فلانا قدير في التأليف ضعيف في المناظرة، وفلان قوي في المناظرة ضعيف في التأليف. بل الصحابة رضي الله عنهم لم يمارسوا كلهم التعليم والتدريس. خصوصا في عصرنا الحاضر الذي انفجرت موجات الشبهات حول كل شيء، فمن لا يكون له تكوين شرعي ومعرفي جيد عجز ولابد عن التعامل معها، فحين تطرح عليه، يجد نفسه إما أن يقدم جوابا ضعيفا يستطيل به عليه الخصم، وإما أن يرفض الجواب فتكون علامة ضعف في موقفه والناس ترى في الداعية الإسلام فيظنون أن عجز الشخص عجز في الإسلام، وإما أن يحرف ويزيف لكيلا يظهر بمظهر الجاهل أو العاجز!! تريد خدمة الإسلام، هناك مجالات كثيرة، فانظر ماذا تحسن وما هي إمكانياتك ومواهبك واجعلها مجال هذه الخدمة.. وإلا فكن مسلما صالحا، وهذا من أعظم الخدمات للإسلام.

010. أنا مسلم قبل أي شيء آخر

أنا أمازيغي أصيل، ولم نحتفل قط بما يسمى السنة الأمازيغية، ببساطة لأنها عيد وثني، ونحن مسلمون، والجمع بين الإسلام والوثنية تناقض، كمن يقول أنا مسلم ملحد!! إن هؤلاء الأمازيغ الملاحدة يبحثون عن هويتهم في ركام التاريخ، ويلهثون وراء أي شيء يمكن أن يشعرهم بالقيمة والاعتراف والحضارة، لكن ما بال المسلم يجاريهم في جاهليتهم هذه!! ولكنه زمان الجهل بأبجديات الاعتقاد الإسلامي!! إنني مسلم، ثم أنا أمازيغي، ولم أشعر قط بحاجة إلى اللهاث وراء تقاليد الوثنية الأمازيغية لكي أشعر بالهوية والتقدير والاعتراف، بل هذه معاني يمنحها لي انتمائي للإسلام. أيها المسلم لا تكن مطية لهؤلاء الملاحدة، ولا تكن لهم دعما لأهدافهم الشريرة الوثنية، فأنت مسلم، وكفاك فخرا بذلك وعزا وشرفا... وإلا فحين تفخر بالوثنية لمجرد كونك أمازيغيا فأنت تفخر بأسلاف هم حطب جهنم!!

011. الفرق بين النسوية العلمانية والمحجبة

الفرق بين النسوية العلمانية الصريحة والنسوية المحجبة المتخفية، هو: (الأولى) تعتقد بأن المشكلة في الوحي "القرآن والسنة" فهو متحيز ضد المرأة، لم يفسح لها المجال لإظهار طاقاتها الجبارة. و(الثانية) تعتقد بأن المشكلة في تأويل الوحي "القرآن والسنة"، بمعنى أن التراث التفسيري والفقهي متحيز ضد المرأة، مهدر لكرامتها وطاقاتها. إذا تجاوزنا الفريق الأول، لأنه صرّح وكفانا كلفة النظر والبحث في منطلقاته ودوافعه، فماذا عن الفريق الثاني؟ الواقع أن النسوية المحجبة "الفريق الثاني" لا يغني عنها شيئا قولها "المشكلة في التأويل وليست في الوحي"، لأن هذا القول نفسه طعن في الوحي نفسه، كيف ذلك؟ هناك أولاً؛ هذا القول يلزم عنه الطعن في فهم الصحابة، فالتابعين، فالأئمة، فالعلماء من بعدهم. وحسبك شراً مذهب يلزم عنه هذا. وهناك ثانياً؛ هذا القول يلزم عنه أن الصحابة والتابعين، فالأئمة والعلماء، خانوا الله ورسوله في تبليغ مضامين الوحي وأحكامه الخاصة بالمرأة. وهناك ثالثاً؛ هذا القول يلزم عنه أن منظومة المنهج التي وضعها العلماء لفهم أحكام الوحي، فاسدة تعكس تآمر عقليتهم الذكورية على المرأة. وهناك رابعاً؛ هذا القول يلزم عنه عدم اعتبار الإجماعات الشرعية ورفضها، لكن الفقه الذكوري مجمع على أن منكر الإجماع الثابت كافر لأنه هدم للشرع. وهناك خامساً؛ هذا القول يلزم عنه تبني فكرة أن المرأة لم تأخذ حقوقها الكاملة ومكانتها اللائقة حتى في عصر النبوة فضلا عن العصور اللاحقة. وبعد؛ انس هذا الذي ذكرتُ لك، وليكن السؤال لهذا الفريق النسوي المتخفي: ما هو المنهج الذي تقترحه لفهم الوحي، ومن ثم، تتجاوز التأويل الذكوري الذي تمالأ عليه الفقهاء منذ عهد الصحابة؟ لا جرم أن يكون جوابهن: المقاصد العليا للوحي، كالكرامة والحرية والتسامح، والمساواة.. إلخ، والمعترفات الإنسانية العامة، كالكرامة والحرية والتسامح والمساواة.. إلخ. لكن؛ لحظة، ما هي مالآت الالتزام بهذا المنهج لفهم الوحي؟ الجواب: هدم الوحي نفسه، وتحريفه، وتفريغه، فصير اسما بلا مسمى ولا قيمة، لأن اتخاذ المقاصد منهجا في استخلاص الأحكام الشرعية، ما زال المنافقون يركزون عليه لعلمهم أنه فرصة واسعة لتحقيق التفكيك العملي للشرع. ومن ثم، السقوط في هلامية معيارية في النظر للشرع. وبالجملة؛ فالنسوية المتأسلمة تريد ابتداع دين جديد، له منطلقات خاصة، وأحكام خاصة!

012. فتنة النساء على الرجال

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ما تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجالِ مِنَ النِّساءِ﴾ (صحيح البخاري). صدق رسول الله وكذب المفترون والمفتريات، فقد زعم هؤلاء بأنه في الإمكان تجاوز تأثر الجنسين ببعضهم بعضاً عبر التوعية والإرشاد والانفتاح والاختلاط! وهذا مذهب اتخذه المنافقون والمنافقات تقليداً للجاهلية الغربية، فأمرهم معلوم مفهوم، لكن ما بال من يدعي العمل للإسلام، من الأحزاب والجماعات،

فصرت ترى اختلاط الشباب والبنات المنتمين إليهم، تحت شعار "نشاطات إسلامية ودعوية"! ولا شك أن هذا من تلبيس إبليس وتزيينه الباطل للنفوس بزخرف الشعارات! فالتدين والالتزام لا يغير الفطرة وأهواء النفس، فلو عبدت اللهَ ألف سنة، قائما الليل صائما النهار، فإن حب المرأة وفتنتها سيظل غريزة في نفسك، وأنتِ كذلك، لو عبدت الله تعالى ألف سنة، قائمة الليل صائمة النهار، فإن حب الرجل وفتنته سيظل غريزة في نفسك! ولهذا لا ينبغي للعاقل والعاقلة أن يعبثوا بهذا الأمر، وأن يسمحوا للشيطان أن يخدعهم بشعار "الدعوة والتعاون على الخير"، فإن الشيطان لا يستعجل النتائج، بل من مميزاته الإيجابية "طول النَّفس" في تحقيق أهدافه واستدراج ضحاياه.

013. خدعة حوار الحضارات

الغرب يصرح بأوضح عبارات البيان: نحن نخوض معركة تغيير قناعات، وهي معركة مقدسة يجب أن ننتصر فيها، لأنه حان الوقت لإنشاء نظام عالمي جديد: حكومة واحدة، وحياة واحدة، وهوية واحدة، وأنماط واحدة! فحين يصرح عدوك بأنه يشن عليك الحرب، وبأنه سيدخلك رغما عنك إلى حظيرة النظام العالمي الجديد، بل ويمارس عملياً كل ذلك، ثم أنت مع ذلك تصر على أن تتحاور معه وتتعاون معه، على أساس أنه لا يوجد شيء إلا في عقول الذين يؤمنون بنظرية المؤامرة، فهنا لا تجد سوى أن تبتسم تلك الابتسامة المتأسفة على هذه العقول، وتقول :ويحكم، أفي كل موضع لا تعقلون، هم يقودونكم إلى المسلخ وأنتم تثرثرون بالحوار والتسامح والتعاون والتعايش! والحقيقة أن كل الباحثين الموضوعيين يدركون جيداً بأن شعار حوار الحضارات من أساليب الخداع التي لا يزال الغرب يمارسها بإتقان ودهاء منذ عقود طويلة، ولذلك يسعى لترويجه والتوكيد عليه والتركيز عليه، لما يجد فيه من القدرة الكبيرة على تخدير عقول الشعوب الضعيفة، خصوصاً الشعوب المسلمة!

014. شكوى الزوجة لزوجها

(المرأة حين تشكو إلى زوجها لا تريد حلولا بل احتواء)! هذه الكلمة أطلقها أحدهما فتلقفها كثيرون، وطبعا الدراسات أثبتت ذلك! لكن الواقع أن هذه الكلمة تمثل نصف الحقيقة فقط. فحين تشكو المرأة إلى زوجها أحياناً، مثل تعبها من تنظيف البيت وتحضير الطعام، أو تشكو أن الكتكوت الصغير أحدث فوضى في البيت، وما يشبه هذه المضامين، فهنا، نعم الزوجة غايتها من الشكوى هي احتواء زوجها ومدحها والاعتراف بها وتقدير أعمالها. لكن، هناك أمور تشكو الزوجة منها إلى زوجها، تصريحاً أو تلميحاً، وغايتها

ليس مجرد الطبطبة عليها أو ضمها إلى الصدر، بل بالحري أنها حقاً تعاني مشكلة وتريد حلاً لها، كالشكوى من قلة الاهتمام العاطفي/الجنسي بها، والشكوى من حاجتها الملحة لبعض أشياء المنزل، والشكوى من تأخر الزوج الزائد في العودة إلى البيت، والشكوى من سوء معاملة والدته/أخته لها، وما يشبه هذه المضامين. ولهذا على الزوج أن يفهم ماذا تريد زوجته، وألا ينخدع بتلك الكلمة (المرأة لا تريد حلا بل احتواء)، فعندما تريد الزوجة حلا لكن الزوج يتعامل بمنطق (لا تريد حلا بل احتواء) فإنها تفهم من ذلك التعامل معها على أنها ساذجة، وعدم تقدير المشكلة التي تعاني منها وتضغط عليها.

015. حيوات الإنسان

الإنسان له أربع حيوات، يختلف بعضها عن بعض: **(الأولى)** حياة الرحم، **(الثانية)** حياة الدنيا، **(الثالثة)** حياة البرزخ، **(الرابعة)** حياة الآخرة. وهذه المراتب بعضها فوق بعض، وبعضها أوسع من بعض، فأضيقها وأنقصها، حياة الرحم، وأما أوسعها وأكملها فحياة الآخرة. وذلك أن حياة البرزخ وسط، فلا هي حياة تشبه حياة الدنيا من كل وجه، ولا هي تشبه حياة الآخرة من كل وجه، والحياة الدنيا وسط، فلا هي حياة تشبه حياة الرحم من كل وجه، ولا هي تشبه حياة البرزخ من كل وجه. وكما أن حياة البرزخ تختلف من شخص إلى آخر، بحسب سعة علمه بالله تعالى، وقيامه بحقوقه، من التسليم والاتباع والتوحيد والصلاح، فكذلك حياة الآخرة تختلف من شخص إلى آخر، بحسب ما معه من الإيمان والتوحيد والتسليم والاتباع والاستقامة. ثم إن الحياة في الجنة وإن كانت في جنسها شيء واحد، أعني أن الجميع له فيها ما اشتهت نفسه وقرّت به عينه من النعيم المادي والعقلي والنفسي، إلا أن مراتب الناس فيها تختلف اختلافا لا يحيط به إلا الله تعالى، وكذلك يظل الأمر في أنواع النعيم من حيث السعة إلى ما لا نهاية. والله أعلم

016. ضبط الشهوات والشبهات

اعلم أن الدنيا دار بلاء، فلا يزال العبد يتقلب بين أطباقه حتى يدركه الفناء، إن على خير فإلى خير، وإن على شر فإلى شر. وأصول البلاء ترجع إلى (الشهوات) وهي مادة النفس، وإلى (الشبهات) وهي مادة العقل، ولا يخرج البلاء عن هذين. واعلم أن بين الشهوات والشبهات صلة وثيقة، أحياناً تبرز ساطعة وأحياناً تختفي ساكنة، فلا شهوة بلا شبهة، ولا شبهة بلا شهوة. والعبد مأمور بمجاهدة نفسه فلا تسترسل إلى الشهوات، كما أنه مأمور بمجاهدة عقله فلا يسترسل إلى الشبهات. ثم إن الشرع جاء بضوابط للنفس حتى لا تخرج إلى الشهوات المذّلة، وبضوابط للعقل حتى لا يخرج إلى الشبهات المضلّة. فإن قلت إلى ما يرجع هذا

المعنى؟ قلت: إلى أن الحق تبارك شأنه يحب من عبده أن يدخل في العبودية له بكل جوانب كيانه (الجوارح، النفس، العقل). فمن أجل ذلك؛ كان العبد كلما استمسك بالوحي تحقق له التحرر من إغراء الشهوات، والتحرر من غواية الشبهات.

017. منطق التعامل مع الشدائد

يمرض المسلم ويمرض الملحد، ويصاب الملحد بمصائب كما يصاب المسلم، لكن الفرق بين تعاملهما مع هذه الأمراض والمصائب مختلف: فالمسلم يتعامل مع ذلك من منطلق أن هذا ابتلاء، فيرجو مغفرة ذنوبه، وتكثير حسناته، ورفعة درجاته، كما يتعامل معه من منطلق أن هذه طبيعة عالم الدنيا الفاني الزائل، ولهذا وذاك، لا يتمنى الموت أو يتشاءم ويسخط، وهو في كل هذا منسجم مع إيمانه، ويجد فيه ما يحدد له مسار التعامل مع المرض والمصيبة. والملحد لا يجد في قناعته الإلحادية ما يرسم له منهج التعامل مع المرض والمصيبة، بل واقعا فإنه إذا شاء أن ينسجم مع هذه القناعة المادية سيجد نفسه أمام خيار الانتحار، إذ لماذا يتحمل آلام المرض؟ ما هو المبرر المادي للصبر على المصيبة؟ لماذا وهو يعتقد أن الموت بوابة العودة إلى العدم للتخلص من الشرور في هذه الحياة؟! والمقصود أنه لما اختلفت الرؤية الوجودية بين المسلم والملحد كان من الطبيعي أن تختلف طريقة التعامل مع الأمراض والمصائب، واستقبالها على المستوى المعرفي والنفسي والسلوكي.

018. أساس الحضارة الغربية

الحضارة الغربية، حضارة رأسمالية بامتياز، ولهذا فهي قائمة على الاستهلاك المادي، بحيث لو توقف السعار الاستهلاكي بين أفراد المجتمع لسقطت تلقائياً! هنا، لا يوجد دين في العالم، ولا فلسفة أو مذهب يمكن أن يقف في وجه الرأسمالية التي لا تزال تبرهن على وحشيتها، إلا الإسلام، ولهذا لا يتردد الغرب في الإعلان عن أن العدو هو الإسلام! لماذا؟! لأنه الوحيد الذي يستطيع أن ينفخ في المنتمي إليه التمرد على صنم المادية، وهو الوحيد الذي يستطيع أن يغرس في المنتمي إليه قوة التحرر من قبضة المادية، وهو الوحيد الذي يستطيع أن يدفع بالمنتمي إليه للخروج من معبد المادية! يستطيع الإسلام ذلك، لأنه يؤكد للمنتمي إليه على أن أصله نفخة من روح الله تعالى، ولذلك فهو كائن مقدس ومتميز بين كائنات الوجود، ولذلك أيضا فهو هنا في الدنيا لفترة عابرة وقصيرة، موجود فيها للقيام بمهمة وجودية جليلة الشأن، ثم سيرحل إلى عالم الخلود. وكل هذا يجعل المنتمي إلى الإسلام يتعامل بمنظومة قيم فوق مادية، مع ذاته ومع الآخر، ومع الكون والحياة، وهذا لا ينسجم مع الرأسمالية العالمية المتمركزة على الشهوات الاستهلاكية، ولهذا يجب بالنسبة

للرأسمالية تنميط الإسلام في حس المنتمين إليه، حتى لا يشعروا بالتميز بين جموع الجاهلية الكنود، وحتى لا تكون لهم قيم لا تناسب الرؤية المادية. بسبب كل هذا، تجد الغرب ووكلاءهم العرب يبذلون كل جهد لغرس المادية في نفوس المسلمين، من خلال فصلهم عن الإسلام وقيمه ومبادئه، وأيضاً ربطهم لاشعورياً بالغرب وتضخيم الحضارة الغربية فيهم.. ولهذا تجد العلمانيين والليبراليين (المنافقون الجدد) يلهجون بالنهضة والتطور والازدهار، فهذه شعاراتهم المقدسة وأصنامهم المعظمة!

019. الحق والواجب بين الزوجين

بحث الفقهاء (حقوق وواجبات) الزوجين، بحثٌ إجرائي لضبط الأحكام الشرعية. ولهذا لم يكن هذا البحث الفقهي ــ كما يتوهم البعض ــ لترسيخ مبدأ التعامل بالحقوق والواجبات بين الزوجين. العلماء رضي الله عنهم يعلمون أن الزوجين حين يتعاملون بأسلوب (حقوق وواجبات)، يكونان قد فتحا على زواجهما نوافذ رياح الخصام والصدام والشقاق المؤدي إلى الطلاق. في مبحث الصلاة ستجد بحثاً إجرائياً حول (صلاة الفريضة) و (صلاة السنة) و (صلاة النافلة)، لكن هذا لا يقصد به الفقهاء (التزهيد في صلاة السنة والنافلة) لأنهما ليسا فرضين. اليوم صارت كثيرات يلهجن ب (حقوق وواجبات)، جاهلات بمقصد السادة الفقهاء، فماذا كانت النتائج؟ كانت أن البعض يطلب منها زوجها تحضير شيء له وللضيوف فترد عليه (خدمتك وخدمة الضيوف ليست واجبة علي شرعا)، لكن العجيب أنها مع هذا تنتظر أن تكون لها قيمة في نفس زوجها!! لهذا، هذه دعوة لكل عاقل: إما تزوج طالبة علم كما ينبغي، لأن اجتهادها في الطلب والتحصيل سيمنحها وعيا واستيعابا لمقاصد الفقهاء.. أو تزوج شبه عامية لا تزال على الفطرة أو كثير من معاني.. وإياك والثالثة فتشيب قبل أوان الشيب، فإن المعرفة العوراء مصيبة وبلاء.

020. الحق واحد لا يتعدد

قاعدة الفطرة السليمة والعقل الذي لم يتلوّث بقاذورات الأهواء والأوهام، هي: "الحق واحد لا يتعدد"، ولهذا، يكفي أن نعرف الحق في نفسه لنجزم جزماً مطلقاً بأن كل دين ومذهب وفلسفة أخرى أباطيل، لا تمت إلى الحق إلا بروابط ضعيفة وصلات جزئية، حتى بدون دراستها والنظر فيها. فأنا عندما أدرس المنظومة الإسلامية، بشعبها المختلفة، وأجدها متوافقة تماما مع الأسس المعيارية للحق ولما ينبغي أن يكون عليه الدين الحق، فهنا بمنطق "الحق واحد لا يتعدد"، لن أكون محتاجا لدراسة الأديان والمذاهب والفلسفات الأخرى لمعرفة هل هي حق أم لا. إذ شعوري بهذه الحاجة هدم لاعتقادي بأن الإسلام حق، والحال أنني توصلت إلى

أن الإسلام هو الحق بمعايير برهانية. هذا المنطلق يتفق عليه العقلاء في كل زمان ومكان، ولذلك أكدّته النبوات، فلا يوجد نبي، وأقربهم إلينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال لقومه: قبل الدخول في ديني اذهبوا ادرسوا أديان العالم وفلسفات المجتمعات الأخرى لتتأكدوا أني جئتكم بالحق! وهذا المنطق نفسه كشف لنا القرآن أن سحرة فرعون قد تعاملوا به، فحين صدمهم سيدنا موسى ووضعهم في مواجهة أنفسهم واكتشفوا أن ما جاء به ليس من جنس السحر الذي يمارسونه، بل هو فوق السحر، هنا قالوا مباشرة: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ (الشعراء: 47-48)، فقدموا "رب العالمين" على "رب موسى وهارون" للدلالة على أن الإله الحق لا يمكن أن يكون إلا إله موسى وهارون، لأن الإله الحق واحد لا يتعدد. ولهذا؛ فالملحد الذي يقول "هناك عشرات بل مئات الأديان في العالم، فأيها الحق؟"، هل هو شخصياً درس الإسلام، والنصرانية، واليهودية، والبوذية، والهندوسية وغيرها، وهل درس الفلسفات القديمة والمعاصرة في الغرب والشرق والشمال والجنوب، ثم بعد ذلك اكتشف بالبراهين الساطعة أن الإسلام باطل، والأديان باطلة، وأن الإلحاد هو الحق المؤيد بالحجج القاطعة والأدلة البالغة، أم ترى المسكين البائس يهرف بكلام ويثرثر بألفاظ ويكرر شبهات لإقناع نفسه أنه على صواب؟؟

021. منطلق الحوار مع العلمانية

الحوار مع العلمانية يجب أن يكون حواراً عقائدياً، أي إن منطلقاته الأولى يجب أن تكون عقائدية، وليس كما يريد العلمانيون، أي الدوران في لعبة (حقوق الإنسان، الحريات، الديموقراطية، الأحزاب، النهضة، وغير هذا)! فمن ينكر شرع الله تعالى تحت أي مبرر، لا شك في كفره، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، اللهم إلا الأغمار الذين يجب أولا إقامة الحجة عليهم، رغم أنهم يستبعدون البُعد العقدي في القضية لجهلهم! والعلماء حين تكلموا عن عدم تكفير أهل القبلة، فمقصودهم _كما صرحوا بذلك_ عدم إنكار ما عُلم من الدين بالضرورة، وليس مجرد أن يصلي ويصوم، والعلمانيون ينكرون ما عُلم من الدين بالضرورة والقطعي منه كذلك.

022. المنطلق المادي عند إبليس

كان السبب الحقيقي وراء عصيان إبليس لعنه الله لأمر الله تعالى بالسجود لآدم هو "العجب والكبر والحسد"، هذه الحقيقة كشفها الله تعالى لنا في سياق ذكره لمشاهد ذلك الحدث: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾. هذا الدافع الأصلي كان محضن الرؤية المادية

من إبليس لآدم عليه السلام، فقد نظر إلى بُعده المادي (الجسد) ومادة خلق هذا الجسد (التراب)، فذهب يُفضل برأيه البائس مادة خلقه هو (النار) عليه: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾!! الخطأ الذي وقع فيه إبليس ــوهو لا ينفصل عن السبب الحقيقي كما ذكرتُــ هو غفلته عن المكون الأصيل لآدم عليه السلام، أي الروح، ومن ثم لم يأخذه إبليس بالاعتبار، وجهل أن نفخة الروح الإلهية ستحول الجسد الترابي إلى كائن تتجلى فيه آيات الإعجاز والإبداع. وهذه هي مشكلة الماديين عبر التاريخ المديد، يقفون عند الظاهر والسطح، ويحصرون رؤيتهم في إطار مادي حسي، دونما تفكير في وجود أبعاد أخرى خارج نطاق الحس وتتجاوز أفق المادة، فيقعون في آفات نفسية مقيتة وإشكاليات معرفية صارخة!

023. نتائج الاعتصام بعقيدة السلف

الذي يأخذ عقيدته من القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين والأئمة الأولين، يظفر بأربع جوائز: **(1)** الاعتصام من سيل الإشكالات التي وقعت فيها الفرق الكلامية المختلفة، فحملتها على الخبط والخلط، ومن نظر في مقالاتهم أدرك هذا. **(2)** توافق الوحي والفطرة والعقل عنده، فلا تعارض ولا اختلاف، لأن الله الذي خلق الفطرة والعقل هو نفسه الذي أنزل الوحي. **(3)** امتلاء القلب بالهيبة والجلال لذي الكمال والعظمة تبارك شأنه، وقد قالوا قديما: "علم الكلام ينزع هيبة الرب من القلب". **(4)** ثراء الرؤية الوجودية الشاملة لله تعالى، الإنسان، العالم، الآخرة، عكس علم الكلام الذي أقصى ما لديه إثبات وجود الخالق، وإمكان الآخرة عقلاً. والحمد لله، فإن دواوين العقيدة المسندة إلى الصحابة والتابعين والأئمة الأولين متوفرة ومتاحة، فضلا عن دواوين السنة النبوية.

024. الخلط في مجالات التخصص

في النقاشات والبحوث العلمية، لا يجب خلط الأمور بخصوص تخصصات الشخصيات والأعلام، فالنقد والبحث يوجه إما إلى عموم كلام العَلَم والشخصية وإما إلى جانب معين منه. مثال: شخصية أشعرية المعتقد والتوجه، ولها إسهامات لا تُنكر في الفقه أو اللغة مثلا، والناقد أثري المعتقد والتوجه، فقام بنقد كلام هذه الشخصية الأشعرية في بُعدها العقدي والكلامي، ويبين أخطاء مقالاتها العقدية، كما يراها هو وفق معتقده الأثري السلفي، فهنا من الخطأ بل العبث أن يقوم طرف ثالث ليقول: يا رجل، هذا الشخص قد قدم إسهامات كبيرة في الفقه أو اللغة أو الحديث، فكيف تنتقده وتقول بأنه وقع في مقالات بدعية؟! لأنه سيقال له: كونه قدّم إسهامات في الفقه أو اللغة أو الحديث شيء، ووقوعه في أخطاء عقدية وبدع عقدية

شيء آخر، ولا تلازم بين صحة نظره الفقهي أو اللغوي وصحة نظره العقدي. ومثل هذا، ينتشر اليوم كثيرا بين جمهرة عريضة من الناس، حين يقوم شخص بانتقاد شخص آخر له جهود دعوية مثلا، وبيان أخطائه في المنهج أو الأفكار، فيقوم طرف ثالث يقول: يا رجل، هذا الشخص له جهود عظيمة في الدعوة، وقد أنقذ كثيرا من الشباب، ونفعهم للغاية. فيقال له: كونه قدم جهودا عظيمة كما تقول شيء، ووقوعه في أخطاء فكرية أو شرعية أو منهجية شيء آخر، ولا يلزم من كونه صاحب جهود كبيرة في الدعوة مثلا أن يكون لا يخطئ فكريا أو شرعيا أو منهجيا. وهناك قوم بعد هؤلاء: إذا وجدوا شخصية تخالف توجههم (أشعري/سلفي)، يقومون بحذف كل خير لدى هذه الشخصية، وإلغاء كل إسهام قدمته، بل والدعوة لعدم النظر في كلامه حتى في مجال غير مجال العقائد والكلام، وهذا خطأ شنيع، فالله سبحانه عدل يحب العدل، ولهذا يكون من العدل والإنصاف أن يقال: فلان له جهود ممتازة في مجال كذا، جزاه الله خيرا، لكن له أخطاء في الاعتقاد لا نوافقه عليها، ويجب أن نبينها للناس الذين يهتمون بمجال العقائد والكلام، والله يغفر له ويتجاوز عنه.

025. أمور لا تُدرك بالعقول

حين تسمع أهل العلم والأثر يقولون: (هذه أمور لا تُدرك بالعقول)، فليس مقصودهم أن أخبار الوحي أو أحكامه تعارض فطرة العقول، وإنما يقصدون أن هذه الأخبار المتعلقة مثلا بعالم الغيب، لا يمكن أن تدركها العقول ابتداء ولا تقتضيها فطرة، لكن إذا بُيّنت لها استوعبتها وفهمت معانيها. وهذا المعنى عندهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم مبني على أسس وركائز: **(1)** الوحي لا يأتي أبداً بما يتعارض مع فطرة العقل ومبادئه الأصلية، فالله سبحانه خلق الإنسان لمعرفته وعبادته، وهذا لا يكون إلا أن يكون عاقلاً، إذ مناط التكليف العقل، فلا يمكن إذن أن يكون في الوحي ما يتناقض مع العقل. وإنما قد تعجز بعض العقول عن الإدراك والاستيعاب. **(2)** الوجود غير مرتبط بالإدراك، بل الإدراك هو المرتبط بالوجود، بمعنى أن وجود الشيء لا يتوقف على إدراك العقل له، بل هو موجود في نفسه سواء أدركه العقل أم لا، كوجود الله، الملائكة، الجنة والنار، وغير ذلك. لكن الإدراك يتوقف على الوجود، فلا يكون إدراك إلا بوجود الشيء، فالعدم غير مدرك. **(3)** التكليف للإنسان ذو ثلاث شعب، فهو يشمل الجوارح، والنفس، والعقل، فقد يأتي بما فيه بعض المشقة على الجوارح، كصلاة الفجر، والجهاد، وغير ذلك، وقد يأتي بما فيه بعض المشقة على النفس كتحريم الزنا، وغير ذلك، وقد يأتي بما فيه بعض المشقة على العقل، ككيفية صفات الله. إذا فهمتَ هذا

المعنى زالت عنك ــإن شاء الله ــ جملة من الشبهات والإشكالات، وأدركت سمو التعاليم الإلهية في القرآن والسنة، والموفق من وفقه الله، والمخذول من وُكل إلى عقله ونفسه.

026. النبوات من أدلة وجود الله تعالى

من أعظم الأدلة على وجود الله تعالى، بعثة الرسل، أو قل دليل النبوات، هذا الدليل يتجلى في: **(1)** سمو منظومة الوحي، وموافقتها للفطرة والعقل، في المعرفة والأحكام والآداب، ولذلك أمر الله تعالى بالتفكر فيها: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. **(2)** حياة الأنبياء المتسمة بالنبل والفضيلة والاستقامة السامية، بما يعجز عنه الإنسان العادي، ولذلك أمر الله تعالى بالاقتداء بهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾. **(3)** أخبار الرسل عليهم السلام مع أقوامهم، وتأييد الله تعالى لهم بالمعجزات الباهرة، ثم مآل هؤلاء الأقوام الوبيء اللعين، ولذلك أورد الله تعالى كثيرا من قصصهم. **(4)** تحدي الله تعالى للناس جميعا بالإتيان بمثل القرآن الكريم، من الأسلوب والمضامين، فرغم أنه يقع في مجلد واحد فقط إلا أنه جمع بين دفتيه العلوم والمعارف والأحكام والآداب. **(5)** خبر الله تعالى بأن اتباع رسله يورث السعادة والاستقرار الفردي والاجتماعي، والفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، أما رفض الوحي فيورث الشقاء والآلام والظلم، والواقع خير برهان. فمن تأمل هذا المعنى جيدا، وقلب فيه وجوه النظر، تبين له أن النبوات، وأعظم تجلياتها نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، يستحيل في العقل أن يكون مصدرها هم الأنبياء أنفسهم أو خلق مثلهم، بل لابد بضرورة العقل أن يكون هذا المصدر متجاوزا للإنسان، مباينا للعالم، متصفا بصفات الكمال والعظمة والجلال، يعلم حقيقة الإنسان وطبيعة الدنيا ومسارات التاريخ في ماضيه ومستقبله، وذلكم هو الله جل جلاله.

027. التدين وطبيعة الحياة الدنيا

أنت متدين، هذا لا يعني أن حياتك ستكون مفروشة بالورود والأزاهير، بل لابد من بعض الحرمان، ولابد من شيء من الابتلاءات، ولابد من بعض الفشل، ولابد من شيء من الضغوط! هذه الـ "لابد" طبيعية جداً، فأنت تعيش في عالم الدنيا المطبوع في قالب القصور والبلاء والتكليف والشقاء، فهناك أهواؤك الظاهرة والخفية، وهناك شيطانك ووسوسته، وهناك واقعك الاجتماعي الفاسد، وهناك نظام سياسي ظالم، وهناك سنن ربانية، وكل هذا أنت خاضع له رغما عنك، ومن ثم، من الطبيعي جدا أن تتأثر به بمقدار ما. ولأن الأمر كذلك، فكونك متدينا لا ينفي بالضرورة عدم فشلك في الدراسة، ولا يعني بالضرورة عدم فشلك في

الزواج، ولا يعني بالضرورة عدم فشلك في التجارة، ولا يعني بالضرورة عدم فشلك في الحياة بشكل عام.. ذلك لأن كل هذه المجالات وغيرها، ترتبط بشكل وثيق بمدى الجهد الذي تبذله للنجاح فيها، وحتى حين تبذل جهودا كبيرة لتحقيق النجاح فيها فلا يعني ذلك بالضرورة أنه سيتحقق لك، لأنك كما قلنا تعيش في عالم مركب الأبعاد والمؤثرات والعوامل. لا أحب لك إذن أن تغتر بالبعض ممن يصور للشباب بأنه بمجرد أن يلتزم أو أن يكثر من قراءة القرآن أو ما يشبه هذا، فإن حياته ستكون "سمن على عسل"، بل هذا بيع للوهم، وترويج للخرافة! إن ثواب صلاحك واستقامتك وتدينك هناك في الجنة، أما في الدنيا فلك منه نصيب ضئيل بحسب إرادة الله تعالى وحكمته، وقد يكون تيسير الكثير من شؤونك جزءا صغيرا من ذلك النصيب.

028. معاناة المعاناة النفسية

قبل عشرين/ثلاثين عاماً لم يكن جمهور الناس في مجتمعاتنا يعرفون أو يسمعون شيئاً عن "أزمة نفسية، اكتئاب نفسي، صدمة نفسية"! ثم بعد انفجار ثورة الإنترنت والمنتديات ثم مواقع التواصل، وطبعا الأفلام والمسلسلات والروايات، صار كثيرون مع أدنى شيء يلهجون بتلك الكلمات! حتى إن الأمر لم يعد قاصراً على الشباب والكبار، بل شمل الأطفال أيضاً، فصرتَ تسمع من آباء وأمهات يقولون (طفلي الصغير يعاني من اكتئاب بعد أن رفضنا طلبه ولا نعرف كيف نتصرف معه)! وقس على هذه الميوعة البائسة ما شئت! وهي ميوعة لأنها ليست أكثر من تقليد بائس للثقافة الغربية والنظريات الغربية، ولأنها ليست أكثر من هشاشة فكرية ونفسية مثيرة للشفقة، ناتجة عن عوامل متشابكة، أبرزها سوء التربية الأسرية، بالإضافة إلى سلطة الثقافة المنتشرة في وسائل التواصل، وكذا الروايات والأصدقاء، فضلا عن ضعف الإيمان والوعي بأبعاده ومعانيه!

029. قصة الطغاة والجبابرة

قصة الطغيان قصة واحدة، تتشابه معالمها مع كل طاغية، في كل زمان ومكان، لأن الأسباب التي تقف وراء الطغيان في الطغاة واحدة!! اقرأ هذا المشهد من قصة الطاغية فرعون قبل عشرات القرون: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ. فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص ٣٩-٤٠]. فلديك هنا: (**1**) استكبار فرعون وجنوده المدنيين والعسكريين. (**2**) هذا الاستكبار والطغيان بغير الحق بل بالباطل. (**3**) السبب الحقيقي لهذا الاستكبار هو إنكار الحياة بعد الموت. هل تجد طاغية في أي عصر مضى إلى عصرك الحاضر (وقد كثر فيه الطغاة الجبابرة)

يختلف عما ذكرت الآية الكريمة تلخيصاً لشخصية الحاكم الطاغية، وشخصية أتباعه وجنوده، والدوافع الحقيقية لكل ذلك؟ لن تجد!! ونكتة الآية هي الكشف عن السبب الجوهري في ممارسة هذا الطغيان، ألا وهو (إنكار الحياة بعد الموت)، وهو مقتضى هيمنة الرؤية المادية للذات والعالم، ولهذا، يمكن أن نستوعب الطغيان لأنه لا يؤمن بالحساب بعد الموت. ومن هنا؛ تكون قضية عدل الحكومة في الرؤية المادية غير مبرر، بل لا يمكن لأي ملحد أن يبرر ــوفق الرؤية المادية للذات والعالمــ مطالبته بالعدل من الحكومة، فإنكار الحياة بعد الموت يحوّل الواقع إلى غابة متوحشة، لا يُعترف فيها إلا للقوة!

030. أسباب التحرش الجنسي

قالوا: التحرش الجنسي يتجسد في العالم العربي من ثالوث: الفقر والكبت الجنسي والتشدد الديني.

قلنا: أعلى معدلات التحرش الجنسي والاغتصاب وزنا المحارم والإجهاض منتشرة في الغرب، ليس فقط بين عامة الشعب بل حتى بين طبقة الخاصة، كما تنشرها الصحافة الغربية والدراسات الغربية، حتى إنه يمكن أن يقال بأن الإباحية الجنسية في الغرب لم تعد مجرد مشكلة أخلاقية، بل مشكلة معرفية كذلك، ترتبط بطبيعة الرؤية الكونية للإنسان الغربي: الرؤية المادية! خرج من هذا أن التحرش الجنسي والاغتصاب والزنا ليست له علاقة بالفقر، فالغرب غني، ولا بالكبت الجنسي، فالغرب يبيح الجنس مطلقاً، ولا بالتشدد الديني، فالغرب لا تربطه بالدين إلا روابط باهتة مهترئة. ولأن الأمر كذلك، نقلب السؤال على النحو الآتي: لماذا يلقى اللوم على الرجل، وتُعفى المرأة؟ بل يتم تصوير المرأة على أنها مسكينة ضحية للهجمية في الرجل! حين تخرج المرأة بلباس يصف تضاريس جسدها، أو يكشف مراكز الإغراء فيها، وجسد المرأة كله إغراء وإغواء، أليست هي التي تبحث على الأقل عن التحرش بها، فالعلم والحس والواقع يؤكدون على أن كل تصرف وراءه دافع وله غاية! وخذ مثالاً: الغرب يدرك جيداً قوة تأثير تبرج المرأة وكشف أعضائها المغرية على الرجل، وأدنى برهان على ذلك استعماله المرأة في كل شيء تجاري، حتى إنه جعل صوت الرد الآلي في الهواتف الإدارية، صوت امرأة لما ثبت عنده من تأثير نبرة صوت المرأة على الرجل، لأنه في الأصل صوت هادئ ورخيم وشاعري، فضلاً عن الإعلانات، حتى إن منتجات لا علاقة لها أصلا بجسد المرأة، ومع ذلك يؤتى بالمرأة بلباس مغر وحركات مثيرة مع هذه المنتجات! لكن يبقى السؤال: لماذا يرفضون التحرش الجنسي والاغتصاب وزنا المحارم؟ لا يوجد أدنى مبرر لهم لهذا الرفض، وذلك أن واقعا تحكم الرؤية المادية التي تؤكد له بأن العالم مادة، والإنسان كائن مادي متطور، ولا توجد مرجعية تتجاوز أفق المادة، كما لا توجد حياة بعد الموت يكون فيها الحساب والجزاء، وأن الحرية مقدسة، وأن اللذة مقياس أعلى، وأن النسبية القيمية هي القاعدة، في هذا الواقع كيف

تطالب بعدم التحرش والزنا والاغتصاب؟ لا يوجد أدنى مبرر لذلك، أليس الجنس لذة ممتعة؟ أليس لمس جسد المرأة لذة ممتعة؟ أليس النظر إلى أعضاء المرأة لذة ممتعة؟ إذن لماذا تريد حرمان الرجل منها؟ وهو يعيش في جو جنسي، ويمر يومياً بمئات المثيرات الجنسية (الإعلانات التي تحشر معها المرأة حشراً، النساء الجميلات في الشارع والمؤسسات والأسواق)، ويتم إغراقه بمئات الأفلام الإباحية سنوياً! ستقول: حريتك تنتهي عندما تبدأ حرية الآخر، سيقال لك: ما هو الأساس الفلسفي لهذا المبدأ الذي اخترعه الغرب؟ لماذا يجب على الرجل أن يلجم حريته عندما تبدأ حرية المرأة؟ ولماذا لا تنتهي حرية المرأة في اللباس وكشف أعضائها المغرية عندما تبدأ حرية الرجل وحقه في الأمان الذهني والنفسي ضد المثيرات الجنسية: أي ضرورة امتناع المرأة عن الخروج متبرجة وشبه عارية تماما؟ لكن حين تطرح هذه الأسئلة، هنا تتم شيطنتك من قبل جنود إبليس من النسويات وغيرهم ممن يناسبهم تعري المرأة، واتهامك بأنك عدو للمرأة، وتحرض على العنف ضد المرأة!

031. خطورة الإلحاد المتخفي

أنا لا أخشى على الشباب الإلحاد المباشر، إذ لا يجنح إليه ويغتر به إلا من بلغ النهاية في السفاهة والجهالة والحماقة! وإنما أخشى على الشباب الإلحاد المتخفي، الإلحاد الملتوي، الإلحاد الناعم، الإلحاد غير المباشر وغير الصريح! يمثل هذا النوع من الإلحاد: العلمانية، الحداثة، النسوية، الليبرالية، القراءة الجديدة للوحي! فهؤلاء لن تسمعهم يقولون لك: الله غير موجود، أو محمد لم يكن رسولا، أو الإسلام مجرد خرافة تاريخية! بل يقتفون إمامهم الأكبر إبليس عدو الله في الظهور بمظهر الناصح الأمين، وبمظهر المكتشف للحقيقة في الإسلام، الحقيقة التي أخفاها الفقهاء والمفسرون والمحدثون، وقبلهم الصحابة والتابعون! إنهم يعرضون أنفسهم في معرض المحب والمعظم لله ولرسوله وللإسلام، وكل هذا من باب التخدير للمتلقي، وبالتوازي يقومون بعملية "تلغيم الإسلام" أي غرس الشكوك في نفسك بأساليب ملتوية تجاه القرآن الكريم والسنة النبوية! هؤلاء الزنادقة يعلمون جيدا أنك في اللحظة التي يتم غرس بذور توهين النصوص الشرعية في نفسك، وتحريف حقائقها الأصلية، هنا ستكون قد خطوت الخطوة الأولى في طريق الإلحاد الشامل، شئت أم أبيت، لأنه قوانين عمل النفس البشرية تحتم ذلك!

032. تلبيس تعريف العلمانية

حين يقال في تعريف العلمانية بأنها فصل الدين عن السياسة، فهذا التعريف رغم قصوره الشديد واختزاله المفرط وتدليسه الصارخ! رغم هذا، من المهم أن نفهم بأن العلمانية مع ذلك لا تكتفي بالحياد تجاه

الإسلام، بل هي حريصة كل الحرص على احتوائه، وتنميطه، وتدجينه، وإعادة تشكيله في بوتقة أسسها المركزية. ذلك أنها لو لم تمارس هذا الاحتواء والسيطرة والهيمنة، فإنها ستسقط تلقائيا ولا يعود لها أي معنى يبرر وجودها. نعم، هناك فرق شاسع بين تعاطي العلمانية مع النصرانية مثلا، وبين تعاطيها مع الإسلام. الإسلام يشكل تحديا قويا وخطيرا للعلمانية، لذلك تبذل جهدها الضخم لاحتوائه وتنميطه وإعادة تشكيله وفق أسس رؤيتها الكونية، لأنها تدرك أن الإسلام رؤية مركبة، ومنظومة متكاملة، أساسها طبيعة رؤيته الوجودية التي يحتل وجود الله تعالى المركز فيها، ومن هذه الرؤية تنبثق كل جوانب منظومته في المعرفة والسلوك والقيم والأخلاق والنُّظم والتشريع.

033. بطلان الأديان السماوية

"الأديان السماوية"، هذا القول أكذوبة تخفي وراءها زندقة صامتة، وذلك أنه لا توجد أديان سماوية، بل دين واحد، هو دين الله تعالى، دين الأنبياء منذ آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام، هذا الدين له نفس العقائد والقيم والمبادئ والأصول الكلية في التشريع، وإنما تختلف الفروع التشريعية مع كل رسول بحسب زمانه وطوره التاريخي. ولهذا فاعتقاد أن اليهودية والنصرانية أديان حقة يوجب الكفر والردة، لأن الوحي قرر بطلانها وكفر أهلها. لهذا لم يأت في القرآن ولا السنة لفظ "أديان" أو ما يشير إليه، بل دائما هناك لفظ "دين" مفرد، دلالة على ما قلت لك، من أن الدين الحق دين واحد، هو دين الإسلام الذي أنزله الله تعالى على جميع أنبيائه ورسله الكرام.

034. الصلاح الشخصي والنجاح

من الأخطاء المترسخة في أذهان جمهرة من "الشباب المتدين" عدم تفريقهم بين (الصلاح الشخصي) و (النجاح في المسؤولية)، والمسؤولية هنا، قد تكون الزواج، الأبوة والأمومة، إدارة جماعة وحركة، الدعوة، وقس على هذا. الأمران منفصلان بشكل كبير: فقد يكون هناك نجاح في المسؤولية إلى حد كبير، لكن بلا صلاح، وقد يكون هناك صلاح لكن مع فشل ذريع في المسؤولية، واجتماعهما هو الخير والبركة والنجاح الحقيقي. الصلاح الشخصي عنصر مهم جدا للنجاح في المسؤولية، لكنه ليس كافيا، ولهذا على الشاب المتدين/الفتاة المتدينة أن يدرس موضوع مسؤوليته ليتحقق له _إضافة إلى عنصر الصلاح كما قلنا_ النجاح المطلوب. لقد رأينا مثلا سيدنا عمر بن الخطاب يعزل بعض الصحابة عن تدبير شؤون الولاية التي كلفوا

بإدارتها، لا لعدم صلاحهم ـــحاشاهمـــ فضلا أن يكون عن عدم تعففهم عن أموال الناس أو ظلمهم، وإنما لأمور تطلبت عند عمر عزلهم.

035. تدارس جبريل ومحمد عليهما السلام القرآن في رمضان

في الحديث أن جبريل عليه السلام كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ليلة من ليالي رمضان يدارسه القرآن. (صحيح البخاري). فقف عند قوله [يدارسه القرآن]، وخذ منه: (**أولاً**) الرد على الزنادقة منكري السنة، بدعوى الاكتفاء بالقرآن، وإنما غرضهم هدم القرآن معنويا [أي تحريف معانيه وتفريغه من مضامينه] بعد أن عجزوا عن هدمه ماديا [أي التشكيك في ثبوته وحذف آياته وتغيير ألفاظه]، فهذه المدارسة بين جبريل والرسول صلى الله عليه وسلم إما أن يكون لها أثر على رسول الله في فهم القرآن أو لا؟ إن قالوا (لا) فقد كفروا، وإن قالوا (نعم) فيقال لهم، إما أن يبلغ الرسول أمته فهمه للقرآن أو لا، إن قالوا (لا) كفروا، وإن قالوا (نعم) ثبتت عليهم الحجة. (**ثانياً**) الرد على المبتدعة من الفرق الكلامية التي عطّلت نصوص الصفات بتلبيسات إبليسية كثيرة، فهذه المدارسة بين جبريل عليه السلام والرسول صلى الله عليه وسلم إما أن يكون لها أثر في فهم كل القرآن ومن ضمنه آيات الصفات أو لا، إن قالوا (لا) فقد جاؤوا بعظيمة شنعاء لأن ذلك يتضمن اتهام جبريل والرسول بجهل كلام الله وأنهما كانوا كالعوام الذين يقرؤون ولا يفقهون المعاني والمضامين. وإن قالوا (نعم) فيقال لهم: هل بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أمته حقائق آيات الصفات أم لا؟ إن قالوا (لا) فقد أعظموا على الله ورسوله الفرية، وإن قالوا (نعم) أثبتوا على أنفسهم الحجة، وهي أن بدعهم في الصفات لم يقل بها الله ولا جبريل ولا الرسول ولا الصحابة ولا التابعون ولا الأئمة المتقدمون. والله الهادي سواء السبيل.

036. الاعتراض على خلود الكافر في النار

يعترض الملحد/العلماني على أن غير المسلم مهما فعل من الأعمال الخيرية لن يدخل الجنة، بأن هذا فيه ظلم واضح؟ قلنا: (**1**) الملحد/العلماني لا يصح منه مثل هذا الاعتراض، لأن هذا الاعتراض يتطلب أولاً وجود مرجعية معيارية ثابتة ومطلقة، والملحد/العلماني مرجعيته مادية، فهو يؤمن أن العالم مادة، ولا شيء غير المادة، فلا يمكن إذن أن يؤسس لمرجعية معيارية ثابتة ومطلقة، ومن ثم، فوفق رؤيته المادية لا يصح منه الاعتراض على ما يتطلب مرجعيته غير مادية، تحدد الصواب والخطأ، والعدل والظلم. (**2**) الجنة ملك الله تعالى، فمنطقيا هو وحده الذي له الحق في تقرير شروط دخول الجنة، أما غيره فإن قال شيئا فهي جرأة

وسفاهة وجهل، لأن هذا الغير لا يملك شيئا فكيف يحق له الاعتراض أو الاقتراح أو تحديد الشروط؟ وإذ كان الأمر كذلك، فالرب سبحانه قد أخبرنا عبر رسله بأن الشرط الأكبر لدخول الجنة هو الإيمان به والتوحيد له واتباع رسوله، ثم تأتي الأعمال الصالحة (وغيرها كالشفاعة ورحمة الله) تحدد درجة العبد في الجنة. كما أنه تبارك شأنه قد أخبرنا بأن الجنة لن يدخلها كافر به ومنكر له. **(3)** هذا الذي يعمل الأعمال الصالحة للناس، هو بين أمرين، إما أن يكون دافعه لذلك هو إيمانه بالله تعالى واليوم الآخر، ولكنه على دين غير دين الإسلام، فهذا له حالان، إن كان قد سمع بالإسلام وبقي مصرا على دينه فهو في حكم الإسلام يعتبر كافرا والكافر لا تُقبل منه أعماله الصالحة، وإنما يُجزى بها في الدنيا، كالصحة وما يشبه ذلك، وحتى في الآخرة فلا شك أن عذابه يكون أخف من عذاب الكافر المجرم الظالم، وإن لم يكن قد سمع بالإسلام، فهذا يتحدد مصيره الأبدي يوم الحشر بامتحان الله تعالى له، كما ورد في الحديث. وأما إن لم يكن دافعه إلى هذه الأعمال هو الله واليوم الآخر، بل الشهرة بين الناس أو تحقيق مصالحة شخصية، فهذا قد حكم على نفسه بأن دوافعه خبيثة لا خير فيها وإنما يلهث وراء رغباته فقط، فكيف إذن يقال: لماذا لا يدخل الجنة؟

037. كثرة الطلاق بين المثقفين والموظفين

(لماذا يكثر الطلاق بين الأزواج المثقفين والموظفين؟). والجواب هو: الأمر يرجع إلى المعطيات التالية: **(1)** لا يكثر النقاش "الفكري/الشرعي" بين طرفين إلا آل أمرهما إلى الاختلاف والخلاف، وطبيعة النفس البشرية أنها تنفر ممن يكثر من معارضتها، خصوصا في أفكارها المركزية. وجدنا هذا بين الرجال الذين لا يربط بينهم رباط إلا الحوارات الشرعية/الفكرية، فما بالك بالزوجين. غير أن القضية هنا تختلف عن أولئك، إذ هناك هي بين رجل ورجل، أما هنا فهي بين رجل وامرأة تربط بينهما علاقة زواج، والرجل عادة لا يمكن أن ينسى أنه الزوج، فكثرة معارضة زوجته له علميا وفكريا يغرس فيه بذرة أنها لا تقدره ولا تعترف له بالقوامة عليها. **(2)** الاستقرار والسعادة الزوجية والأسرية لا علاقة لهما بكون الطرفين مثقفين أو غير مثقفين، لأنها تعتمد على عناصر ليست الثقافة والعلم من أساسياتها. نعم، الأصل أن العلم والثقافة يساعدان في تحقيق الاستقرار والسعادة، ولكن هذا يكون إذا كانت أساسيات الاستقرار بين الزوجين متوفرة، فيأتي العلم والثقافة دعما وسندا لها. بل في كثير من الأحيان تجد الزوجين المثقفين لم تهذب الثقافة الطباع فيهما، ولا إنضاج العقل فيهما، فلا يكون إذن لرصيد العلم والثقافة قيمة. **(3)** الحياة الزوجية لابد أن تواجه بعض التحديات والصدامات والخلافات، فالواقع والظروف والأحوال النفسية وتغير العمر، كل هذا يؤثر بلا شك في الشخصية. ومن هنا، لابد لأجل الاستمرار من الصبر والتضحية والتنازل، ولابد من التشبث بالتقدير

والاحترام والقيام بالواجبات كما ينبغي. لكن، حين تكون الزوجة موظفة، فهي حرية أن تكون لديها نزعة الندية والتمرد قوية، خصوصا حين نستحضر تأثير ضغوط الخروج والعمل عليها، بالإضافة لوسوسة الصديقات ووسائل التواصل والإعلام، فهنا لماذا ستتحمل وهي قادرة على التحرر؟! والله الموفق

038. من آثار خروج المرأة للعمل

لو لم تدخل المرأة سوق الوظيفة والشغل، لكانت النتيجة: شباب يشتغلون فيتزوجون. لكن مع عمل المرأة كانت النتيجة: (شباب عاطل) + (عنوسة مرتفعة). هذه مشكلة أولى.. والثانية وهي أعظم وأدهى: شاب عاطل قد يجد عملا كيفما كان ولو بعد سنوات، وسيجد زوجة تقبل وترضى بأوضاعه المادية. لكن امرأة عاملة بعيد جدا أن تقبل بمن مرتبه أو دخله أقل منها خصوصا إذا كانت الفجوة واسعة، والنتيجة الحتمية ارتفاع أعداد الموظفات غير المتزوجات، ثم ستجد نفسها بعد الأربعين: إما تقبل بأي شخص قبل أن تجد نفسها في سن الخمسين، وإما أن تكتم معاناتها بين جوانحها وتكابدها بصمت كئيب.

039. تصنيف الناس من الشرع

تصنيف الناس من معالم النبوات، فمن مقاصدها الفرقان بين الحق والباطل، بل هذه طبيعة كل الاتجاهات الكبرى قديما وحديثا، إذ بدون هذا التصنيف يقع الخلط واللبس والميوعة، فلا يفرق الناس بين الحق والباطل، ولا بين الصواب والخطأ. ولذا؛ فالذين يدعون لعدم تصنيف الناس ويحذرون من ذلك، إما عندهم رؤية ضبابية للموضوع، أو يخشون تهمة التشدد، أو يستهدفون تمييع الحق للترويج للباطل. نعم، من الخطأ _على الأقل من وجهة نظري_ أن يكون لهج المرء الحديث عن تصنيف الناس، وإنما حسبه الكلام في الموضوع حين يقتضي المقام ذلك، والدلالة على أصول القضية ليكون الناس على بيّنة، وذلك أن هذا اللهج والانغماس يحول دون الإفادة مما عند الآخرين، والآخرون هنا مقصود بهم الذين معهم بعض أنواع البدع في مسائل الاعتقاد أو السلوك مثلا لكن معهم خير كثير في مسائل أخرى. وهل راجت البدع الاعتقادية والسلوكية بين العامة إلا بسبب التقصير في التصنيف والبيان.. وهل راجت الزندقة العلمانية والطغيان النسوي إلا بسبب التقصير في التصنيف والبيان.. ومن هنا، فتصنيف الناس ومقالاتهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله تعالى تحذيرا للعامة من السقوط في البدع الاعتقادية والسلوكية، والاغترار بالزندقة العلمانية والطغيان النسوي، على أن العلم واجب والعدل مطلوب.

040. وهم الحرية عند الملحد

يتوهم الملحد أن فك ارتباطه بالله تعالى يعني الحصول على استقلاليته وحريته، وهذا جهل كبير، فقد نسي وغفل عن أن هذا الهدف المعلن إنما يتحقق له في حيز صغير هو جانب التكليف الشرعي فقط، أي خضوعه لمنظومة الوحي أو رفض خضوعه لها، والحال أن الأمر أوسع من ذلك. أقول نسي بل جهل لأن الملحد بحكم أنه إنسان يعيش داخل نظام كوني معين (عالم الدنيا) فهو مرغم أو قل مجبر على الخضوع لمنظومة السنن الإلهية الحاكمة لهذا النظام الكوني، بمستوياته الثلاثة (التكوين البشري: الجسم، الفطرة، العقل)، و(القوانين الاجتماعية: الأسباب تنتج نتائجها خيرا أو شرا)، و(الطبيعة المادية: الحدود الزمكانية، المناخ). هذا يشبه شخصا يعيش في بلد معين، فهو عمليا خاضع لمنظومة القوانين التي تسنّها الحكومة رغما عنه، لكن لأنه يجد أن لديه حرية ما داخل حدود منزله، توهم أنه مستقل عن الحكومة وغير خاضع لقوانينها.. فهل ترى أنه شخص عاقل!! الملحد إذن خاضع رغم أنفه لله تعالى في طبيعة النظام الذي شاء تبارك شأنه أن يحكم الإنسان والعالم، أما جانب التكليف فله فيه الحرية لأنه على ذلك يترتب مصير الإنسان الأبدي، إما الجنة أبدا أو النار أبدا.

041. ذهاب الصالحين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ، الأَوَّلُ فالأَوَّلُ، ويَبْقَى حُفالَةٌ كَحُفالَةِ الشَّعِيرِ، أوِ التَّمْرِ، لا يُبالِيهِمُ اللَّهُ بالَةً﴾. (صحيح البخاري) أي لا يزال الله تعالى يقبض الصالحين، فيقلون في الناس، ويكثر التافهون السفهاء السخفاء، إذا رأيتم ملؤوا عينك بزينتهم ومظاهرهم، لكنهم في ميزان الله تعالى لا قيمة لهم ولا قدر، فهم أشبه بحفالة الشعير أو التمر أي رديئه وساقطه، وذلك لقلة علمهم بالله والآخرة، وشدة هوسهم بالدنيا وشهواتها كأنهم أنعام سائمة، اهتماماتهم هزيلة وطموحاتهم صغيرة، ولا تخرج هذه وتلك عن حدود الشهوات والدنيا، ولأجل ذلك لا يبالي الله بهم بالة أي لا يكترث بهم ولا قيمة لهم عنده. وها نحن أولاء نشهد تكاثر هؤلاء الحثالة الحفالة، ليس بين المراهقين والشباب، بل حتى بين الكهول والمتقدمين في السن ممن تجاوز الستين عاماً، فترى أحدهم أو إحداهن في عقله وسلوكه، وفي اهتماماته وأهدافه، أشبه بالغلام المراهق في نزقه وطيشه، وفي تصرفاته ونشاطاته، وفي تفاهته وسخافته، وقد كان الأصل أن يكون متحلياً بالحكمة والرزانة، والاهتمام بمستقبله في الآخرة وهو على مشارفها! وإنه لا تكثر التفاهة في كهول وشيوخ أمة إلا كان ذلك إيذانا على سقوطها وسوء عاقبتها!

042. التربية على المسؤولية

من القيم التربوية المركزية في الإسلام؛ قيمة المسؤولية. فالمنهج التربوي الإسلامي حريص على غرس قيمة المسؤولية في وعي المسلم وحسه حتى قبل أن يبلغ سن التكليف الشرعي (حوالي 14 عاماً) بمطالبة الأبوين تدريب أبنائهم وبناتهم على الصلاة والصيام ومحاسن الأخلاق، وتعليمهم مبادئ العقيدة الإسلامية. ثم، إذا بلغ المسلم سن التكليف، أكّد الإسلام عليه قيمة المسؤولية، وأنه مسؤول ومحاسب على مختلف مواقفه واختياراته وتصرفاته وعلاقاته ونشاطاته، وكذلك سيستمر الأمر إلى أن ينتهي أجله وينزل به الموت، لأن مصيره الأبدي بعد الموت وثيق الصلة بمدى قيامه بواجبات المسؤولية الإلهية المكلف بها في الحياة الدنيا. يؤسس الإسلام هذه القيمة التربوية على حقيقة أن الإنسان كائن مريد، ومختار، ولديه القدرة على الاختيار، كما أن لديه عقلا يقوم على مبدأ الحق والخير، وأيضا قد أقيمت عليه الحجة بالنبوات. وبكل هذا، فالإنسان حر مختار وليس مجبراً مقهوراً، اللهم إلا في الجوانب التي لا يحاسَب عليه عند الله تعالى. هذه القيمة من أكبر القيم التربوية التي اختفت _أو كادت_ في الأسر المسلمة لهذا العصر، فلا تكاد تجد آباء يحرصون على غرس معاني المسؤولية في نفوس أبنائهم وبناتهم، اللهم إلا ما يتعلق بشهوات الدنيا، كحثهم الدائب على ضرورة الدراسة للحصول على وظيفة تُكسبهم مرتبات ممتازة يستطيعون بها الظفر بحياة مادية هنية! والله المستعان

043. آباء سفهاء

رأينا المشركين المعاصرين في الغرب والشرق يطالبون بناتهم وأبنائهم إذا بلغوا سن الثامنة عشرة وأكثر بالخروج للعمل ولو في العطل الفصلية إذا كانوا يتابعون ويتابعن الدراسة، ولا أحد منهم يطالب بناته وأبنائه بالعمل لرد المال الذي أنفقه الوالدان عليهن أو عليهم خلال الثامنة عشرة عاماً الماضية. لكن، وجدنا في المسلمين المعاصرين من يطالب ابنته أو ابنه برد المال الذي أنفقه عليه خلال العشرين عاما الماضية! أي إن هذا الأب أو الأم يقول لابنته أو ابنه: لم أكن أنفق عليك لأنه واجب علي شرعاً النفقة عليك، أو لأن الأبوة/الأمومة تتطلب ذلك، أو حبا لك، بل كنت أفعل من باب الإقراض لك حتى تكبر/تكبرين! أجل، لقد مرت علي بعض الحالات هذه قصتها! وليت شعري ماذا يتبقى من الروابط بين هؤلاء الآباء وبناتهم/أبنائهم حين تسقط العلاقة بينهم في هذا المنحدر! لكن، أليس من حق هذه الابنة/الابن أن يقول لهذا الأب السفيه: لماذا أنجبتني؟ أنت لم تكن قادرا على القيام بواجبات الزواج فلماذا ورطت نفسك فيه! أجل؛ حري بأن يُحجر على هؤلاء الآباء السفهاء، لأنهم انسلخوا عن بعض أقدس الروابط التي تربط بين البشر! وانسلخوا عن قيم الديانة والمروءة والفضيلة!

044. لابد من هوية معينة

لابد لكل إنسان من هوية معينة بغض النظر عن قيمتها في ميزان الحق، لأن الطبيعة الإنسانية تحتم ذلك. هذه الهوية هي التي تحدد للإنسان رؤيته لنفسه وللآخر وللعالَم، كما ترسم له مسار الحياة وقيمها. ومن هنا، فالمسلم الذي ينسلخ عن هويته الإسلامية بمكوناتها العقدية والقيمية، لابد أن يتبنى هوية الآخر، الشرقي أو الغربي، وضع هنا ما شئت من الماركسية أو العلمانية أو المادية أو الإلحاد أو غير ذلك، كما أنه بقدر ما يجهل أو يتنازل عن هويته الإسلامية يكون مقدار تبنيه لهوية الآخر. وسواء هذا أو ذاك، لا يهم أن يكون واعياً بذلك أم غافلاً، لأن الهوية تعمل عملها في الإنسان، شاء أم أبى، وعى ذلك أم غفل، إن على المستوى الفكري وإن على المستوى النفسي وإن على المستوى السلوكي في نشاطات الحياة المختلفة وعلاقاتها المتعددة! فكن على ذكر من هذه الحقيقة، وراجع طبيعة هويتك التي تتبناها.

045. أكل الدنيا بالزوجة/ الابنة

خلال العشرين/الثلاثين عاماً الماضية تزايد باطراد خروج المرأة لمختلف أنواع العمل، وإذا استثنينا حالات الضرورة المعتبرة، فلا يمكن أن نتردد في القول بأن هذه الظاهرة –التي لم تحدث قط في تاريخ المسلمين بمثل هذا الحجم والمدى والهوس– تعني أن الرجل اليوم لم يعد يخجل في «أكل الدنيا بزوجته وابنته»، وفي ذلك دلالات شديدة الإيحاء على فقدانه بوصلة القيم المتعالية والمبادئ السامية! لكن، إذا كان الرجل اليوم لا يبالي في السماح لزوجته وابنته للخروج للعمل والاختلاط المتنوع بالرجال، فالذي بدأ اليوم في التشكل والبروز، هو ما يمكن ما نستبق الاصطلاح عليه ب «ظاهرة الأزواج الممثلين في وسائل التواصل المدفوعة الأجر»، بمعنى أننا صرنا نشهد ظهور زوجين "وطبعا منهم أهل اللحية والحجاب/النقاب" يقومان بعرض تمثيلية ثنائية كمشهد اللعب والمرح والضحك معا "بالنسبة لمن يقولون إنهم متدينون يزعمون أنهم يفعلون ذلك للبرهنة أن الإسلام دين غير متشدد"! وهذا تطور طبيعي بل حتمي حين نقرؤه في سياق "متتالية علمنة ولبرلة الوعي والشعور والرؤية للإنسان المعاصر، لتنصبغ حركة نشاطاته وعلاقاته المختلفة بصبغة مادية دنيوية بحتة، تبحث فقط عن المال وقد تزخرف هذا البحث والسعي بزخرفة إسلامية!" والله وحده يعلم إلى أين سيبلغ الأمر!

046. حديث القرآن عن الله تعالى

تحدث القرآن الكريم عن الله تبارك وتعالى حديثاً عجيباً، كثيراً ومتنوعاً، عميقاً ودقيقاً، وكل هذا بأسلوب وعرض لا يُعرف له مثيل أبدا، فلو ذهبت تفتش مختلف الأديان، وتنقب شتى الفلسفات، وتبحث

في تباين المعتقدات، لما وجدت في حديثها عن الإله سبحانه ما تجده في حديث القرآن عن الله جل جلاله، حتى لو قال قائل بأن حديث القرآن عن الله من أدلة كون القرآن كلام الله ووحيه الذي أوحاه إلى نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم لصدق. يحدثك القرآن بأن الله تعالى له الكمال المطلق والوحدانية المتفردة والعظمة اللامتناهية، ويحدثك القرآن بأن الله تعالى غني عن الخلق جميعا، وإنما خلق الخلق ولم يكن شيئاً مذكورا لحِكَم جليلة تقصر المدارك العقلية عن استيعابها، ويحدثك القرآن بأن الله تعالى على كماله وجلاله فإنه وثيق الصلة بالخلق كافة، فهو القيوم على كل شيء لا يزال يمنحه الحياة والوجود إلى أجله المعلوم، ويحدث القرآن بأن الله تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العظيمة، وهذا العالم جزء ضئيل من تجليات بعض تلك الأسماء والصفات، ويحدثك القرآن بأن الله تعالى ليس كمثله شيء ولا له سمي أو شبيه، لأنه الخالق الذي كان ولم يكن معه شيء من خلق، فهو لذلك لا يساميه أو يماثله في ذاته أو صفاته شيء من خلقه. إن حديث القرآن عن الله تبارك وتعالى، حديث معجب، لكنه قريب من الفطرة وقريب من العقل، وهذه من صور عظمة القرآن.

046. أساس كل نجاح وفلاح

من خاض التجارب، وحنكته الخبرات، ونظر في العلم، وتفكر في أحوال الناس، تيقن صريح اليقين من أمرين اثنين: الأول هو البركة، فإذا لم يبارك الله تعالى لك في علمك أو عملك او مالك أو وقتك أو زواجك ... إلخ، فكل ذلك يكون عليك نقمة من حيث كان يمكن أن يكون لك نعمة، وتكون كمن يشرب من ماء البحر، فمهما شرب فإنه لا يرتوي أبداً! والثاني هو التوفيق، فإذا لم يوفقك الله تبارك وتعالى في شؤونك المختلفة، في الهداية والعناية والعلم والمعرفة والرزق والمال والزواج وغير ذلك، فكل شأنك يكون مضطربا ولو بلغت في الذكاء الغاية، بل تكون كراكض في صحراء لا يهتدي إلى مخرج أبدا! إن البركة والتوفيق هما عماد الأمر في أوله وآخره، وبقدر حظك منهما وهبة الله تعالى لك منهما، يصلح حالك ويستقيم أمرك ويسعد حالك، وفي الآخرة يكون لك الغفران والرضوان ومنازل الجنان. جعلنا الله وإياكم منهم. آمين

047. هوس كرة القدم

وأنت ترى هؤلاء الغوغاء الدهماء الذين يلهثون وراء كرة القدم، يرقصون، ويصرخون، وتذهب بهم الفرحة كل مذهب، ومنهم من يدفع المال العظيم للسفر إلى مكان لعب فريق بلده، وهو نفسه لو قيل له تصدق بدريهات على المساكين لثار وزمجر! وهؤلاء الذين إذا رأيتم رأيت شهادات جامعية، ووظائف إدارية،

وأجسام فارعة تملأ عينك ضخامة، ورأيت الشباب والرجال كما ترى البنات والنساء، فضلاً عن الأميين وأشباه الأميين، وعوام السوقة وأصحاب المهن الدنيئة! وأنت ترى هذه الحشود الجاهلة اللاهثة، تذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم عما يكون بين الساعة: ﴿تُنتزع عُقُولُ أَكْثَرِ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمانِ، ويَخْلُفُ لَهُمْ هَباءٌ مِنَ النّاسِ، يَحْسَبُ أَكْثَرُهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى شئ، وليسوا على شيء﴾. وهذا الأمر هو أحد إفرازات عملية التفسيق والتتفيه التي ما زال أعداء هذه الأمة من الداخل والخارج يجتهدون في إغراق أفراد الأمة فيها، حتى بلغ الحال أنك إذا لم تشاركهم في فرحهم ومرحهم وصراخهم وضجيجهم وهو يشاهدون المباريات الخاصة بفريق البلد اتهموك بعدم الوطنية، والتشدد الديني، وغير ذلك، فالله المستعان.

048. الإنسان مخلوق للآخرة

من الأصول التي ينبغي على العاقل التمسك بها، والتفقه فيها، الأصل التالي: «الإنسان مخلوق للآخرة الأبدية وليس للدنيا الفانية». يترتب على هذا الأصل جملة من المعاني ذات الدلالة المعرفية والقيمية والسلوكية الكبيرة، منها: **(1)** حياة العبد مهما طالت ليست أكثر من فصل صغير جدا في القصة الوجودية الكبرى، فحياته لا تنتهي بانتهاء عمره وموته، بل إن موته بداية فصول حياته الأبدية في الآخرة. **(2)** الثواب والجزاء والعقاب قد يحدث في الدنيا، لكنه يحدث بشكل جزئي، سواء للصالح أو للطالح، للمؤمن أو للكافر، لأن كمال الجزاء والثواب والعقاب يكون بعد الموت. **(3)** الشرور في الدنيا جزء طبيعي من حقيقة عالم الدنيا الفاني ومهمة الإنسان فيها المتمثلة في التكليف، ولهذا فالعبد مأمور بالصبر على الشر، ومدافعته، واجتنابه. هذه بعض المعاني المتعلقة بهذا الأصل الكبير. والأمر يحتاج لتفاصيل واسعة لكن الإشارة المقتضبة خير من لا شيء. والله يلهمنا التوفيق والسداد والثبات. ويرزقنا نور البصيرة ورشاد العقل وسمو النفس.

050. أهمية الضيافة

تبادل الضيافة عنصر جوهري في توطيد العلاقات العائلية والاجتماعية، وقد كان الناس قديما إلى حدود ثلاثين/ عشرين عاما، يدركون هذا المعنى بفطرتهم وعاداتهم، ولهذا لم يكونوا يعقدون أمر الضيافة والتباهي بأنواع الطعام والشراب والفواكه. الذي حدث في الوقت الحالي خصوصا خلال العقدين أو العقود الثلاثة الأخيرة أن الناس عقدوا شأن الضيافة، ودخلوا دوامة التفاخر بينهم، فإذا كان المرء قديما يكتفي بما تيسر لضيافة أفراد العائلة أو الإخوان أو غيرهم أثناء المناسبات الخاصة، فاليوم صار المرء يجد نفسه ملزما بفاتورة باهظة جدا كلما كثر المدعوين، قد تلتهم مبلغا ضخما من مرتبه! فماذا كانت النتيجة؟ لقد كانت

تجنب الناس لأمر الضيافة المتبادلة، ومن ثم صار عاملا قويا في تفكك العلاقات العائلية والاجتماعية! الناس اليوم أهلكهم التظاهر والتفاخر، ولذلك تمزقت الصلات بينهم، وبرزت الأنانية المقيتة فيهم!

051. طلاقة القدرة الإلهية

ورد في القرآن في أكثر من ثلاثين موضعا، أن ﴿ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ﴾. فقف عند «عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ»، لتفهم المعنيين التاليين: **(1)** طلاقة القدرة الإلهية، فقدرة الله تعالى بلا حدود ولا قيود، لأن صفة القدرة لله تعالى لا تنفصل عن كماله المطلق، فكانت صفة القدرة مطلقة بلا حصر ولا نهاية. **(2)** هذه القدرة الإلهية المطلقة والمرتبطة بالعلم المطلق والحكمة اللانهائية له تبارك شأنه، تتعلق بالممكنات التي يصح عليها معنى الشيئية التي يمكن أن تكون شيئا، ولا تتعلق بالمستحيلات، لأن المستحيل ليس شيئا لتتعلق به قدرة الله سبحانه. **(3)** إذا علمت هذا، فاعلم أن شياطين الجن والإنس، أعداء الله ورسوله والانسان والحق والتوحيد، يحرصون على مغالطة الشباب في هذا الموضوع بالخلط بين الممكن والمستحيل، فيقع الشاب الساذج في الفخ، ويأخذ الشك يتسرب إلى نفسه. مثال ذلك: قولهم: هل يستطيع الله أن يخلق مثل نفسه؟ أو هل يستطيع الله أن يخلق صخرة لا يستطيع تحريكها؟ فالمغالطة هنا هي التلاعب اللفظي، والخلط بين الممكن والمستحيل، فالمخلوق يستحيل عقلا أن يكون إلها، كما يستحيل عقلا أن يكون هناك إلهان، فكيف يمكن يصح سؤال هل يستطيع الله أن يخلق مثل نفسه؟ وصفة الألوهية هي الكمال المطلق فكيف يصح سؤال هل يستطيع أن يخلق الله صخرة لا يستطيع تحريكها! وقس على هذا ما ذكرته لك في المنشور السابق عن مغالطة النصارى حول اتحاد اللاهوت والناسوت، أي إن يسوع إله وإنسان في نفس الوقت بطبيعتين مختلفتين، فهذا تناقض عقلي يدخل في باب المستحيلات العقلية، ولهذا فهو قول مغالطة وتلبيس! وأيضاً قس عليه الخلط بين طلاقة القدرة الإلهية والسنن الإلهية في حياة البشرية، ويدخل في هذا سؤال الشر الشهير: لماذا الشرور موجودة؟ أليس الله قادرا على كل شيء! والتلبيس هنا هو الغفلة أن السنن الإلهية مرتبطة بالحكمة الإلهية في العالم، وهذه السنن نفسها جزء من القدرة الإلهية، فالله سبحانه لا يفعل إلا بحكمة لتحقيق حكمة أي إن الله له مقاصد في الوجود يحب ويريد أن تتحقق، ولهذا فلا تناقض بين طلاقة قدرته ومقاصد حكمته. والله الموفق

052. شبهة حول معراج النبي صلى الله عليه وسلم

من الشبهات الصبيانية التي لا يزال يلهج بها الملاحدة في بلداننا؛ ويخدعون بها الصغار والشباب الجاهل، الثرثرة التالية: (كيف تؤمنون بأن نبيكم طار إلى السماء على ظهر حمار وفي جزء من ليلة واحدة، والعلم اليوم يؤكد على أن الكون شاسع جدا؟) قلت: أولاً؛ مسألة أن نبينا الأكرم صلى الله عليه وسلم طار على ظهر حمار، فقد قلت مرة لأحدهم: أين يا حمار وجدت أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم طار على ظهر حمار؟ وأين وجدت أنه طار إلى السماء؟ هؤلاء السفهاء يهرفون بأي شيء دونما تثبت، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يطر، بل عُرج به، وفرق هائل بين (طار) و (عرج). وأيضاً فالنبي صلى الله عليه وسلم عُرج به بوسيلة تسمى بالمعراج، ونحن لا نعلم ماهيتها. ثانيا، هؤلاء السفهاء لا يفرقون بين (المستحيل العقلي) و (المستحيل الفيزيائي)، ولهذا اضطربت عليهم الحقائق. فالمستحيل العقلي مثل أن يقال ($1 + 1 = 3$)، أو (شيء موجود وغير موجود) أو (شيء داخل شيء وخارج عنه في نفس الوقت)، وبالجملة كل ما ينقض المبادئ العقلية، فهذا الضرب من المستحيلات، يستحيل أن تأتي به النبوات الإلهية، أي إنها لا يمكن أن تأتي بما ينقض المبادئ العقلية. أما المستحيل الفيزيائي فالأمر مختلف تماما، فهو مستحيل بالنسبة لنا نحن البشر، وقد يكون مستحيلا عاما لكل البشر وفي كل زمان ومكان، وقد يكون مستحيلا لبعض البشر وفي زمان دون زمان أو مكان دون مكان. ومثال ذلك: قديما كان بالنسبة للناس من المستحيل أن ينتقل البشر من مدينة إلى مدينة تفصل بينهما مسافات هائلة في ساعة أو ساعتين، لكن اليوم هذا ليس مستحيلا بالنسبة لنا فنحن ننتقل بالطائرة مسافات شاسعة في ساعة أو ساعتين أو ثلاث ساعات. المستحيل الفيزيائي ليس مستحيلا في نفسه بل هو ممكن، وإنما استحال لما شاء الله تعالى من الحكمة. فمثلا: تأثير النار في الخشب ممكن عقلي وفيزيائي، لكن، هل تأثير النار في الخشب واجب عقلي؟ لا طبعا، فلو شاء الله تعالى لما جعل للنار خاصية الإحراق، بل مثلا جعلها في الحجر أو الماء. ومن المستحيل الفيزيائي بالنسبة لنا الطيران في جو السماء (بدون وسيلة)، لكن هل هذا مستحيل عقلا؟ طبعا لا، فلو شاء الله أن يعطينا القدرة على الطيران في جو السماء لفعل. إذا فهمتَ هذا الفرق بين (المستحيل العقلي) و (المستحيل الفيزيائي) و (الممكن العقلي) و (الممكن الفيزيائي)، وفهمتَ أن النبوات لا يمكن أن تأتي بالمستحيلات العقلية، بل بالممكنات العقلية، وحتى المعجزات فهي لا تنقض مبدأ عقليا، بل قد تنقض مستحيلا فيزيائيا، وقد قلنا بأن المستحيل الفيزيائي ليس مستحيلا عقليا بل هو في نفسه يدخل في الممكن العقلي فقط، إذا فهمت هذا فهمتَ جهالة الملاحدة في احتجاجهم بالمعراج النبوي، لأن عروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء (ممكن عقلي) وليس (مستحيلا عقليا)، ولهذا فهو (ممكن فيزيائيا) بالنسبة لله تعالى فهو الذي خلقه هذا العالم، وإن كان مستحيلا فيزيائيا في حق عامة البشر.

053. عدم إنصاف العبد ربه

أكثر الناس في علاقتهم بالله سبحانه، ينطلقون من قاعدة ثابتة لاشعورية فيهم، وهي: حقنا على الله أعظم من حقه علينا، ولهذا ينظرون لحقهم عليه في كل شيء، أكثر بكثير من نظرهم في حقه عليهم! ولأن نظام القدر أكبر من مراعاة أوهام وأهواء البشر، تجد هؤلاء الناس يقعون في الحيرة والتوتر ودوامة لماذا والشك، كلما نظروا لما هم فيه من الحرمان من الشهوات والرغبات، أو ما يقاسونه من بعض الضغوط والشدائد. وأما المؤمن الصحيح العقل والإيمان، فإنه يدرك أن حق الله تعالى أعظم وأكبر، لأن العبد في الأصل لا حق له على ربه إلا ما فرضه ربه على نفسه له، ومن هنا، يدرك هذا المؤمن بأن كل ما هو فيه من خير فهو فضل من الله، وكل ما هو فيه من حرمان وضغوط فهو عدل من الله ومن أسبابه ذنوبه وتقصيره ومعاصيه، فيتحلى بخلق الرجاء في رحمة ربه وفضله، وستره وعافيته. وبالله التوفيق

054. تقليد الناس سبب الهلاك

أكثر الناس هلاكهم على أيدي الناس، يقلدون الناس، ويسايرون الناس، وبالنسبة لهم لا يمكن الخروج عن الإطار الذي رسمه الناس، في ثقافتهم، واهتمامهم، وأهدافهم، وعلاقاتهم!! كيف يمكن تعليل هذا المعنى في البشر؟ يمكن تعليل ذلك بالمرتكزات التالية: (**1**) الإنسان كائن مقلد بطبعه، فمنذ نعومة أظفاره وهو يقلد أمه وأباه والمحيطين به، في كل شيء. ثم لا يزال يشب ويشب التقليد معه للمحيطين به، وللشخصيات التي يتخذها نماذج مقدسة في وعيه وشعوره. (**2**) الإنسان كائن يبحث عن الاعتراف به من قِبل الجماعة التي يعيش فيها، لأن هذا الاعتراف يمنحه الاحساس بالقيمة والوجود، حتى إنه قد يأتي من الأفعال ما يلحقه بسببها الأذى والألم بل والموت لأجل أن يعترف به الناس. (**3**) الإنسان بطبعه يخاف من المجهول، فالمجهول بالنسبة له يمثل الألم، والحرمان، والموت كذلك، ولهذا يفضل الشيء المعلوم لتفادي مغامرة المجهول غير مضمون العواقب، واتباع الناس صمام أمان من تكاليف المجهول. ولهذا كانت الأنبياء عليهم السلام، والصالحين المصلحين يلاقون عنتا شديدا في دعوة أقوامهم، لأن هذه الدعوة تمثل انتزاعهم من نمط تفكير، وسلوك، وتقاليد، ما زالوا يعيشون في إطاره، وهذا يناقض مبدأ الاعتراف، لأن جماعتهم ستنبذهم، ويناقض مبدأ الاستئناس بالمعلوم المستقر، لأن دعوة النبي أو المصلح مغامرة مجهولة! والخلاصة: من عرف علل الأشياء سهل عليه الارتقاء من وهاد التقليد إلى يفاع الاستقلال في تفكيره وسلوكه واهتماماته وطموحاته. وهذا المعنى

ما فتئ القرآن الكريم يضرب له الأمثال، ويقيم له الحجج، ويفصل فيه البيان، ومن قرأ القرآن وتأمل السنة وكلام السلف بعقل مفتوح وجد ذلك. والله الموفق

055. التبرج شر على المرأة أيضاً

لو كانت النساء اليوم تعقل؛ لنشطن في محاربة التبرج في المرافق والفضاءات العامة المختلفة، من أجل أن الرجل اليوم يرى مئات الأشكال والأصناف من اللواتي يتفنن في التزين والتبرج عند الخروج من المنزل، وهذا ما يجعله لاشعورياً يرفع سقف شرط الجمال في المرأة التي يريد الزواج بها، وإذا كان متزوجاً يجعله التبرج ينظر إلى زوجته بعين الإعراض عنها لأنها أقل بكثير من كثير ممن يصادفهن في الفضاءات العامة من البنات العزباوات والنساء المتزوجات المتبرجات!! وإذا أضفت نساء الإعلانات والبرامج وتقديم الأخبار، فضلا عن الأفلام والمسلسلات، فضلا عن نساء سوق النخاسة الالكتروني المسمى الانستغرام، يكون هذا المعنى واضحا!! إن تبرج البنات والنساء اليوم في كل زاوية في الواقع أو فضاء الانترنت غرس بذور هوس الجمال في الرجال، ولأنهم لا يستطيعون الظفر بذلك، يقعون في الكثير من المشاكل، سواء قبل الزواج أو بعده!! وهذا لا يعني نفي المسؤولية عن الرجل!

056. شيوع التبرج لتهاون الآباء

عندما تخرج إلى الشارع، تذهب إلى السوق، ومختلف المرافق والفضاءات العامة، وترى تلك الحشود من البنات والنساء المتفننات في التبرج، فيجب أن تتذكر أن السبب الأكبر هو عدم وجود هذه الفتاة أبا رجلا في البيت، وعدم وجود هذه المتزوجة زوجا رجلا في البيت، بل تستطيع أن تقول بأنهن يعشن مع ذكور فيهم لوثات الدياثة بنفوس ماتت فيها الغيرة!! صدقت تلك العجوز التي قالت لي مرة: «يا ولدي، تفرعنت النساء عندما لم يجدن الرجال رجالاً». نعم، لقد تخلى جمهور عريض من الآباء والأزواج عن قيم الرجولة في التعامل مع الزوجة والابنة، فلهذا ترى هذه المسوخ من البنات والنساء في الفضاءات العامة، لأنهن لم يعرفن الرجل حق الرجولة في حياتهن، فلا تلوموا النساء بل لوموا الآباء والأزواج، قليلي الدين، وخفيفي العقول، ومنعدمي الرجولة!!

057. مبادئ القراءة

من المبادئ التي تشكلت لدي مع مرور الوقت في القراءة والمطالعة، المبدآن الآتيان: (1) ليس بين العاقل والحق عداوة، بل حيث وجدت الحق أخذته ورأيت أني أولى به، وحيث قادني الدليل إلى الحق التزمت به. (2) لا أحد جمع رأيه الحق كله، بل كل متكلم لابد أن يتخلل كلامه شيء من القصور والنقص والغفلة، والعبرة بكثرة الإصابة. ولهذا عندما أقرأ حتى للمخالف فإني أحرص على أن أقرأ بعين تحصيل الفائدة وإدراك الحق، وليس بمبدأ ما أسميه بالقراءة الذبابية التي ليس لها هم إلا التفتيش على العيوب، كالذبابة التي لا تقع إلا القاذورات، فإن هؤلاء يكونون مهووسين بالظهور والشهرة بالذكاء والاجتهاد والتحصيل!

058. أجواء الغفلة

أجواء البيت، أجواء المجتمع، أجواء الإعلام، أجواء العلاقات، نظام العمل، نظام القوانين، هذه كلها اليوم تعزز الغفلة عن الله والآخرة، وتدفع إليها، وتصبغ الوعي والشعور بها!! نحن اليوم نعيش في غفلة عارمة عن الله والآخرة، وقد صار حضور الله والآخرة في نفوسنا خافتا، لولا لحظات الصلاة المفروضة التي تكون مناسبة لبعضنا في تذكر الله والآخرة!! انزل إلى الشارع، إلى المقاهي، إلى الأسواق، إلى التجمعات العائلية والأخوية، إلى الإدارات، وإلى ما وراء أسوار البيوت، وسترى كيف تخيم الغفلة عن الله والآخرة على جمهور الناس!! إن جمهور الناس اليوم في غفلة معرضون، يثرثرون بلا فائدة، يلهثون وراء الشهوات، يعيشون لأحلام مادية صغيرة هزيلة يحسبونها طموحات عظيمة!! نعوذ بالله من الخذلان وفتنة الغفلة.

059. مساءلة القدر

عندما تفتح على نفسك باب (لماذا) في تصاريف الحياة، تكون بذلك قد أدخلت نفسك نفقا مظلما، نهايته هي الحيرة والقلق والشك، وحين تصل إلى هنا ستكون على حاف جرف هار، وهوة سحيقة، هي الإلحاد!! لماذا أنا ملتزم وحياتي المادية ضعيفة جدا؟ لماذا أنا جميلة ومتدينة ولم أتزوج؟ لماذا مات والدي/والدتي؟ لماذا حظي سيئ عكس حظ فلان وفلان الرائع؟ لماذا هذه الآلام والكبد والرهق في الحياة؟ لماذا أنا محروم من الإنجاب؟ إلى عشرات الـ (لماذا) التي تبدأ بلماذا واحدة، ثم تتداعى تداعي قطع الدومينو! ما أحرص على تقريره في مثل هذه القضايا المفصلية، هو التركيز على قراءة هذه القضايا في إطار أصول مرجعية، فالإنسان بلا أصول مرجعية ينظر بمنظارها إلى كل القضايا لا شك أنه يضيع في متاهات لا يعرف منها مخرجا! لقد ذكرت في منشور قبل يومين أصلين مرجعيين، وهو (كمال الله تعالى) و (طبيعة عالم الدنيا)، وهنا أصل كلي ثالث، وهو (سنن الله في الحياة)، فالله سبحانه لم يخلق البشر عبثا، بل لغاية عظيمة ولحكمة

شريفة، فكان لزاما أن تكون هناك منظومة سنن ثابتة تضبط حياة البشرية في صورة الفرد أو صورة المجتمع. أساس هذه السنن هو (الأسباب والنتائج)، أي كل شيء له سبب، وكل سبب له نتيجة، وعندما تتجمع الأسباب مع تتوفر شروط نتيجتها وانتفاء موانعها، فإن النتيجة لابد أن تحدث، إن خيرا وإن شرا، بغض النظر عن كون الشخص مؤمناً أو كافراً، ولهذا وجدنا النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة يراعي هذه الحقيقة في تصرفاته. وهذه السنن تتحرك في إطار فاعلية الإنسان الفرد والمجتمع، ومسؤوليته وحريته وإرادته، أي إنها تعتمد في ظهورها في واقع الحياة على فعل الإنسان، وهذا المعنى مرتبط بحقيقة أن الإنسان مخلوق للتكليف، ولذلك فهو مسؤول وفاعل وحر ومختار، ومن ثم لابد من أن تترتب على مواقفه واختياراته نتائج معينة خيراً أو شراً.

060. أحلام بلا أفعال

شخصياً؛ منذ زمن لم أعد أصدق الشباب في رغبتهم في التغيير، تغيير الواقع والمجتمع الذي يعيشون فيه! الحقيقة المرة في هؤلاء الشباب أن أحدهم يوم يتوظف _في أية وظيفة_ يكون شأنه شأن الموظفين الذين يكيل لهم التهم والطعون والشتم والسب! اذهب إلى أية إدارة أو مؤسسة، وحتما ستجد جمهور الموظفين فيها في مرحلة الشباب، وانظر تعاملهم مع الزبناء أو المواطنين، ولن تجد فرقا كبيرا بينهم في التعامل وبين قدماء الموظفين! إن الشباب اليوم يرفعون شعار الرغبة القوية في التغيير "الإداري وغيره"، لكن واقعهم الحقيقي أنهم يبحثون عن وظيفة تفتح لهم باب مرتب شهري ثابت، لا أقل ولا أكثر! والحقيقة المرة كذلك؛ أن الشباب اليوم يحلمون أن يكون واقعهم الإداري (فضلا عن غيره) كواقع أوروبا وأمريكا والدولة المتقدمة.. لكنه يظل مجرد حلم بلا رصيد من بذل الجهد والصبر والتضحية منهم! إن المجتمع والحضارات لا تقوم بالأحلام والأماني، بل ببذل الجهود والتضحيات، وهذا لا يكون إلا أن يخرج الأفراد من "أنانية التفكير والشعور" إلى "إيثار التفكير والشعور" في مستقبل الأبناء والأحفاد والمجتمع. سيبقى الحال على ما هو حال، على الأقل على المدى المتوسط، وإلى الله عاقبة الأمور.

061. لابد من دفع الفاتورة

ما دمت في الدنيا، فكن على يقين جازم بأن كل طريق تختار السير فيه إلى قبرك، فلابد أن تدفع "فاتورة" اختيارك، سواء اخترت طريق الصلاح والفضيلة والاستقامة، أو اخترت طريق الفساد والانحراف والانحلال، وسواء اخترت طريق الرفاه والرغد والتكاثر المادي، أو اخترت طريق البساطة والتقلل من الدنيا

وشهواتها، وسواء اخترت طريق الزواج والأسرة، أو طريق العزوبة والوحدة. وقس على هذا كل شيء آخر. هذا المعنى، معنى "ضرورة دفع فاتورة الاختيارات الحياتية"، نتيجة طبيعية لحقيقة جوهرية، وهي أنك موجود في الدنيا للتكليف والابتلاء، ومن ثم، اختر ما شئت فإنك مجزي به، ثم الجزاء الأكبر لاختياراتك في الحياة الدنيوية سيكون يوم القيامة. فتأمل ونفكر في هذا المعنى تسلم من الوهم الذي يعيش فيه كثير من الناس!

062. الصبر على القناعة الاعتقادية

الإنسان سواء كان مؤمناً أو ملحداً، مسلماً أو مشركاً، لابد له من الصبر على قناعته الاعتقادية وما يؤمن به، ولا يمكن تصور شخص لا صبر له على معتقده وقناعته، في الحق أو الباطل. ولهذا كشف الله تعالى تواصي كبراء الكفار وزعمائهم على الصبر على الكفر ضد قوارع الإيمان وحجج التوحيد، قال سبحانه: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ﴾ [ص ٦]، وبخصوص أهل الإيمان والتوحيد، قال جل جلاله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر ٣]. والوحي عرض مجموعة من المستندات التي تحقق إنشاء الصبر على الإيمان والتوحيد والصلاح، وتقويه وتدعمه وتثبته، لأن العبد إذا كان لا يمكن أن يعيش بدون صبر على معتقده وقناعته، فلابد أيضا من مستندات لهذا الصبر تمده بالقوة والثبات والاستمرار. خلاصة مستندات الوحي لأهل الإيمان لصبرهم على التوحيد والصلاح ترجع إلى الآتي: (**1**) أن الله سبحانه نفسه مولاهم. (**2**) أنهم امتداد للحق المركزي في الوجود. (**3**) أنهم أعضاء في موكب الأنبياء والصالحين. (**4**) أنهم مأجورون على الصبر على الحق. (**5**) أن العاقبة لهم دائماً وإن تغلب الباطل عليهم. (**6**) أنهم وحدهم ورثة جنات النعيم في الآخرة. فهذه جملة أصول دعائم الوحي لأهل الإيمان والتوحيد والصلاح في صبرهم على الحق والإيمان والإسلام. والحمد لله الذي جعلنا في فسطاط أهل الإيمان والتوحيد.

063. الدنيا موضوعة للابتلاء

من الأصول التي ينبغي الوعي بها؛ أصل كون الدنيا موضوعة للتكليف والابتلاء، ولهذا لا يمكن تصور وجود الهناء الكامل، والسعادة المطلقة، والاستقرار الثابت، والطامع في ذلك طامع في الوهم. والعبد بما أنه دخل عالم الدنيا فهو مجبر على قبول طبيعة هذا العالم الدنيوي، وهذا يشبه أن تدخل صحراء قاحلة، فأنت مرغم على قبول شروط هذا الحيز الجغرافي، وهي العرق والتعب والعطش وربما الضياع وفقدان الاتجاه، ولا يمكن أن يقبل منك سؤال: لكن أين الورود والزهور، والأشجار الوارفة والظلال الهانئة، والأنهار المطردة، والجو

اللطيف، والفواكه اللذيذة، لأنه سيقال لك: يا هذا أنت في صحراء ولست في حديقة غنّاء، فيجب عليك أن تتأقلم مع هذا الواقع. ومشكلة كثير من الشباب والبنات حتى المتدينين أنهم لا يستوعبون هذه الحقيقة، خصوصا حقيقة الأصل الثاني، ومع الخطاب الوعظي السائل والمنتشر بكثافة اليوم، زادت الصورة غموضا في أذهان هؤلاء الشباب!! فهؤلاء الشباب يتعاملون بفكرتين كامنتين وهما: (الدنيا ينبغي أن تكون فردوساً أرضياً) و(أنا متدين إذن ينبغي أن تكون حياتي وردية)، لكنهم يصطدمون مع واقع الحقيقة، فمنهم من يعيش يعاني صراعات داخلية رغم التزامه، ومنهم من تتسلل إليه بعض وساوس الشك والحيرة.

064. قوة نعومة المرأة

فرعون مصر، كان أحد طغاة البشرية وعتاة المفسدين في الأرض، ومع ذلك استجاب لزوجته في إحدى أهم خططه للحفاظ على عرشه وجبروته، أي قتل كل طفل يولد لبني إسرائيل خشية أن يخرج منهم المنقذ المخلص، لقد أقنعته بعدم قتل الرضيع موسى الذي سيكون زوال ملك فرعون على يديه بعد حوالي أربعة عقود. قال الله سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [القصص ٩] ماذا يعني هذا؟ إنه يعني أن الرجل قد يكون في تعامله مع الناس في الخارج في أعلى درجات العتو والقساوة الجبروت، لكنه قد يكون في البيت مع زوجته حملاً وديعاً، وزوجاً ناعماً! وإنه يعني أن المرأة لديها من القوى الأنثوية الناعمة ما تستطيع به إذا أحسنت استغلال هذه القوى واستثمارها وكيفية إدارتها، أن تجعل من زوجها زوجا رائعاً سهلاً ليناً محباً ناعماً. قوة الرجل إذن لا تعني أن يكون شرسا مع أهله، وعلى الزوجة استغلال ما حباها الله تعالى به من القوى الأنثوية الخفية لتحقيق الاستقرار في بيتها.

065. تحطيم شخصية الجيل الصاعد

الأسرة، المدرسة، الإعلام، المجتمع، هذه هي الرباعية التي ينشأ في أجوائها اليوم المسلم، وهي نفسها تحطم فيه الشخصية القوية، وتطمر فيه الوعي، وتغتال فيه القيم! ففي الأسرة، ينشأ في جو استبدادي، يغرسون فيه الخوف ولزوم الصمت وواجب الخضوع. وفي المدرسة، ينشأ في جو مزكوم بالسطحية والاختزال وخنق شغف التساؤل والاكتشاف. وفي الإعلام، ينشأ في جو يتفجر بالتفاهة والسخافة والمجون وتنميط الفكر وخنق الهمة العالية. وفي المجتمع، ينشأ في جو ممتلئ بالنفاق وسوء الأخلاق وجنون الأنانية واطراح القيم الفاضلة. وهكذا ينشأ المسلم وهو معاق نفسيا وفكريا، ليس له هدف في الحياة أكثر من أن يعيش

حياة مادية مرفهة بنسبة كبيرة ثم لا يبالي بشيء آخر!! أيها الشاب العاقل، أيتها الفتاة العاقلة، قد بلغت سن العشرين أو الخامسة والعشرين، واكتشفت حقيقة الإطار الذي شببت فيه، فأنقذ نفسك بإعادة تكوين عقلك وتربية نفسك.

066. طبيعة المرأة المعاصرة

من العجيب أن المرأة اليوم قد حققت من الاستقلال المادي والصلابة على مواجهة الواقع ما جعلها تعجز عجزا واضحا عن تأسيس حياة زوجية سعيدة، وحياة أسرية مستقرة!! الحقيقة، أن هذه المرأة بذلك الاستقلال وبتلك الصلابة استطاعت مزاحمة الرجل في مجاله الفطري، لكنها في مقابل ذلك فقدت القدرة على البقاء في مجالها الفطري!! وهذا الأمر لم يعد مقتصرا على المتبرجات، والعلمانيات، ولا بقيت منطلقاته تدور حول شعارات مادية بحتة، بل صار يشمل حتى "الملتزمات" وبشعارات "إسلامية!!" فليت شعري، أي بؤس أوقعت فيه المرأة المعاصرة نفسها، أو أوقعها فيه المفسدون على أنغام التمجيد والتفخيم لتخليها عن فطرتها!!

067. تحميل الفرد المسؤولية

من أعمق تنبيهات القرآن، وكل تنبيهاته عميقة، أنه حمل الفرد مسؤولية سعادته في الدنيا والآخرة، اسمع ربك سبحانه وهو يقول لك: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٖ﴾ [الأنعام ١٠٤]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر ٤١]، ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت ٤٦]، ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت ٦] وغيرها.. القاسم المشترك بين هذه الآيات رغم اختلاف مجالاتها هو «لنفسه»، تنبيها على ما ذكرت لك من حرص القرآن إثبات مسؤولية الإنسان عن مسار حياته في الدنيا والآخرة، وأيضاً تنبيها على أن الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة يجب أن تكون في حس اللبيب ووعيه «مشروع العمر» و «نقطة ارتكاز» و «مدار النشاط». وبهذا يربي المنهج القرآني في المسلم حس المسؤولية، كما يربي فيه الوعي الراقي السامي، فلا يعود يهتم بالأوهام الصغيرة التي يعيش لأجلها الناس وهم يحسبون أنهم واقعيون وعقلانيون، بل بالحري أنه يرتقي إلى الافق الأعلى، الوضيء، المتدفق بالسمو والقداسة والجمال، إنه أفق الآخرة والطموح إلى الجنة. إذن، الإسلام لن يخسر شيئاً إذا قررت أن تذهب بعيدا تلهث وراء العبث، والتفاهة، والماديات، والوهم

الشرود، بل أنت وحدك الخاسر.. تخسر فطرتك، وتخسر معنى وجودك، وأعظم من ذلك أنك تخسر مستقبلك الحقيقي، مستقبل الجنة!

068. تجارب الحياة والتقدم في السن

عندما تكون في أول سن الشباب، تكون ممتلئا بالحماسة، ومفعما بالشغف، لديك أحلام عريضة، وطموحات تبلغ الآفاق. فهناك الرغبة في حياة زوجية تتدفق بالمثالية، وهناك الرغبة في الحصول على أعلى الشهادات والدبلومات، وهناك التخطيط للالتحاق بوظيفة مرموقة، أو إنشاء مشروع تجاري ممتاز، وهناك مع كل هذا الرغبة في تغيير المجتمع بل والبشرية جمعاء. ثم تمر الأعوام، وتتقلب بين أطباق الحياة، وتتقاذفك تجارب وخبرات، وهكذا إلى أن تبلغ الأربعين أو الخمسين، فتجد أن ذلك الشغف قد توارى بعيدا كأنه لم يخالط كينونتك أبدا، وأن تلك الحماسة قد خبت جذوتها كأنها لم تشتعل قط، وأن هناك الكثير من الظروف والأحداث تحول بين المرء وبين أحلامه وطموحاته، ليس فقط في تحقيق حياة مادية مرهفة ومرتاحة، بل حتى في الزواج والدراسة والصداقة، وأكبر من ذلك، في تغيير المجتمع فضلا عن الأمة بله البشرية. وهكذا يبدأ شعور واحد في السيطرة، وتبدأ رغبة واحدة في التمدد، وهو الرغبة في حياة هادئة، بعيدا عن ضجيج الناس وأوهامهم وأنماط حياتهم الشاردة.. وهذه هي طبيعة الحياة، لا تعطيك حقيقتها ولا تمنحك حكمتها إلا بعد أن توجه إليك ضربات تلو ضربات، وإلا بعد أن تكاد أن تثخن روحك بالكثير من الجروح.. وهنا لا يجد ملاذا آمنا يجد فيه العزاء إلا الإيمان بالله والقدر واليوم الآخر.

069. العلماء ومشاركة الجمهور في التغيير

تقرأ القرآن الكريم فتجده يصف جمهور الناس وأكثرهم بصفات سلبية... وهذه حقيقة تاريخية اجتماعية واقعية لا يمكن التشكيك فيها! ثم تلتفت فتجد اليوم جمهورا من المشايخ والعلماء والإسلاميين والمثقفين يكتفون بمطالبة الجمهور بخوض عملية التغيير ضد الاستبداد والفساد! وهنا تتساءل هل هؤلاء الناس حين يكتبون ويتكلمون بهذا، هل يكونون في كامل قواهم العقلية! فهذا تاريخ الأمم والشعوب أين قاد الشعب نفسه لتحقيق التغيير؟! أليس دائماً يكون هناك العلماء والمفكرون والمثقفون في الصفوف الأمامية! ولكن يبدو أن هؤلاء العلماء والمفكرين والمثقفين يخادعون أنفسهم بالأوهام الباردة! يمكن التنبيه هنا على ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم عن خروج المهدي في آخر الزمان لقيادة عملية التغيير الجذري في الأمة، يعني إن وجود القائد ضرورة مركزية في أية عملية تغيير!!

070. وظائف الظلم

أنت شاب في مقتبل العمر، ومن الطبيعي إذن أن تفكر في الوظيفة ومجالها، إذا رأيت عجزك عن الاستقلال بعمل حر. ولهذا إياك أن تدخل وظيفة تكون بها وسيلة من وسائل الظلم والفساد الذي تمارسه السلطة الحاكمة في بلدك. لا عذر لك في ذلك.. في أن تكون من عناصر تنفيذ الظلم على أفراد الشعب، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال: ﴿الظلم ظلمات يوم القيامة﴾. بل الله سبحانه بين في القرآن أنه لم يعذر جنود فرعون، فقال: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص ٨]. لا عذر لك في أن تكون من عناصر تنفيذ الظلم على الناس لأن ربك وهبك العقل والإرادة والقدرة على الاختيار، كما أنزل إليك شريعة تبين لك الحق من الباطل، والعدل من الظلم. إنه لا ينبغي أن تعمل في وظائف الظلم، لأنه يوشك أن ينتهي أجلك في الدنيا وينزل بك الموت وتنتقل إلى الآخرة، وهناك لن ينفعك الرئيس والحاكم والمدير، ولا قولك (كنت عبد المأمور)!!

071. مذهب الصحابة العقدي

هناك دندنة معاصرة تحاول نفي أن يكون للصحابة والتابعين مذهب في الاعتقاد ومنهجية التعامل مع الوحي! وهذا إذا نظرت فيه وجدته يحمل تهمة ضمنية للصحابة والتابعين بأن منظومتهم العقدية كانت سطحية، مختزلة، مقلدة، وغير مؤسسة على أصول واضحة وقواعد مرجعية! بل قد قالوها مباشرة "مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم"! وهذه فضيحة لا يمحوها الدهر من تاريخ المبتدعة! إن مذهب النبي صلى الله عليه وسلم هو سنته، ومذهب الصحابة هو سنة النبي صلى الله عليه وسلم وما فهموه من السنة والقرآن، وهم أقعد الناس بإصابة فهم مراد الله ورسوله، لسليقتهم العربية، ولمعاشرتهم المباشرة لتنزل الوحي. ثم هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم كان لهم تلاميذ وهم التابعون، وهم ساروا في دربهم ونسجوا على منوالهم، ولم تختلف أصولهم ولا منهجيتهم المرجعية في التعاطي مع القرآن والسنة. والحمد لله، فقد طبعت عشرات كتب الأئمة في الاعتقاد تورد آثار الصحابة ومقالات السلف والأئمة الأولين مسندة إليهم، فمن شاء الحق وجده. فحين يقال لا يوجد للسلف مذهب، وحين تبذل محاولات للتشكيك في ذلك، فذلك خيانة صارخة للعلم قبل أي شيء آخر! إن محاولة نفي وجود مذهب للسلف غايته إبعاد أن تكون هناك مرجعية معيارية للمقالات العقدية، ومن ثم إضفاء المصداقية على مذاهب هؤلاء الفرق المبتدعة في الاعتقاد،

لأن تحييد الصحابة والتابعين والأئمة الأولين عن مجال معيارية العقائد ودعوى الاكتفاء بالقرآن يحقق لهم هدفهم، أي إثبات مصداقية مقالاتهم العقدية المبتدعة!

072. أساس القول بمعجزة القرآن

يمكن أن نؤسس القول بمعجزة القرآن الكريم، باعتباره كلام الله تبارك شأنه، على المبادئ الآتية: (**المبدأ الأول: مبدأ الشمول**)، والمقصود به أن المنظومة القرآنية شاملة لكل المجالات، فهناك العقيدة وهناك القيم وهناك الآداب وهناك التشريع. (**المبدأ الثاني: مبدأ التكامل**)، والمقصود به أن المنظومة القرآنية متكاملة العناصر، فلا يطغى جانب فيها على جانب، كالدنيا على الآخرة والعكس، أو الروح على الجسد والعكس. (المبدأ الثالث: مبدأ التوافق)، والمقصود به أن مكونات المنظومة القرآنية متوافقة الأجزاء في الموضوع الواحد، كأجزاء الاعتقاد مثلا، كما أنها متوافق الموضوعات المختلفة، كالاعتقاد والتشريع. (**المبدأ الرابع: مبدأ العطاء**) والمقصود به أن المنظومة القرآنية تتضمن من جوامع القواعد والكليات العامة ما يمنحها مقدرة عالية على التناغم مع تطور المجتمعات وسير التاريخ ومكتشفات العلم. (**المبدأ الخامس: مبدأ الثبات**)، والمقصود به أن المعطى القرآني بقي محفوظا منذ نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم، فلم ينقص منه حرف واحد ولا زيد فيه حرف واحد رغم مرور 15 قرنا. (**المبدأ السادس: مبدأ التفسير**)، والمقصود به أن القرآن الكريم قدم للمتلقي منظومة تفسيرية كاملة، لوجود الله، والعالم، والانسان، والقيم، والمصير بعد الموت. ثم؛ إن الخيط الناظم لهذه المبادئ الستة هو الكمال، فالقرآن باعتباره كلام الله تعالى تكلم به حين شاء، وأنزله على نبيه حين شاء وكيف شاء، فهو صادر عن الكمال المطلق، ولهذا لا تناقض فيه ولا اختلاف، ولا نقص فيه ولا قصور. وهذا كما ترى كلام وجيز يحتاج لتفاصيل موسعة لتكون الصورة واضحة والفكرة جليّة، لكني أحببت ألا أمنع عنك هذه الإشارات، عسى أن تحرك همتك للبحث في أسرار الحكمة القرآنية. وإذ قد علمتَ هذا، لا جرم أن تعلم وهاء شبهة الملاحدة القائلة (لا معنى لتحدي القرآن، لأنك لا تستطيع أن تأتي بنفس كتاب وضعه فيلسوف أو ديوان صنعه شاعر)، وهذه الشبهة المتهافتة تليق بالعقل الإلحادي، فقد جهل هؤلاء الأشقياء أن العبرة ليست في مجرد كلام مجموع بين دفتين، بل في مضامينه التي تحكمها تلك المبادئ الستة، وانظر في تاريخ فلسفة الفلاسفة أو شعر الشعراء أو فكر المفكرين، فإنك تجد فيه من التناقض والتهافت والاضطراب والقصور والجهل والوهم ما لا يمكن الإحاطة به، فأين هذا من كتاب مفرد يُحمل باليد الواحدة، ومع ذلك تضمن من الأصول والقواعد وحوى من المعاني والمضامين ما لم تستطع 15 قرنا أن تنقض منها حرفا واحدا!! والحمد لله رب العالمين

073. حديث القرآن عن الجنة

أحد مقاصد حديث القرآن الكثير والمتنوع عن الجنة ونعيمها، وعن النار وجحيمها، خلق الحافز في المسلم، وإنشاء حالة الشغف والحماسة فيه، رغبة في الجنة ورهبة من النار. وسر ذلك؛ أن النفس البشرية تتحرك في إطار ثنائية "الدافع + الهدف"، وأحد أهم محركات هذه الثنائية هو الحافز، إذ بدون وجود حافز على الفعل تنتفي الرغبة فيه. وقضية الحافز أو التحفيز، رغم أصالتها في النفس البشرية، ونشاطاتها وعلاقاتها وطموحاتها، إلا أنها مما يغفل عنها كثيرون: الزوجان بينهما، الأبوان مع الأبناء، طالب العلم مع العلم، الداعية مع جمهوره. فالزوجان إذا غفلا عن خلق حالة مستدامة من التحفيز تحولت حياتهما إلى كآبة ورتابة، وطالب العلم إذا غفل عن ذلك تخمد جذوة حب العلم والاستزادة منه. والمقصود بيان أنه بدون حافز لن تكون هناك رغبة ودافعية على الفعل، وعلى العطاء، وعلى التعاون، وعلى الاستجابة والتفاعل، وعلى التضحية والتنازل، وبقدر ما تنشئ في نفسك أو في شريك علاقتك من الحافز تكون هناك الرغبة والدافعية. ولهذا جدير بالعاقل اللبيب الاهتمام بإنشاء الحافز في نفسه وفي غيره ليستمر العطاء والفاعلية.

074. فتنة الدعاة للبنات

يبدو أن بعض "الدعاة" صاروا فتنة لبعض البنات!! لقد شكا لي بعض الآباء أن بناتهم صرن متطلبات جداً في شروط الزواج، خصوصا المعنوية منها، فصرن يشترطن أن يكون الخاطب مثل الشيخ فلان والداعية فلان!! ومن هؤلاء من ينشر حتى ما يتعلق بالجانب المادي من حياته الزوجية، فهناك البيت، والسفريات، وحتى الهدايا، والمساعدة للزوجة في البيت، بدعوى بيان سماحة الإسلام ومنزلة الزوجة!! والقول هنا للعاقلة الواعية: لا يلزم ممن ترين من "الأحوال الفيسبوكية والإنستغرامية" لهذا الداعية أو ذاك، أن يكون حقاً كذلك في واقع الأمر، فقد رأينا بعض من تزوجن أكاديميين شرعيين ومع ذلك يعشن معهم في كآبة مؤسفة، بسبب جهلهم بأبجديات الحياة الزوجية، وتقوقعهم في أفكار وتصورات نمطية لا يمكن سوى أن تحول الحياة الزوجية إلى سجن!! والمسلمات عبر التاريخ، ما زلت يتزوجن من عامة المسلمين، وكل واحدة تعيش حياتها بحسب ما تبذل من جهد في تحقيق الاستقرار والسعادة، وبحسب ما يكون لدى زوجها من الرجولة والمروءة، وما علمنا ولا علم التاريخ أن المسلمات كنّ يشترطن في الرجل أن يكون عالما مشهورا أو داعية معروفا أو قريبا منهما، بل ما زال الناس يشترطون الدين والأخلاق والمروءة والقدرة على الباءة. فكوني يا أمة الله على ذكر من هذا المعنى، وإياك والوهم الشرود، فأنت وحدك مَن سيدفع الفاتورة.

075. محاربة الإسلام العلم والعقل

من تلبيسات الملاحدة الصرحاء والأخفياء، قولهم: (الإسلام حارب العلم والعقل، بدليل تكفير الفقهاء للفلاسفة والعلماء). قلت: هذا القول يليق أن يروجه هؤلاء الأشقياء، فالجهل والأفكار النمطية والمغالطات من سماتهم المركزية. وقد بينت في بعض المنشورات تهافت هذا القول، وسألت: هل الفقهاء الذين كفروا مَن كفروا من المشتغلين بالعلم والفلسفة، كفروهم لاشتغالهم بالعلم والفلسفة أم للزندقة والكفر الذي كانوا عليه وتلبسوا به وراحوا يروجونه؟ وهذا السؤال مركزي لبيان مدى التلبيس والتزييف الذي يمارسه هؤلاء. وليت شعري، كيف قولهم، والحضارة الإسلامية يشهد لها العدو المنصف قبل الصديق بأنها كانت حضارة علم وعقل، وأن ذلك كان من سماتها الساطعة البارزة، وأعلامها الواضحة الجلية، حتى إن العالم كله ما زال عالة على علوم المسلمين قرونا طويلة!! بل إن حشدا من أهل العلم الشرعي والفقه كانت لهم أقدام راسخة في "العلوم الطبيعية" كالطب والهندسة وغير ذلك. ثم دعنا نقلب عليهم قولهم بجنس هرائهم، فنقول: (لقد حارب الإسلام الفقه والعلم الشرعي، بدليل تسلط بعض الخلفاء والأمراء على جمهرة من الأئمة المعروفين بالفقه والعلم الشرعي، كمالك وأحمد وابن تيمية وغيرهم كثير)، فإذا صح هذا القول منا على ما فيه من العبث والجهل والكذب على التاريخ والحقيقة، سيصح حينها القول بأن الإسلام حارب العلم والعقل!

076. التدين العلماني

لقد تحدث النبي صلى الله عليه وسلم عن (التدين العلماني) المنتشر اليوم بين جمهور عريض من المسلمين، ففي الحديث الصحيح، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يكون في آخر أمتي رجال يركبون على سرج كأشباه الرحال، ينزلون على أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف، العنوهن فإنهن ملعونات﴾. لدينا في هذا الحديث الذي يتحدث عن زماننا الحاضر: **(1)** قوم تكون وسائل التنقل لديهم في غاية الفخامة والرفاه، وهذا تراه اليوم في السيارات. **(2)** هؤلاء القوم ملتزمون ومتدينون، ومن علامات ذلك، أنهم حريصون على الصلاة في المسجد. **(3)** نساء وبنات هؤلاء المحافظين على الصلاة في المسجد متبرجات بمختلف صور التبرج. **(4)** هؤلاء المتبرجات، والتبرج قد يكون بالحجاب الشكلي، ملعونات بلعنة الله ورسوله والمؤمنين. **(5)** هؤلاء المحافظون على التدين الشكلي فصلوا بين الالتزام الشخصي وبين إلزام نسائهم وبناتهم لأنها حرية شخصية. **(6)** هؤلاء النساء والبنات الملعونات سيكون لديهن من التغول والتسلط والعلو ما لا يجد معه رجالهم إلا الصمت. **(7)** هؤلاء المحافظون على

الصلاة في المسجد ستنتفي من نفوسهم الغيرة على أعراضهم، فيرون المنكر في نسائهم وبناتهم ومع ذلك يلزمون الصمت. (8) التركيز على وسائل النقل الفخمة عند هؤلاء إشارة والله أعلم إلى تغلغل الرؤية المادية في هؤلاء المحافظين على الصلاة في المسجد، ولهاثهم وراء الدنيا، وهذا ما عَلْمَن تدينهم حتى أفقدهم خُلق الغيرة على نسائهم وبناتهم. وبعد؛ اخرج إلى الشارع والفضاءات العامة وسترى زوجات كاسيات عاريات، وزوجها ربما يقف بجانبك في الصلاة! وسترى فتاة تخرج مع والديها المتدينين بلباس هو في الأصل لا تلبسه المرأة إلا لزوجها للإثارة والاغراء الجنسي والعاطفي بينها وبينه! وسترى قوما يجبرون بناتهم مثلا على الخروج يوميا إلى الجامعة والعمل والاختلاط بالشباب والرجال، وربما أحدهم يسبقك إلى صلاة الفجر في المسجد! هذا هو عصر التدين الليبرالي أو التدين العلماني، ولا خير في هؤلاء الآباء والازواج، كما لا خير في هؤلاء النساء والبنات! ونعوذ بالله من الخذلان وفتنة المحيا والممات

077. توتر العلاقات الاجتماعية

في مختلف العلاقات الإنسانية، الزواج، الصداقة، الشراكة.. إلخ، من الطبيعي جداً أن تكتنفها بعض الخلافات والمشاكل، ويتحمل طرفا هذه العلاقة جملة من ذلك بقدر ما لديهما من الوعي والنضج والنبالة والمروءة، حتى إذا ما كان من أحد الطرفين تجاه الآخر ما يبلغ المدى ويصل إلى النهاية في تمزيق هذه الوشيجة بينهما، لا يجد الآخر بُداً من إنهائها وإعلان الانسحاب منها، لأن الاستمرار في هذه العلاقة والحل كذلك يكون بمثابة الموافقة على التنازل عن القيمة الشخصية باعتباره إنساناً قبل أي شيء آخر. وإذ كان الأمر كذلك؛ فجدير بالعاقل اللبيب أن يحسب عواقب مواقفه وردات فعله تجاه الآخر، مهما كانت لديه الرغبة الصادقة في الاستمرار معه ما جمعت بينهما الحياة في الدنيا. لأنه إذا كانت بعض المواقف تُفعم النفس بهجة وسرورا وحب وإعجابا ورغبة وشغفا، ومن ثم، تشحنها بطاقة حيوية متدفقة للتضحية والعطاء والاستمرار، فإن هناك مواقف وردات فعل تملأ النفس اختناقا وضغطا ونفورا وإعراضا، ومن ثم، تمتص منها كل رغبة في التضحية والعطاء والاستمرار!

078. من أخطاء طلبة العلم

أمران إذا وقع فيهما طالب العلم الشرعي المتخصص فلا تنتظر منه كثيراً، وهما: (1) لا تخرج قراءاته عن كتب العلماء السابقين. (2) يلتزم شيخا واحدا لا يعرف غيره. هنا ماذا يفعل هذا الطالب بنفسه؟ إنه يضيق دائرة رؤيته، فهو يفكر بأسلوب شيخه، وينظر حتى لواقعه وتحدياته بمنظار التراث الماضي وما اعتلج

فيه من أسئلة وتحديات معرفية، ولهذا سيكون هذا الطالب منفصلا عن زمانه الراهن، ولا يعرف كيف يتعاطى مع إكراهاته وأسئلته! ولأجل ذلك؛ من المهم أن جدير بالعاقل أن ينوع مصادر قراءته بعد إحكام قواعد الاعتقاد والقيم الإسلامية، وأن يركز على تحديات واقعه الراهن أكثر بكثير من تحديات الماضي التاريخي.

079. الحجاب المتبرج

شُرع الحجاب والنقاب لصرف الأنظار عن المرأة عندما تضطر للخروج، فلا ينظرون إليها نظرة شهوة ملتهبة! لكن؛ في عصر السيلفي وهوس الصورة، أبت الجاهلات المتهورات إلا صرف الأنظار إليهن بهذا الحجاب والنقاب عبر التفنن في وضعيات الصور ونشرها في مواقع التواصل! فلا يكون بينها وبين المتبرجة الصارخة التبرج فرق في الحرص على الإثارة والإغراء إلا في الأسلوب والطريقة، كما قيل قديما (كلهم لص، لكن اختلفت الشباك). إن هذه المحجبة أو المنقبة التي تتفنن في التقاط الصور بوضعيات مثيرة، تقول للشباب: انظروا إلي، فأنا جميلة ولدي مهارة على الإغراء الجنسي، وهذا بالحجاب أو النقاب، فكيف لو تروا ما وراء الحجاب أو النقاب!!

080. المتعة الجنسية الحرام

لماذا علاقة الحرام تكون ممتعة أكثر من علاقة الحلال؟ هكذا يسأل بعض الشباب والبنات؟ والجواب: **(1)** هذا صحيح عند أصحاب ظلمة القلب وانحراف النفس وانطماس البصيرة، فما كان الحرام يتساوى أبدا مع الحلال. **(2)** الشيطان يزين للرجل والمرأة متعة الحرام ويضخمها في نفوسهما لكي يربطهما بها ويحول بينهما وبين الحلال. **(3)** علاقة الحرام، سواء الزنا أو فقط مقدماته، تكون في أوقات محددة، فلذلك يحرص الطرفان على التركيز على المتعة فقط. **(4)** في الحلال هناك تواجد مستمر بين الطرفين، وحياة مشتركة، ومسؤوليات متبادلة، فالاستمتاع بينهما مرهون ببذل جهد مضاعف منهما، من حيث التعاون والتجديد الدائم. وبعد؛ فالذين يستمتعون بالحرام عليهم أن يتذكروا أن فضيحتهم يوم القيامة ستكون رهيبة جدا، مثال ذلك لو قام أحد الناس بتصويرهم مباشرة ونقل متعة الحرام بينهما على الهواء مباشرة على شاشة ضخمة يراها ملايين الناس!! إن على الفتاة التي تبيع نفسها مجانا وتمنح نفسها رخيصة تحت شعار الحب أو غيره، عليها أن تتذكر أن هذا الفاسق الذي يستمتع بها هو نفسه يوم يقرر الزواج لن يفكر فيها لأنه يعلم أنه رخيصة ودنسة وليست شريفة نبيلة أمينة، بل سيذهب يبحث عن الفتاة العفيفة النظيفة الصالحة التي لم تتلاعب بها الأيدي!!

081. سذاجة بعض الشرعيين

كلما قرأت لبعض المشايخ أو الإسلاميين عموما فضلا عن طلبة العلم فمن دونهم: (إن دستور البلد ينص على أن الإسلام دين الدولة) ومن ثم يرتبون على ذلك التنديد ببعض القوانين العلمانية المضافة إلى ترسانة المنظومة القانونية العلمانية أو بعض الأمور الفاجرة كتنظيم سهرات ماجنة أو دعوة مغنين غربيين أو... إلخ. أقول: كلما قرأت هذا أجدني أضحك من سذاجة هذا الخطاب! يعني بالله عليك، أتظن أن النظام العلماني لمجرد أنه كتب على ورقة الدستور (الإسلام دين الدولة) فإنه سيحترم هذا البند ومن ثم سيحرص على تكييف المنظومة القانونية بحسب الأحكام الشرعية؟ لقد سكت كثير من المشايخ والعلماء والإسلاميين عن إبعاد الحكم بالشريعة، واكتفوا بالدعوة للعودة إليها، ثم ذهبوا يتحدثون عن الفتنة الناجمة عن الخروج عن النظام العلماني، ورفعوا شعار التدرج والمرحلية! وبعد كل هذا تراهم يثورون أحيانا عند صدور قانون جديد يبيح الموبقات ويرسخ الفساد والتفكك الأسري والاجتماعي! فهم هنا أشبه بمريض يعاني مرضا خطيرا يستلزم عملية جراحية، لكنه يكتفي ببغض المراهم والمسكنات!!

082. لا حب بلا نضج

(ما رأيك في هذه القولة: الحب يصنع المعجزات؟). قلت: هذه الكلمة تصلح لكتابة موضوع إنشائي حين التدرب على الأسلوب الرومانسي، أما الظن بأن يكون وراءها معنى وفي ضمنها طائل، فوهم شارد وخيال فاسد!! وما هذه المعجزات التي يصنعها الحب؟ لا شيء، فلو تراجع تاريخ الحب والعشاق فلن تخرج منه إلا بهذا الحرف: لا شيء!! قبل آلاف السنين، كانت (زليخا) تعشق سيدنا يوسف عليه السلام، ثم في لحظة واحدة جَد فيها الجد، تنكرت لذلك الحب والشغف والعشق الذي استمر يغمر قلبها مدة مديدة من الزمن، حتى إنها طالبت بعذابه وإهانته وإذلاله في السجن!! واليوم رأينا قصصا اختلفت أشخاصها لكن اتحد معناها في شيء واحد، وهو دعوى الحب الكبير، ثم في لحظة خصام أو سوء فهم، تنهال الحبيبة على الحبيب شتما وسبا وتحقيرا وطعنا حتى في أخلاقه وقيمه ومبادئه!! فالحب لا يصنع شيئاً إلا حين يكون هناك وعي ناضج يهديه سواء السبيل، وإلا حين تكون هناك نفس كبيرة تحوطه من كل جانب أن يناله شيء مما يعتور المرء من ظروف الحياة وتقلب الشخصية. ولهذا فإن من اعتمد على الحب وحده فقد اعتمد على جرف هارٍ، ومن وثق في الحب وحده فقد وثق في غير ثقة. لا تحدثني عن الحب، بل حدثني عن الوعي السامي، والروح النبيلة، أما غير ذلك فوهم من الأوهام التي يوشك أن يصطدم صاحبها بالواقع المرير!!

083. تعلم فنون الحياة الزوجية

من العجيب أنني ما زلت منذ زمن بعيد أتلقى رسائل نساء متزوجات أو مقبلات على الزواج يطلبن بيان كيفية التعامل مع الزوج والتودد إليه لتحقيق الاستقرار والسعادة، بالإضافة لرسائل طلب كيفية إصلاح العلاقة الثنائية بعد أن تدهورت وتوترت. لكني لا أتذكر أنني تلقيت رسالة واحدة من رجل متزوج أو مقبل على الزواج يطلب بيان كيفية التعامل مع زوجته للإبقاء على وشيجة الحب بينهما طيبة وطيدة جميلة، اللهم إلا رسائل ممن تكون لديه مشاكل مع زوجته فيطلب بيان كيفية حل المشكلة. يمكن أن نقول بأن المرأة هنا تتعامل بمبدأ (الوقاية خير من العلاج)، والرجل يتعامل بمبدأ (العلاج بعد حدوث المشكلة).. أليس هذا يثير العجب!!!

084. نشأة الفلسفة

كل كلام عن نشأة الفلسفة في عصر معين أو بين قوم محددين، يعني ضمناً نفي الوجود العقلي والروحي لمن سبق هذا العصر أو هؤلاء القوم. وهذا القول كما أنه مخالف لمقررات مرجعيتنا الإسلامية، فالوحي عندنا يؤكد على استمرارية النبوات منذ آدم عليه السلام، ومن الأصول المشتركة بين كل النبوات التعريف بالله تعالى وبيان أصل الإنسان ودوره وحقيقة الكون والحياة ووضع منظومة أخلاقية معيارية وبيان المصير بعد الموت، وهذا يعني أن كل الشعوب على مر التاريخ مؤمنة أو كافرة مارست فعل التفلسف. أقول كما أن هذا القول مخالف لمقررات مرجعيتنا الإسلامية، فهو مخالف للطبيعة البشرية، فالإنسان كائن مفكر، متسائل، ومتعقل، كما أنه كائن غائي، أي يبحث بفطرته عن علل الأشياء وغاياتها، بغض النظر عن تباين الأمم والشعوب في مستوى هذه السمات الفطرية في كل البشر، لأن هذا التباين تتدخل في تشكيله مجموعة من العوامل المركبة. ولهذا كله، فمحاولة تقرير تاريخ نشأة الفلسفة تحمل معنى العنصرية والاستعلاء، وهو أمر يحرص على إثباته الفكر الأوروبي لتقرير فكرة كون العقل الأوروبي عقل كوني، معياري، ومرجعية نهائية!

085. تقرير وجود الله تعالى بين أهل السنة وغيرهم

أحد المعالم المركزية بين أهل السنة والأثر وبين الفرق المبتدعة في موضوع وجود الله تعالى هو: أن أهل السنة والأثر يقررون بأن وجود الله تعالى وجود حقيقي، وذاته شيء حقيقي، وهو مباين للعالم وخارج العالم المخلوق، ولذلك فله سبحانه كيفية حقيقية لا يعلمها إلا هو. وهذا التقرير لا يمكن أن تفتح القرآن والسنة دون أن تلحظه واضحاً ساطعاً. وأما الفرق المبتدعة فتصورهم لوجود الله تعالى تصور متناقض، مبهم، غامض،

وعجيب جداً! فمن جهة تراهم يقررون وجوده وينصبون الأدلة على هذا الوجود، ومن جهة أخرى تراهم يقررون ما ينفي عملياً أن يكون وجوده وجوداً حقيقياً، بل وجوداً ذهنياً فقط، بدعوى التنزيه والتجريد!

086. واجب الخطباء تجاه جريمة الآباء

مما يجب على خطباء الجمعة العناية به في خطبهم، تحذير الآباء من هذه الجريمة النكراء التي يقترفونها في حق بناتهم: فتجد أحدهم يجبر ابنته على الذهاب إلى الجامعة وهي تريد القرار في البيت، ولا يبالي بالفتنة التي تتعرض لها يوميا، ولا بشرور الاختلاط الذي تجد نفسها مرغمة عليه !وتجد أحدهم يحرم ابنته من الزواج بدعوى ضرورة إنهاء الدراسة أو إيجاد وظيفة، ولا يبالي بالمعاناة الرهيبة التي تقاسيها، معاناة الفراغ العاطفي وضغوط الشهوة الجنسية! وتجد أحدهم كلما لمحت ابنته لرغبتها في الزواج انهال عليها بنعوت الفسق والعقوق أو أنت لا زلت صغيرة علما أنها تكون فوق الـ 25 عاما! وتجد أحدهم كلما كشفت ابنته عن رغبتها في الاستقالة لأنها لم تعد قادرة على الاستمرار، أعلن الحرب عليها، وكشّر عن أنيابه معها، وتعامل معها كأنها عدو لدود! هؤلاء الآباء (الذين أسميهم: الآباء الأعداء) كثيرون في واقعنا المعاصر لا كثرهم الله، وسبب ذلك قلة الإيمان، وضعف العقل، والهوس بالدنيا، ونسيان الآخرة، وبالله عليك، كيف يمكن لفتاة تعاني هذه المعاناة مع هذا الأب والأم، كيف يمكن أن تحترمهم وأن تحبهم وأن تعمل على برهم من قلبها؟؟ ولكن، من المؤسف أن كثيرا من الخطباء لا يعرفون سوى موضوع: البر بالوالدين، فتجد الفتاة الحاضرة التي تعاني مع والديها نفسها في حيرة شديدة، بين واجب البر بوالديها، وبين طغيان هذين الأبوين وتسببهما في سحق شخصيتها ولا مبالاتهما بمعاناتها؟

087. فقدان الهدف في الحياة

سألني أحد الشباب عن كونه لا يجد لنفسه هدفا في الحياة، وشيء طبيعي أن يشكل ضغطا على النفس والوعي! فبينت له بأن مجرد كونه مسلما يعني بالضرورة أن له هدفا عظيما في الحياة، أي إن انتماء الإنسان للإسلام يمنحه تلقائيا هدفا وغاية ومعنى لوجوده وللعالم وللحياة! والواقع أن هذا القول يتأسس على ثلاثة معاني: (1) يؤمن المسلم أنه مخلوق لله تعالى، يعبده ويطيعه ويتبع منهج وحيه في نشاطاته وعلاقاته. (2) يؤمن المسلم أن الدنيا دار ممر وتكليف وابتلاء، وهو مطالب بالمقاومة والمجاهدة ليستقيم على منهج الله. (3) يؤمن المسلم أن الموت ليس نهاية الرحلة، بل هو بوابة إلى عالم الخلود يجد فيه جزاءه وثوابه. إذن في إطار هذه المعاني يتحدد للمسلم هدفه في الحياة، ثم يعمل على تشكيل مختلف الأهداف الجزئية والطموحات

والاحلام في إطار الهدف الأكبر أي عبادة الله وطاعته والاستعداد للقائه. وكل هذا يمنح المسلم حافزا قويا على النشاط والحركة وضبط علاقاته وسلوكياته لتتوافق مع الهدف الأكبر (عبادة الله في الدنيا ودخول الجنة في الآخرة).

088. المنطلق الكامن في شبهات الملاحدة

خذ شبهات الملاحدة حول وجود الله سبحانه منذ كان ملحد في الأرض، وستجد أنها في أولها وآخرها ترجع إلى فكرة الكمال. فالملحد يؤمن مسبقا بأن الإله الخالق يجب أن يكون له الكمال المطلق، ويرتب على هذا الإيمان المسبق ضرورة أن يكون العالم والإنسان والحياة كاملاً. ثم ينظر فيرى معالم القصور والنقص والشر والعيب والعجز منتشرا هنا وهناك، حتى في نبوات الأنبياء ينظر فيها بنظر عقله فيرى فيها القصور والظلم والشر والخطأ والخلل. وبهذا يقرر أن الإله الذي يتحدث عنه هذا الدين أو ذاك غير موجود ولا يمكن أن يوجد. الخلل إذن الذي يقع فيه كل ملحد هو غفلته وجهله بثلاثة أمور، وهي: (1) بما أن الإله الخالق ينبغي أن يكون متصفا بالكمال المطلق، إذن يستحيل الإحاطة علما بتجليات وأبعاد هذا الكمال. (2) بما أن العقل مخلوق، وكل مخلوق محدود، إذن فالعقل مهما اتسعت دائرة علمه فسيظل موسوما بسمة الجهل والقصور. (3) بما أن عالم الدنيا عالم تكليف وابتلاء، فمن الطبيعي جدا أن تتجلى فيه مظاهر القصور والشر والخلل. ثم السؤال الذي لا يستوعبه الملحد هنا هو: هل مظاهر الشرور والقصور التي تراها في النبوات والعالم والحياة والتاريخ هي كذلك في واقع الأمر، أم إن الرؤية الشمولية والمتكاملة الأجزاء تكشف عن أنها أجزاء من معاني الكمال الأكبر، مثل قطع الفسيفساء هي في نفسها قطع متناثرة لكن إذا نظرت إليها نظرة شمولية اكتشفت لها جمالا ساحرا. وعلى كل حال؛ فنحن في الرؤية الإسلامية نؤمن بأن عالم الدنيا مجرد فصل واحد في رواية الخلود، أما باقي الفصول فتكون بعد الموت مباشرة، فهناك عالم آخر تكتمل فيه الصورة، وتتجلى فيه الحقيقة. وسيعلم الذين ألحدوا أي منقلب ينقلبون.

089. من مداخل الهوى بين العلماء

من مداخل الهوى الخفية؛ الانتصار للشيخ والمذهب في صورة الانتصار للحق، أي يكون الشيخ المتبع قال قولا أو تقرر في المذهب قول هو في نفسه خطأ، لكن يأتي المقلد ينتصر لهذا القول انتصارا لشيخه أو مذهبه في صورة الانتصار للحق!! وقد يكون الشيخ قال قوله انتصارا للحق بحسب ما أداه إليه اجتهاده وإن أخطأ فيؤجر على اجتهاده، لكن المقلد يكون آثما لاتباعه الهوى بعدما تبين له الحق أو لرفضه البحث الجاد

في المسألة! وهذا الأمر صعب جدا التحرر منه إلا لمن جرد نفسه للحق وإن خالف ما قرره عنده شيخه الأكبر أو شب عليه من تقريرات المذهب، لأن القضية هنا يمثلها الشيطان في صور مختلفة، منها دعوى استحالة أن يخطئ الشيخ أو شيوخ المذهب في المسألة!! ومنها دعوى أن ظن خطأ الشيخ أو شيوخ المذهب يعني إسقاط منزلتهم العلمية والتشكيك في كل أقوالهم!! ومنها دعوى "من تكون أنت لتخطئ الشيخ أو شيوخ المذهب!!"

090. من مداخل الهوى بين العلماء

﴿كُلُّ نَفۡسٍ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾، هذه هي الحقيقة التي مهما حاولت تجاهلها وتناسيها والتغافل عنها إلا أنك لن تستطيع تفاديها والتخلص منها. يوما ما: بعد أسبوع، أو بعد شهر، أو بعد عام، أو بعد سنوات طويلة، هنا في المقبرة، أشبار في أشبار، سينتهي قرارك، سواء كنتَ عالما أو جاهلا، ذكيا أو غبيا، وسيما أو دميما، غنيا أو فقيرا، صالحا أو طالحا. وإذا كان أهل الدنيا يقولون (اعمل يا صغري لكبري)، فإن أهل الآخرة يقولون (اعملي يا نفس لآخرتك فهي مستقبلك الحقيقي والحتمي). وأنت حين تفكر مليّاً في هذه النهاية الحتمية، الموت والقبر، لا شك أن كل شيء فيك يتغير، نمط التفكير والحياة، والأحلام والأهداف، والتعامل والسلوك، وستجد نفسك تنأى عن كثير من تفاهات الناس وصراعاتهم وحساباتهم واهتماماتهم التي يحسبونها ذكاء وواقعية!

091. الجهل بمقاصد الزواج وطبيعته

(اللهم زوجني) هذه الكلمة يقولوها كثير من الشباب والبنات لسنوات طويلة، ثم يأتي يوم وييسر الله تعالى لهم الزواج، فماذا يحدث بعد ذلك؟ وكيف يتعاملون مع تحقق دعوة سنوات طويلة؟ الذي يحدث من كثير منهم ومنهن هو (الكفر بنعمة الله). فهذا الزوج بعد شهر أو شهرين لا يعود يبالي بزوجته، بل يعيش في عالمه الخاص، عالم الهاتف والإنترنت ومواقع التواصل، رغم حرص زوجته على التزين والتودد والقيام بواجباتها الزوجية والمنزلية، إلا أنه يكون حاضرا غائبا، بل قد يصل الأمر في كثير من الأحيان إلى إهمالها عاطفيا وجنسيا ونفسيا. وقل الشيء نفسه عن الزوجة، بعد شهر أو شهرين تتلاشى حماستها الزوجية، وتذهب تصنع لها عالما خاصا بها لكن من الوهم، أحيانا في فضاء مواقع التواصل مع صديقاتها، وأحيانا بخديعة طلب العلم والدعوة، فتهمل زوجها ولا تبالي به إلا بشكليات باهتة، بل قد يصل الأمر في كثير من الأحيان لتحسيسه بعدم الرغبة فيه. مشكلة هذا الصنف من الشباب والبنات، بالإضافة إلى الكفر بنعمة الله، أنهم وأنهن لا

يعرفون ماذا يريدون! وهكذا يعيشون حياتهم بكآبة بائسة، وقلق متوتر، وشعور بالاغتراب وفقدان المعنى. يا لهم من بؤساء! ويا لهن من بائسات!

092. موقف زليخا من يوسف عليه السلام

تمثل قصة زوجة عزيز مصر قبل آلاف السنين، وبين سيدنا يوسف النبي صلى الله عليه وسلم، فصولا من السمات النفسية الثابتة للمرأة في كل زمان ومكان! من ذلك هذا المشهد: فبين لحظة الحب المتوهج المشبوب برغبته العارمة والمتدفقة في المحبوب: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف ٢٣]، وبين الغضب الساخط المزمجر والمندفع للانتقام المتشفي: ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف ٣٢]، بين اللحظة الأولى والثانية أيام فقط كانت كفيلة بأن تجعل المرأة "زليخا العاشقة" تتحول إلى وحش مرعب لا يرى أمام سوى الغضب ولا شيء سوى الانتقام! لقد نسيت الشهور الطويلة، بل الأعوام التي ما زال عشقها ليوسف ينمو بنمو يوسف ويتفتح بتفتحه! نسيت لحظات المتعة الخيالية التي ما زالت منذ زمن تستمتع بدغدغة عشقها ليوسف لقلبها الصغير! نسيت كل هذا في لحظة واحدة حين رفض يوسف الاستجابة لرغبتها، فكانت النتيجة أنها لم تكتف بالمطالبة بسجنه ليقال بأنها فعلت إبعاداً للتهمة عنها لمكانتها الاجتماعية، بل زادت إلى حد المطالبة بإذلاله وإهانته وتصغيره ﴿لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾! وهذه القصة ما زالت تتكرر دائماً، فكم من "عاشقة" عملت السحر لفلان الذي "أحبته بكل قلبها" لكنه ذهب وتركها! وكم من "عاشقة" حرصت على استغلال القانون الجاهلي اليوم ليكون طليقها من "الصاغرين" لأنه طلقها! وكم من "عاشقة" بسبب نقاش صغير مع الزوج الحبيب تحولت إلى شيء بشع مرعب في لفظها وموقفها معه، وكم وكم!!، تختلف صور الانتقام لكن محركه ودافعه واحد!! أما يوسف النبي عليه السلام كانت قيمه ومبادئه أكبر من أن يبالي بتهديد: ﴿لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾، ولهذا قبل أن "يؤدي ضريبة" قيمه ومبادئه على أن يرضخ ويخضع لغواية "العشق المجنون"! ولهذا كان يقال "من وثق في حب امرأة فهو كمن وثق في السراب".

093. خطأ تأجيل الحج والعمرة

خطأ كبير جداً أن تؤجل الحج والعمرة إلى آخر العمر، لأنك مشغول ببناء المنزل أو دفع أقساطه! بل الحق أقول لك: ينبغي أن تبادر إلى العمرة والحج مهما تيسر المال لذلك: **(1)** لأن العمر لا ضمان له فإنك

لا تدري متى ينتهي وجودك في عالم الدنيا الفانية، (2) لأن السيارة والمنزل والمشاريع المالية يمكن أن تنتظر وتؤجل، فلماذا تؤجل ما يتعلق بمستقبلك الاخروي الأبدي ولا تؤجل ما يتعلق بمستقبلك الدنيوي الفاني! ومَن حج أو اعتمر رأى بأم عينه ما يعانيه كبار السن خلال أداء المناسك، بسبب المرض وضعف الحركة والبدانة وغير ذلك، يتأكد بأن تأجل الحج والعمرة لمن استطاع خطأ شنيع، وسوء تقدير فظيع.

094. معنى التدين

عندما نقول (فلان متدين/فلانة متدينة)، فهو يعني أن هذا الفلان أو الفلانة يزيد على الواجبات الشرعية إلى السنن والفضائل، ويتحلى بمكارم الأخلاق وجميل الآداب أكثر من الآخرين. ولهذا فليس المقصود بالتدين أي الالتزام بالواجبات كالصلاة والصيام والحجاب وما يشبه ذلك، لأن الذي أو التي لا يلتزم بهذه يكون أمره دائرا بين الفسوق والإثم العظيم، وبين الكفر والردة إذا كان ممتنعا جحودا لها وقد ثبتت عليه الحجة. فالتدين إذن قسمان، عام وخاص، أما العام فهو يتعلق بالواجبات والفرائض، وأما الخاص فهو يتعلق بالسنن والفضائل والمكارم. وكثيرون وكثيرات غفلوا عن هذا المعنى فأوقعهم أنفسهم في جملة من المشاكل كانوا في غنى عنها!

095. تضييع الآباء تربية أبنائهم

من مظاهر العلمنة "الشعبية" أي المتغلغلة في عوام الناس، أنك تجد الأبوين لهما تدين وصلاح، لكن بالنسبة للابن أو البنت، يقولان: إنه صغير، إنها صغيرة، وكم عمره أو عمرها؟ فوق الـ 15 أو 17 عاماً، وبالنسبة لهما فهذا السن لا يصح أن يؤمران بالصلاة والصيام والحجاب بالنسبة للفتاة!! والمتقرر في ديننا، أن الأبوين يأثمان إذا فرطا في تربية الأبناء على التدين بشرائع الإسلام، فالتكليف الشرعي يبدأ مع سن البلوغ، وعادة يكون ذلك في حدود 13/ 14 عاماً، فيكون هذا الابن أو البنت مطالبين شرعا بفرائض الإسلام من صلاة وصيام وحجاب وغير ذلك، ويُفتح لهما كتاب الحسنات وكتاب السيئات، مثلهما مثل من هو وهي في سن الأربعين والستين. وكم خدع الشيطان بهذه الكلمة (لا يزال صغيرا/صغيرة) من آباء فضيعوا أبناءهم وبناتهم، ولذلك كثيرا ما ترى في الفضاءات العامة الأب بلحيته والام بحجابها والبنت تمشي معهما بلباس تلبسه عادة المتزوجة في البيت أو غرفة النوم، لماذا؟ لأنها لا تزال صغيرة فلا يصح أمرها بالستر والحشمة والحجاب والحياء!! كما قد تجد الأب لا يدع صلاة الفجر في المسجد وابنه ذي الـ 15 أو أكثر يغط في نومه، لماذا؟ لأنه لا يزال صغيرا!!

096. تذكر أنك رجل

قلت أحد الشباب خلال كلام معه: تذكر أنك رجل، فيمكنك أن تتزوج متى تشاء، في العشرين أو الثلاثين أو الأربعين أو حتى الستين والسبعين، فلا تستعجل بسبب ضغط الشهوة عليك، فالزواج ليس فقط لقضاء الشهوة، كما أنه ليس حياة شهر، بل حياة عمر، والعمر مراحل وتغيرات وخبرات وتحديات، فابحث على مهل عن فتاة صالحة، في شكلها وعقلها ودينها وأدبها، فهذه من سيكون بالإمكان أن تصطحبها معك خلال مراحل العمر المختلفة، فتصبر معك وعليك، وتضحي معك ولك، وتتعاون معك، وتكون لك سكنا ومودة ورحمة .وإنما كان عليك التأني وعدم العجلة تحت ضغط الشهوة، لأن هذا الصنف من النساء اليوم أشبه بالجوهرة في كومة خردة، والخردة قد تكون مزركشة المظهر لكنها تبقى خردة في الجوهر.

097. انتصار العلمانية

من أكبر انتصارات العلمانية، أنها غرست في نفوس جماهير غفيرة من المسلمين، من الأميين والمتعلمين، أن الإسلام مجرد دين شخصي بين العبد وربه، ولا يمكن أن يتجاوز هذه الحدود إلى مجال تشكيل الفكر، وتأطير الرؤية، وضبط الحياة! أليس تسمع من هؤلاء: رجاء لا تخلط الدين بالسياسة، ما دخل الدين بتنمية الشخصية، لا تخلط الدين بالزواج والعلاقات عموما، لا تدخل الدين في الفكر والفلسفة، وما يشبه هذا القول الذي تسمعه من كثير من الأميين والمتعلمين! أليس اليوم نجد حشودا من هؤلاء وهؤلاء إذا حدثتهم عن الزواج، السعادة، النجاح، الفكر، الفلسفة، السياسة، وغير ذلك، وجئتم بأقوال المشركين من الشرق والغرب، رأيت منهم خضوعا وإنصاتا وتعظيما لما يسمعون، وإذا جئتم بآيات وأحاديث وأقوال السلف تحمل جملة من نفس المضامين في الاقتباسات الغربية والشرقية، رأيت منهم إعراضا ونفورا واستهجانا لهذا الصنيع، أي كما يقولون خلط الدين بغير مجاله! من كان يظن أنه سيأتي على المسلمين زمان يكون هذا حالهم: إذا قيل لهم قال الله وقال رسوله نفروا، وإذا قيل لهم قال فلان وعلان الأوروبي والامريكي استبشروا! وهذا بلا شك نتيجة الجهل بالله ورسوله، وضعف الإيمان واليقين، والغفلة عن طبيعة الإسلام وأنه دين لا كالأديان الوضعية والمحرفة، بل دين منهج حياة شامل ومتكامل في العقيدة والتصور، وفي الشعور والضمير، وفي القيم والمبادئ، وفي السلوك والفعل، وفي النشاطات والاهداف، وفي التشريع والتنظيم.

098. حِكَم العبادات

عندما تسمع أهل العلم يقولون عن العبادات (غير معقولة المعنى)، فلا يحسن أن تفهم نفي الحكم والعلل والمعاني عن العبادات في نفس الأمر، لأن قاعدة العقيدة الإسلامية تقول (الله تعالى حكيم فلا يأمر ولا يخلق ولا يقدر إلا بحكمة ولحكمة). أما فهم أبعاد هذه الحكمة وعلل ومقاصد الأمر والخلق والقدر أو عدم فهمها فمسألة أخرى، إذ مبدأ الفطرة العقلية يقول (عدم العلم ليس علما بالعدم) أي العجز عن العلم لا ينفي العلم في واقع الأمر. والوحي لم يكشف كل المقاصد والعلل من وراء الأمر بالعبادات وغيرها، وإنما اكتفى بالتنبيه على ذلك، لكي يفسح المجال لأهل العلم لتثوير أفكارهم، وشحذ أنظارهم، وجهد عقولهم في فهم تلك المعاني والعلل، فيكون لهم الأجر العظيم على ما بذلوا من جهد في محاولة معرفة حكمة الخالق تعالى في أمره وتدبيره الشرعي، كما أن ذلك مما يزيدهم إيماناً ويقيناً بقيمة هذا الدين الذي ينتمون إليه، وأنه تنزيل رب العالمين.

099. الزواج المعترف به شرعاً

قل: "زواج شرعي" أو "زواج علماني"، ولا تقل: "زواج تقليدي" أو "زواج عصري"! فالزواج الشرعي هو أن يذهب الرجل يطلب المرأة ويكون هناك مهر وشهود وإعلان، إما بعد مدة خطبة أو بدونها. وهذا هو الزواج الذي يعرفه الإسلام ويعترف به، حتى وإن وصف بأنه زواج تقليدي أو ما شئت من الأسماء. أما الزواج العلماني فهو أن يذهب الرجل والمرأة يخوضان التعارف والحب والغرام والخروج وتبادل بعض اللمسات والقبلات وقد يتجاوزان ذلك، وهذا شيء لا يعرفه الإسلام وليس منه في شيء، حتى وإن وصف بأنه زواج عصري أو حضاري أو ما شئت، فإن الأسماء لا تغير الحقائق! وأهل الباطل والضلال يحرصون على زخرفة الباطل بمصطلحات برّاقة لترويجه بين الناس.

100. التجديد المستمر بين الزوجين

تتصور كثير من النساء أن الرجل يكتفي بامرأة واحدة، كما تكتفي المرأة برجل واحد! وهذا خطأ وغفلة عن طبيعة الرجل والمرأة، فهما مختلفتان، بل الأصل في طبيعة الرجل عدم الاكتفاء بواحدة، والأصل في المرأة الاكتفاء برجل واحد. الزوجة العاقلة تدرك هذه الحقيقة في طبيعة الرجل، ولذلك تحرص على عنصر التجديد المستمر في حياتها الزوجية، خصوصاً في مثل هذا العصر الحاضر، حيث الرجل يعيش في أجواء جنسية على مدار الساعة، فهو يرى عشرات المتبرجات يوميا، وفيهن الكثير من الجميلات والمثيرات، وحتى مع الحرص على غض البصر تقوى لله تعالى، فلا يمكن أن يكون هذا الغض مطلقا، لأن المتبرجات في كل

طريق وكل زاوية وكل إدارة، بالإضافة إلى عالم الإنترنت. فالتجديد في إشباع الجانب النفسي والعاطفي والجنسي والمنزلي أحد أهم (أسرار) نجاح الزوجة العاقلة. ولهذا يحرص الزوجان العاقلان على عمل (جرد حساب) دوري لعلاقتهما الزوجية لمعرفة مواطن القوة والضعف فيها، ومن ثم، تجديد العهد على جلب الإيجابيات وتكثيرها، ودرء السلبيات وتقليلها، لأنهما يدركان جيدا أن عدالة الحياة الزوجية تقتضي أن الزوجين إما أن يستمتعا بالسعادة معا أو أن يشقيا بالحرمان والتعاسة معا، ولا يمكن أن يكون أحد الطرفين سعيداً والآخر شقياً.

101. لابد من الإيمان لصلاح المجتمع

قال لي ملحد: لست بحاجة للدين لكي أكون شخصاً صالحاً، فلا أؤذي أحداً ولا أقتل أحداً. قلت له لاختصر الكلام معه: هب أنك استطعت أن تعيش شخصاً صالحاً طيلة عمرك، فماذا عن جمهور الناس! فلزم الصمت! من الناحية النظرية والتطبيقية يستطيع الإنسان أن يكون فاضلاً بلا دين بنسبة كبيرة، لكن هناك جملة من الإشكالات، منها: (1) لن يستطيع أن يبرر سلوك سبيل الصلاح والفضيلة في الحياة، فبدون الإله والدين تتحول الرؤية للذات والآخر والعالم إلى رؤية مادية لا تتجاوز حدود عالم الحس، ولهذا لا يوجد في هذه الرؤية المادية ما يجبر أو يبرر للإنسان الفضيلة والصلاح! (2) لن يستطيع أن يحدد المعايير الفاصلة بين الفضيلة والرذيلة، بين الصواب والخطأ، بين الخير والشر، بين الاستقامة والانحراف، إلا بنسبة محدودة، لأن هذه المعايير تتطلب وجود مرجعية تتجاوز الإنسان والكون والحياة لتكون صادقة صدقا مطلقا. وغير هذا من الاشكالات التي يمكن إيرادها على تبني الملحد موقف الفضيلة والصلاح. والخلاصة: أن تكون ملحداً مادياً أو ربوبياً لادينياً، يعني أن تفقد الأساس المركزي لتكون فاضلاً صالحاً.

102. المرأة النسوية والحب

لا يمكن للمرأة النسوية أن تفكر في الحب، فضلاً عن أن تقبل به وتوافق عليه، فضلاً عن تعيشه واقعاً في مشاعرها وسلوكياتها وحياتها. الحب بالنسبة للمرأة النسوية كابوس فظيع، فهو يتمثل في ذهنها في صورة السيطرة، الخضوع، الاستبعاد من طرف الرجل لها. ويتمثل الحب في تصورها في صورة العائق الشديد، والحاجز المنيع، والقيد الكثيف دون الانطلاق، والتحرر، وتحقيق الذات. لكن الحب نزعة فطرية أصيلة، والنزعات الفطرية لا يمكن للإنسان أن يتحرر من ضغوطها لتلبية حاجتها وإشباع جوعتها، إلا بمعاناة شديدة تروم الانفلات من قبضتها، أي إن المرأة النسوية تمارس على نفسها ضغوطا شديدة ورهيبة لكي تخنق صوت

الفطرة فيها وشوق الفطرة فيها، صوت الحب وشوق الحب.. إنها مسكينة بائسة تعاني بصمت كئيب، لكنها تتظاهر بالقوة والصلابة والسعادة!!

103. شمولية الوحي للحق

قول الله تعالى :﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾. قال ابن كثير: «أَيْ: إِنَّ فِي هَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ عَلَى عَبْدِنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم لَبَلاغًا: لَمنْفعةً وَكِفَايَةً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ، وَهُمُ الَّذِينَ عَبَدُوا اللَّهَ بِمَا شَرَعَهُ وَأَحَبَّهُ وَرَضِيَهُ، وَآثَرُوا طَاعَةَ اللَّهِ عَلَى طَاعَةِ الشَّيْطَانِ وَشَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ». قلت: فهذه الآية من الآيات التي تقرر أن الوحي جاء بكافة المسائل والدلائل التي يحتاجها العبد، سواء في الاعتقاد أو في الأحكام أو في الآداب. فمن ذهب يستقي شيئا من ذلك من خارج الوحي فقد اتهم الله ورسوله. وشمولية الوحي للمسائل والدلائل تتأسس على حقيقة أن الله سبحانه يحب أن يعرفه عبده معرفة صحيحة، ويعبده عبادة صحيحة، وهذا يقتضي أن يكون الوحي شاملا لمسائل ودلائل المعرفة والعبادة، لأنه بهذا يكون للتكليف والجزاء معنى وقيمة. فمن أجل ذلك، ففي الوحي أعظم تعريف بالله تعالى، وبيان للطريق إليه، وتفسير للحقائق الوجودية الكبرى. ولهذا، فبقدر ما تأخذ من معرفة القرآن والسنة يكون معك من الحق والهدى والنور والاستقامة والعدل والرحمة والفرقان بين الحق والباطل.

104. إهمال الآباء لتربية أبنائهم

سيحكي التاريخ للأجيال القادمة، أن جمهورا عريضا من آباء وأمهات هذا الزمان لا يحرصون على تربية الأبناء ليكونوا رجالا، ولا البنات ليكن نساء، بقدر حرصهم وحرصهن على أن يكون هؤلاء الأبناء والبنات أعضاء فعالة في سوق العمل ليجلبوا لهم ولهن المال بعد 15 عاماً من الدراسة!! أليس نجد اليوم بنات بلغن سن الـ 20 عاما وإحداهن لا تعرف شؤون الطبخ والبيت وتدبير مصاريف الشهر، فضلا عن شؤون الحياة الزوجية! لماذا؟ لأن أمها العزيزة خلال سنوات الدراسة كانت معها مثل الخادمة هي التي تقوم بكل شيء في البيت لتتفرغ ابنتها الغالية للواجب المقدس = الدراسة، وتتحمل كل شيء لأنها تنتظر الجائزة بعد 15 عاما من الدراسة يوم تتخرج البنية العزيزة وتجد وظيفة ذات مرتب جيد! وقس على هذا ما يكون مع الابن، فيشب تافها سخيفا ساذجا، حتى إذا كان له شيء من التدين فهو تدين مختزل، وكثيرا ما يكون معلمنا! أليس يوجد اليوم كثير من الشباب المتدينين يؤيدون خروج أخواتهم إلى العمل وقبل ذلك أهمية الحصول على الشهادات والدبلومات لأن هذه الأخت يجب أن تعتمد على نفسها وتطحن أنوثتها لتوفير

نفقاتها دون انتظار الأب والأخ! أليس كثير منهم اليوم يحرصون على الزواج من موظفة لتعينهم على شهوات الدنيا ولتذهب القيم والمبادئ والرجولة إلى الجحيم!

105. إجابة القرآن عن معضلة الشر

قول الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾، هذه الآية قدمت الجواب لـ «معضلة الشر» التي يتخذها الملاحدة أعظم أدلتهم على عدم وجود الله تعالى. وهذا من خلال ثلاث معطيات: (**1**) أن وجود الإنسان في الدنيا له أجل مسمى، ولا يستطيع بشر تجاوز هذا القانون الكوني. (**2**) أن ثنائية الخير والشر في الدنيا طبيعية جدا بحكم أن الإنسان مخلوق فيها للابتلاء والتكليف، ليختار لنفسه طريق الهدى أو طريق الضلال. (**3**) أن الموت ليس نهاية المطاف ولا ختام الرحلة في هذه الدنيا، بل ليس أكثر من "منعطف" و "نقلة" و "بوابة" إلى عالم الخلود، ليحاسب فيه الإنسان على ما قدم في حياته الدنيا من الإيمان والطاعة أو الكفر والمعصية، ومن ثم يتقرر مصيره الأبدي في الجنة أو النار. وبهذا تكون الآية الكريمة قد قدمت جوابا مركبا، ورؤية شمولية، لقضية الخير والشر. ومن هنا، لن يسقط المسلم في فخ "إذا كان الله رحيما فلماذا الشر موجود، وإذا كان قادرا فلماذا لم يمنع الشر، لأن المسلم من خلال المعرفة القرآنية يضع خيارا آخر وهو أن الله حكيم في تدبير شؤون خلقه، سواء علمنا هذه الحكمة أم جهلناها، فالجهل ليس حجة عند العقلاء على عدم الوجود. والحمد لله رب العالمين

106. زكاة المعرفة

مشاركة المعرفة والحكمة تفتح لك آفاقا جديدة لك شخصيا قبل غيرك، لأن العلم يزكو بالإنفاق والإشاعة. وهذا المعنى مقرر في كلام السلف. بيان ذلك: عندما تعطي غيرك شيئاً مادياً خاصاً بك، فهنا إما أن يخرج عن ملكك أو ينقص عندك، كأن يكون عندك مائة درهم، فتعطي غيرك خمسين أو كلها، فهنا ستفقد المائة كاملة أو تنقص. لكن، عندما تشارك غيرك العلم والحكمة فهنا سيتضاعف عندك قبل غيرك، لأن هذا العطاء يفتح لك ابوابا جديدة من خلال تبادل النقاشات والنقود والاشكاليات، وهكذا يستمر الأمر بلا حدود ولا نهاية. إذن تذكر: الماديات تنقص بالعطاء، والمعنويات تتضاعف بالمشاركة.

107. شموخ الإسلام

شياطين الإنس يجتهدون غاية الاجتهاد لهدم الإسلام. وسبحان الله، رغم مرور 15 قرناً على المحاولات ذات المكر الكبير، والأساليب الخبيثة، والجهود الضخمة، إلا أن النتيجة عجيبة، فلا هم أسقطوا الإسلام، ولا اللاحق يعتبر بفشل السابق! أليس بقاء الإسلام شامخا حتى هذه اللحظة بمرجعيته الصافية، ومصادره النقية، رغم كل تلك المحاولات التي استهدفت تشويهه وإفساده، دليلا ساطعا على أنه تنزيل من رب العالمين، وأن الله تعالى نفسه يتكفل بحفظه وحراسته! إن من يراجع تاريخ المحاولات الهائلة التي قام بها أعداء هذا الدين لهدم كيانه ونقض بنيانه ليهوله جداً ما قاموا به، غير أنه يجزم بيقين بأنه لولا حفظ الله تعالى للإسلام لأتت تلك الجهود بنتائجها المخطط لها!

108. تضييع الأبوين لطفلهما

الذي يترك ابنه وابنته لـ (مقررات المدرسة) و (برامج الإعلام) و (فضاءات الإنترنت)، عملياً ماذا يفعل بهذا الابن والابنة؟ إنه عملياً، يقدم هذا الابن والابنة على طبق من ذهب لمخطط الصليبية والرأسمالية العالمية لتربيته وتشكيله على النحو الذي تريد هي! ما الذي يجري الآن في هذا الموضوع؟ الذي يجري هو عملية مسخ للهوية الإسلامية في نفوس الأجيال الصاعدة، عبر آلية نسبية الحقيقة، القيم الإنسانية، وحدة الأديان. والذي يجري هو عملية فصل المسلم عن الآخرة، وإغراقه في الرؤية العلمانية، عبر تضخيم النجاح المادي، ربط تحقيق الذات بالشهوات، الجنس بلا حدود. فمن يترك ابنه/ابنته لذلك، فلا داعي أن يأتي بعد سنوات وقد بلغ هذا الابن/الابنة سن الـ 16 أو 18، يشكو من أنه صار ملحداً أو لا أدريا، وأنه يشاهد الأفلام الإباحية، وأن هذه الابنة فقدت بكارتها، وغير هذا من الشكاوى! حقاً؛ إن كثيراً من آباء هذا الزمان لا يستحقون أن يكونوا آباء!

109. الإسلام فكر وحياة

بما أنك تقول (أنا مسلم) فاعلم إذن أن الإسلام منهج فكر وحياة، وضع لك مجموعة من المعايير التي تفرق بها بين الحق والباطل، وبين الصواب والخطأ. ومن هنا، فالإسلام لم يحوجك إلى مصدر آخر تتلقى منه معتقداتك ورؤاك وأفكارك وقيمك ومعاييرك. حين لا تفهم الإسلام على هذا النحو، أو حين لا تتعامل مع الإسلام على هذا النحو، فأنت حقا تحتاج لإعادة تكوين نظرتك للإسلام، وتحتاج للتحرر من الصورة التي رسمها لك الضغط العلماني للإسلام، والتي تتمركز حول فكرة أن الإسلام مجرد دين شخصي كأي دين! أما حين تفهم الإسلام على أنه منهج شامل ومتكامل يشمل كل شيء في نشاطات الفكر والحياة، فهنا لن

تهولك فلسفات ودراسات ونظريات الغرب والشرق، بل لن تبالي بكل ذلك التهويل والتضخيم الذي يتعمدون إضفاء عليها، وإنما ستحاكم كل تلك الفلسفات والدراسات والنظريات إلى معايير القرآن والسنة. لقد قلت هذا بالنسبة لمن يذهب يتسول أفكاره من الرجل الغربي، سواء ما تعلق بتفسير التاريخ والعالم أو حتى ما تعلق بفهم طبيعة المرأة والرجل والأسرة، فهذا التسول على فتات موائد الرجل الغربي لا يليق بمسلم ومسلمة يعي جيدا معنى انتمائه للإسلام، ويؤمن حقا أن الإسلام دين الحق والهدى والنور والفرقان!

110. مجالات مقاصد الشريعة

تتحرك مقاصد الشريعة في خمس مجالات، بعضها أوسع من بعض: المجال الأول: مجال الفرد. والمجال الثاني: مجال الأسرة. والمجال الثالث: مجال الأمة. والمجال الرابع: مجال البشرية. والمجال الخامس: مجال البيئة. وكل مجال من هذه المجالات تنقسم المقاصد الخاصة به إلى قسمين: القسم الأول: مقاصد أصلية، وهي المعتبرة أساسا، بحيث يكون عدم مراعاتها مخلا بغاية الشريعة منه. القسم الثاني: مقاصد فرعية، وهي المعتبرة بالتبع، بحيث يكون عدم مراعاتها موقعا في الحرج في تحقق المقصد الأصلي. لو أخذنا المجال الثاني وهو الأسرة، نقول: للشريعة جملة من المقاصد التي تستهدفها في الأسرة، والمقصد الأصلي فيها هو "استمرارية النسل"، ثم المقاصد الفرعية فيها تتعلق ب "النسب، والسكن، التدين"، وهذه الثلاثة –كما ترى– دعائم قوية للمقصد الأصلي بحيث يكون انعدامها موقعا للحرج في تحقق مقصد النسل الأصلي. ولهذا تجد من دعاء الأنبياء والصالحين أن يرزقهم الله تعالى في الأسرة السكن والمودة والرحمة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ﴾. فنخرج من هذا للقول: التعاون بين الزوجين والتضحية والعطاء والحب والحنان والاحترام والتقدير من مقاصد الشريعة الإسلامية المعتبرة، فوجب على كل زوجين مسلمين العناية بها، وعدم العبث معها، لأن النتائج ستكون وخيمة. كما السعي لهدم الأسرة والتنفير من الزواج والترويج للصراع بين الرجل والمرأة جريمة نكراء في ميزان الشريعة لما يترتب على ذلك من الاختلال للمقصد الأصلي من الزواج وفروعه، ثم ينسحب ذلك إلى اختلال المقاصد الشرعية في مجال الفرد ومجال الأمة ومجال الإنسانية ومجال العمران، لأن هذه المجالات الخمسة التي قلنا بأن مقاصد الشريعة تتحرك في دوائرها مترابطة ومتلاحمة. والله الموفق

111. من مقاصد النبوات

النبوات جاءت لجلب المصالح وتكثيرها، ودرءِ المفاسد وتقليلها، بما يعين العباد على القيام بواجبات التكليف في الدنيا، ويحصل لهم السعادة الأبدية في الآخرة. ولهذا، فإن كل ما يمكن أن يقال عنه مصلحة أو

مفسدة تعارض هذين المقصدين للنبوات "التكليف في الدنيا والسعادة في الآخرة" فهي مصلحة فاسدة أو مفسدة متوهمة. وإذ تبين لك هذا، فاعلم إذن أن التشريع العلماني مضاد لمراد الله تعالى من العباد، ومعارض للنبوات في مقصدي التكليف في الدنيا والسعادة في الآخرة، لأن تشريع ينطلق من رؤية مادية للإنسان والحياة، مع استبعاد وجود الله تعالى وعدم اعتبار حقوقه!

112. معيار الحقيقة إسلامياً

يمكن أن نحدد معيار الحقيقة وفق الرؤية الإسلامية على النحو التالي: **(1)** ما لا يتعارض مع الوحي الصحيح. **(2)** ما لا يتعارض مع العقل الصريح. **(3)** ما لا يتعارض مع الوجود الواقعي. ولهذا نستطيع القول بأن كل ما تعارض مع أحد هذه المرجعيات الثلاث تعارض بالضرورة مع الآخرين، لما بينها من التوافق التام والتناغم الكامل، لأنها ثلاثتها لها مصدر واحد وهو الله جل جلاله. ولهذا تجد القرآن يتحرك بين هذه الدوائر الثلاث "الوحي، العقل، العالم"، سواء للتذكير بوجود الله وعظمته وكماله، أم للبرهنة على ثبات الحق ووضوحه، أم للتدليل على صحة نبوة الأنبياء، أم لحتمية الآخرة.

113. خطورة الإلحاد غير المباشر

أنا لا أخشى على الشباب الإلحاد المباشر، إذ لا يجنح إليه ويغتر به إلا من بلغ النهاية في السفاهة والجهالة والحماقة! وإنما أخشى على الشباب الإلحاد المتخفي، الإلحاد الملتوي، الإلحاد الناعم، الإلحاد غير المباشر وغير الصريح! يمثل هذا النوع من الإلحاد: العلمانية، الحداثة، النسوية، الليبرالية، القراءة الجديدة للوحي! فهؤلاء لن تسمعهم يقولون لك: الله غير موجود، أو محمد لم يكن رسولا، أو الإسلام مجرد خرافة تاريخية! بل يقتفون إمامهم الأكبر إبليس عدو الله في الظهور بمظهر الناصح الأمين، وبمظهر المكتشف للحقيقة في الإسلام، الحقيقة التي أخفاها الفقهاء والمفسرون والمحدثون، وقبلهم الصحابة والتابعون! إنهم يعرضون أنفسهم في معرض المحب والمعظم لله ولرسوله وللإسلام، وكل هذا من باب التخدير للمتلقي، وبالتوازي يقومون بعملية "تلغيم الإسلام" أي غرس الشكوك في نفسك بأساليب ملتوية تجاه القرآن الكريم والسنة النبوية! هؤلاء الزنادقة يعلمون جيدا أنك في اللحظة التي يتم غرس بذور توهين النصوص الشرعية في نفسك، وتحريف حقائقها الأصلية، هنا ستكون قد خطوت الخطوة الأولى في طريق الإلحاد الشامل، شئت أم أبيت، لأنه قوانين عمل النفس البشرية تحتم ذلك! فالحذر الحذر، فأنت في مرحلة الإعداد لخروج الدجال الأكبر، الذي لم تكن فتنة في البشرية أعظم من فتنته.

114. الاستبداد السياسي العلماني العربي

لو أخذنا فقط السبعين عاماً الأخيرة سنجد أن المشكلة البارزة في طول وعرض خريطة العالم الإسلامي هي "الاستبداد السياسي". وهو استبداد لم يدع أربابه قط أن دوافعه إسلامية، بل بالحري أنها علمانية "الديموقراطية، التنمية، حقوق الإنسان.. إلخ". كما أن هذا الاستبداد اكتوى بنيرانه المتدينون قبل غيرهم. لكن؛ رغم ذلك تجد كهنة ما يسمى بالتنوير العربي وجهوا بوصلة الصراع إلى الإسلام، قرآناً وسنة وفقهاً وعقائد وتاريخ وغير ذلك. فتراهم يفنون أعمارهم في هذه المعركة، ويتبارون في محاولة توجيه الضربات القاضية للإسلام، وتلغيمه من الداخل. بل حتى حين يعرجون على الاستبداد السياسي لا يترددون في محاولة ربطه بالإسلام. المنطقي هو أن يوجهوا حرابهم إلى الاستبداد السياسي، الخانق لـ "الإبداع، الاختراع، التنمية، الحقوق والحريات"، خصوصاً وأن أهل الدين يكتوون بطغيان هؤلاء الـ"ولاة الأمور العلمانيين" قبل غيرهم، فلماذا إذن اختاروا أن تكون معركتهم المقدسة ضد الإسلام، بشتى الوسائل الصريحة والمتخفية!! الجواب باختصار وتركيز هو أن هؤلاء الزنادقة الجدد أمثال محمد أركون وحسن حنفي وغيرهم، ينطلقون من فكرة إسقاط التاريخ الغربي على التاريخ الإسلامي، فبالنسبة لهم، كما أن "التنوير الغربي" انصب على تفكيك البنية الدينية في الفضاء الغربي، وجعل معركته ضد الكنيسة والمسيحية وسيلته نحو التقدم والتنمية والحضارة، والواقع يؤكد أنه لم ينجح في مسعاه إلا بذلك، إذن فيجب على هؤلاء الزنادقة الجدد "التنويريين العرب" سلوك نفس المسلك، ولهذا ترى كل واحد منهم يتقمص شخصيات التنوريين الغربيين، أمثال نيشته وروسو وكَنْت ومئات غيرهم. فلما طغت هذه الفكرة على هؤلاء عندنا، تشكلت عقولهم في إطارها، فأغلقوا عيونهم عن البحث عن الحقيقة لكي يدركوا أن الإسلام ليس المسيحية، وأن الواقع الإسلامي ليس كالواقع الغربي. فثبت بهذا أن مشكلتهم ليست سوى مع الإسلام، عقيدة وشريعة وتاريخاً وحضارة. ومن هنا، فهم عملياً يقدمون خدمات جليلة للاستبداد السياسي ولـ "ولاة الأمور العلمانيين"، وهم هنا يتعاملون بفكرة "نتخلص من الإسلام" وبعد ذلك يكون ما يكون.

115. مساعدة الزوجة في أشغال البيت

سألني سائل عن مساعدة الزوج زوجته في البيت، فقلت له: لا شك أن مساعدة الزوج زوجته من كريم الأخلاق، وجميل المروءة، فضيلة النفس، وشهامة الرجولة، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك إذا كان في بيته. لكن، ما يُرفض هنا أمران اثنان: (الأول)، أن يتعامل الزوج هنا بأسلوب وجوب

مناصفة أشغال البيت، أو أن تطالبه زوجته بذلك. ومعنى الخطأ هنا، هو أن الأصل في شغل البيت إلى الزوجة، وإنما الزوج يقدم المساعدة، والمساعدة لا تتضمن معنى المناصفة، بل يقوم الزوج بذلك من باب حسن الخلق وطيب العشرة مع زوجته، بحسب ظروفه هو من تعب أو راحة، وشغل أو فراغ، وأيضا بحسب ظروف الزوجة، من مرض أو صحة، وكثرة أو قلة. (الثاني)، ما يقوم به البعض اليوم من نشر الصور والفيديوهات وهم يقومون بأشغال البيت، فهذا من سوء الرأي وخلل العقل فيهم، من أجل أن ذلك من مخارم المروءة ومطاعن الرجولة، وقد قال الشافعي قديما (لو علمت أن الماء البارد يخرم مروءتي ما شربته). والمساعدة تكون وراء أسوار البيت، وليس على العامة. والأمر كما ترى، سهل قريب، لكن نفخ فيه الرويبضات فصار مشكلة عويصة يتداولها جدل واسع، وهذا شأن كل شيء خاض فيه الحمقى!

115. خلاصة تاريخ البشرية

حين تقرأ تاريخ الأمم والشعوب، ترجع بالخلاصة التالية: **(1)** سنن الله تعالى في حياة البشرية ثابتة ومطردة، لا تتغير ولا تتبدل، كما أنها لا تحابي أحداً. **(2)** التاريخ هو التاريخ منذ كان التاريخ، والناس هم الناس منذ كان الناس، والأمر في هذا أشبه بنسخ متعددة لأصل واحد. **(3)** لا يستقيم الناس ولا يصلح لهم إلا حزم مع لين، وشدة مع عفو، أو قل كما أسميه: لابد من استبداد ناعم. **(4)** انصهار عموم الناس في تقاليد قبلية وقطرية وعرقية، يعيشون معها كأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر. **(5)** مشاكل الشعوب والأمم واحدة، لا تختلف باختلاف الزمان والمكان، وعامتهم أفقهم لا يتجاوز حدود الدنيا. **(6)** الملوك والسلاطين والأمراء أشبه بالمافيا المتغولة، ففي سبيل العرش والسلطة لا يرحمون أحداً ولا يبالون بأحد. **(7)** يبدأ الفساد صغيراً، فيسكت عنه أهل الحل والعقد، فتتسع دائرته ويعلو سلطانه، ومن ثم يعجزون عن مقاومته. **(8)** لا يمكن أن تقوم دولة إلا برؤية كونية تكون مرجعيتها العليا، ويتشربها أفرادها، فالرؤية الكونية روح الدول. **(9)** أشد ما يفسد الشعوب ويسقط الممالك، الانغماس في الشهوات، فهي تفعل فيهم فعل الميكروبات في الجسم لا تزال به حتى تتركه صريعا. **(10)** الناس أتباع كل ناعق، فلو خرج إبليس يدعوهم لنفسه لأجابوه، لأنهم يتحركون بالجهل والتقليد والهوى. **(11)** في الدنيا دوام الحال من المحال، فلا تستقيم لك الدنيا على حال أبداً، فمن لم يزهد فيها اختياراً زهد فيها اضطراراً. وبعد؛ فإن البائس مَن قرأ تاريخ البشر واطمأن إليهم، وإن الشقي من قرأ تاريخ البشري ولم يتقيّأ حب الدنيا.

116. أوهام العلموية والعلمانية

التهديد الجدي بحرب نووية، صعود اليمين في أوروبا، توقعات مظلمة للمستقبل، تدهور شديد للاقتصاد، كوارث مناخية عامة.. إلخ، كل هذا يعني أن وعود العلم، وعود العلمانية، وعود الديموقراطية، بتحقيق الفردوس الأرضي الجميل والرائع، مجرد وعود وهمية وزائفة. في الغرب مساحة الإقرار بهذه الحقيقة تتسع باطراد، ليس فقط بين "الطبقة المثقفة" بل حتى بين "الطبقة شبه أمية"، فقط الملحد العربي، والعلماني العربي، وهما وجهان لحقيقة واحدة، من يصر على التعامل مع الأمر بأسلوب النعامة حين تستشعر الخطر: دس رأسها في الأرض! لماذا؟ لأن الملحد العربي، والعلماني العربي (وطبعا الأمازيغي والكوردي ومن شئت بعد) مشكلته المفصلية هي الإسلام، فحاله يقول: الجحيم أفضل من الاعتراف بالإسلام!

117. خطة مسخ فطرة الأطفال

مما ينبغي اليوم على الآباء الانتباه إليه بخصوص أبنائهم وبناتهم؛ هو أن هناك جهودا هائلة تُبذل لغرس فكرتين في غاية الخطورة في الأطفال: (**1**) طبيعانية الشذوذ الجنسي، أي اعتبار ذلك أمراً طبيعياً، ولهذا لا يجب الاعتراض عليه. (**2**) رفع شعار الإنسانية إلى مرتبة المقدس الأعلى والمرجعية النهائية في التعامل مع الآخرين. هذه الجهود والحرص الدؤوب يتم عبر "أفلام الكارتون" و "الألعاب الإلكترونية" و "المقررات الدراسية"، وكلها تعمل على (مسخ الفطرة) في الطفل، لأن هذا المسخ هو الضمان الوحيد لنجاح أهدافهم. والسؤال الذي قد يطرحه بعض الآباء والأمهات هو: (لماذا يفعلون ذلك)؟ علماً أنهم لا يبذلون نفس الجهود للترويج لـ "الإلحاد المباشر"! والجواب هو؛ أن مسألة الشذوذ الجنسي، وفكرة الإنسانية (أو الإنسانوية) ليست مجرد أفعال ونشاطات وسلوكيات فردية أو حتى اجتماعية وينتهي الأمر، بل إن الأمر له صلة وثيقة بـ (الرؤية الوجودية الكبرى) التي يمكن أن يتبناها المرء، أي إن مسألة الشذوذ والإنسانوية لها أصول فلسفية تقوم على فصل الإنسان عن الإله تبارك وتعالى، كما أنها تؤدي إلى هذا الفصل، وبهذا يسقط الإنسان في قبضة الإلحاد المعرفي (أي إنكار وجود الله) أو الإلحاد العملي (أي العيش كأنه لا يوجد إله). فلا تعبث مع الأمر، فإن جنود إبليس لا يعبثون.

118. الموقف من تنبؤات المتنبئين

شاهدت الآن حلقة حول توقعات صالح العجيري الفلكي الكويتي، الذي يتوقع بحدوث حرب نووية عام 2024، وعودة الحياة إلى ما كانت عليه في سالف الدهور، واندلاع اضطرابات عارمة في المجتمعات جراء قلة المياه والطعام. قلت: كثيرون يحرصون على تتبع هذه التنبؤات والنقاشات، وموقف المسلم يكون

هكذا: (**1**) حسبه ما صح من الأحاديث النبوية المتعلقة بآخر الزمان، مع الحذر الشديد في تنزيلها على الواقع الخاص، إلا بعد البحث ومراجعة أقوال العلماء. (**2**) نقبل الاستشراف المستقبلي، مهما كان مبنيا على قرائن موضوعية ولا يصادم حديثا نبويا صحيحا، أو سنة من سنن الله تعالى في الحياة، والقبول هنا يكون عاما. (**3**) يهتم بصلته بخالقه سبحانه، والاستعداد للموت وبناء مستقبله الاخروي، لأنه أساسا لا يدري متى يموت والموت بيد الله سبحانه وحده، كما أنه ليس مسؤولا عما قد يحدث مستقبلاً. لهذا، نصيحة للشباب والبنات، والخطاب موجه لمن يستحق الخطاب، اهتم بتحصيل العلم النافع، وبناء مستقبلك الأخروي، وصلتك بربك، عبر كثرة قراءة القرآن والذكر والعبادة، فالعاقل ابن وقته، وغدا غيب، ولا يعلم الغيب ولا يدبره إلا الله وحده.

119. من تأثيرات البطالة على الشاب

كيف يريد الشاب ألا تضغط عليه الشهوة، وهو يقضي يومه فارغاً بطّالاً!! لست أقول بأن الشاب إذا كان يشتغل فلن تكون هناك ضغوط للشهوة عليه، فهذا غير ممكن ولا هو متصوَّر: (أولاً)، لأن طبيعة المرحلة العمرية التي يمر بها تقتضي بروز الشهوة فيه بقوة وعنف. و(ثانياً)، لأن الشاب اليوم يعيش في أجواء جنسية وفي غاية الإثارة، بسبب جيوش المتبرجات الفاسقات في مختلف المرافق العامة، وبسبب انتشار التبرج والعري في التلفاز ووسائل التواصل ومواقع الانترنت. ولكن، لا شك أن الفراغ يضاعف قوة الضغوط على الشاب. ولهذا ينبغي على الشاب العاقل أن يكثف نشاطات يومه وينوعه، وأن يبتعد عن مواقع عرض الفاجرات، وأيضاً ينبغي أن يتجنب المرافق التي تكون نسبة حضور المتبرجات فيها مرتفعة، وكذلك يجب عليه أن يفر من أصدقاء السوء والتفاهة والميوعة.

120. خوف المشايخ من تكفير العلمانيين

من عجائب بعض المشايخ والإسلاميين، "رعبهم" من تهمة العلمانيين والحداثيين والليبراليين لهم بـ "التكفير" لعلماني أو حداثي أو ليبرالي أعلن في كتبه ومقالات الكفر والردة!! إن التكفير حكم شرعي، والحكم الشرعي إذا توفرت شروطه يجب الجهر به، خصوصاً في هذا العصر الذي كثر فيه من أسميهم ب "الملاحدة الأخفياء" أي العلمانيين والحداثيين الذين يجتهدون في هدم الإسلام من الداخل. ولهذا؛ فرفض تكفيرهم يسهم في بقاء أمرهم وحقيقتهم منطلية على جمهور الشباب! ينبغي على هؤلاء المشايخ والإسلاميين الذين يرعبهم "فيتو" العلمانيين أي اتهامهم بتكفير رؤوسهم وأئمتهم، ينبغي عليهم أن يتذكروا بأن الوقوف

في المنطقة الرمادية لا يليق بهم، إذ عليهم واجب مقدس شرعاً وهو بيان زندقة رؤوس العلمانيين والحداثيين، لكي ينتبه لهم الشباب فلا يغترون بشعاراتهم وتهويلاتهم، وأنهم مجرد "طابور" للغربيين و "جماعة وظيفية" لهم، مهمتهم القذرة هي هدم الإسلام من الداخل!

121. حكمة كثرة الأنبياء

يتساءل بعض الشباب عن حكمة كثرة الأنبياء؟ والحقيقة أن أعداد الأنبياء مقارنة مع القرون الطويلة للبشرية تعتبر نسبة قليلة جدّاً. ولهذا؛ إذا فهمنا مقاصد بعثة الرسل زالت الحيرة. هذه المقاصد يمكن تلخيصها في: **(1)** مقصد الحجة، الله سبحانه يحب إقامة الحجة على الناس ليقطع بذلك أعذارهم يوم القيامة. **(2)** مقصد الهداية، من رحمة الله سبحانه أنه لم يترك الإنسان لعقله للأسئلة الكبرى بل دعمه بالوحي. **(3)** مقصد التزكية، لا تستقيم شخصية الإنسان روحاً وقلباً إلا بالتزكية من الآفات الباطنة الموبقة. هذه المقاصد مرتبطة بشكل وثيق بالغاية من خلق الإنسان التي حددها خالق الإنسان نفسه في العبادة بمفهومها الشامل. فكان إرسال الرسل مهما لتعريف الإنسان بهذه الغاية العظيمة، لأنّ مصير الإنسان في الآخرة مترتب على مدى وفائه بتلك الغاية في الدنيا. ولهذا ما زال سبحانه يرسل الرسل لتظل حجته قائمة على الإنسان عبر التاريخ.

122. الأدب ومعركة الوعي

من الوسائل التي غفلنا عنها في معركة الوعي، لبيان قيم العقيدة والمبادئ الإسلامية، ولبيان تهافت المذاهب الهدامة وسوء عاقبتها، كالعلمانية والنسوية والليبرالية: وسيلة الأدب الشعري والنثري، كالقصة والرواية، بالرغم من أن هذه الوسيلة بشعبها المختلفة لها حضور قوي في واقعنا المعاصر! يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة منتصراً على قريش، انطلق أحد الصحابة يقول شعراً في الكفار والمشركين، فاستغرب عمر بن الخطاب موقفه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿خلِّ عنهُ، فلَهوَ أسرَعُ فيهم من نَضحِ النَّبلِ﴾، أي إن قول الشعر أشد على نفسية قريش وأسرع فيهم تأثيراً من رميهم بالنبل. وفي هذا دلالة على قوة وسيلة الشعر والقصة والرواية في معركة الوعي. فلماذا غفلنا عنها؟! لماذا لا نجد بيننا قصصيون وروائيون وشعراء يخوضون معركة الوعي ضد المذاهب والاتجاهات الهدامة بهذه الوسائل، خصوصاً أن جمهور الشباب والبنات اليوم لديهم ارتباط قوي بالقصة والرواية؟!

123. من مصائب بعض أهل الديانة

من البلاء الذي أغرق جمهور من حفظة القرآن، وطلبة العلم الشرعي، وأهل التدين الظاهر، أنفسهم في حمأته الوبيئة: مشاهدة أفلام الإباحية وممارسة العادة السرية، وكثير من هؤلاء متزوجون!! وقد يتفهم المرء أن يمارس الشاب الأعزب العادة السرية، وإن كان لا مبرر له في ذلك، فهو أمر بشع في المروءة، قبيح في الرجولة، ذميم في الديانة، لكن أن يمارسها رجل متزوج، فالأمر أفدح وأفضح! وأما مشاهدة أفلام أو مقاطع الإباحية سواء من الأعزب أو المتزوج، فهذا أمر لا تستطيع تصوره إلا بتصور الانخلاع هؤلاء عن معاني الإنسانية الفاضلة، فضلاً عن معاني القيم الإسلامية، إذ كيف يمكن الجلوس لمشاهدة علوج يمارسون كل أنواع القذارة الجنسية إلا بما ذكرت من الانخلاع!! كيف يمكن لمسلم يؤمن بالله تعالى وأنه يراه وبسمعه، ويؤمن بأن الملائكة معه يرونه ويكتبون كل شيء عنه، فضلاً عن أن يكون حافظاً للقرآن أو طالباً للعلم، أو إماماً لمسجد، ومع ذلك يجلس لمشاهدة القذارة الجنسية يمارسها قوم من الكفار والوثنيين والملاحدة، بل ويستمتع بذلك!! نعوذ بالله من الخذلان وفتنة المحيا والممات. يا هذا أنقذ نفسك فقد لا تشعر إلا والموت معك وأنت على تلك الحال!!

124. دعوة مشايخ لعمل المرأة

حين يتكلم هؤلاء "المشايخ والدعاة" عن ضرورة خروج المرأة للعمل، ويسلكون مسلك الوعد والوعيد والترغيب والترهيب، فهم بلا شك يشاركون في إفساد المرأة المسلمة!ف حين يتكلمون عن عمل المرأة، فهل يقصدون فقط "الطب، الهندسة، الإدارة، التعليم" وما يشبه هذه الوظائف "النظيفة"، أم حتى الوظائف الأخرى، مثل العمل في المصانع، والمطاعم، والفنادق؟ لماذا نريد جواباً واضحاً؟ لأنه من المعلوم أنه لا يمكن توفير "الوظائف النظيفة" لكل البنات والنساء، بل ولا يمكن توفير مطلق الوظيفة الحكومية لكل البنات والنساء، كما هو الحال مع الرجال. وهنا يبقى لديهم خياران لا ثالث لهما: إما أن يقولوا (نحن نقصد فقط الوظائف النظيفة، ذات المرتبات الجيدة)، وإذا لم تجد الفتاة الملتزمة ذلك فعليها أن تلزم بيتها مهما لم تكن مضطرة اضطراراً شرعياً للعمل. وإما أن يقولوا (بل نقصد مطلق الوظائف والأشغال)، فيقال لهم: الآن علم العقلاء أنكم مشايخ ودعاة سوء، تغرون بنات المسلمين بما لا تحبونه لبناتكم ونسائكم، فالله حسيبكم، فأنتم عملياً جنود في هيكل العلمانية الرأسمالية، تسهمون في غواية بنات المسلمين بالخروج وجعلهن كلأ مباحاً للعيون الزائغة والنفوس الظامئة، وإماء في سوق أصحاب الأعمال الذين يحرصون على استغلال النساء!

125. تخريب الأهل لبيت ابنتهم

من الأمور التي لا ينتهي عجبي منها: آباء لهم ابنة متزوجة، قد لزمت بيتها، ومتفرغة لنفسها ولزوجها، وتعيش معها بما تيسر، وتكون حياتها مستقرة معه، ومع ذلك يظلون (يوسوسون لها) بضرورة أن تخرج للعمل وأن تلهث وراء الشغل تحت شعار إبليس في العصر الحاضر (الظروف صعبة والمتطلبات كثيرة)، وقد تخضع هذه الزوجة لوسوسة هؤلاء الأهل، فتبدأ في الضغط على زوجها بنفس وسوسة أهلها عليها، فيستجيب لها، وهنا تبدأ قصة الانحدار والسقوط في حياتهما الزوجية والأسرية! والحقيقة أيتها الزوجة ينبغي أن تفهمي بأنه ليس من البر في شيء طاعة والديك في الخروج إلى العمل، فأنت متزوجة، وطاعة زوجك أعظم من طاعة والديك. فلا تخدعي نفسك بأنك تخافين رفض طلبهم فتكونين عاقة لوالديك. واعلمي أن الحفاظ على زوجك وزواجك وبيتك فوق كل اعتبار. والحقيقة أيها الزوج لا ينبغي أن تسمح لزوجتك بالخروج إلى العمل رضوخاً لوسوسة أهلها، ففي الحياة قيم ومبادئ أشرف وأعظم من الماديات، فقط عش حسب مرتبك/ دخلك، والقناعة كنز لا يفنى. بل كن متشددا غاية التشدد مع هؤلاء الأهل الذين يتدخلون في حياتك الزوجية، ونبه شديد التنبيه على زوجتك بأن خضوعها لوسوسة أهلها لن تكون عواقبه بخير.

126. حقوق الله تعالى

حقوق الرب تبارك وتعالى ثلاثة: **(أولها)** ربوبية للوجود بلا شريك، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام ٧٣]. **(ثانيها)** ألوهية خالصة بلا شريك، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف٨٤]. **(ثالثها)** حاكمية للبشر بلا شريك، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء ١٠٥]. والنبوات جاءت لتقرير هذه الحقوق الثلاثة، فمن أنكر حقاً منها خرج من الإيمان ودخل في الكفر وإن أثبت الحقين الآخرين أو أحدهما. بل إن المعركة الحقيقية للنبوات لم تكن تتعلق بحق الربوبية، أي إثبات خالقية الله تعالى للعالم وقيوميته عليه، إذ كان ذلك فطرة مفطور عليها الإنسان، فكل إنسان يثبت وجود خالق للكون والحياة، وإنما كانت المعركة الحقيقية تتعلق بحق الألوهية فلا يعبد بحق إلا الله سبحانه، وبحق التشريع فلا يشرع للناس إلا الله سبحانه، ولهذا كان دائماً الأغنياء والكبراء والكهنة في مقدمة صفوف حرب الأنبياء وإعلان الممانعة لما جاؤوا به!

127. خيارات النجاح في الحياة

ينبغي على الوالدين العاقلين أن يرسخوا في ذهن ابنهم أن الدراسة مجرد خيار ضمن خيارات أخرى للنجاح والسعادة في الحياة، فالدراسة لا تعطي ذكاء ولا حكمة ولا خبرة. وهذا يعني أنه حتى وإن لم يحقق

نتائج مرضية دراسياً فلن تكون النهاية، لأنها مجرد خيار ضمن خيارات، طريق من الطرق، وليست كل الخيارات ولا كل الطرق. أما ما يقوم به اليوم كثير من الآباء منذ طفولة ابنهم، حول ترسيخ فكرة الربط بين النجاح المدرسي وبين السعادة والنجاح في الحياة، فخطأ شنيع وأسلوب كارثي في التربية، لأن هذا الابن سيكبر وهو يقوم قيمته بمدى نجاحه الدراسي، ثم سيربط تلقائياً سعادته بالحصول على وظيفة ذات مرتب جيد. وهذا ما يخلق فيه هشاشة نفسية شديدة، تؤثر بالغ التأثير على شخصيته ونظرته لنفسه وللمجتمع وللحياة، وأدنى مظاهر ذلك، أنه حتى لو كانت لديه موهبة لا تتصل بالدراسة فإنها ستظل خامدة ساكنة، فالله سبحانه خلق العقول والنفوس باستعدادات مختلفة، ووزع بينهم مواهب شتى وقدراته متباينة، فلماذا يتسبب الوالدين في شقاء ابنهما! ولهذا صرت ترى شباباً يكادون يفقدون عقولهم لأنهم لم ينجحوا في دراستهم أو لم يحصلوا على وظيفة جيدة، كأن الحياة ستتوقف جرّاء ذلك، وهذا لما ذكرتُ من أنهم ترسخ فيهم الربط بين الدراسة والنجاح والسعادة في الحياة.

128. عدم إنصاف الخلق للخالق

من ظلم البشر وقلة الإنصاف فيهم، أنك لا تجد أحداً منهم يعترض على وضع الحكومات منظومة قوانين لزجر الجاني، ومعاقبة المذنب، وضبط الأمن، وتنظيم العلاقات الاجتماعية المختلفة، رغم أنه في كثير من الحالات تكون هذه الزواجر والعقوبات والتنظيمات في غاية الشدة والألم والضغط، والظلم أيضاً، بل تراهم يعظمون هذا الأمر من الحكومة، لما يترتب عليه من حفظ الأمن بينهم، ورعاية مصالحهم! ثم إذا جاؤوا إلى الله تعالى كان لهم شأن آخر!! فمعه سبحانه تراهم يعترضون على عقوباته القدرية المترتبة على سلوكياتهم، كما يعترضون على العقوبات المدخرة للخاطئين في الآخرة، لأنهم يرفضون أن تكون لأفعالهم عقوبات، بل يريدون أن يقوموا بما شاؤوا من الأفعال والنشاطات لكن بلا عواقب مؤلمة! حتى كأنهم في بواطنهم يعتقدون أنه لا يحق لخالقهم معاقبتهم!!

129. من بحث عن الحق وصل إليه

من خذ من قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾، أن كل ملحد أو مشرك يقول بأنه باحث عن الحق، ومع ذلك بقي على الإلحاد أو الشرك، فهو كاذب في دعواه، بل إما أنه لا يبحث أصلاً، وإما يبحث بحسب أهوائه. وهذا لأن الله سبحانه قد تكفل لمن بحث عن الحق أن يهديه إليه، بشرط أن يكون البحث بإخلاص وصدق، وأن يكون بوسائل البحث عن الحق. ذلك لأن

الله سبحانه خلق العباد بالحق وللحق، كما أنه يحب أن يعرف عباده الحق، فلذلك يسره لهم وسهل عليهم طريقه وأكثر لهم من دلائله ونوّع لهم من حججه.

130. النظرة للعلاقة الزوجية

حين يدخل الطرفان عالم الزواج بفكرة الصراع، وقانون الصراع هو أن تكون منتصراً أو منهزماً، ومن هنا، سيكون لكل طرف تركيز لاشعوري على ضرورة الانتصار والغلبة على الآخر!! وكذلك حين يدخلان بنظرة قبلية في غاية السلبية عن الجنس الآخر، الرجل ينظر للمرأة على أنها صورة الخبث والمكر، والمرأة تنظر للرجل على أنه عدوها اللدود الذي سيستعبدها!! وهذا التفكير، وهذه النظرة، إنما تليق بالجاهلية والجاهليين، أو قل إن شئت بالذكوريين والنسويات، أما في ديننا ومرجعيتنا الإسلامية فالزواج نعمة مباركة، تزكي العمر وتنمي الروح وتسعد القلب. في ديننا، الزواج سكن ومودة ورحمة، وتعاون وصبر وتضحية، وتنازل ورفق ومسؤولية. لأن الطرفين معا لديهما وعي عميق بالواجب الوجودي المكلفين به من خالقهما، ولأنهما يؤمنان بأن علاقتهما الزوجية لن تنتهي بانتهاء الحياة في الدنيا ولن تقف عند حدود الأرض، بل ستظل ممتدة في مسار الخلود، ومستمرة في عالم الحياة بعد الموت. بل حتى إذا وقع ولم يتفاهما، فإن الفراق بينهما يكون فراق رقي وسمو وفضيلة وإحسان، وليس فراق عدوين لدودين يحرص كل منهما على الانتقام من الآخر إلى آخر لحظة ممكنة. إذن؛ القرار بيدك أنت: عش الزواج برؤية إسلامية أو برؤية جاهلية.

131. مآلات الصمت عن المنكر

الفساد المترتب على الصمت عن إنكار المنكر؛ يبدأ صغيراً ثم لا يزال يكبر ويتضخم ويتسع إلى أن يصل الأمر حد العجز عن مقاومته والوقوف في طريقه. الأمر يشبه كرة الثلج، تبدأ صغيرة ثم لا تزال مع تدحرجها تتعاظم إلى أن تبلغ حداً لا يمكن أن يقف شيء في طريقها إلا كسحته. انظر للمسلمين خلال القرن الأخير، صمتوا عن إبعاد العلمانية للشريعة، فانفتحت أبواب الفساد باباً بعد باب، إلى أن وصلوا اليوم حداً لا يستطيعون معه مقاومة الفساد الذي تبذل العلمانية جهوداً ضخمة لنشره وترسيخه، فلا يجدون سوى التأسف والتحسر على هذا الواقع! ولهذا كان الإسلام واضحاً صريحاً في التقدم إلى المسلمين بضرورة اليقظة للانحرافات الطارئة، والتوعد على الصمت عنها، سواء ما تعلق بالنشاطات الفردية أم ما تعلق بنظام الحكم والسياسة، وذلك لعلمه أن السكوت عن المنكرات والانحرافات وعدم المبادرة لمحاصرتها له نتائج وخيمة ومآلات وبيلة! والله المستعان

132. واجب بر الآباء بالأبناء

وإنك لترى اليوم جمهوراً عريضاً من الآباء يرون واجبهم تجاه أبنائهم ما يراه الحيوان تجاه أبنائه، فهم يرون أن واجبهم هو توفير الطعام والشراب والسكن واللباس والأمن ما داموا صغاراً، فإذا كبروا أرغموا الأبناء والبنات بلا فرق على الخروج للبحث عن المال، وخلال ذلك لا يبالون بدينهم وعقيدتهم، ولا بقيمهم ومبادئهم، ولا بطبيعة الدور الوجودي الذي خلقهم الله تعالى لهم!! ولئن عذرنا الحيوان، إذ لم يكن في إمكان فطرته غير ذلك، ولا مرتبته الوجودية تساعده على الخروج من هذا الطور، فما عذر هؤلاء الآباء والأمهات اليوم في إهمال حسن تربية أبنائهم، وغرس معاني العقيدة فيهم، وتنمية شخصياتهم، وصلتهم بالقيم العليا والمبادئ السامية في الحياة، حتى لا يكونوا عرضة للانحرافات العقدية، وفريسة للرؤية المادية، ونهبة للشهوات المنفلتة!! وما أجدر الخطباء التكلم عن هذا، بدل الإغراق في "بر الوالدين"، كأن الآباء اليوم في مستوى المسؤولية الواجبة عليهم إلا أن الأبناء لا يعترفون بحقوقهم عليهم!! نعم، بر الوالدين شيء عظيم، لكن لابد من التكلم أيضاً عن بر الآباء لأبنائهم.

133. أهمية معرفة العلوم

تنبيه مهم للشباب السلفي: عندما نذم المنطق والكلام والفلسفة، فالمقصود من ذلك أمران: **(1)** كسر سلطة هذه المرجعيات على نفسية وعقلية المسلم. فالانبهار يتولد عنه ولابد الانصهار، والمسلم حين ينصهر نفسياً وعقلياً في هذه المرجعيات فلا شك في أن يحاكم الوحي إليها ويكيّفه بها، إن قليلاً وإن كثيراً، وفي هذا هلكته. **(2)** يترتب على المعنى الأول، حث المسلم على أن يتعامل مع مرجعية المنطق والكلام والفلسفة باستعلاء إيماني وفخر انتمائي لمرجعية الوحي الإلهية. لأن نتيجة ذلك هي أنه سيحاكمها إليه ولن تخدعه التهويلات التي يلهج بها أصحابها. وإذ قد تبين لك هذا، فهمت ـ إن شاء الله ـ أن المقصود أصالة بهذا النهي عن المنطق والكلام والفلسفة هم العامة، وأما طلبة العلم فواجب عليهم ـ مهما تيسرت لهم الفرص ـ تعلم هذه العلوم والإحاطة بها لمعرفة أصولها ومنطلقاتها الكامنة، ولوازمها الضرورية، ونتائجها الحتمية، على المستوى المعرفي والنفسي والسلوكي. وعلة الوجوب تظهر في أمرين: **(1)** هذه المرجعيات امتزجت بالعلوم الشرعية، كأصول الفقه والتفسير، بل حتى النحو. فالجاهل بتلك العلوم يوشك أن يجهل كثيراً من مسيرة العلم الشرعي، ومنطلقات المخالفين في تأسيسهم لكلامهم فيه. **(2)** هذه المرجعيات تمثل الخلفية المعرفية للمخالفين يستعملونها لعرض نصوص الوحي والانتصار لمذهبهم، فالجهل بها يمنع السلفي عن تبيين الخلل

في النظام المعرفي للمخالفين، ومدى انحرافهم عن جادة الوحي. أما حث طلبة العلم الشرعي السلفيين على اجتناب هذه العلوم، فيجعلهم "لقمة سائغة" للمخالفين. فلابد إذن أن ينبري بعض هؤلاء الطلبة مع مشايخهم للتضلع في هذه العلوم ليكونوا درعاً صلبة ضد تهويلات المخالفين، وسهاماً متينة في كيانهم مذاهبهم. والأمر هنا يشبه إلى حد ما، ما ندعو إليه الشباب السلفي من ضرورة التخصص الأكاديمي في القانون، علم النفس، علم الاجتماع.. إلخ، لا لأن هذه العلوم واجبة لفهم الوحي، بل لكي يعرفوا أسسها الفلسفية، وأصولها المعرفية، ثم يكشفوا للعوام تهافتها وانحرافاتها التي يحرص الزنادقة الجدد ترويجها بينهم، وبالنسبة للقانون لكي يخففوا عن المسلمين ما أمكن من الظلم الناتج ضرورة عن الحكم بغير ما أنزل الله الذي فرضته الحكومات العلمانية عليهم. ولكن، وا أسفاه، فإن كثيرين يربطون بين التدين والتخصص في الدراسات الإسلامية!!

134. علة تفضيل الإنسان

خلال محاولة بعض الدعاة والإسلاميين إظهار مكانة الإنسان يذهبون مذهب القول بأنه مفضل على المخلوقات بالعقل، ثم يستدلون بآية سجود الملائكة عليهم السلام لآدم عليه السلام. وهذا غير صحيح، كما أن آية السجود لا تتضمن هذا المعنى الذي يلوكونه ويؤكدون عليه. وذلك للآتي: (**أولاً**) ليس صحيحاً أن الإنسان مفضل على كل المخلوقات، بل على كثير منها فقط، وهو ما صرّح به القرآن الكريم، فقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾. (**ثانياً**) ليس صحيحاً أن الإنسان مفضل على المخلوقات بالعقل، فهذا القول يليق بأصحاب الفلسفة الوثنية الذين ليس معهم مرجعية الوحي الإلهي المعصوم. أما نحن، فلدينا خبر عن وجود كائنات أخرى عاقلة، وهم الجن والملائكة عليهم السلام، بل إن الملائكة أرقى عقولا من البشر، والجن مكلفون شرعاً مثل البشر، ولا تكليف بلا عقل، فالجن خلق عاقل، فثبت بهذا أن الإنسان ليس مفضلاً بالعقل. (**ثالثاً**) ليس صحيحاً أن آية السجود تؤكد على تفضيل آدم عليه السلام بالعقل، فالآية لا تشير لذلك لا من قريب ولا من بعيد. وهذه هي: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾ وقد وردت بهذه الصيغة أربع مرات، كما وردت مرة واحدة بصيغة: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾، وكما ترى فالآيات الأربع بالصيغة الأولى تتضمن فقط الأمر الإلهي المتوجه إلى الملائكة بالسجود لآدم. والآية الخامسة تتضمن بيان أن الأمر بالسجود جاء بعد الخلق والتصوير الإلهي لآدم عليه السلام. ولهذا فالملائكة سجدوا لآدم طاعة لله تعالى واستجابة لأمره وليس لشيء آخر. وإذ تبين لك هذا، فاعلم ـعلّمك اللهـ أن التفضيل الإلهي للإنسان نوعان، تفضيل قدري، وتفضيل شرعي. أما التفضيل القدري على كثير من

المخلوقات كما مرّ آنفا، فيرتبط بحقيقة الروح الذي هو أصل الإنسان وجوهر ومعناه، ولهذا نسبه الله تعالى إليه وأحال معرفة سره، فقال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾. وقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. وأما التفضيل الشرعي فيرتبط بمدى قيام العبد بحقوق التوحيد والإيمان والاتباع والتسليم والطاعة والعبادة، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. فعبد موحد، تقي، مؤمن، زكي، أفضل وأحب إلى الله تعالى من كل البشر الكفار والمشركين والوثنين، وكذا من كل الجن، رغم ما قد يتمتع به هؤلاء من العلم الدنيوي والذكاء والقوة والسلطة. ولهذا لما تكلم أهل العلم في مسألة التفضيل بين الملائكة والبشر، حصروا الأمر في البشر الصالحين المتقين الموحدين المؤمنين، ثم اختلفوا، هل مطلق هؤلاء مفضل على الملائكة أم إن الأمر خاص بالأنبياء والرسل فقط؟ وعلى كل حال فهي مسألة ليست من صميم العلم، وإنما القصد بيان أنهم لم يعلقوا علة التفضيل على مجرد العقل. والله سبحانه أعلم

135. فاعلية الإنسان

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (الإنسان:30)، جمعت هذه الآية أربعة معاني في الاعتقاد الإسلامي، وهي: **(1)** الإنسان له قدرة على المشيئة، ولازم هذا إثبات المسؤولية عليه والقدرة على الاختيار بين البدائل في الأفعال. **(2)** مشيئة الإنسان لا تخرج عن مشيئة الله تعالى، بل هي تبع لها، فالله سبحانه هو مَن وهب الإنسان القدرة على المشيئة. **(3)** مشيئة الله تبارك شأنه ليست مجردة عن كل اعتبار، بل مقيدة بأمرين: العلم والحكمة (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا). **(4)** إثبات اتصاف الله تعالى بالعلم حقيقة، وبالحكمة حقيقة، وأن أفعاله كلها تصدر عن علمه وحكمته. والحقيقة الأولى المتعلقة بإثبات المشيئة للإنسان، فيها ردٌّ ساطع على أصحاب النظرة الجبرية للإنسان، أي إن الإنسان في العقيدة الإسلامية مسؤول، وفاعل، لأنه مكلف شرعاً ومحاسب يوم القيامة. والحقيقة الثانية المتعلقة بإثبات ارتباط مشيئة الله تعالى بعلمه وحكمته، فيها ردٌّ قاطع على نفاة الحكمة والتعليل لأفعال الله تعالى، ودعواهم أن الحق تبارك شأنه يفعل بلا حكمة ولا غاية. واعلم أن الوحي طافح بإثبات الحكمة لله تعالى، فالله سبحانه له الخلق والأمر، وهو في هذا وهذا إنما يشرّع بالحكمة وللحكمة، ويفعل بالحكمة وللحكمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾، وقال سبحانه: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾. وسر هذا هو أن كمال الله تعالى وعظمته تقتضي التشريع بحكمة ولحكمة، كما تقتضي الفعل بحكمة ولحكمة. بل وجدنا الله تعالى يجعل نفي الحكمة والتعليل والغاية من العالم من علامات الكفار والمشركين، فقال سبحانه:

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾. وهذه الآية جاءت في سياق اجتماعي، يتعلق بالسياسة والحكم، وبالسلوك والنشاطات. فالذين كفروا اعتقدوا انتفاء الحكمة والغاية والمعنى عن العالم والكون والحياة، ترتب على ذلك انغماسهم في الظلم والفساد والانحراف، لأنه إذا لم يكن هناك معنى في الحياة، ولا حكمة في الكون، ولا قصد في العالم، إذن كل شيء مباح وجائز مهما تحصّل منه لذة شخصية ومصلحة خاصة. وهذا هو أساس إلحاد الملحدين، أي نفي الحكمة والغاية والقصد عن العالم والوجود والحياة. فنفاة الحكمة والتعليل عن أفعال الله تعالى شاركوا هؤلاء الكفار والملاحدة في أبرز علاماتهم المميزة لهم. والله الموفق

136. من أخطاء النظر في قضايا المرأة

من الملاحظ عند بعض المشتغلين على ملف قضايا المرأة والفكر النسوي الهدام؛ أنهم يذهبون مذهب تصوير المرأة على أنها "قاصر" بلا عقل ولا قدرة على الفهم، ومن ثم، يجب عليها أن تخضع خضوعاً مطلقاً للرجل، سواء في صورة أب أو في صورة زوج، بدون أية محاولة للنقاش أو التردد في الموافقة!! والحق أقول لك؛ إن هذا العرض يستقيم على أصول معالجة قضايا المرأة والنسوية بالأسلوب الغربي. فالرجل الغربي لديه مشكلة مع المرأة من حيث هي امرأة قبل أي شيء آخر، ونظرته لها لا تستند إلى مرجعية الوحي المعيارية، بل طبيعة الرؤية الكونية العامة الكامنة في العقلية الغربية، وهي رؤية مادية ومختزلة!! أما حسب أصول المرجعية الإسلامية، فهذا العرض منهم لا يمكن أن يصح ويستقيم، فإن المرأة في هذه المرجعية كائن مسؤول ومكلف، وهذا أحد المشتركات بينها وبين الرجل، ولا مسؤولية ولا تكليف إلا بوجود أهلية عقلية ونفسية كاملة، وهذا مجمع عليه بين أهل العلم قديماً وحديثاً، أي مناط التكليف العقل. يجب علينا رفض خطاب التفريط والميوعة، لكن يجب علينا كذلك رفض خطاب الإفراط والغلو. وأيضاً، فنحن لدينا مرجعيتنا الإسلامية التي تعطينا الرؤية المتماسكة المتوازنة لكل القضايا، فالله تعالى أنزل الوحي هدى ونوراً وفرقاناً. ومن ثم، فلا يليق بالمسلم أن يذهب يتسول أساليب معالجة قضية المرأة والنسوية من الرجل الغربي. إن المرأة تشترك مع زوجها في تحمل المسؤولية الكاملة على استقرار الحياة الزوجية والأسرية، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿والرَّجلُ راعي أهلِ بيتِه وهو مسؤولٌ عنهم، والمرأةُ راعيةٌ على بيتِ بَعْلِها وولدِه وهي مسؤولةٌ عنهم﴾ (حديث صحيح) ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

137. حب الظهور والشهرة

رأيت أكثر من منشور حول شخص، قيل بأنه متضلع من العلم الشرعي وما تعلق به، ثم ذهب يطعن في العلماء والدعاة، ثم خرج إلى الميوعة العلمية، فصار يترحم على هلكى النصارى والعلمانيين! وهكذا هي سنة الله تعالى في الذي يتخذ الطعن في العلماء والمشايخ والدعاة ديدنه، فإنه يعاقبه بعكس مقصوده، فهو عمليا يريد التقدم بإسقاط غيره، فيعاقب بالتأخير والإبعاد! إن قصة السقوط، قصة عجيبة، فهي لا تأتي فجأة ولا بسرعة، بل على نحو بطيء ومتراكم عبر مرور الأسابيع والشهور وربما الأعوام، تتشكل خلالها قابلية السقوط واستعداد الانحدار والانحراف! على أن كل إنسان –وإن كان آية في الذكاء والعلم– عرضة للفتن، والفتن صور شتى ومظاهر مختلفة، كما أن لها أسبابا قد تذهب في الخفاء والغموض مذهبا لا يحيط به إلا الله علام الغيوب! من أجل ذلك ما زال العارفون بالله لا يخشون شيئا خشيتهم أمرين اثنين، أولهما فتنة السقوط، وثانيهما سوء الخاتمة، لأنهما متلازمان، ولذلك قالوا: اقتدوا بمن مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة! اللهم ثبت الإيمان في قلوبنا، وتوفنا على الإسلام والسنة والإحسان.

138. نعمة القراءة والكتابة

من نعم الله تعالى المغفول عنها القدرة على القراءة، فأنت تحسن القراءة، وتحسن الكتابة، فهل سبق أن فكّرت في معنى ذلك؟ القراءة والكتابة تمنحك إمكانية أن: **(1)** تكتب ما تشاء من الرسائل أو المقالات لنقل مشاعرك وانطباعاتك وآرائك إلى الآخرين من حولك أو البعداء عنك. **(2)** أن تتعامل مع مختلف الأوراق والوثائق الإدارية، بالقراءة وبالملء لها، وبمعرفة المراد منها والمطلوب منك. ولهذا؛ فالقدرة على القراءة والكتابة من آيات الله تعالى عندنا نحن البشر، ويكفي أن تتخيل لو أننا لم نكن كذلك كيف كانت تكون حياتنا ومسيرتنا عبر التاريخ المديد! إذن؛ من الواجب أن تذكر دائماً أن هناك ملايين من البشر لم تتيسر لهم فرصة تعلم القراءة والكتابة، ولذلك يعانون كثيراً، ويُحرمون كثيراً، وحسبك للتجربة أن تفتح موقعاً أو قناة أو كتاباً بلغة أجنبية وانظر شعورك وأنت ترى عجزك عن فهم ما ترى وما تسمع! وإذ قد فهمتَ هذا، فالفرض عليك أن تستغل هذه النعمة الكبيرة في قراءة ما ينفعك، ويزيدك معرفة بربّك ونبيك، وأن تكتب للناس ما ينفعهم ويفيدهم. اللهم لك الحمد على هذه النعمة الجليلة، ووفقنا يا ربنا لاستعمالها فيما تحب وترضى.

139. مشيئة الله تعالى المطلقة

لطيفة عجيبة من الصحابي الجليل عمران بن الحصين ﷺ، ففي صحيح مسلم ومسند أحمد وغيرهما، «عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ الدِّيلِيِّ، قالَ: قالَ لِي عِمْرانُ بْنُ حُصَيْنٍ رضي الله عنه: أَرَأَيْتَ ما يَعْمَلُ النّاسُ اليَوْمَ

ويَكْدَحُونَ فِيهِ، أشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ ومَضى عَلَيْهِمْ مِن قَدَرٍ سَبَقَ، أوْ فِيما يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمّا أتاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ صلى الله عليه وسلم ويُثْبِتُ بِهِ الحُجَّةَ عَلَيْهِمْ؟ فَقُلْتُ: شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ ومَضى عَلَيْهِمْ، قالَ: أفَلا يَكُونُ ظُلْمًا؟ قالَ: فَفَزِعْتُ مِن ذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا، وقُلْتُ: كُلُّ شَيْءٍ خَلْقُ اللَّهِ ومِلْكُ يَدِهِ، فَلا يُسْألُ عَمّا يَفْعَلُ وهُمْ يُسْألُونَ، فَقالَ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، إنِّي لَمْ أُرِدْ بِما سَألْتُكَ إلّا لِأُحْرِزَ عَقْلَكَ». كان المفترض أن يقول له: «لم أرد بما سألتك إلا لأحرز إيمانك أو لأحرز يقينك» فلما قال «لأحرز عقلك» أحاطنا العلم بأن الإيمان في الإسلام إيمان عقلي، ويستحيل أن يتعارض مع فطرة العقل الصريح. إذن؛ يمكن القول بأن المنطلق العقلي لهذا القول، أي «طلاقة الفعل الإلهي بلا حدود ولا قيود» يرجع إلى الآتي: **(1)** الله سبحانه له الكمال المطلق والعظمة اللانهائية في ذاته وأسمائه وصفاته. ومن مظاهر هذا الكمال أن يفعل ما يشاء ويقضي ما يريد. **(2)** العالم كله ملك لله تعالى وخلق له والقيوم عليه، فمن البديهي أن يفعل فيه ما يشاء، كما أنه هو الذي شاء أن يكون على ما هو عليه ابتداء، شكلاً ونُظماً. **(3)** فعل الله تعالى ما يشاء في العالم لا يتعلق بمجرد المشيئة، بل أيضاً يتعلق بالحكمة والرحمة والعدل والفضل، ولهذا لم يكن في العالم اعتباط ولا تفاوت. **(4)** جهل المخلوق بالمقاصد التفصيلية لأفعال الله تعالى وتدبيرات أقداره في الوجود لا ينفي وجودها، بل ليس في إمكان المخلوق الإحاطة علماً بالخالق. **(5)** أفعال الله تعالى وأقداره تراعي شبكة واسعة وشديدة التعقيد من الاعتبارات الشاملة لطبيعة الدنيا، وطبيعة المخلوق، وطبيعة المصير الأبدي بعد الموت. فهذه خمسة أسس ينبني عليها القول بفعل الله تعالى ما يشاء وأنه لا يُسأل عما يفعل. وبهذا نتبين دقة تعبير سيدنا عمران وعمق فهمه ورسوخه في المعرفة الإلهية. والله أعلم

140. لماذا يعذبني الله إذا لم أؤمن به؟

كثير من الشباب الملحد يسأل: لماذا سيعذبني الإله إذا لم أقتنع بوجوده؟ أين العدل في هذا؟ والجواب أن الملحد بما أنه لا يؤمن بوجود الله تعالى، إذن لا داعي لأن يفكر في إمكانية تعذيب الله تعالى إياه في الآخرة، لأنه أصلاً ينكر وجوده ووجود الآخرة والجنة والنار. فتفكيره هنا خطأ وتناقض. وقضية في عدم اقتناع الملحد ليست في عدم وجود الأدلة أو قلتها، بل لأنه لا يريد الاقتناع، بسبب الأهواء المختلفة، ذلك لأن أدلة وجود الخالق سبحانه فهي كثيرة جداً، بل من مميزاتها الكثرة والتنوع، فكل ذرة من ذرات الوجود هي دليل على وجود الخالق سبحانه. أما العدل، فالملحد مبدئياً لا يحق له الكلام عنه، لأن العدل قيمة متجاوزة، والقيم لا يمكن إثباتها إلا بإثبات مصدر لها متجاوز ومقدس، أي إثبات الإله، فبدون إثبات الإله لا يمكن إثبات القيم والأخلاق. وأيضاً فالعدل الإلهي هو أنه كوّن فطرة الإنسان وعقله على إثبات وجود الخالق

ضرورة، وخلق هذا الكون خلقاً بديعاً يحتم إثبات وجود الخالق، كما أنه أنزل الشرائع والنبوات ليعرّفك بشكل أفضل وأعمق وأوضح بكماله وعظمته سبحانه، ولهذا، فالملحد هو الظالم لنفسه بعدم إيمانه بالله سبحانه، ولهذا يستحق العذاب الأبدي إن مت على الكفر والإلحاد.

141. عناد الزوجة

عناد الزوجة قسمان، عناد محتمل وهو الذي يمكن أن يغض الزوج الطرف عنه، وهو يكون في الأمور الصغيرة. وعناد غير محتمل وهو الذي لا يمكن غض الطرف عنه، وهو يكون في الأمور الكبيرة التي يمكن أن تؤثر بشكل سلبي جداً في العلاقة الزوجية، وهذا مثل كثرة الخروج والزيارات، وهنا ينبغي الحزم والصرامة جداً، بدءاً بالحوار ومروراً بالموعظة والتخويف بغضب الله، فإن أصرت يمكن طلب تدخل بعض الأطراف الخارجية، كأختها أو أمها أو حتى كأخيها أو أبيها، فإن فشلت هذه المحاولات فأنت وشأنك في الإمساك والصبر على المعاناة أو التطليق بإحسان. ولكن من المهم أن تفهم الزوجة بأن كثرة مواقف العناد يراكم في نفس زوجها النفور، ثم يغرس فيها الكره، وحينها تدخل العلاقة الثنائية في مرحلة اللاعودة، إلى أن تصل إلى المصير المحتوم: الشقاق والطلاق!

142. حرب عقدية شرسة

شئت أم أبيت، رضيت أم كرهت، أنت تعيش معركة أفكار، وحرب عقائد، وصدام مرجعيات، رغم تعدد شعاراتها، إلا أن الحقيقة هي أن طرفيها هما: التوحيد والشرك، الإيمان والإلحاد، الإسلام والجاهلية، الوحي والأهواء. وهي معركة تُشن عليك اليوم بمختلف الوسائل، وتُرصد لها شتى الإمكانيات، ويتم وضع الخطط الدقيقة في سبيل الانتصار ضدك. ولهذا، فمن الخير لك، أن تكون في مستوى هذا التحدي الوجودي، سواء من ناحية الرؤية والفكر، أم من ناحية أدوات المواجهة والصراع. إنّ الإسلام لن يخسر شيئاً إن سقطت أنت في المعركة، ولن تتراجع قيمته إن أنت خذلته، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: 8].

143. كالقابض على الجمر

محاربة النقاب، ومحاربة الحجاب، ومحاربة الالتزام، وتمييع العقيدة، وإفساد الإيمان، ومحاربة الشريعة، والتمكين للعلمانية، والترويج للرذيلة، وأسلمة الإلحاد، وتعظيم الثقافة الغربية، والتبشير بقيم الإنسانية العالمية،

والتشديد على العلماء الربانيين، ونشر التفاهة والسخافة، كل هذا من دلائل نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبرنا كثيراً عن آخر الزمان وكيف سيكون، حيث سيضعف الإيمان، ويصير الإسلام غريباً، ويقاسي المؤمن، ويتجبر الطغاة، وتنتشر الرذائل، ويكثر الكفر والإلحاد، ويعظم اللهاث وراء شهوات الدنيا، وتتشكل النفوس في قالب الهشاشة، ويتمركز الإنسان حول أهوائه، ولذلك أوصانا بالصبر على الإيمان والتزام السنة، ففي مسلم آخر الزمان المتقي الصالح شبه بجيل الصحابة من جهة التعرض للضغوط الهائلة التي مارسها كفار قريش والمنافقون على إسلامه، وكذلك مسلم آخر الزمان يتعرض لضغوط هائلة يمارسها الحكام الطغاة والمنافقون بمختلف ألوانهم على إسلامه وتدينه وعقيدته.

144. الإنسان روح ومادة

الإنسان ليس كتلة مادية، ووعيه ليس صفحة بيضاء يسجل عليها الواقع معطياته وينتهي الأمر، كما يعتقد ذلك الماديون! بل الإنسان ذو فاعلية معقدة، ووعيه يتشكّل ضمن عناصر متشابكة، كالدين، التجربة، الأهواء، الثقافة، العقيدة، الواقع، وغير ذلك. ولذلك فتاريخ الإنسان في صعوده وسقوطه ليس قوانين رياضية كما يؤمن الماديون، بل هو انعكاس لذلك الرصيد الضخم المؤطِّر لفاعلية الإنسان ووعيه في تبني أفكاره واتخاذ مواقفه. ولكل هذا، لا يمكن التنبؤ بمسار التاريخ إلا في خطوطه العامة جدّاً! وقد تعاملت الحضارة المادية المعاصرة مع الإنسان على أساس أنه مجرد كتلة مادية، بلا مبادئ فطرية ولا أشواق ولا نزعات تتجاوز الحس المادي، فماذا كان؟! لقد أدخلت الإنسان في دوامة مأساة رهيبة، فتفككت الأسر، وتمزق المجتمع، وانفجرت أمواج الأمراض العقلية والنفسية والعصبية كما لم تكن من قبل، وصار الإنسان ذئباً مفترساً لغيره، لأنه لا يعترف إلا بالماديات ولا ينظر إلا بالمنظار المادي!

145. دلالة الطلاق

الطلاق في معناه الإنساني احترام جماليات الإنسانية في الزوجين. وفي معناه الديني احترام كرامة الإسلام في الزوجين. وفي معناه الاجتماعي احترام معاني الفضيلة في الزوجين. الطلاق بهذا المعنى حاجة مهمة ــحين تتوفر أسبابها الموضوعية المعتبرة شرعاًــ لإعادة تنظيم الذات الشخصية والعلاقات الاجتماعية. فلذلك أجازت الشريعة الإسلامية الطلاق لأنّها تعلم أن زواجاً لا تربط بين طرفيه أية علاقة نفسية وعاطفية لا يمكن أن يحقق أهدافه المنشودة. بَيْدَ أنّ الشرع أمر أن يكون هذا الطلاق بإحسان؛ إذ هو تعبير عن سمو النفس ورقي الأخلاق، وبه وحده تظل الوحدة الاجتماعية قائمة، وتماسك المجتمع مقصد شرعي مقدس. فانظر كيف

غفل الناس عن هذه المعاني النبيلة، فحوّلوا الطلاق إلى سبب شقاء ومأساة، وإلى ساعة حرب ضروس، وإلى ساحة نذالة حقيرة!

146. الهروب من الإله

حين تقرأ في الكتب العلمية المتعلقة بالكون، تلحظ بجلاء إصرار الفيزيائيين الملاحدة واللاأدريين على القول بأي (جنون) لتفسير الكون وأصله ولماذا هو هكذا، وتلحظ حرصهم الشديد على نزع المعنى والقيمة والقصد والغاية عنه، ثم تقريرهم بأن الأمر مجرد صدفة عابرة، وفلتة عابثة، رغم الغموض المتجلي في صفحاته! إنه إصرار وحرص للهروب من القول (هناك إله)!! وهنا تدرك بوضوح وتتأكد بيقين أن القضية ليست علماً وفكراً، بل خلفية أيديولوجية موجِّة، ورواسب نفسية متكلسة، ورغبة قوية في رفض هذا الإله الذي يأمر وينهى ويثيب ويحاسب!! ولكنها جهنم وهي تصنع حطبها!!

147. تعرف على نِعم الله تعالى

تعرّف على نِعَم الله تعالى عليك، في باطنك وظاهرك، وفي ماضيك وحاضرك، وفي كل شيء من حولك، فمعرفة النِّعَم الإلهية على العبد من أعظم وسائل تحقيق الهداية والاستقامة، وتحقيق معرفة الله ومحبته وتعظيمه والشوق إليه، وذلك لأن النفوس الشريفة والقلوب الزكية جُبلت على حب مَن أحسن إليها. ألا ترى كيف أنك إذا أحسنت معاملة شخص، ثم وجدت منه التنكر لك، واللامبالاة بك، ولا الإقبال عليك، فإنك تستبشع موقفه، وتجزم جزماً أكيداً بأنه قليل المروءة، دنِيء النفس، متحجر الإحساس، تافه الرأي! ولأن معرفة النِّعَم باب واسع وطريق لاحب إلى معرفة الله تعالى، ولهذا ما زال القرآن يحثّ على تقليب النظر في عجائب الخلق، وبديع الصنع في النفس والحياة والكون، لأنك إذا تأملت، ستجد أن نِعَم الله عليك ذات شعب متلاحمة مع شبكة واسعة ودقيقة، في نفسك والكون والتاريخ والوحي والدنيا والآخرة، ولهذا قال رب العزة: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل:18].

148. قدوة الحق والباطل

اعلم أي أخي، أن هذه النفس مثلها مثل المرآة، ما حاذاها ارتسم فيها، إن خيراً وإن شراً، وإن حسناً وإن قبيحاً، إذ كانت تلك طبيعتها، فمهما صحبت أهل العلم والفضل، ورافقت أصحاب الشرف والسؤدد، والتزمت أرباب الهمة والمجد، يوشك أن تتشكل نفسك على مثالهم، فتصيب من السعادة مثل الذي أصابوا،

وإن أنت صحبت أهل الجهل والعناد، وكنت رفيق ذوي السفه والسخف والطيش، واتّبعت رعاة الدناءة والتفاهة، كنت مثلهم ووردت موردهم. وذلك لأن الإنسان لابد له من قدوة يتخذها نموذجاً يحتذى، فإن أخطأ قدوة الحق وقع على قدوة الباطل. ولهذا تجد اللهَ تعالى يكثر في القرآن من الحديث عن الأنبياء والصالحين من قبل، وكذلك لهذا تجد المفسدين اليوم يحرصون على تضخيم قدوة الباطل وتشويه قدوة الحق في عقول الشباب.

149. رفض التعدد

يمكن أن نقرأ رفض جمهور النساء للتعدد في أُطُر مختلفة: هناك إطار (**غريزة الأنانية**) المتأصلة في التركيبة الإنسانيّة. وهناك إطار (**نزعة التملك**) الجوهريّة في التركيبة البشريّة. وكلا هاتين الغريزتين تحملان الفرد على رفض مشاركة الآخرين فيما يعتبره شيئاً خاصاً به. وكذلك هناك إطار (**عاطفة الحب**)، التي تجعل المرأة تربط بين الحب والتملك للحبيب، ولذلك تعتبر مشاركة امرأة أخرى لها في زوجها ضعفاً في تملّكها للزوج الحبيب. وأيضاً هناك إطار (**الشعور بالنقص**)، فترى المرأة أن الزواج بأخرى يعني تراجع مستوى جاذبيتها وإغرائها وإثارتها! فمن يريد التعدد لابد أن يراعي هذه الاعتبارات في زوجته. لكن كل هذا لا يبرر للمسلمة أن تركب الموجة الحالية في محاربة التعدد، فهي محاربة صارخة للشرع، حتى صارت هذه المحاربة مدخلاً من مداخل تنفير المسلمات من أحكام الشرع وتوهين التسليم له في نفوسهن.

150. أهمية الحافز للفعل

من العناصر التي يغفل عنها كثيرون، ومن ثم يحرمون أنفسهم النجاح والاستقرار والسعادة، عنصر الحافز أو قل عنصر الدافع للفعل. هذه السمة الأصيلة في الإنسان تشمل مختلف العلاقات والنشاطات، كما أنها تشمل الأفراد والمجتمعات معاً. عندما لا تمنح زوجك الدافع للاهتمام بك والعمل على إسعادك، فإن حياتكما تتحول إلى سجن كئيب، وعندما لا تمنح نفسك الدافع للنجاح وتحقيق طموحاتك، فإنك بالضرورة تتكاسل ويكون الفشل نصيبك وتكون حياتك رتابة مملة، وعندما لا تمنح الشعب الدافع للوجود بعزة وكرامة، فإنه بالضرورة تتجذر فيه الأنانية المقيتة فلا يكون له هم إلا العيش ومصالحه الشخصية، وعندما لا تمنح تلميذك الدافع لتحقيق نقاط ممتازة، فإنه بالضرورة لا يبالي بمادتك ودروسك. وقس على هذا كل شيء. إذن امنح نفسك وكل من ارتبط بك الحافز، وليكن هذا باستمرار، فالإنسان بطبعه لا يتحرك إلا بحافز دافع نحو الفعل.

151. الحور العين

فائدة حول صفات زوجة الجنة: (أ) **الشباب**: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ/33]. (ب) **الجمال**: ﴿وَحُورٌ عِينٌ. كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة/22-23]. (ج) **البكارة**: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن/74]. (ح) **النظافة**: ﴿لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [النساء/57]. (د) **الرومانسية**: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة/37]، ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [يس/56]، (ذ) **الحياء**: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصافات/48]. فكما ترى، لا توجد في المواصفات صفة معنوية سوى الحياء، والرأي عندي في ذلك ــ والله أعلم ــ للتنبيه على فضيلة الحياء في المرأة، بحيث لو شئنا أن نقول المرأة هي الحياء والحياء وهو المرأة لصدقنا، بقدر ما يعظم الحياء فيها تعظم الأنوثة فيها، فالحياء جمال المرأة المعنوي كما أن العيون الواسعة جمالها المادي، ولذلك جمع بينهما.

152. بشاعة الغرب

عجبت لهؤلاء السفهاء، يقولون الغرب أرقى منا إنسانية، وأفضل منا أخلاقاً، وأكبر منا عقلاً! والحقيقة أنه لا تُعرف جرائم الاغتصاب، ولا بشائع الرذيلة، ولا دناءة النفوس، ولا تفكك الأسر، ولا حيرة العقول، ولا آفات القلوب، ولا شيوع الأمراض النفسية والعصبية، ولا التكالب على الشهوات، ولا الهوس بالماديات، ولا الغطرسة على الشعوب، ولا الإفساد في الأرض، لا يُعرف كل هذا في أمة خلت في التاريخ قديماً وحديثاً كما يُعرف في الغرب اليوم! وهذا بشهادة الغربيين أنفسهم قبل غيرهم، فكيف إذن يُدّعى لهم الإنسانية والأخلاق والفضيلة والعقل! حقاً لا يذهب هذا المذهب إلا أحد رجلين، رجل جاهل بحقيقة الغرب فعقله يقتات على صورة متخيلَة للغرب، وهو مبهجة ورائعة. ورجل منسلخ عن الإسلام منصهر في الغرب يراه نهاية الأمل، والنموذج المقدس!

153. عدم الإنجاب

عدم الإنجاب ليس عيباً، فهو قدر من الأقدار الإلهية، وهو ابتلاء لهذين الزوجين، مثل أي ابتلاء آخر كالمرض أو الفقر أو غير ذلك. والواجب على الزوجين العاقلين أن يتذكرا كل ذلك فيكون لهما الأجر العظيم عند الله سبحانه، بل لعل الصبر والرضى والاحتساب يكون سببا لنزول البركات عليهما أو رفع الكثير من الابتلاءات الأخرى عنهما. بل إن الزوجين الناضجين يستغلان عدم الإنجاب لتوطيد علاقتهما الزوجية في

جانبها النفسي وجانبها العاطفي وجانبها الجنسي، لأنهما (**1**) لا يخشيان الحمل في فترة ما وهذا يزيد مستوى المتعة بينهما، و (**2**) لأنهما يزدادان تلاحما وتماهيا وتعاونا وذلك بلا شك يقدم لهما العزاء النفسي. ولهذا كله ليس من الحكمة أن تجعل الزوجة الناضجة عدم إنجابها مبرراً لإهمال العناية بجمالها، ولإهمال الاهتمام الكبير بزوجها، ولإهمال الحرص الشديد على تنمية وتطوير علاقتها بزوجها.

154. التحفيز الإسلامي

يهتم المنهج الإسلامي بقضية الدافع والحافز اهتماماً ملفتاً للنظر، وذلك لأصالة هذا العنصر في التكوين النفسي والإدراكي في الإنسان، فالإنسان لكي يفعل بإرادته الحرة لابد له من حافز، وإذا فقد الحافز نحو سلوك معين فقد الرغبة فيه، فلا يبالي به. يتحدد الحافز في الإسلام في عنصرين: (**الأول**) قداسة الأصل، فقد بين الإسلام أن أصل الإنسان مقدس، فهو نفخة إلهية وليس كومة مادية تافهة. (**الثاني**) المصير الأبدي، فقد بين الإسلام أن الإنسان كائن أبدي لا يفنى بالموت، بل بعد الموت هناك السعادة المطلقة أو الشقاء المطلق. في إطار هذين العنصرين تأتي كل آيات الجنة والنار، وكل آيات قصة آدم عليه السلام، وكل آيات التسخير الكوني للإنسان.

155. عبادة الذكر

ذِكر الله سبحانه (سبحان الله، الحمد لله، الله أكبر، لا إله إلا الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)، وكذلك الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذه كلها غنيمة باردة وعبادة مباركة، والعجيب أن كثيرين يغفل عنها، علماً أن أجرها كبير جداً، وبركاتها عظيمة جداً، وعلماً أنها مفتوحة بلا شروط ولا ضوابط، فيمكن فعلها بوضوء وبغير وضوء، مستلقياً وجالساً وقائماً، ساكناً ومتحركاً، في البيت وفي الشارع وفي السوق. إن الذاكر الله كثيراً، ذنوبه مغفورة، ودرجاته مرفوعة.

156. عقم المسلك الإلحادي

عجز الملحد عن معرفة أدلة وجود الله تعالى لا ينفي وجوده سبحانه، وإنما المسلك الذي سلكه الملحد أقصى ما فيه أنه لم يوصله إلى العلم. ومعلوم في بدائه العقول أن عدم العلم ليس علماً بالعدم، فالجهل ليس حجة. وهذا يعني أن الملحد عملياً لم يقدم أي دليل على صحة دعواه، أي عدم وجود الله تعالى، وإنما اكتفى

بالنفي بسبب عجز مسلكه في الدليل عن تبليغه المراد! ولهذا سيظل الملحد مطالَباً بتقديم الأدلة القاطعة على صحة دعواه، لأن عبء الدليل على الملحد في النفي أعظم منه على المؤمن في الإثبات، أما الاكتفاء بالقول بأنه لا يوجد دليل أو الأدلة غير كافية، فهو مسلك الضعفاء أو الخبثاء! ولهذا وجدنا دعوات إلحادية توصي بعدم مناقشة وجود الله مع المسلم، بل الأفضل حصر النقاش في دائرة القدر، خصوصاً الشرور، وكذا جزئيات الأحكام الشرعية!

157. المشاكل الزوجية

المشاكل والخلافات بين الزوجين امتحان لهما في ثلاثة أمور: (**1**) **التدين**: هل يقدسان الميثاق الغليظ بينهما كما قدسه الله تعالى، أم ينقضانه لمجرد حدوث خلافات ونقاشات طارئة؟ (**2**) **النضج**: هل لديهما من النضج والوعي ما يكفي لإحسان إدارة نشوب المشاكل بينهما، أم يتصرفان كالمراهقين؟ (**3**) **الحب**: هل يضعان الحب بينهما فوق كل المشاكل والصدمات والخلافات، أم دونها ليذهب عبثاً؟ وإنك مهما نظرت في المشاكل التي تؤدي إلى الطلاق ولا تكون معتبرة في ميزان الشريعة وعند أولي الألباب، إلا وتجد النقص في تمثل تلك العناصر الثلاثة أو بعضها لدى الزوجين أو أحدهما.

158. خطأ القلوب والعقول

إن هذه القلوب قد تخطئ في مشاعرها، كما قد تخطئ العقول في أفكارها! فسواء المشاعر أو الأفكار كلاهما تتدخل مجموعة متشابكة من العوامل والمعطيات في إثارتها وتكوينها، كما في تأطيرها وتوجيهها، وكذلك في إدامتها واستمراريتها. وبسبب ذلك يكون الخطأ والوهم. حين يدرك المرء هذه الحقيقة، لا جرم أنه لا يفتأ يعيد النظر باستمرار في مشاعره كما في أفكاره، يطوّر منها الصالح الصادق، ويتفادى منها الخاطئ الزائف. وهذه العملية تعمل على ترقية العقل وإثراء الوعي، كما تعمل على تصفية الوجدان وتزكيته. هذا أحد أسرار حثّ الإسلام على خُلق المراقبة لله تعالى في السر والعلن، وعلى جعل الوحي مرجعية معيارية للأفكار والآراء، بحكم أنها مرجعية معصومة.

159. التسليم للوحي

المعادلة في التعامل مع القرآن والسنة، بسيطة جداً، وهي: إذا كنتَ تؤمن بأن الوحي حق، إذن يجب عليك التسليم لله ولرسوله، دونما ربط هذا التسليم بموافقة العقل أو العلم أو القانون الدولي الذي وضعه الغرب

للسيطرة على الأمم والشعوب، علماً أن من لوازم إيمانك بأن القرآن والسنة حق مطلق أن تؤمن باستحالة مناقضة القرآن والسنة للعقل الصريح أو العلم القطعي أو الحق. ولهذا، ففي اللحظة التي تربط التسليم للقرآن والسنة بموافقة (قطعيات عقلك) أو (مكاشفات قلبك) أو (معطيات العلم التجريبي) أو (مواثيق الغرب)، فهنا لابد أن تراجع إيمانك قبل أي شيء آخر، ذلك لأن معنى هذا الربط أنك لا تؤمن بأن الوحي حق مطلق، وأن عقلك أو قلبك أو العلم أو الغرب هو المرجعية المعيارية التي يجب أن يحاكم إليها الوحي، ولهذا نفى الله تعالى الإيمان عمن لا يُسلّم للوحي، فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء:65].

160. العدوى الفكرية

كثير من الشباب يضعون الصداقة فوق اعتبار عقيدتهم وإسلامهم. فلا يمانع أحدهم أن يكون صديقاً لـ (علمانيين، ملحدين، نسويات)، لوهم كبير اسمه (نحن مجرد أصدقاء)! لكن، الذي يحدث أن هؤلاء الشباب الذي ينظر بهذه النظرة السطحية، نسي أن هناك شيئاً اسمه (العدوى اللاشعورية للأفكار)، فالإنسان كائن دعوي بطبعه، بمعنى أنه لاشعورياً يقوم بالدعوة _ولو بدون أن يعي جيداً قيامه بذلك_ إلى قناعاته وأفكاره. ولأن كثيرين وكثيرات لا يدرون شيئاً عن الأسس الفلسفية للعلمانية، والإلحاد، والنسوية، مع الافتقاد للتكوين العقدي الأصيل، فإنهم ينخدعون بالشعارات البراقة، ومع الوقت تتسرب تلك الأفكار والرؤى والتصورات المنحرفة إليهم. ولهذا رأينا شباباً وبنات كان أول انحرافهم ثم سقوطهم في الإلحاد والانحراف والعلمانية والنسوية مصاحبة أصدقاء يتبنون هذه العقائد الجاهلية! فالحذر الحذر من المغامرة بالدين والعقيدة والآخرة.

161. غض البصر

من الخطأ الظن أن الأمر بغض البصر خاص بوجه المرأة، بل هو شامل لجسدها، وإلا فإن مناطق مختلفة في جسد المرأة كالصدر والخصر بل وحتى طريقة المشية قوتها التأثيرية في إثارة الشهوة الجنسية في الرجل ربما أضعاف قوة تأثير النظر إلى وجهها مجرداً. فإذا صح هذا، فمن يقول: لو كانت تغطية الوجه مرغوبة شرعاً لما قال الله تعالى ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّوا مِنۡ أَبۡصَارِهِمۡ وَيَحۡفَظُوا فُرُوجَهُمۡ﴾ (النور/30)، قد وضع الآية في غير موضعها، فغض البصر عن النظر إلى وجه المرأة (جزء) من واجب الغض، وليس (كل) الواجب، لأنه كما قلت الغض يشمل جسد المرأة كله لـ (قوة تأثيره وإثارته الجنسية)، ولذلك ربطت الآية بين النظر والشهوة الجنسية. والله أعلم.

162. ضرورة الكتابة

ما لا يدركه كثير من طلبة العلم، أن القراءة بدون كتابة كصب الماء في الرمل، فليت شعري أنّى ينفع ذلك! فلو قرأت ما عسى أن تقرأ لكنك لا تكتب، فإنما تتعب نفسك بلا فائدة ذات بال! ذلك لأن القراءة الواسعة والمتنوعة تعطيك معلومات وأفكاراً، أما الكتابة فهي تمنحك ترسخ الأفكار في عقلك وتضبط المعلومات في ذهنك، وترتب المعارف في نفسك، وتُشكل شخصيتك المستقلة في التفكير والتحليل. إن الكتابة آلية توليدية هائلة للأفكار والرؤى، وللمقدرة الحجاجية والبيانية. ومن فقه هذا المعنى، لا جرم أنه لن يخاف من الكتابة، على الأقل لأنه يعلم أن إرضاء كل العقول غاية لا تدرك بل ولا يجب أن تُطلب!

163. الإسراء والمعراج

كان حدث الإسراء والمعراج أحد أعظم أحداث السيرة النبوية، فلقد كان من المحطات التي شكّلت منعطفاً بارزاً في الدعوة المحمدية. ومن ثم، فهذا الحدث من الأحداث التي تستحق أن يقف عندها المسلم طويلاً، ليقتبس دلالاته وإيحاءاته، وهي كثيرة ومتنوعة. من هذه الدلالات؛ أنّ الدعوة إلى الله ﷻ تحتاج من الداعية أن يكون قوي الصلة بالله تعالى، فائق الطموح إلى الآخرة، شديد الزهد في الحياة الدنيا. رمزية هذه الدلالة أنّ الحادثة وقعت بين عهدين فاصلين: العهد المكي (عهد البناء الإيماني والتكوين العقلي)، والعهد المدني (عهد البناء الحضاري والتبليغ الرسالي). فكانت هذه الزيارة السماوية إشارة إلى ما سيعقبها من الأحداث العظيمة في مسار الرسالة ومآل الدعوة، وإلى ضرورة أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم كثير الذكر، وثيق الصلة بالله تعالى، من أجل المرحلة الجديدة التي ستكون مليئة بالضغوط والشدائد.

164. النقد والبديل

النبوات في معناها: نقد للعقلية الشركية والنفس الأهوائية والنزعة الطاغوتية، كما أنها طرح للبديل الحق، الشامل والمتكامل، على مستوى وعي العقل، وسمو النفس، واستقامة النظام، لأن منتهى مقاصد النبوات هو تعبيد الناس لخالقهم، وإخراجهم من دواعي أهوائهم إلى الوقوف بأوامر ربهم وأحكامه. ولهذا لا تجد النبوات تنتقد وتنقض بدون تقديم البديل الحق، ولا تهدم الباطل إلا ببناء الحق. وثنائية النقد والهدم والبديل والبناء في النبوات، هي حقيقة مرتبطة بطبيعة تكوين الإنسان، ومهمته المخلوق لها. فتاريخ الإنسان في جوهره تاريخ عقيدة، والعقيدة بطبيعتها تتحرك في إطار النقد والبديل، والهدم والبناء. ولهذا تجد أرباب المقالات الكبرى وزعماء المذاهب المركزية في تاريخ الإنسان والحضارات قديماً وحديثاً شديدي الحرص على

ممارسة هذه الثنائية، النقد والبديل، والهدم والبناء، عبر آليات مختلفة ووسائل متنوعة، إذ لا قيمة لنقدك ما لم تقدم بديلاً أفضل، ولا معنى لهدمك ما لم تُشيّد بناء أحسن.

165. الزواج الناجح

الحياة الزوجيّة الناجحة هي التّي لا ينفرد فيها طرف دون آخر في العمل على تحقيق السعادة والاستقرار. فالأنانيّة من أحد الطرفين؛ حتّى مع براءة النيّة وصفاء الطويّة، في الحرص على الانفراد بتحقيق الاستقرار والسعادة بالطريقة التي يريدها هو شريكه، تهدم كيان الميثاق الزواجي بين الزوجين، إن عاجلاً وإن آجلاً، بعد أن تكون قد زعزعة الثقة الصادقة في القلب! إن الرسالة التي يفهمها الطرف المبُعَد من عملية تحقيق الاستقرار الزوجي والأسري هي أنه غير مؤهل لذلك! ولا شك أنّ هذا شعور عنيف وعاصف! والزوجان الناضجان يدركان أن لا خيار لهما لتحقيق السعادة إلا التعاون معاً.

166. شهادة الغربيين للإسلام

من هوان بعض المسلمين اليوم وتجذر الذلة في نفوسهم، أنك تراهم يفرحون غاية الفرح إذا سمعوا أو قرؤوا شهادة دكتور، أو عالم، أو فيلسوف كافر للقرآن بأنه كتاب يستوجب الاحترام، أو الإسلام دين العقل والقيم النبيلة، أو الرسول صلى الله عليه وسلم نموذج باسق للبشرية، كأن هؤلاء المسلمين في شك من دينهم وعقيدتهم، ولا ثقة لهم بهما إلا بمقدار ما يثني عليهما عالم أو مفكر كافر! والأصل أن المسلم يجب أن يكون له فخر وعزة وتقدير وتعظيم لدينه وعقيدته ورسوله، حتى وإن اتفق العالم كله على الطعن في دينه والحط على عقيدته والتقليل من شأن نبيه صلى الله عليه وسلم.

167. الإيمان بالقدر

من الخطأ الظن أن الإيمان بالقدر والرضا به، يعني أنه إيمانه مبني على غير أسس عقلية متينة، كما يروج لذلك البعض ممن يريدون التلبس على المسلمين. وذلك لأن الإيمان بالقدر مبني أساساً على الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالله تعالى مؤسس على ضرورة العقل ولازم الوجود ومقتضى الفطرة، فإنك إذا أثبت أن العالم لابد له من مُوجد، وأن هذا الموجد لابد أن يكون له في ذاته وصفاته الكمال المطلق، إذا أثبت هذا، يلزمك عقلاً أن تُثبت أن مُقدّر الأقدار، بالضرورة له الحجة البالغة في ذلك، وأنه لا يُصرّف تلك الأقدار وأحوالها إلا على قانون الحكمة، لتحقيق غايات عظيمة المعنى جليلة الشأن، علمتَها أم جهلتها، إذ عدم

الإدراك لا ينفي الوجود، والجهل بالحكمة لا يرفع حقيقتها. ولهذا كان إنكار القدر جريمة مهولة وخطيئة فظيعة، لأنه يطعن في الكمال الإلهي، وليس ينكره إلا ملحد كافر، أو مخذول مغموس في الجهالة!

168. اختلاف الآراء

اختلاف الأنظار والفهوم طبيعة بشريّة، لا يمكن إلغاؤها من الاعتبار. لأنّ هذا الاختلاف وثيق الصلة بتباين مستويات النُّظار في العلم والاطلاع، وكذلك يكون مرتبطاً بعوامل ومؤثرات مختلفة، كالبيئة الاجتماعية وطبيعة الشخصية والاتجاهات المذهبيّة، فكل هذا يتدخل في تأطير الفهم وتشكيله وتوجيهه. لكن؛ حين تكون النفوس صافية والعقول راجحة والمقاصد نبيلة، وحين يكون النقاش والأخذ والرد من أهله المستكملين لوسائل العلم وآلاته، حينها لن تدوم النزاعات طويلاً، وإن دامت فلن تؤثر تأثيراً سلبيّاً كبيراً. أما حين تتدخل السياسة الفاجرة، وأما حين يُرحَّب بالثقافة الوافدة، وأما حين يُسمح للجهالة التائهة، وأما حين يؤذن للعصبية المذهبية، حين يكون كل هذا، فهنا لابد أن تستشري النزاعات والخصومات، ولابد أن تفشو الفرق والمذاهب، ولابد أن تتصارع الأهواء، والنتيجة الحتميّة هي تمزّق وحدة الأمة! ولهذا شدد الله تعالى على العودة إلى الوحي لمعرفة القول الحق.

169. امتلاك قلب الزوج

كثير من الزوجات لا يفرقن بين «امتلاك الزوج» و «امتلاك قلب الزوج»! النتيجة الحتميّة لذلك هي أنّ الزوجة قد تبذل جهوداً مضنية لإرضاء زوجها، من زينة وخدمات وتضحيات، لكنها بعد مدة قد تطول أو تقصر، تكتشف أن كل ذلك لم يُجْدِ نفعاً معه ولم يحقق الأهداف المنشودة! ومن ثم يتراجع كل شيء فيها ومنها تجاهه، العواطف والخدمات والتضحيات! إن الزوج لا يمكنه أن يتفاعل مع زوجته حين يشعر أنها تسعى لامتلاكه والسيطرة عليه. أما حين تسعى لامتلاك قلبه بحسن المعاملة والتضحية والتعاون والحرص على إسعاده وإمتاعه وراحته فهنا يخضع لها. والزوجة الذكية تدرك هذا المعنى؛ وبالتالي فهي تعمل عملها هناك في قلب زوجها ووجدانه بهدوء وخفاء.

170. الإنسان ليس مادياً

إن الرغبة القوية في الإنسان للسعادة، للجمال، للحرية وللكمال، وشعوره العميق فيها بالثراء والامتداد والترقي، وإن إحساسه الكئيب جرّاء الملل، الحزن، والحرمان، وشعوره العميق فيها بالتفكك والتمزق

والاغتراب.. إن هذه المشاعر لتؤكد _لأولي الألباب_ على أن الإنسان ليس ابن هذا العالم الزائل، المحدود، والمنتهي، بل هو ابن عالم آخر، له طبيعة خاصة، فيه فقط يمكن للإنسان أن يتحرر من مخاوفه وهواجسه، وأن يتحرر من أحزانه وآلامه، ومن ثم، يحقق أقصى درجات السعادة والحرية والكمال.

171. مُشكّل الوحيين

عندما يجد المسلم آيات أو أحاديث لا تستقيم مع عقله وفهمه، لا يبادر إلى الإنكار بخصوص الأحاديث أو ليّ أعناق الآيات لعجزه عن إنكارها، ليظهر بمظهر الذكي الذي لا تمشي عليه الأخطاء والتناقضات، أو ليظهر بمظهر المكتشف لما خفي عن علماء الأمة قاطبة، بل يتوقف، ويبحث ويسأل، وسينكشف له وجه الحق، لأن معه أصلاً محكماً وهو أن القرآن والسنة حق لا تناقض فيه ولا اختلاف. أما المحروم فهو مَن لا يتهم عقله إذا استُشكلت عليه آيات أو أحاديث، والشقي مَن يسارع لنشر ما التبس عليه وعجز عنه عقله بين عموم المسلمين، إذ عسى أن يتلقف ذلك منه الشيطان، فيزرع أوهام عقله في بعض النفوس الجاهلة فتكون عليهم فتنة لا يعرفون منها مخرجاً إلا إلى الضلال والإلحاد!

172. فطرة المسؤولية

قول الملحد: أنا لم أختر التكليف ولو عُرِض عليّ لرفضتُ. نقول: أنت لا تستطيع ذلك، لأن طبيعة كينونتك مُشكّلة تشكيلاً يتطلّب أن تكون مكلفة. فالإنسان مخلوق، وكل مخلوقٍ مخلوقٌ للغاية التي أرادها الخالق من خلقه. هذه الغاية لكي تتحقق لابد لها من إجراءات، وهذه الإجراءات هي عينها معنى التكليف. فالتكليف إذن مغروس في طبيعة الإنسان، لا يستطيع منه مفرّاً، ولما كان الأمر فطرة، كان كل إنسان يشعر بالتكليف والمسؤوليّة في تفاصيل حياته اليوميّة، لكي يؤمّن وجوده، ويحقق أهدافه، ويحافظ على مَن هم تحت رعايته. ولهذا كان النّاس كلّهم شرقاً وغرباً، قديماً وحديثاً إذا رأوا شخصاً مهملاً، لا يلتزم بالقيم والآداب والقوانين المسنونة، يطعنون في شخصه ويتنقصونه بالذم الشديد. فالتكليف كما أنه فطرة وطبع مغروس في الإنسان، فإن إنسانية الإنسان لا تتحقق ولا تترقى إلا به. بل إنّ أحد منطلقات اختيار الملحد للإلحاد، شعوره بالمسؤولية، فهو لم يخرج من الإيمان إلا لشعور بمسؤوليته نحو الحقيقة كما يتوهم!

173. كوني له، وكن لها

الذين يقولون للزوجة (كوني له كل النساء)، وللزوج (كن لها كل الرجال)، هؤلاء إنما يبيعون الوهم الخادع لهؤلاء وهؤلاء! الزوجة ستظل امرأة بعيوب النساء ونقائصهن، كما أنّ الزوج سيظل رجلاً بعيوب الرجال ونقائصهم، رغم اختلاف مستويات النضج في النساء وفي الرجال. ولهذا؛ فالعلاقة الزوجية إنّما تدوم بين الطرفين بتقبّل الآخر كما هو من حيث هو رجل ومن حيث هي امرأة، ثم التعاون على (تكثير) الإيجابيات و(تقليل) السلبيات. وهذا يتحقق بقدر ما يكون مع الزوجين من النضج والوعي، وفهم الدور الفطري لكل واحد منهما في الحياة الزوجية.

174. يعرفون الإسلام لكن يرفضونه.

كثير من المستشرقين لديهم من العلم بالإسلام ما ليس لكثير من "الباحثين المسلمين"، ومع ذلك لم يسلموا!! فماذا يعني هذا؟ إنه يعني أن الحق وإن كان ساطعاً، كما قدّر الله تعالى أن يكون ليقيم الحجة على الناس، إلا أن بعض النفوس قد تغمرها غمرات من الأهواء والرواسب تحول بينها وبين قبول الحق، والاعتراف به، والانتماء[1] إليه!! وهذا ما كان من كثير من أقوام الأنبياء عليهم السلام، فرغم أنهم عاينوا المعجزات الباهرات، واحتكوا بهؤلاء الأنبياء مباشرة، إلا أنهم آثروا الكفر والشرك على الإيمان والتوحيد. وكل هذا يدل على أن الأدلة لا تغني بذاتها شيئاً، بل لابد من توفيق الله للعبد، كما لابد من مجاهدة صادقة من العبد نفسه، ورغبة قوية منه في الحق.

175. البحث في أدلة وجود الله تعالى

البحث في موضوع أدلة وجود الله تعالى، شيء طيب مبارك، لكن.. من المفيد أن نعلم أن البحث في هذا الموضوع لا ينبغي أن يكون بحثاً لمجرد البحث، أو لأجل الانتصار في ساحة مقارعة الملاحدة، بل يجب أن يكون مرتبطاً بمقاصد أسنى من ذلك، وهي: معرفة الله تعالى معرفة متينة، وتعزيز اليقين العقلي القلبي بوجود الله تعالى، واستحضار الله تعالى في النشاطات اليومية. إن البحث في أدلة وجود الله تعالى ينبغي أن يكون له رصيد نفسي ووجداني لتنعكس آثاره على فضاءات السلوك والواقع. وهذا هو المنهج الذي سلكه القرآن الكريم، فأنت لا تراه يتحدث عن وجود الله تعالى حديثاً مجرداً كما هو شأن الكلام والفلسفة، بل تراه يتحدث عنه في سياقات مختلفة، في الأنفس والآفاق، والتاريخ والواقع، والتشريع والتنظيم، والتقرير والبيان، والدنيا والآخرة، إذ بهذا فقط يمتلئ المتلقي بعظمة الله تعالى وكمال أسمائه وصفاته.

176. الدجاجلة الجدد

نحن حين نحذر من هؤلاء الدجاجلة الجدد، سواء من هلك منهم إلى جهنم أم من لا يزال حياً ينفث سمومه بين الشباب، فليس لأننا نعتقد أن هلاك الشخص يعني نهاية أفكاره، أو حتى وقف زحف تيّار تلك الأفكار الكفرية، بل نحن فقط نقوم بدورنا وواجباتنا تجاه هذه العقيدة والإيمان الذي أكرمنا الله تعالى به، تماماً كما فعل الأنبياء عليهم السلام من قبل، لأننا ندرك أن الباطل لن يرتفع من الأرض إلا عند قيام الساعة، وأن الصراع بين الحق والباطل، وبين الإسلام والجاهلية سنة ثابتة في الحياة، كما أننا ندرك أن الباطل لا تزال شوكته تشتد وتقوى إلى أن يأذن الله تعالى بخروج المهدي ونزول عيسى عليه السلام، فيضربهم ضرب السوائم الهائمة، لا يجرؤون على لفظ كلمة باطل، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

177. حجاب الموضة

(حجاب الموضة)، (حجاب الإثارة).. إنه لباس في ظاهره الأناقة والطموح، لكنه في الحقيقة مشحون بالدلالات الفلسفية، الرمزية. فهناك **دلالة الشيئية** (أنا مجرد شيء مادي)، **ودلالة الجسدية** (أنا مجرد جسد مثير)، **ودلالة الانفتاح** (أنا بلا حدود صلبة)، **ودلالة الدنيوية** (أنا أعيش لهذه اللحظة)، هذه هي المضامين الكامنة في حجاب الموضة والإثارة، ولا يهم أن تكون صاحبته واعية بذلك أم لا، الذي يهم هو الرمز والدلالة والإيحاء، فالإنسان بطبعه كائن رسالي، بمعنى أن لباسه، مواقفه، تصرفاته لا يمكن أن تنفصل عن حمولة ثقيلة من الدلالات والرؤى. إذن محجبة الموضة والإثارة لا فرق بينها وبين المتبرجة شبه العارية بل ولا بينها وبين العارية على شواطئ البحار، سوى في طريقة الإثارة ولفت الانتباه، وإلا فكلهن تقول بلسان حالها "انظر إليّ، ألا أبدو لك فاتنة."

178. الفرح بشهادة الغربيين

إنما يفرح بمدح الكفار العلوج للقرآن أو الإسلام أحد ثلاثة رجال: رجل جهول لا يعرف من الإسلام إلا اسمه! أو رجل تافه يقينه بالإسلام مرتبط بمدح أصنامه المعنويين من العلوج الغربيين للقرآن! أو رجل له علم بالإسلام، لكنه غبي ساذج، يظن أن نشر مدح علج غربي للإسلام لأنه عالم أو فيلسوف أو مؤسسة سيسهم في الدعاية للإسلام! إنهم لا يدركون أنه لو كان في هؤلاء العلوج الكفرة خير، لبادروا للانضواء تحت راية الإسلام، إذ هو الحق الصراح والحقيقة الساطعة، لكنهم ركبوا متن الأهواء، وآثروا اتّباع الباطل من أجل الدنيا، فكيف إذن تفرح بمدحهم أو ذمهم؟!

179. العذاب الدنيوي

إن أصول النبوات تقتضي أن عذاب الله تعالى وانتقامه في الدنيا واقعان على الكافر والمسلم، فأما الكافر فما يصيبه من العذاب والانتقام، فلكفره وتمرده وغطرسته ومعاصيه، فيكون ذلك جزء ضئيلاً مما ينتظره من العذاب في عالم الآخرة. وأما المسلم، فما يصيب من العذاب والانتقام، فلمعاصيه وذنوبه، فيكون ما يصيبه طهرة له ومغفرة له، فالله سبحانه لكرامة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، سبق قدره أن يخفف العذاب عن أمته، حتى إذا كان يوم القيامة، كان ما أصاب بعضهم في الدنيا من العذاب والبلاء بدلاً عن عذاب الآخرة، وكان لبعضهم تخفيفاً في عذاب الآخرة.

180. رفض آيات التكفير

ود المنافقون الجدد لو يحذفون من القرآن آيات التكفير والتشريك والتفسيق، فهي تسبب لهم حساسية بالغة بخصوص الوسطية والاعتدال! بل ودوا لو أن الله تعالى لم يبعث نبياً ولا أنزل شريعة، وإنما يترك الناس يعيشون بعقولهم وإنسانيتهم، حتى لا يكون هناك (فتنة التكفير) و (تمزيق لوحدة المجتمع) و (استعداء العالم المتحضر ضدنا)!! وحتى لو أعلن أحدهم بلسانه الكفر والردة والإلحاد، لبادروا معتذرين عنه ومبررين له ومنوهين بشأن!! إنّ هؤلاء النابتة تجدهم ينقضون أحد أهم مقاصد النبوات، وهو التفريق بين المؤمن والكافر، والحكم على المرتد وناقض الإيمان بالكفر، وهذا المقصد (مقصد التمايز أو مقصد الفرقان) جوهري في النبوات، ترى معناه سارياً في ثنايا العقيدة والشريعة.

181. التعاسة الزوجية

كثير من الأزواج التعساء لا يعرفون سر تعاستهم الحقيقي. إنّهم لا يدركون أنّه لا سعادة زوجية بدون تلبية أربعة جوانب؛ هي في الأصل أهداف كل رجل وامرأة من الزواج: (**الجانب العاطفي**)، (**الجانب النفسي**)، (**الجانب الجنسي**)، (**الجانب الديني**). لأنّ هذه الجوانب هي أصلاً مكونات الإنسان. ثم إنّ هذه الجوانب الأربعة لا إشباع لها بدون توفر ثلاثة عوامل مهمة، وهي (**الجمال**)، و(**الانسجام**)، و(**الهدف المشترك**). إذ الفطرة تعشق الجمال، والانسجام محفز على التعاون، والهدف المشترك طاقة مُوَحِّدَة. ثم إنّ هذه العوامل الثلاثة لا وجود لها إلا بثلاثة أمور، وهي (**الاهتمام**)، و(**الحوار**)، و(**التفاعل**). إذ بلا اهتمام ينضب القلب، وبلا حوار تستشري الخلافات، وبلا تفاعل تغدو العلاقة الزوجية آلية جافة. فحريٌّ بالعاقل أن يفكر في الأمر كما ينبغي.

182. قواعد النجاح

سواء كنت تطلب النجاح الدنيوي أم كنت تطلب النجاح الأخروي؛ لابد لك من الالتزام بمجموعة من المبادئ، تكون لك كالمصباح المنير الذي يضيء لك حلكة الظلام. وإنما كان الأمر كذلك؛ لأن الالتزام يختصر لك الوقت والجهد لبلوغ أهدافك، كما أنه يمنحك الطاقة الكافية للصبر على مشاق الطريق نحو النجاح المنشود. أما حين تسير بلا التزام واضح وثابت؛ فمن المؤكد أنك لن تصل إلى طموحاتك ولن تحقق شيئاً من آمالك ورغباتك، بل ستكون النتائج الحتميّة هي الخيبة والفشل والفوضى! هذه سنة الله تعالى في الأفراد كما في الجماعات والأمم. فإنك لن تجد أمة عظيمة في الماضي القديم أو في الحاضر المعاصر؛ إلا وتجدها متشددة في الالتزام بمنظومة من المبادئ تعتبرها إطارها نحو بلوغ المجد والعظمة والازدهار. ولهذا الأهميّة البالغة أنزل الله تعالى الشرائع لتكون معالم نور وهدى في الطريق نحو السعادة في الدنيا والآخرة.

183. أحاديث الملاحم

إذا قلت بأن أحاديث الفتن والملاحم وآخر الزمان، تقتل الأمل وتغتال التفاؤل، وتغرس اليأس والإحباط، ومن ثم، تمنع السعي للتغيير والإصلاح.. إذا قلت هذا، كما يروج لذلك كثيرون، فيلزمك أيضاً القول بأن إخفاء أجل الإنسان، وكذلك إخفاء ساعة القيامة، أيضاً يقتلان الأمل والرجاء والتفاؤل ويزرعان في النفس التشاؤم والإحباط والتكاسل عن السعي للتغيير والإصلاح! فإذا رفضت هذا الإلزام ستكون متناقضاً! وأعظم من ذلك، أنك ستكون متهماً لله ورسوله بالقتل المعنوي للأمة وغرس اليأس والإحباط، لأن هذه الأحاديث فيها الكثير مما صح وتقبله العلماء قبولاً حسناً.

184. العلم سيكتشف كل شيء!

يلقي الملحد بثقله على المستقبل وأن العلم سيكتشف كل شيء! ورغم أن هذه الفكرة نفسها تتضمن الكثير من الإشكاليات الخانقة للإلحاد والملحدين، لكن حتى مع هذا القول ــمن باب التنزلــ ستظل هناك أسئلة عالقة يستحيل استحالة مطلقة الإجابة عليها من منطلق الرؤية الإلحادية، منها: (لماذا أصلاً الكون موجود، بشكله وأشيائه وأشخاصه؟)، و (ما معيار أو معايير صحة التفسير الذي سيطرحونه؟)، و (لماذا هذه الثوابت والقوانين الفيزيائية وليس غيرها؟)، هذه الأسئلة وغيرها لا يمكن تجاهلها أو تجاوزها، لأن طبيعة التكوين الإدراكي في الإنسان تدفعه دفعاً لطرحها، ولأن طبيعة الكون وقابليته للإدراك تدفع دفعاً لطرح هذه الأسئلة! والخطاب هنا موجه لمن يستحق أن يخاطَب!

185. إطالة الخطبة

إذا كانت الخطبة لمجرد الارتباط بقصد الزواج لاحقاً، وهذا هو معناها وغايتها، فإنّ إطالتها سخف في العقل وعجز في التدبير! إن مَن يربط نفسه بشخص مدة طويلة، إنما يعيش الأحلام والأمنيات، إذ من المحتمل جدّاً ألا يتم الأمر بينه وبينه! ولهذا ما زلت أدعو لعدم إطالة الخطبة بل تقصيرها ما أمكن، فالإطالة لها سلبيات متعددة، سواء كان الطرفان ملتزمين أم كانا منحرفين. فإن كانا ملتزمين، فحسبهما تلك الضغوط النفسية العنيفة والرغبات العارمة الهائجة، إذ لا يستطيعان تصريفها تصريفاً نظيفاً! وإن كان منحرفين، فقد يعبثان ما شاءا وقد يسقطان في وحل الفاحشة الكبرى، كما هو مشاهد ومعلوم! إنّ الذين يبررون إطالة الخطبة بذريعة الرغبة في التعرّف على الآخر بشكل أفضل، يغفلون عن أنّ الإنسان لا يمكن معرفته معرفة نهائيّة، إذ كثيراً ما تتناوبه عوامل تؤثر فيه قليلاً أو كثيراً!

186. الإنسان أفكار

حياة الإنسان بشتى تجلّياتها إنّما هي أفكار توجّهه ومشاعر تؤطره. هذه الأفكار وهذه المشاعر تنبثق عن طبيعة العقيدة التي يتبناها منهجاً لحياته وإطاراً لنشاطاته وعلاقاته المختلفة، كما أنّها تنبثق عن طبيعة الرؤية الكلية التي تقوده نحو أهدافه وغاياته النهائية. فمِن أجل ذلك كان الإنسان في حقيقته فكرة وعقيدة: بقدر ما تسمو في معانيها ومنطلقاتها وغاياتها، يسمو هو أيضاً في مجموع شخصيّته وحياته وعلاقاته وغاياته، وبقدر ما تسفل في معانيها ومنطلقاتها وغاياتها، يسفل هو أيضاً في مجموع شخصيّته وحياته وعلاقاته وغاياته. إن كل النجاحات التي يحققها الأفراد والمجتمعات ليست سوى نتيجة أفكار عظيمة ورؤى كبيرة اختلطت بنفوسهم وقلوبهم، كما أن كل الأزمات والمآسي التي ضربت الأفراد والشعوب قديماً وحديثاً ليست سوى نتائج حتميّة لأفكار بائسة ورؤى متهافتة سيطرت عليهم وحددت مسار وجهتهم!

187. كثافة الأسماء والصفات

إن ذلك الحشد الهائل للأسماء والصفات في السور في سياقات مختلفة، تشمل النفس والتاريخ والحياة والكون، وتشمل الغيب المجهول والمعلوم المشهود، إن ذلك لمن أبرز الأدلة على أن الله سبحانه يقصد قصداً لتعميق حقيقة أن الله سبحانه هو وحده المستحق للعبادة والتعظيم والتوكل، وهو وحده المستحق للتشريع والأحكام. ومن ثم، فالإسلام لا يريد أن يكون وجود الله تعالى في حس المسلم مجرد معلومات باردة تحتل حيّزاً من الذهن بلا رصيد في عالم النفس والشعور، وعالم الواقع السلوكي، وعالم التدبير السياسي، لأنه أساساً

جاء ليرسم للمسلم منهج حياة شامل ومتكامل في إطار المهمة العظيمة التي خُلق لها، مهمة العبودية لله وحده لا شريك له.

188. حقيقة النسوية

لا فرق بين أن تقولي (أنا نسوية مسلمة) وبين أن تقولي (أنا ملحدة مسلمة)! فالنسوية ظاهر والإلحاد باطن، وهما عمليّاً وجهان لحقيقة واحدة، كل ما في الأمر أن الاتجاه النسوي جبان لا يمتلك الشجاعة لإنكار وجود الله تعالى تصريحاً، بل يحرص على أن يغرس ــببطء وهدوء وخفاءــ في الفتاة والمرأة المسلمة أن الله سبحانه متحيّز ضدك لأنك امرأة! ولهذا كان كمالُ التَّنَسْوُن الإلحادَ الصريح الصارخ، في الفكر والسلوك! ولا ينبغي أن تنخدعي بالشعارات الفضفاضة من قبيل (نحن فقط نحارب الفكر الذكوري البشع)، بل جدير بك أن تنظري إلى الأسس والمنطلقات والمآلات! إن الباحث المتابع يدرك جيداً أن النسوية العلمانية اليوم مدخل من مداخل الإلحاد، وأن النسوية المحجبة مدخل من مداخل العلمنة واللبرلة، فتعيش الفتاة المحجبة في ظاهرها الالتزام وفي باطنها تموج تصورات كثيرة للنسوية العلمانية!

189. الطفل إنسان كامل

من أهم أسس بناء شخصية الطفل، بناء سليماً ومتوازناً، التعامل معه على أساس أنه إنسان كامل الإنسانيّة، تُحترم آراؤه، وتُقدّر مشاعره، وتُحترم مواقفه، وما لا يصلح منها ينبغي مناقشته. كما يجب أن يستشار في كل ما له به صلة مباشرة، حتّى الأشياء البسيطة. ذلك لأنّ التّعامل معه على هذا الأساس يرسخ فيه الإحساس بالمسؤولية منذ صغره، ويُفتّح فيه طاقات العقل والوجدان، بالإضافة إلى امتلائه بمشاعر المحبة والتقدير لأبويه، بحكم أنّ النفس بفطرتها تميل نحو كل من يحترمها ويعترف بها. ولك عبرة بقصة سيدنا إبراهيم مع ولده إسماعيل عليهما السلام في قضية الذبح: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصفات/137]. فالنبي إبراهيم ﷺ رغم أنّ القضية أمر رباني واجب التنفيذ، إلا أنّه مع ذلك طرح الموضوع على المعنى بالأمر، وترك له حرية الاختيار. وهذه قمة سامية.

190. حقيقة النجاح

هناك ثلاثة معالم مهمة في موضوع النجاح: **(أولاً)** من الخطأ اعتبار النجاح محطة، نقيس مدى تحققه بوصولنا إليها أو بعدنا عنها، فالنجاح رحلة مستمرة، إنها مثل النهر الدفّاق، لا ينتهي إلا إلى بحر واسع، **(ثانيّاً)** ننظر هل طموحاتنا وأهدافنا واقعية أم مثالية، فحين نضع أهدافاً فوق قدراتنا، سنفشل حتماً وسنشعر بالخيبة والحسرة والانهيار. **(ثالثاً)** يجب أن تكون لدينا مرونة واسعة، فالواقع لا نكيّفه كما نريد ولا يسير كما نشاء، بل هناك عوامل وظروف متشابكة كلها في كثير من الأحيان تدفع بالواقع في اتجاه غير موافق لخططنا. ولهذا فالمراجعة الدائمة لخططنا، والعمل على تهذيبها وتحويرها وتطويرها حسب شروط الواقع الذي نعيش فيه، شيء مهم وضروري.

191. الولاء والبراء

عقيدة الولاء والبراء جزء جوهري من عقيدة الإسلام، فالأنبياء عليهم السلام ما بُعثوا إلا لتحقيق التمايز بين التوحيد والشرك، وبين الإيمان والإلحاد، وبين الاستقامة والانحراف: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام/55]. والواقع أنّ هذه العقيدة تنبثق عن حقيقة أصيلة؛ وهي أنّ الإنسان إنما يتحرّك في فكره وسلوكه من منطلقات ورؤى شموليّة، تحددها المرجعيّة التي ينتمي إليها (إسلام/علمانية/إلحاد.. إلخ). ولذا؛ فإن عقيدة الولاء والبراء لا تختص بالدين فقط، بل هي مُكوّن أصيل في كل المنظومات المعرفية الكبرى ذات الرؤى الشمولية، حتى وإن حاول أصحابها إنكار ذلك! إنّ تاريخ الإنسان والفكر والفلسفة والأديان برهان ساطع على أصالة ورسوخ هذه العقيدة في فطرة الإنسان! ومن هنا؛ فالذين يطالبون اليوم بإلغاء عقيدة الولاء والبراء ويندّدون بها، فإنما غرضهم تمييع الإسلام في النفوس والعقول!

192. التغيير الاجتماعي

في موضوع التغيير، هناك فرق جوهري بين هذه الأمة وباقي الأمم. فهذه الأمة قضى الله تعالى ألا تقوم لها قائمة إلا بالإسلام، منطلقاً ومنهجاً وغاية، وحين تزيغ هاهنا أو هناك، تحت الشعارات المختلفة والمنطلقات المختلفة والغايات المختلفة، فإن الله سبحانه لا يحقق لها شيئاً مما تريد ولا يباركه، بل يكون نفس ما تثور لأجله وتسعى إليه فيه عذابها وسبب اضطرابها! أما الأمم الأخرى، فلما لم يكن لها نفس الوحي، لا عجب أن يكلها الله سبحانه لسنن الدنيا، في الهزيمة والانتصار، والتخلف والازدهار. ولهذا لو بقيت هذه الأمة تثور مائة عام من أجل الحريات والديمقراطية والاقتصاد، فلن يزيدها الله بذلك إلا تشرذماً وعذاباً واضطراباً وتخلفاً وشقاءً! هذا قدر هذه الأمة، إما الوحي الإلهي يكون منطلقها ومنهجها وغايتها، فهي

إذن العزة والكرامة والانتصار والازدهار، وإما الشعارات والقناعات الأخرى، فهو إذن العذاب والتفكك والخراب والاضطراب.

193. امتداد الحب

الحب عاطفة جميلة وشعور نبيل، يمتع النفس ويثري الوجدان ويبهج الحياة. ولكن؛ عندما يكون الحب محدوداً بحدود الأرض ومنتهيّاً بانتهاء الدنيا، لا جرم أن يكون مأساة عنيفة، تُرعب الحبيبين وتضغط عليهما بصمت كئيب! وذلك كلّما ألَمَّ بهما خاطر الموت والنهاية! إنّهما يريان حبّهما الجميل في أية لحظة يمكن أن يتلاشى ويفنى! هنا تتجلّى روعة الإسلام؛ فهو يعترف بعاطفة الحب، ويحترمها، بل ارتقى بها مرتقى آخر، وذلك هو حديثه بأنّ وشيجة الحب التي تربطك بذلك الإنسان الرائع ـ الذي استطاع أن يثير فيك أجمل عاطفة وأنبل إحساس ـ لن تنتهي بانتهاء الدنيا ولن تفنى بفناء الجسد، بل ستظل خالدة في عالم الجنّة الجميل: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [الرعد/23]. وهذا كشف يملأ كينونة المسلم بهجة وجمالاً.

194. تضييع العمر في المشاكل

الحياة أقصر من أن يضيّعها الإنسان في المشاكل والارتباط بها والعيش فيها! إنّ المشكلة تكون مشكلة عندما يسيء المرء التعامل معها، من خلال محاولة حلّها وإيجاد مخرج لها بنفس الأسلوب الذي أنتجها وأحدثها! وما من شك في أنّ هذا الأسلوب في معالجة مشاكل الحياة المختلفة، يقذف بالإنسان في دوامة مهولة، تُحوّل حياته إلى سجن كئيب ومأساة مروّعة! ويؤكد هذا المعنى أنه من الناحية النظرية، فإن كل مشكلة لها حل، لكن من الناحية العملية يكون الأمر مختلفاً، فقد لا يهتدي المرء لحل بعض المشاكل. ولهذا، فالواجب على العاقل ألا تُفزعه المشاكل، بل ينبغي أن يتعامل معها بمرونة وحيوية، وهو موصول بالله تعالى الذي يقول للشيء كن فيكون.

195. مرجعية الفكر الإسلامي

من المهم أن يكون واضحاً لدينا أن مفهوم (العقل والفكر الإسلامي) يعني اتخاذ المرجعيّة الإسلاميّة في مصادرها الأصليّة منطلَقه ومرجعيّته وإطاره. وبهذا فقط تتحقق له صفة الإسلاميّة، كما أنّه بهذا فقط سيكون أدنى للتعبير عن جوهر الإسلام وروحه ومبادئه ورؤيته الشمولية. أما عندما تُضاف مصادر أجنبيّة

من الشرق والغرب إلى هذه المرجعيّة وتشكيل العقل والفكر في إطار أسسها وأنساقها العامة، فمن التناقض الصارخ وعدم الموضوعيّة أن نعتبره عقلاً أو فكراً إسلاميّاً! وليت شعري كيف يستقيم ذلك؛ وهو مبتوت الصلة بالمرجعيّة الإسلاميّة، بل هي بالنسبة له مجرد رافد ومصدر كباقي الروافد والمصادر الأخرى! إن الترويج لذلك خيانة عظمى، لا للإسلام فقط، بل أيضاً للحقيقة والعقول! لكن هذا ما يحدث في عصرنا الحاضر ويتم الترويج له، حتى صار كل مَن فتح كتاباً شرعيّاً أو نطق بآية قرآنيّة يُعتبر (مفكراً إسلاميّاً)!

196. تفسيق المسلمة

من أعظم انتصارات العلمانية في العالم الإسلامي، أنها استطاعت نزع الحياء من الفتاة والمرأة المسلمة!! وليس المقصود فقط ما يخص اللباس، بل أيضاً على مستوى التفكير والرؤية والسلوك والتصرفات، رغم أنها قد تكون محجبة!! لقد أدرك العلمانيون (الجاهليون الجدد) أن نزع الحياء عن المسلمة يعني سقوط القيم والأخلاق والأسرة، ولذلك تراهم شديدي الحرص على إغراق المسلمة بكل ما يسهم في فك ارتباطها بالحياء! ومن المؤسف أن بعض الدعاة والشرعيين يسهمون في تحقيق هذا الانتصار، بتضخيم دور المرأة وضرورة خروجها إلى نشاطات الواقع بدعوى الإسهام في نهضة الأمة، فكان من نتائج ذلك؛ انتشار سرطان النسوية بين المحجبات والمنقبات وحاملات الشهادات الشرعية! وهذه نتيجة طبيعية، فلا يمكن أن تسلك مسلك غيرك وتكون النتائج مختلفة بينكما، فلما كان المدخل واحداً بين العلمانيين وهؤلاء الشرعيين في التعاطي مع المرأة، أي تضخيم دورها، لزم بالضرورة أن تكون النتائج واحدة!

197. معركة الإنجاب

أوروبا تشكو شيخوخة مجتمعاتها، والحل دعوات لاهثة لكثرة الإنجاب، ولكن حتى الساعة تبدو الاستجابة هزيلة للغاية! قرأت عنواناً كبيراً من الدانمارك يقول (مارس الجنس لأجل بلدك)! أما عندنا فينصحنا صندوق النقد الدولي، وتنصحنا الجمعيات العلمانية بترشيد الإنجاب والاقتصار على طفل أو طفلين! قالوا: لأن ظروف الحياة صعبة، وحقوق الطفل تُحتّم ذلك، والموارد الطبيعيّة مستقبلاً لا تُبشّر بالخير! الأمر لا يمكن أن يكون بريئاً، بل يحمل في طيّاته بالنسبة لنا خبثاً ومكراً وكيداً، فالخصوبة العالية في المجتمعات الإسلامية تُفزع الغرب وتضعه في موضع مقلق جدّاً! أما بالنسبة للغرب، فقضية الإنجاب قضية وجود أكثر من أي اعتبار آخر، إذ العنصر البشري أحد أركان النهضة ونمائها وبقائها.

198. تطبيق الأفكار

التطبيق العملي للأفكار هو ماء حياتها وعنصر بقائها فعّالة وإيجابية. وحينما يفصل الإنسان بين رؤاه وأفكاره وبين سلوكه ومواقفه في الواقع العملي، فلا شك أن هذا الفصل يكون شهادة صادقة ضد قناعته بمبادئه وثقته بأفكاره. ولهذا وجدنا القرآن في الكثير من الآيات يقرن بين الإيمان والعمل، لما ذكرت أولاً، وأيضاً لأن العمل مقتضى العلم والإيمان. ومن هنا يمكن القول بأن العبرة ليست بكثرة الأفكار الرائعة التي تزحم عقلك ووجدانك؛ فما أسهل تحصيل الأفكار وجمعها! بل العبرة تكمن في تفعيل هذه الأفكار والعيش في ظلال إيحاءاتها ومبادئها في مختلف نشاطات الحياة وعلاقاتها وغاياتها، فالعيش للأفكار شيء والعيش بالأفكار شيء آخر تماماً!

199. الخطاب الوعظي

الخطاب الوعظي الذي يمارسه كثيرون اليوم هو أحد عوامل إنشاء قابلية الإلحاد في نفوس بعض الشباب. في الواقع؛ فإنّ هؤلاء الوعاظ الجدد بسبب تركيزهم على جانب «تنمية النفس الطيبة» بدون تقديم «معززات إيمانية تأصيلية»، إنما ينتجون لنا «شخصيات فكرية هشة»، يكون لديها «استعداد قوي للانكسار والاختراق» من طرف الأفكار المنحرفة والشكوك والتلبيسات التي يدأب المفسدون في الأرض في نشرها والتمكين لها! ولهذا وجدنا شباباً من الجنسين هم عمليّاً ملتزمون في لباسهم وسلوكهم، وفي علاقتهم بالله تعالى والآخرين؛ لكن لديهم شكوك وشبهات تضغط عليهم بعنف لكن بصمت، خشية أن يُتّهموا في دينهم وعقيدتهم، وخشية أن يُستهزأ من عقولهم التي تطرح مثل تلك الشبهات!

200. أهوائيون لا عقلانيون

لا تقل (العقلانيون) بل قل (الأهوائيون)، فالعقل في الإسلام يستحيل أن يتناقض مع الوحي، ولهذا لم يرد في القرآن أو السنة قط ذم للعقل وانتقاص له وتوهين لشأنه، بل ما زال الله تعالى يذم الكفار ويعيبهم على عدم التزامهم للعقل واتباعهم لمعاييره الفطرية ومبادئه البديهية، حتى إنه حكى عن الكفار في جهنم بأن سبب كفرهم ودخولهم جهنم هو أنهم لم يستخدموا عقولهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك/10]. ومن هنا كشف الحقيقة الكبرى وهي أن من أعرض عن الوحي لا يكون متبعا للعقل بل للهوى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان/45]. فهؤلاء العلمانيون والليبراليون والحداثيون لا يتبعون العقل وليسوا عقلانيين، بل يتبعون الأهواء.

201. اهتمام الزوجة بزوجها

عزيزي الزوج، حرص زوجتك على العناية بك حتى على هندامك لا يعني أنها تحاول السيطرة عليك وتوجيهك وفرض ذوقها عليك، أو لأنك تنظر إليك على أنك طفل لا يمكن أن يقوم بشؤونه بمقدره، بل هي من منطلق محبتها لك وتقديرها لك وفخرها بك، تريد راحتك وسعادتك، وأن تشعر باختلاف حياتك حال العزوبة وحياتك حال الزواج، ولهذا، فهي تريد أن تراك حتى وأنت تريد الخروج إلى شغلك أو غيره، وسيماً، نظيفاً، بهندام جميل ومتناسق. ومن المؤكد أن ذوق المرأة في كل شيء أفضل عموماً من ذوق الرجل. فإذا رزقك الله زوجة تهتم حتى بملابسك، فأنت ذو حظ عظيم وفي نعمة فخيمة، فكثيرون محرمون من تلك العناية وذلك الاهتمام، إما لغباء الزوجة أو لإهمالها أو لجنون عقلها!

202. ضرورة التعاون

إنّ الواقع المعاصر يؤكد لنا أن كثيرين من هؤلاء الخاصة من المشايخ والدعاة والمفكرين والأكاديميين لا يبالون كثيراً بمبدأ التعاون كما أمر الله تعالى به: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة/2]، إلا ما تعلق بالمعرفة الشخصية أو الوساطة أو العلاقة العملية. وقد نتجت عن ذلك آثار وخيمة للغاية، على الفرد والمجتمع والأمة! والحق أنّ مبدأ التعاون من متطلّبات الإيمان، فلا يمكن أن تكون عقيدة الإيمان واضحة في العقل، عميقة في الوجدان، ثم لا يلتزم المؤمن بمبدأ التعاون مع أخيه المؤمن والجماعة المؤمنة، واضعاً نصب عينيه أن خدمة الإسلام والمسلمين قبل أي اعتبار آخر، وفوق أي شعار آخر.

203. الرسول القدوة

الإسلام لا يكتفي بتقديم منظومة تشريعيّة في العقيدة والقيم والأحكام والآداب، ثم يطالب المسلم بالتزام كل تلك المنظومة في حياته الخاصة والعامة، سواء وهو فرد أم وهو مجتمع، بل إنّ الإسلام يضيف إلى ذلك الطرح والعرض تقديم النموذج والقدوة النموذجيّة التي تحققت فيها دلالات تلك المنظومة بشعبها المختلفة، ومارستها في واقع الحياة ونشاطاتها المتباينة، أي الرسول صلى الله عليه وسلم. أما في النصرانيّة المحرفة مثلاً، فلا نجد فيها تلك (المنظومة النظرية) كاملة ولا هذا (النموذج التطبيقي) كاملاً. ف"يسوع" في الطرح النصراني المحرّف لا يمكن اتخاذه نموذجاً عمليّاً يمكن أن يقتدي به الإنسان والتابع في مختلف نشاطاته وعلاقاته، فهو لم يكن زوجاً ولا أباً، كما أنّه لم يكن سياسياً ولا عسكرياً ليقتدي به أصناف الناس وهم طبقات شتّى. فلا جرم أن كان الطرح النصراني من الناحية العملية والاجتماعية لا يمكن القبول به.

204. بؤس المرأة الغربية

بعد عقود طويلة من العلمنة والحداثة والمادية، وشعارات حقوق المرأة والديموقراطية والمساواة بين الرجل والمرأة، اكتشفت المرأة الغربية أن كل ذلك مجرد هراء وخرافة وشعارات باردة، وأنها صارت مثل العلك في أفواه الرأسمالية المتوحشة والمادية الطاغية، بمجرد امتصاص حلاوتها يتم رميها في سلة المهملات! واكتشفت أنها تتعرض للضرب والإهانة، بل والقتل على يدي الطليق أو العشيق أو الرفيق، كما تتعرض للتحرش الجنسي الصارخ من طرف زميل العمل أو مدير العمل أو حتى صديق العائلة، وأن القضاء الغربي الذي نصّب نفسه معياراً للحق والفضيلة والحقوق، لا يبالي بما تتعرض له وما تقاسيه بصمت كئيب ومعاناة أليمة! لقد يمكننا أن نقول بأن الحضارة المعاصرة لم تسئ إلى أحد إساءتها للمرأة!

205. مشاهد من المستقبل المنتظر

قال نبينا صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث عن أحداث ما قبل النهاية: ﴿ثُمَّ فِتْنَةٌ لا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بيْنَكُمْ وبيْنَ بَنِي الأصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا﴾ (صحيح البخاري) هنا لدينا: **1**. فتنة عامة لا تترك بيتاً إلا دخلته، وعسى أن تكون هذه الفتنة هي المذياع، ثم التلفاز، ثم الإنترنت، فهذه الوسائل منذ ظهرت في بلاد المسلمين وهي تنحو منحى الإفساد والشر والفتنة، وقد بدأ الأمر ضعيفاً شيئاً ما مع المذياع، ثم بلغ الذروة مع الإنترنت، والهواتف المتصلة به، فلا يكاد يوجد اليوم بيت إلا دخله الإنترنت جالباً معه كمّاً هائلاً من فتن الشبهات وفتن الشهوات. (لا نتحدث هنا عن فوائد الإنترنت، فالنظر يعتبر الحال الغالب). **2**. ثم أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن المسلمين ستكون بينهم وبين الغرب هدنة سلام، وهذا منطقيا يقتضي أن المسلمين ستكون له قوة عسكرية قاهرة، وسيخوضون حربا أو حروبا شديدة مع المعسكر الغربي، لكن لا أحد من الطرفين سينتصر، ولهذا سيقرران معاً عقد هدنة سلام بينهم. وربما هذه الهدنة سيكون دافعها التحالف ضد عدو مشترك، كما في الحديث الآخر: [تُصالِحون الرُّومَ صُلحًا آمِنًا حتَّى تَغزُون أنتم وهُم عدُوًّا مِن وَرائِهم، فتَنصُرون وتَغنَمون وتَنصَرِفون] (المستدرك على الصحيحين). **3**. لكن، لأن الغرب تجري الخيانة والغدر في دمائه، فهو يلهث فقط وراء مصالحه ولا يبالي بمبادئ ولا قيم ولا شعارات عندما تتعارض مع هذه المصالح، كما أن هذه المصالح تحركها تجاه المسلمين "أطماع اقتصادية واستراتيجية" و "أحقاد صليبية دينية مترسبة"، لأن الغرب كذلك، فإنه لن يفي بعقد الهدنة مع المعسكر الإسلامي، بل سيغدر، وهنا سيجمع جيوشه الجرّارة، التي ستأتي المسلمين في 80 راية، كل راية تحتها 12 ألف جندي، والمجموع إذن هو 960 ألف جندي، وعلى إثر هذا الحشد والمواجهة ستكون الملحمة الكبرى، أعظم ملاحم التاريخ البشري، لأنها ستكون ملحمة إيمان

وكفر، إسلام وجاهلية، ومن ثم ستكون الملحمة الأخيرة والنهائية بينهما، فينصر الله تعالى معسكر المسلمين على جيوش الظلام والكفر والجاهلية نصراً مؤزرا لا تقوم لهم بعده قائمة أبداً. ماذا يعني هذا؟ إنه يعني _ضمن ما يعني_ أن المسلمين لا تزال تنتظرهم في المستقبل أحداث رهيبة جدا، ووقائع شديدة جدا، سيكون كل ما مضى في العقود الماضية [حرب العراق، أفغانستان، سوريا، فلسطين] بما سيجري أشبه بالنزهة. وها نحن أولاء نشهد تسارع وتيرة الأحداث خلال العشرين عاما الحالية أكثر من أي وقت مضى، وها نحن أولاء نشهد بلوغ العالم إلى حالة احتقان تؤذن بحدوث انفجارات مرعبة ستأتي على الأخضر واليابس، وربما لأن تصارع القوى العالمية الكبرى [أمريكا، أوروبا، الصين، روسيا.. إلخ] هو الذي ستنتج عنه حرب مدمرة فتفنى كل مظاهر التقنية والتكنولوجيا، لتعود البشرية إلى سابق عهدها، فتكون الحروب الآتية بعد ذلك، حروبا كحروب الأسلاف والأجداد [الخيول والسيوف والحراب والنبال] كما أخبرنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

206. الكتابة بالعامية

من العجائب؛ أن تجد دعاة وطلبة علم شرعي، فضلاً عن مفكرين ومثقفين من اتجاهات مختلفة، يكتبون منشوراتهم في مواقع التواصل باللهجة العامية لبلدانهم، بدعوى إنشاء قنوات اتصال بينهم وبين المتابعين! لكنهم ما علموا _أو علموا وتجاهلوا_ أنهم بذلك الصنيع الآثم يسهمون في توهين اللغة العربية! وهم بذلك يسهمون في فصل العقل عن التفكير باللغة العربية! وهم بذلك يسهمون في تحييد الشعور عن الإحساس باللغة العربية! وهم بذلك يسهمون في إنشاء حواجز بين المسلم والوحي الإلهي الذي نزل باللغة العربية! إنها _كما ترى_ جنايات عظيمة، بعضها فوق بعض؛ لا يجد هؤلاء القوم لها ستراً سوى اتهام الناقد لهم بالتنطع والمزايدة! لكن؛ يتملّكك العجب حين تثار قضية العربية في المقررات الدراسية في هذا البلد أو ذاك، فتجدهم يصرخون (إنها مؤامرة على العربية والقرآن)!

207. تدبير القدر

كثيراً ما تخالف الأقدارُ الإلهيّة أهواءَ الإنسان الجامحة ورغباته المنفلتة، فيغضب ويثور ويسخط، كأن القدر حرمه شيئاً هو من حقوقه الأصلية! لكن؛ لا يلبث هذا الإنسان أن تمر مدة من الزمان، تطول أو تقصر، فيدرك أنّ تلك الأقدار حق وعدل كما أنّها رحمة وفضل كريم، وأنّ الأمر موضوع على منهج الحكمة بما لا تستطيع عقول المخاليق أن تستوعب جزء كبيراً منها فضلاً عن أن تحيط بها. وبهذا يفهم هذا الإنسان

أن الحياة والواقع والتاريخ لا يتوقف على وجوده أو على سعادته. وأقول لك هنا كلمة نافعة، وهي أنه لو كُشف الغطاء عن سر القدر ما اختار الإنسان إلا ما كُتب وقُدّر! فالأقدار الإلهيّة تمتزج فيها اعتبارات مختلفة ومعقدة جدّاً، لا تقتصر على عالم الدنيا فقط، بل تمتد لتشمل عالم الآخرة والمصير الأبدي أيضاً.

208. المعاصي والكوارث الطبيعية

من الطبيعي جدا أن ينزعج أهل الفجور والفسوق والمعاصي، وأهل اللهاث المسعور وراء الدنيا والشهوات – من الطبيعي أن ينزعجوا من تذكيرهم بأن الذنوب من أسباب البلاء وحدوث العذاب، ينزعجون من هذا، لأنه يذكّرهم بقذارتهم وانحرافهم وفسادهم، ولأنه يحمّلهم المسؤولية عما يجري، لكنهم يتخفون وراء اعتراضات جاهلة، كقولهم لماذا الغرب والشرق كف ار ولا يحدث عندهم هذا، وكقولهم هذه أسباب طبيعية ولا علاقة لها بالذنوب، وكقولهم أنتم بهذا تدعون الطهارة وترمون غيركم بالانحراف والفساد، وغير هذا من الجهل الذي يعترضون به. لقد بيّن القرآن كيف أن الله تعالى أهلك أقواما بـ"حوادث طبيعية"، كالريح والفيضان وغير ذلك، كما حذّر القرآن والسنة في كثير من النصوص من آثار الذنوب والمعاصي، وأن العباد والأمم يؤاخذون بها قبل يوم القيامة، فالله تعالى قد أجرى سننه في ربط الأسباب الطبيعية بعضها ببعض، وهو نفسه أجرى سننه في ربط حوادث طبيعية مدمرة بأسباب شرعية تتمثل في الذنوب والكفر والشرك. تخيل معي: شعوب لا تتحاكم إلى شرع الله بل تتحاكم إلى قوانين وضعية، وتخرج نساؤهم شبه عاريات مائلات مميلات، ورجالهم مُسخت نفوسهم فلا غيرة ولا رجولة، وينتشر بينهم الزنا والربا والخمور ونهب الأموال والتظالم والبغي والطغيان، والقوي يأكل الضعيف، ويعظمون أقدار المشركين ويستهينون بالدين وأهله – ثم مع هذا يقولون لك: لا تُدخل الدين فيما يحدث، الدين بريء من تشددكم، لا علاقة بما حدث بما تقولونه فالناس كلهم يخطئون والله غفور رحيم، وأنتم بهذا القول تعفون المسؤولين من المحاسبة، إلى غير هذا من الجهل الذي يتفوهون به. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿سيكون في آخر الزمان خسف وقذف ومسخ إذا ظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر﴾ (حديث صحيح)

209. مشتركات بين الرجل والمرأة

في الإسلام، يشترك الرجل والمرأة في **(وحدة الأصل)** كلاهما روح، والروح نفخة إلهية مقدسة. **(وحدة الطبيعة)** كلاهما نفس لها ذات النزعات والغرائز والدوافع. **(وحدة المهمة)** كلاهما مخلوق لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له. **(وحدة الحكم)** كلاهما مأمور بطاعة الله تعالى ومنهي عن معصيته. **(وحدة القضاء)**

كلاهما خاضع لقانون الابتلاء وسنن الله في الحياة. (**وحدة المصير**) كلاهما خُلق للآخرة، الصالح للجنة والطالح للنار. فحري بالشباب المسلم أن يكون واعياً بهذه الحقيقة، فهي مهمة جداً للاعتصام من زيوف المفسدين والمفسدات في الأرض الذين يبذلون اليوم جهوداً ضخمة لإنشاء حالة توتر بين الرجل والمرأة، ومن جهة أخرى لغرس فكرة ظلم الشرع للمرأة والتحيز ضدها.

210. القراءة والرؤية العامة

دافعية القراءة ونشاطها، كما مقصدها وغايتها، تتشكّل في القارئ ضمن رؤية معرفيّة شمولية، ولا يمكن الفصل بينهما! يقول الحق ﷻ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق/1]، لعل في هذه الآية إشارة إلى هذا المعنى، أعني ارتباط دافعية القراءة برؤية وجوديّة كبرى. إذ لما كانت دوافع القراءة مختلفة الأغراض والمقاصد، جاء الأمر للمسلم في الآية بحصر الدافعية والغاية في الله ﷻ تعرّفاً عليه وتقرباً إليه. ولهذا فالقراءة بالنسبة للمؤمن ليست ترفاً ومجرد هواية يملأ بها وقته وفراغه، كما أنّها ليست وسيلة للحصول على المناصب الدنيوية والمكانة الاجتماعية، بل هي واجب شرعي يمارسه استجابة لله تعالى.

211. الكمال الإنساني

الحق تبارك وتعالى أقام هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مثالاً للإنسان الكامل، في عقله وقلبه وسلوكه، كما في علاقاته ونشاطاته ومواقفه، إذ علم سبحانه أنّ في أعماق كل إنسان نزوعاً شديداً نحو الكمال ورغبة قوية في الترقي في معارجه، فمن أجل ذلك أمر بالاقتداء به والسير في دربه النوراني: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب/21]. ولهذا لم يصل مَن وصل إلى الله تعالى إلا باتباع السنة والاقتداء بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم. ومن هنا، فاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم أي اتباع السنة، ليس أمراً هامشيّاً يمكن للمسلم الالتزام به أو التخلي عنه، بل هو من أبرز مقتضيات الإيمان ودلائل الانتماء للإسلام، وبهذا يكون تجاوز السنة النبوية أمارة قوية على وجود خلل في الإيمان.

212. تنقية التراث

نعم، في تراثنا أخطاء، لكن، فيه أيضاً تصحيحات لتلك الأخطاء. فمن يريد تجديد الإسلام وتنقية التراث، عليه أولاً أن يحيط علماً بمصدري الإسلام (القرآن والسنة)، وعليه ثانياً أن يحيط علماً بمقالات

الصحابة والتابعين، وعليه ثالثاً أن يحيط علماً بمقالات العلماء الذين شيّدوا صرح التراث. ألا ترى كيف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إن الله يبعث لهذه الأمة كل مائة عام من يجدد لها أمر دينها﴾، فهي إشارة ساطعة إلى أن تجديد الدين يكون من داخل الدين نفسه، وبآليات الدين نفسه، وبضوابط الدين نفسه. أما من يرفع هذه الشعارات وهو جاهل بكل ما ذكرنا، وحصيلته العلمية بذلك هزيلة جدّاً ومهترئة للغاية، فهو عابث يبحث عن الشهرة أو خبيث ماكر يريد تحقيق أجندات معينة!

213. آفات عمل المرأة

نحن لا نقول بأن كل امرأة تعمل هي بالضرورة فاسدة ومنحرفة. فهناك كثيرات لولا الحاجة المعتبرة (مطلقة ولها أطفال، لا يوجد من ينفق على والديها العجوزين، لا يوجد من ينفق عليها) لما خرجن من بيوتهن، ولقدمن الاستقالة من وظائفهن. لكن، حين ندعو الفتاة/المرأة الصالحة لعدم العمل، فذلك أولاً لأننا لا نريدها أن تعيش في وهم علماني/نسوي يقول لها (قيمتك في شغلك وحصولك على المرتب)، بل نريدها أن تفهم أن قيمتها مرتبطة بمدى طاعتها لربها واستقامتها على حكم شريعته. وثانياً، لأننا نريدها أن تعلم أن الطبع بالضرورة يتأثر بالمحيط قليلاً أو كثيراً، ولا يكاد ينجو منه مخلوق، ويكفي أن تتصور امرأة تعمل ثماني ساعات في اليوم لمدة خمسة أيام في الأسبوع، في وسط مختلط، هل تظن أن نفسيتها لن تتأثر بهذا الاحتكاك اليومي؟ هذا مستحيل في طبيعة الإنسان! والقاعدة هنا هي أن المرأة كلما أكثرت الخروج والاحتكاك بالرجال فقدت شيئاً من أنوثتها، وهذا يؤثر ولابد على نظرتها للأمور وعلى زواجها إن كانت متزوجة!

214. حال موت الإنسان

الحال الظاهرة التي يموت عليها الإنسان لا تدل بالضرورة على مكانته عند الله تعالى ومصيره بعد الموت، كما يعتقد كثير من الناس! لقد وجدنا علماء وصالحين وزهاداً وعُباداً، ماتوا في فقر ضاغط أو مرض مزمن أو غربة حزينة أو سجن ظالم أو حتى افتراس سبع! كما وجدنا كفاراً وملاحدة ومشركين ماتوا على أسرتهم وبين أهاليهم وفي قمة قوتهم وشهرتهم ومجدهم! ومع ذلك؛ فلا موت هؤلاء (المريح ظاهريّاً) يدل على رضى الله عنهم، ولا موت أولئك (المرهق ظاهريّاً) يدل على سخط الله عليهم! فمن العجيب أنّ هناك من يتخذون حالة الموت مقياساً لقيمة الميّت ومنزلته عند الله تعالى!

215. ثمرات العبودية لله تعالى

العبوديّة لله تعالى لها أربع ثمرات: **(ثمرة فكريّة)** تضبط موازين الفكر. و**(ثمرة أخلاقيّة)** تهذب القيم الأخلاقيّة. و**(ثمرة اجتماعيّة)** تُشيع مباهج الفضيلة. و**(ثمرة مصيريّة)** تهديك إلى الجنّة. والعبد يتحقق له من الكمال الإيماني والإنساني بقدر ما يتحقق هو بمعاني العبوديّة لله سبحانه في نشاطات الفكر والسلوك والحياة، ولهذا وصف الله سبحانه نبيّه الكريم في أعلى المقامات بالعبودية: **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾** [الإسراء/1]. وينتج عن هذا؛ أن العبد كلما تحقق بمعاني العبودية لله، تحرّر من الأهواء والنزعات المختلفة، فيصير عبداً لله اختياراً كما هو عبد له اضطراراً. والله تعالى إنما خلق الإنسان ليكون عبداً له خالصاً بلا شريك: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾** [الذاريات/56]. ولهذا وضعت الشريعة منظومة من الأحكام والعبادات القلبية والقولية والعملية، لتحقيق هذه المعاني العظيمة.

216. مشكلة النسوية

بالنسبة للمرأة النسوية، فالمشكلة هي أنها خُلقت امرأة، وهي أنّها لا تستطيع الاستغناء عن الرجل جنسياً! تحاول النسوية تجاوز هاتين المشكلتين عبر العمل على مزاحمة الرجل خارج البيت، وتقليده حتى في نمط حياته، والتعامل معه بندية وبنظرة احتقار لتشعر بتقلص الفوارق وتقارب الهوة بينها وبينه، وأيضاً محاولة طمس ما يثير الرجل فيها جنسياً (قبل مدة خرجت حملة تطالب النساء بترك شعر الإبطين والعانة دون إزالة، لإجبار الرجل على تقبل المرأة كذلك، بالإضافة لدعوات كسر فكرة غشاء البكارة لأن جسد المرأة ملك لها تفعل به ما تشاء). وكذلك عبر التظاهر بالاستغناء عن الرجل، عاطفياً وجنسياً، واعتبار علاقتها به مجرد عادة اجتماعية، أو كما قالت نسوية وهي أستاذة في الشريعة والدراسات الإسلامية (وجود الرجل في حياة المرأة هو مجرد "برستيج عرفي" وليس له أي فائدة).

217. طبيعة نعيم الجنة

من التصورات الشائعة، أنّ نعيم الجنة التي وعد الله تعالى عباده الصالحين محصور في اللذات الماديّة من الأكل والشرب والزواج، وكذا لقاء الإخوان والأحبّة وتبادل الزيارات معهم! وهذا حق، فقد جاء الخبر الإلهي بذلك، في القرآن الكريم والسنة الصحيحة. ولكن؛ من الحق أيضاً الذي يجب على كل المسلم معرفته أنّ مفهوم نعيم الجنة واسع يشمل اللذات الماديّة المختلفة كما ذكرنا، وهذا القسم المذكور مجرد جزء بسيط، بل في الجنة من النعيم المادي لا يمكن للخيال البشري تصوره، كما قال سبحانه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة/17]. وبالإضافة هذا القسم المادي من النعيم، فهناك قسم آخر

من اللذات والثواب الجميل، وذلك هو لقاء الله تعالى وسماع كلامه والنظر إلى وجهه الكريم والفوز برضوانه: ﴿فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحَبَّ إليهم مِن النَّظرِ إليه﴾ [صحيح ابن حبان].

218. منهج في الكتابة

خلال مسيرة الكتابة؛ تعلمت شيئاً مهماً، ألا وهو ضرورة طول النَّفَس في كتابة الموضوع الذي أكون بصدد البحث فيه. هذه الضرورة ليس لكي أجمع حشداً كبيراً ومتنوعاً من النقول والاقتباسات، رغم أهمية ذلك في حدود معينة لا ينبغي أن تغطي على شخصية الكاتب، ولا أن تجعل القارئ يشعر بالملل والضجر، بل تتجلّى في الطموح لعرض الفكرة المنشودة، بشكل مُركز، واضح وأفضل. وإنّ أحد مظاهر الإبداع في التأليف هو إتقان عرض الفكرة وإحسان أسلوب بيانها. نعم؛ إنه بلا شك منهج يستنزف الوقت والجهد، لكنه مفيد جداً، مع ضرورة الحذر من الوقوع في قبضة وهم الكمال بذريعة الإبداع في الطرح! وأنا على يقين أن المؤلفين الذين نجد لهم عشرات الكتب، لو قمنا بغربلتها لسقط كثير منها، لأنها مجرد تكرار لنفس مضامين الأفكار بصياغات مختلفة، مع الإسهاب أو الاختصار، بالإضافة إلى كثير من الحشو والاستطراد الذي لا يمكن أن يفلت منه كل من يكرر عرض أفكاره.

219. تراث السابقين

من الأخطاء البارزة في فهم تراث العلماء والمفكرين؛ الحكم عليها كأنها وليدة لحظة أو جلسة ساعة أو نتاج يوم! ولا شك أنّ هذا المنهج مظنة لسوء الفهم، وتسرّع لا يليق، وتهوّر غير مقبول! فالعالِم أو المفكر إنسان، والإنسان تعتوره ظروف وتنتابه أمور وتضغط عليه ظروف، كما تنكشف له حقائق شيئاً بعد شيء، حسب استعداده النفسي والعقلي، وهذه كلها تعمل على نقله من طور إلى طور، ومن حال إلى حال، صعوداً وهبوطاً، وضوحاً وغموضاً! ولذلك جاء التحذير من زلة الحكيم.

220. الرضا بالقدر

(كيف يرضى المؤمن في كل الأحوال بقضاء الله وقدره، علماً أن بعض المشاعر القلبية لا يمكن السيطرة عليها). قلت: الرضا بالقدر من أعظم المقامات وأجلّ المنازل، فالرضا بالقدر يتضمن الآتي: (**1**) الاعتراف بكمال الله تعالى وعظمته. (**2**) الاعتراف بعدل الله تعالى وحكمته. (**3**) الاعتراف بطلاقة إرادة الله تعالى وقدرته. (**4**) الاعتراف بعجز العبد وجهله وقصوره. (**5**) الاعتراف بالإيقان بوعد الله تعالى في الآخرة. والعبد

كلما استوعب هذه المعاني الخمسة، كان حظه من الرضا بالله وعن الله أعظم، فكان مقامه أعلى وقدره أسنى. نأتي الآن إلى مسألة المشاعر القلبية وعدم إمكان السيطرة عليها: وهنا يجب العلم بأن هذه المشاعر إن كانت في إطارها الطبيعي كالشعور بالألم والوجع حين المرض، وكبكاء النبي صلى الله عليه وسلم عند وفاة ابنه إبراهيم عليه السلام، فهذا لا حرج فيه إن شاء الله. لكن، حين تحمل هذه المشاعر النفسية صاحبها على شعور السخط والضجر والدخول في لماذا؟ فهنا يكون قد فتح على نفسه أبواب الشيطان، سيدفعه لإساءة الظن بالله تعالى واتهامه في عدله وحكمته، وهذا سيؤثر ولابد على تفكيره وإيمانه وسلوكه. إذن فقضية المشاعر النفسية يشملها مفهوم "المجاهدة النفسية"، أي إن العبد مطالب بهذه المجاهدة لما يترتب عليه من الآثار العقدية والنفسية والسلوكية، ومن ثم، فهي فعل عبادي يثاب عليه العبد. والله الموفق.

221. إثارة غيرة المرأة

كما نطالب الزوجة بضبط غيرتها، فلا ترسل لها العنان، إذ كان ذلك مما يجلب عليها وعلى علاقتها الزوجية الكثير من الآلام والمشاكل هي في غنى عنها، لأن الزوج حين ينفلت زمام الغيرة من زوجته لا يفهم من ذلك سوى أنه "متهم يجب أن يثبت براءته يومياً" في كل كلمة، وكل حركة، وكل موقف، متى خرج ومتى دخل، وهذا يُشعره بالاختناق والضيق! فإذا طال الأمر كذلك، انقلب حبه لزوجته وإقباله عليها، إلى كره خفي ونفور لاشعوري منها، حتى تأتي اللحظة التي لا يجد مفراً من إيقاف هذه العلاقة التي تشقيه نفسياً وعصبياً. أقول، كما أننا نطالب الزوجة بضبط هذه الغريزة وإلجامها لجام التوسط والاعتدال، فإننا نطالب الزوج كذلك بعدم إثارتها فيها، وذلك بعدم إتيان ما يثير ريبتها وتوترها وقلقها، فذلك بلا شك يعد استهتاراً منه بقدسية العلاقة الزوجية، ولامبالاة بمشاعر الزوجة!

222. الارتباط بالوحي لا بالأشخاص

شباب كثيرون من الملتزمين داخت رؤوسهم وحارت عقولهم من السقوط الذي ابتُلي به كثير من المشايخ والعلماء والدعاة تحت ضغط حركة الواقع اليوم، بعد أن كانوا يرون فيهم القدوة الحسنة والنموذج الإسلامي وقوة الإيمان وثبات اليقين! للأسف فإن هؤلاء الشباب لم يُكوّنوا تكويناً شرعياً تأصيلياً، بل تكويناً وعظياً سطحياً! وفي خضم حماسة الوعظ المجافية للتأصيل العلمي الواضح غفل هؤلاء عن أن مصدر التلقي هو القرآن والسنة حسب قوانين الفهم والضوابط الصارمة لذلك، وليس كل من تكلم كثيراً أو دمعت عينه طويلاً! ونسي هؤلاء الشباب بأننا نعيش مرحلة الغربلة، إعداداً للأمة لدورها المرتقب في المستقبل القريب،

كما وعدنا الله ورسوله. ولابد أن ينكشف كثيرون ولابد أن يسقط كثيرون، وهذه هي سنة الله سبحانه دائماً، ألا ترى كيف كان يمتحن الصحابة لأنهم سيكونون حملة الوحي إلى العالم، فالأمر هناك نفسه هنا. ولهذا يجب على الشباب المسلم الملتزم أن يرتبطوا بالقرآن والسنة، وبالسلف الصالح، كما قال سيدنا أبو بكر الصدّيق لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات، ومَن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت»، وقال سيدنا ابن مسعود: «مَن كان مستنّاً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة».

223. القصور في التأليف

لا يوجد كتاب إلا ويمكن أن يكون فيه مقال؛ من حيث الأسلوب أو من حيث المضمون أو من حيث المنهجية، أو من كل ذلك! إنّ الإنسان مهما بلغ من العلم والمعرفة، ومهما حرص على اليقظة والانتباه، ومهما تفنّن في البيان والترتيب والحجاج، لابد من نقص يعتري كتابه، ولابد من ضعف يحتوي مقاله، إذ كان ذلك مقتضى البشريّة ولازم من لوازمها الواجبة! غير أن العقلاء ينصفون كل كاتب ومتكلم، وينظرون في أفكاره وأطروحاته من حيث الغالب الأعم، وفي إطار رؤية شمولية لأفكاره وآرائه. وأما المتعجرفون فلا يتورعون عن سحب كل فضيلة من الآخر، ولو لأخطاء متوهَّمَة!

224. قرون من مكر الأعداء

خمسة عشر قرناً، والإسلام والمسلمون يتعرضون لضربات قوية، ولمكر كبير، وحرص شديد على السحق والتدمير! لقد مارس كل هذا أعداء كثيرون، يوصي بذلك سلفهم خلفهم، وكبيرهم صغيرهم، وهم رغم تباين خلفياتهم الدينية والاجتماعية إلا أن هدفا واحدا يجمعهم، وهو تحطيم الإسلام والمسلمين! ثم ماذا كان؟! لا شيء، نقول لا شيء، لأنك حين تضع هدفا ولا يتحقق كما تريد فواقعا لم يتحقق لك شيء! فرغم كل ما تعرض له الإسلام من محاولات التشويه والتزييف، ورغم كل ما تعرض له المسلمون من الضربات العنيفة، إلا أن الإسلام لا يزال قائما، وهذه الأمة لا تزال حية، وفي ذلك لآيات لأولي الألباب بأن هذه الدين وحي إلهي شاء الله أن يكون خالدا، وبأن هذه الأمة موصولة السبب بالله وشاء أن تظل قائمة إلى يوم القيامة. ونحن لا يرعبنا مكر طواغيت الدنيا كلهم، ولا يرهبنا ما لديهم من الإمكانيات المادية الهائلة، ولا يسوؤنا ما يمارسونه من البطش والقسوة والعنف ضد الأمة في مرحلة الاستضعاف التي تمر بها منذ حوالي ثلاثة قرون. ذلك بأننا نعلم حق اليقين أن هذه الأمة مرحومة ومنصورة، كما أننا لا نقصر النظر على حيز الدنيا وفي

حدود الأرض بل نمد البصر إلى يوم القيامة، وأما الدنيا فهي يوم لك ويوم عليك، سنة الله في الذين خلوا من قبل. على أننا لا نيأس من روح الله، ففي الدنيا نحن معنا وعد رباني بأن المستقبل لهذا الدين، وأما في الآخرة، فقتيلنا شهيد، ومصابنا مأجور، فلنا الغنم وعلى عدونا الغرم. والحمد لله رب العالمين. فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

225. العلاقات الاجتماعية إلحادياً

العلاقات الاجتماعية في الإلحاد؛ علاقات تعاقديّة ماديّة، فكل علاقة ينشئها الملحد، هي في منطلقها وإطارها وغايتها، علاقة مادية صرفة، تتم في إطار تعاقدي، ينشد من ورائه تحقيق منفعة مادية خالصة! هذا البُعد المادي في العلاقات الاجتماعية في إطار الإلحاد أمر وثيق الصلة بالنظرة الإلحاديّة للإنسان والحياة؛ فالإنسان إلحاديّاً كائن بسيط بدون أبعاد ولا عمق ولا امتدادات، لأنّه مجرد كومة ماديّة وحثالة كونية متطورة، والحياة بالنسبة له تبدأ في الأرض وتنتهي في الأرض ولا يوجد شيء بعد مغادرة الأرض. ومن ثمَّ فمقدرته على الانعتاق من نطاق اللحظة الراهنة، والاستجابة لنزعات الأهواء، وتأجيل تحقيقها، واختراق حاجز المادية، ضعيفة للغاية بل منعدمة، لأنه ليس له إلا مدة عمره القصيرة، فيجب عليه ــإلحاديّاًــ أن يستغلها إلى أقصى مدى ممكن، إذ لا مبرر للتنازل عن هذا الاستغلال! وبهذا تكتسب العلاقات التعاقديّة في المجتمع الإلحادي قوة هائلة على تفكيك الإنسان والأواصر الاجتماعيّة، فتكثر الأزمات المختلفة الصور والأشكال! فيكون الإنسان الملحد منغمسا في حياة بهيمية إلى أقصى الحدود، وإلا

225. مكر المنافقين الجدد

لم يحرص المنافقون المعاصرون من بني جلدتنا بمختلف ألوانهم وشعاراتهم، على تزييف التاريخ الإسلامي وحسب، بل حرصوا كذلك على تزييف التاريخ الأوروبي الحديث في عرضه للقارئ المسلم! كل ذلك لرسم صور نمطية معيّنة في مدارك القارئ تساعدهم على تمييع الحقائق وتذويب المعالم في عقله ووجدانه! إن عرض هؤلاء الجاهليين للتاريخ الأوروبي يكون دائماً مطبوعاً بالتمجيد والتقديس، والإيحاء بعبقريّة العقل الأوروبي وعقلانيّته الفائقة، وقدرته الجبارة على نبذ الأوهام وعلى الإبداع والازدهار! في حين تراهم يكيلون الذم والتهم للتاريخ الإسلامي والحط منه والطعن فيه، كأن هذا التاريخ قد جمع كل مخازي ومساوئ شعوب الأرض وأمم البشرية!

226. الله تعالى والفطرة

النفس البشرية قد تطمئن بكثير من ألوان المتاع وصور اللذات التي قد تحصل عليها وتتيسر لها، ولكن.. من المؤكد أنّ في أعماق الفطرة الإنسانيّة أبعاداً مجهولة لا يملؤها شيءٌ من اللذة مهما اتسعت، ولا شيء من المتعة مهما تنوعت، سوى معرفة الله تعالى ومحبّته وذكره في الدنيا، ورؤيته ومحاضرته في الآخرة. فهذه المعرفة والمحبة هي التي تملأ ذلك العمق والامتداد في الإنسان. ولهذا ما ابتهج العارفون بشيء ابتهاجهم بمعرفة الله ومحبته وذكره، وما نشدوا شيئاً في الآخرة قدر نشدانهم رؤيته سبحانه. ولا شك أنّ هذا الشوق لرؤية الله تعالى ومجالسته يعكس شوق الكمال في الروح الإنساني. ولهذا يأذن الله تعالى في الجنة لأهلها بزيارته والتلذذ بجماله وكماله وسماع كلامه ومحاضرته، رغم ما هم فيه من النعيم المادي العظيم، بل لولا هذه الرؤية المقدسة لشعر أهل الجنة بالملل سريعاً.

227. حقيقة العلمانية

لولا أن العلمانيين يظنون أن الكون والإنسان والحياة مخلوقون باطلاً وعبثاً؛ لما طالبوا ولما حرصوا ولما سعوا ولما بذلوا كل جهد لإبعاد الشريعة الربانية عن نشاطات الحياة المختلفة! في الحقيقة عندما نفتّش القرآن الكريم؛ نكتشف بأنّ الله تعالى جعل هذا الظن أي أن الوجود مخلوق عبثاً وليس بالحق ولا للحق، من سمات الكفار: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [ص/27]، فلا انفصام بين الرؤية الكونية ومرجعية الحياة ودستور المجتمع! ولهذا وردت هذه الآية مباشرة بعد أمر الله تعالى للنبي داود عليه السلام باتباع الحق والحذر من اتباع الباطل والحكم به. غير أنّ العلمانيين يتعاملون بسذاجة مع قضية الشريعة؛ من منطلق أنها قضية سياسية أو صراع أيديولوجي ضد خصومهم! لكن الحقيقة أنها أعظم من ذلك، لأنّها تتعلق بالعقيدة ولوازمها ومآلاتها المصيريّة.

228. اعتراض على التعدد

أسخف اعتراض من طرف المعترضات على التعدد؛ هو قولهن (إذا كان هذا الرجل فعلاً يريد المساهمة في تقليل نسبة العازبات، فليُساعد شاباً آخر على الزواج؟). وهذا تفكير عجيب غريب، ينم عن ضحالة في فهم الأمور! إنّ بعض الرجال يكون مستوى الشهوة فيهم مرتفعاً، وبدون إشباعها وتصريفها، لا يزال هذا الرجل يشعر بالضغط العنيف، وهي حقيقة حسيّة وعلمية. فإذا كان الأمر كذلك؛ فكيف نطالب مثل هذا الرجل بإهمال نفسه من أجل مساعدة شخص آخر! ثم إن أغلب الشباب اليوم لا يقولون نحن عاجزون عن الزواج بسبب تكاليف العرس، بل المشكلة عندهم هي تدبير النفقة الشهرية بعد الزواج، فمن سيتكفل بها!

وإذا كان الزواج نعمة ومتعة، فكيف نطالب شخصاً بالتنازل عنها لغيره! أعتقد أنّ هذه مثالية حالمة، ولا يمكن أن تكون إطاراً صحيحاً لمعالجة أزمة الزواج بين الشباب.

229. حقيقة السلفية

السلفيّة ليست محصورة في شخص أعلام معيّنين أو اتجاهات محددة في مرحلة زمنيّة معيّنة، قد نتفق مع كل قناعاتهم أو نختلف معهم في بعضها. فهؤلاء الأشخاص وهذه الاتجاهات جميعاً ليسوا سوى أفراد في درب السلفيّة الخالد، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم. ومن هنا، فالسلفية في جوهرها متجاوزة للأشخاص، كما أنّها متجاوزة للاتجاهات، وإنما يُقبل من هؤلاء وهؤلاء ما وافق مصادر السلفية الأصليّة، أي القرآن والسنة وما كان عليه السلف الأولين. فالقول إن السلفية مرحلة زمنية فقدت صلاحيّتها أو إن رفضها رفضاً لأشخاص أو اتجاهات ترفع شعارها يعكس خللاً في الرؤية!

230. آفة الإرجاء

بين شيوع الإرجاء الذي يفصل السلوك عن الإيمان؛ وبين شيوع الفساد القيمي والأخلاقي تلازم ضروري، سواء من الناحية النظرية أم النفسية أم العملية! ومن ثم؛ فالإرجاء يعمل على تفريغ الوحي من مضامينه وغاياته في الفرد والمجتمع، إذ إن الوحي في جوهره ثورة ضد الأهواء المختلفة، في الفكر والقيم والسلوك والتشريع. وهذا هو سر تلك الحملة القوية التي شنّها علماؤنا قديماً على الفكر الإرجائي، لأنه مدمر للشخصيّة والمجتمع، ولأنه مبطل لمقاصد الإسلام في واقع الحياة البشرية. ولهذا تحتفل العلمانية في العالم الإسلامي ــبدعم الغربــ بالمذهب الإرجائي، سواء تمثل في الطرق الصوفية أم في علماء السلطان!

231. العلمانية والعلمانيون

رغم ترويج العلمانيين لأهميّة الحرية والديموقراطية؛ ولهجهم بذلك باستمرار، إلا أنّ من أبرز مظاهر نقضهم لهذه الشعارات الفضفاضة، يتمثّل في موقفهم من الأحزاب السياسية التي ترفع شعار المرجعيّة الإسلاميّة! لقد رأينا ذلك في كل البلدان التي حظي فيها الإسلاميون بالاختيار والدعم الشعبي. هذا الموقف العلماني الرافض لحق الإسلاميين في اعتلاء سدة الحكم، يتضمن رسالة واضحة مفادها: من حقي أن أصل إلى سدة الحكم برؤيتي العلمانية وألتزم بمقتضياتها في تدبير شؤون الناس، حتى وإن رفضوا ذلك وخالف عقيدتهم وشريعتهم، وليس من حق المسلم أن يصل إلى سدة الحكم برؤيته الإسلامية ويلتزم بمقتضياتها في

تدبير شؤون أناس، حتى لو رضووا بذلك ووافق عقيدتهم وشريعتهم! كما أنه يتضمن معنى احتقار الشعب والتعامل معه على أنه قاصر عقلياً وأدبياً! أليس هذا عين الإرهاب الفكري والطغيان السياسي والغرور النفسي! أو قل بأن العلمانيين يرفضون العلمانية حين لا تخدم أجنداتهم!

232. الطفل أمانة

الطفل أمانة عند والديه؛ فبينهما ومعهما تتشكّل شخصيّته، سواء بصورة إيجابيّة أم بصورة سلبيّة، وفي العادة، فإنّ مرحلة الطفولة تكون لها تأثيرات واضحة على مسار الشخصيّة مدى الحياة. غير أن كثيرين ـللأسفـ لا ينتبهون لهذه الحقيقة، ومن ثم قد يحطّمون شخصيّة أبنائهم دون أن يشعروا! ومن أقبح الأخطاء وأسوئها أثراً على نفسيّة الطفل (إهانته والحط من قيمته أمام الآخرين)، سواء بالكلمات أو بالتصرّفات! هذا التصرف له نتيجتان: ينمو وهو فاقد للثقة بنفسه، ومن ثم تكون شخصيّته ضعيفة، فلا يستطيع التعامل والتفاعل مع الحياة بأشخاصها وأحداثها. أو ينمو وينمو التمرد فيه على كل شيء، رغبةً منه في الإحساس بالكرامة والتقدير الذاتي. وهذا وذاك يُولّد فيه النفور والكره لأبويه، وقد يصل ذلك إلى الدين والإله سبحانه. إنّ الطفل لا يستطيع التعبير عن رفضه للإهانة الموجهة إليه من أبويه، لكنّه يُخزّن ذلك في أعماقه ليتم تفريغ هذا المخزون مستقبلاً!

233. دمعة وابتسامة

الحياة دمعة ألم وابتسامة أمل. ولولا سخونة تلك الدمعة، ما عُرفت إشراقة هذه الابتسامة! إنّه سر الحياة وروعتها القائمة على قانون الزوجيّة في كل شيء! وإنه سر الحياة وروعتها النابعة من مغزى وجود الإنسان في هذا العالم! إنّ هذه الثنائية ضروريّة للإنسان كما للحياة. أما للإنسان؛ فالسعادة الدائمة مفسدة للشخصية بقدر ما يفسدها الحزن المتواصل. ولذا فإنّ بعض الألم وبعض الأمل، بعض السعادة وبعض التعاسة، كل ذلك ضروري لنماء شخصية متوازنة. وأما ضرورتها للحياة؛ فالسعادة الدائمة تحولها إلى رتابة باردة بلا معنى، كما أنّ التعاسة المتواصلة تحولها إلى سجن كئيب خانق.

234. حياة المتدين

الالتزام لا يعني أن حياة الملتزم الشخصية والزوجية والمادية ستكون مستقرة، ووردّية، وجيدة بشكل دائم وثابت! ففي الحياة الدنيا لابد من ابتلاءات، ولابد من تحديات، ولابد من صعوبات. والإنسان الملتزم

لابد أن يخضع لهذه السنن الربانيّة، ولابد أن يصيبه منها قليل أو كثير، فهو بشر من البشر، لينظر الله تعالى أيعبده بظنون مرسلة أم بيقين ثابت! بل لا قيمة للالتزام إلا بتلك الضغوط والعراقيل، ولا تظهر حقيقة التدين ومدى صدقه إلا بطريقة التعامل مع تلك الصعوبات والتحديات، ذلك لأن كل طريق يسلكه الإنسان لابد له من ضريبة، سواء طريق الحق والتدين أو طريق الباطل والتحلل. وهذا ما يجب أن يفهمه كثير من الشباب الملتزم، الذين صادفتهم بعض العراقيل والتحديات، وقفوا يشكون في تدينهم، إذ كان قد ترسخ لديهم أن التدين الصحيح يحقق لصاحبه حياة مرفهة!

235. تمييع الإسلام

حين نقوم بالتحذير من الدعاة والمفكرين الذين يُميّعون حقائق الإسلام وثوابته؛ وقد كثروا في هذا العصر، فليس لأننا لا ندرك أنه في عصر الفضائيات والإنترنت والكتب والمقالات لا يمكن منع الفكرة من التداول، أو صد انتشارها واطلاع الناس عليها! وليس لأننا نطمع في إخراج تلك الجموع من المعجبين بهم من ظلمات الدجل إلى نور الحقيقة! بل نحن نقوم بذلك لفرض الله تعالى علينا في تبليغ الرسالة، وكشف الأباطيل، ومدافعة الفساد، وهذا حسبنا، إذ كانت تلك هي مهمة الأنبياء: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور/54]، فإن أنقذ الله تعالى بنا مسلماً واحداً وأخرجه بنا من حظيرة الدجل والزيف إلى الحق المبين؛ فذلك في ميزان الله تعالى خيرٌ عظيم. نحن مأمورون بأداء مهمّتنا؛ أما النتائج فهي بيد الله تعالى وحده. هذه هي عقيدتنا، ومن ثم، لا تهولنا ولا تستفزّنا تلك الدعوات المحبطة والمثبّطة.

236. تحطيم المرأة

مسكينة المرأة، يستنزفون أنوثتها، ثم يقيمون لها عيداً مرة في العام، وفي كل عيد يربتون على كتفيها (أنت عظيمة أيتها المرأة، تفضلي هذه الوردة)! والعجيب أن هذه المرأة _لسذاجة عقلها_ صدقت خدعتهم، ولهذا تظل تلهث وراء السراب، وكلما شعرت بالتعب والإرهاق، وكلما حنّت إلى فطرتها وأنوثتها الأولى، قالوا لها (انتبهي، فأنت لن تحققي ذاتك ولن تكون لك قيمة إلا بهذا اللهاث الدائم)، فتنطلق للهاث من جديد! أين فطرتها، أين أنوثتها، بل أين مهمتها التي خلقها الله تعالى لها! لم يعد لكل ذلك معنى، لأنه لا شيء يعلو فوق (أريد تحقيق ذات، ولن أسمح للرجل بالتحكم في حريتي).. يا بؤسها!

237. الزواج في بيت الأهل

الأخ عاش في بيت أهله أكثر من عشرين عاما، وهو يعلم في قرارة نفسه علم اليقين أن والديه، أو والدته، وربما أخواته أيضا، بأنهم لا يطاقون، رغم ربما مظاهر التدين.. إنه يعلم أن هذا البيت لا يكاد يعرف سوى الصدام والصراخ، وكذلك الطغيان والاستبداد من الأب، أو من الأم أو هما معاً. إنه يعلم كل هذا، وقد يصرح به لأصدقائه المقربين، ومع ذلك، فعندما يتزوج يذهب ويأتي بزوجته إلى هذا البيت الخانق، المزكوم، الضاغط، متعمدا اللامبالاة، والتغافل، كأن كل ما يعنيه أن يقال فلان خرج من قائمة العزوبية وصار الآن متزوجا! أو كأنه أقنع نفسه بأن الزواج مأساة ولابد أن يعيش الإنسان على أنه مأساة!! الذي يحدث هنا، أن الأخ الفاضل يلزم الصمت تجاه غطرسة والدته وربما أخواته أيضا، فهي الآمر الناهي، بل قد يصل طغيانها إلى حد أن تجعل غرفة نوم ابنها وزوجه مسرحا مباحا لها تدخله متى تشاء! وقد يصل إلى حد أن تبدي انزعاجها من كثرة اغتسال ابنها وزوجه من الجنابة!! ثم قد تشكو الزوجة هذه المعاناة، لكنه يتعامل بأسلوب التجاهل، أليس مقتنعا بأن المهم أن يقال فلان تزوج! وأن الزواج لابد أن يعيشه الإنسان بشقاء وبؤس!! هذه هي قصة كثير من الشباب اليوم، فكان الله في عون كل ذات دين وأدب وأنوثة ابتليت بزوج من هذا الصنف من الرجال!!

238. الحياة عادات

السعادة أو المأساة، النجاح أو الفشل، التفاؤل أو الإحباط، الإيجابيّة أو السلبيّة، هذه كلها ليست سوى نشاطات وعادات يكرّرها صاحبها مرات كثيرة بشكل دائم ومتواصل، فتترسخ فيه وتنطبع شخصيّته بطابعها وتنصبغ حياته بألوانها. إنّ الوعي بهذه الحقيقة المهمة، جدير بأن يسهم بشكل فعّال في شحن النفس بالإيجابيّة والاستقرار والثبات. وهذا سيُفعم الحياة بالمعنى والمسؤولية والارتقاء. والإسلام بمنظومة تعاليمه وتوجيهاته، يدرّب الفرد المسلم على لزوم النشاط الإيجابي وتكراره خلال يومه وعلاقاته، ليكون فرداً مستقرّاً ذهنياً ونفسياً، وليكون عنصراً صالحاً في مجتمعه.

239. مهمة الإنسان في الحياة

الإنسان مخلوق لأداء مهمة معيّنة والقيام بوظيفة محددة. هذه المهمة والوظيفة المقدسة كشفها خالقه العظيم وحددها بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات/56]، هذا يبدو منطقيّاً للغاية، فمن صنع شيئاً له كامل الصلاحية وكل الحق في تحديد وبيان وظيفته التي لأجلها صنعه، فكذلك _ولله المثل الأعلى_ لما كان الله تعالى هو خالق الإنسان ابتداءً، فهو وحده الذي له كل الصلاحية والحق في تحديد

وظيفته ومهمته في الحياة. وكما أنه لا يوجد مخلوق يصنع شيئاً لغير هدف وغاية، فكذلك لم يخلق الله تعالى الإنسان عبثاً بلا غاية، كما قرّر ذلك سبحانه صراحة بقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون/115]، وقال جل جلاله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة/36]، أي هملاً لا يؤمر ولا ينهى!!

240. هل خروج المرأة ضرورة حضارية

(ما رأيك فيمن يقولون بأن خروج المسلمة اليوم إلى الجامعة والوظيفة ضرورة اجتماعية وحضارية؟).
قلت: لو أضفتَ وعلمانية وليبرالية، أي لإرضاء المزاج الليبرالي ومسايرة الضغط العلماني! يا سيدي، منذ مائة عام، أخرجت الأحزاب والجماعات الإسلامية المسلمة إلى الجامعة والوظيفة، فصارت طبيبة ومهندسة ومعلمة وإدارية وداعية، وغير ذلك، فماذا تحقق من هذه الضرورة الاجتماعية والحضارية؟! أليس واقع الأمة هو هو، بل لا يزال ينحدر إلى القاع في مختلف المجالات!! من المؤكد أنني لا أرمي للقول بأن هذا الواقع سببه خروج المسلمة إلى الجامعة والوظيفة، فخروجها جزء من المشكلة وليس كل المشكلة، وإنما أريد القول بضرورة أن نكون واضحين وصرحاء بلا لف ولا دوران ولا كذب على الذات!! اليوم، ومنذ مائة عام، فإن العلمانية الليبرالية والرأسمالية هي التي تحكم في طول وعرض العالم الإسلامي، ضمن منظومة أجندات معينة، ويتم تشكيل الواقع وفق هذه الأجندات، فأن يقال بعد هذا بأن خروج المسلمة ضرورة حضارية فهو بلا شك خداع للذات وإسهام في التمكين للعلمانية الليبرالية والرأسمالية وأهدافها التي تدور في إطار تفكيك الأمة ومسخ هويتها وإدخال الرجل والمرأة المسلمين في حالة صدام وصراع، كما نراه اليوم!! انظر حواليك في البنات والنساء الملتزمات، محجبات ومنتقبات وطالبات تخصصات شرعية، ألست تجد تغلغل الرؤى المادية والتصورات النسويات في كثيرات منهن!! على كل حال، لا شيء أفضل من الصراحة والوضوح وتسمية الأمور بأسمائها. ولا داعي لتصوير الأمر على أن خروج المسلمة واختلاطها هو المفتاح السحري لحل مشاكل الأمة، كما نراه عند العلمانيين الذين يصورون الأمر على أن المسلمة إذا تنازلت عن الحجاب وكشفت مقدمتها ومؤخرتها إذن ستدخل المجتمعات العربية نادي القوى التقنية والنووية بسرعة البرق!!

241. أسس أفضلية الإسلام

يتأسس القول بأفضلية الإسلام على كافة الأديان والمذاهب والفلسفات على الركائز التالية: **(أولا)** الله تعالى نفسه قرر هذه الأفضلية بقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ

ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران ٨٥]. **(ثانيا)** مصدره ليس أحداً من البشر، بل الله جل جلاله، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم مبلغ للوحي فقط: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ، نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ [الشعراء 192-193]. **(ثالثاً)** منظومة شاملة ومتكاملة، فهو عقيدة وقيم وآداب وأحكام، تشكل منهج حياة محيط بكل نشاطاتها ومجالاتها، ولهذا فهو شامل للدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء ٩]. **(رابعاً)** ثبوت مصادره تاريخيا وحفظها بلا تغيير ولا تبديل، فالقرآن والسنة وهما المصدران المركزيان للإسلام يستحيل التشكيك في ثبوتهما تاريخيا أو التشكيك في سلامتهما من التحريف والتغيير، فالقرآن الذي بين أيدينا هو نفسه الذي كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، والسنة النبوية التي بين أيدينا لم يترك علماء الحديث حرفا منها دون تمحيص وبيان حكمه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر ٩]. **(خامسا)** انسجام منظومته العقدية والقيمية والتشريعية مع طبيعة الفطرة ومبادئ العقل وقيم الحياة، فلا يوجد في الإسلام شيء من الاعتقادات أو العمليات يمكن أن يعترض عليه العقل الصحيح، بل كل اعتراض يكون لسبب خارجي، ولهذا كان الإسلام دين الإنسان إلى يوم القيامة. **(سادسا)** تقديم الإسلام منظومة تفسيرية شاملة، للإله، والإنسان، والعالم، والأصل والوظيفة والمصير بعد الموت، فلم يترك الإنسان يخبط في التيه يبحث بنفسه عن الحقائق الكبرى، والأسئلة الوجودية المركزية، ولهذا بقدر ما يستوعب المسلم معطيات الوحي يكون أقرب للحق ومعرفته من غيره من أتباع الأديان والمذاهب والفلسفات الأخرى . **(سابعا)** أفضلية الإسلام المطلقة على كل الأديان والمذاهب والفلسفات هو مقتضى الإيمان بالله ربا وبمحمد نبيا صلى الله عليه وسلم، فقد قرر الوحي هذه الحقيقة، ولهذا لعدم القول بها نقض للإيمان وهدم للتوحيد، لأن فيه معنى التكذيب لله ولرسوله ولإجماع الأمة. فهذه مرتكزات القول بأفضلية الإسلام على كافة الأديان والمذاهب والفلسفات التي عرفتها البشرية قديما وحديثا، عكس هذه الأديان والمذاهب والفلسفات التي فيها من التناقض والاضطراب والقصور والجهل والباطل الشيء الكثير مما لا يليق بقيمة الإنسان ومركزيته الوجودية. والحمد لله على نعمة الإسلام.

242. المسؤولون الفاسدون

هؤلاء التلاميذ والتلميذات، وهؤلاء الطلبة والطالبات، الذين يغشون في الامتحانات والبحوث، هم من سيتقلد مستقبلاً مسؤولية البلد، في جميع المجالات، وبما أنهم وصلوا إلى "كراسي" المسؤولية عبر الغش فماذا تنتظر أن يكون حال البلد! النواب، القضاء، العسكريون، رؤساء البلديات، الإعلاميون، السياسيون، رجال الأعمال، الأطباء، وغيرهم ممن نقول اليوم بأنهم فاسدون، لصوص، مداهنون، يلهثون فقط وراء

مصالحهم، ولا يعنيهم مبدأ ولا قيم ولا دين، هؤلاء جميعاً من أين جاؤوا؟! أليس من وسط المجتمع؟! أليس أغلبهم أو كلهم لو بحثنا في تاريخهم في المدرسة والجامعة سنجدهم كما قلنا تحصلوا على النجاح والشهادة عبر الغش والخداع!! لقد أثبت تاريخ الأمم والمجتمعات أن إفساد المدرسة إفساد للأجيال الصاعدة. وسنن الله تعالى في حياة البشرية لا تحمي المغفلين.

243. خطورة رفض تحكيم الشريعة

تتجلى خطورة الرفض العلماني لتحكيم الشريعة في: **(أولاً)** سحب الأساس الموضوعي لخلق الله تعالى للإنسان، فبدون أن يكون للخالق تبارك شأنه شريعة تؤطر نشاطات الإنسان الخاصة والعامة، يكون خلقه له عبثا.. وقد نفى الله تعالى نفسه هذا المعنى :﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون ١١٥]. **(ثانياً)** سحب الأساس الموضوعي لقيمة القرآن الكريم، فبدون أن يكون هناك شرع لله تعالى يحكم حركة الإنسان في الحياة ومجالاتها الخاصة والعامة، يكون القرآن معنى.. وقد نفى الله تعالى نفسه هذا القول: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء ١٠٥]. **(ثالثاً)** سحب الأساس الموضوعي لوجود الآخرة، فبدون أن يكون لله تعالى شريعة معيارية لأفعال الإنسان المختلفة في المجال الخاص والعام، يفقد الإيمان بالآخرة معناه، لأن الآخرة تعني وجود الجزاء، والجزاء يستلزم منظومة تشريعات على أساسها يكون الجزاء.. وقد أكد الله تعالى نفسه هذا المعنى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة ٢٨١]. **(رابعاً)** سحب الأساس الموضوعي لربوبية الله تعالى واتصافه بالأسماء الحسنى والصفات العليا، فبدون أن يكون لله تعالى شريعة تضبط تصرفات الإنسان في الفضاء الخاص والعام، تسقط قيمة الأسماء والصفات، ومن ثم يسقط كمال الله تعالى وربوبيته للخلق كافة، ولهذا يستحضر القرآن الكثير من الأسماء والصفات الإلهية في سياق بيان الأحكام الشرعية. إذا علمت هذا، علمت لماذا كان الحكم بغير ما أنزل الله كفرا مخرجا من الإسلام، حتى وإن زخرف القول بعدم الحكم بالشرع.. والله المستعان.

244. ناقصات عقل

قول النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ﴾، لا يعني به ــإن شاء اللهــ ما يمكننا الاتفاق عليه بالعقل الفطري، والمقصود به مبادئ العقل الأولية وأسسه الإدراكية، كواحد زائد واحد يساوي اثنان، وكل حدث لابد له من سبب، والمتشابهات

تتساوى في الحكم، وغير ذلك، فهذا العقل يولد به كل إنسان، رجل أو امرأة، فطرة فطر الله خلقه عليها، ولن تجد لفطرة الله تبديلا. كما أن هذا العقل الفطري غير مقصود في الحديث، لأنه أساس التكليف الإلهي للبشر، الرجال والنساء، فحين تصل المرأة إلى سن البلوغ، تكون قد دخلت في دائرة التكليف الإلهي، مثلها مثل الرجل إذا بلغ، وتكون مسؤولة عن تصرفاتها ونشاطاتها شرعاً، وسيتحدد مصيرها الأبدي في الآخرة على حسب ما قامت به تجاه الشريعة. ولهذا كان الخطاب الإلهي في القرآن والسنة متوجها للرجل والمرأة معا إلا ما خصه دليل معين. والتكليف الذي يكون حوالي الرابعة عشرة عاماً، يعني أن هذا الشخص [رجل أو امرأة] صار مؤهلاً في قواه العقلية والنفسية لتحمل التكاليف والأحكام الشرعية، ولهذا قالوا في الأصول: العقل مناط التكليف، أي إن التكليف يدور مع العقل وجوداً وعدماً. إذن فالنقصان المشار إليه في الحديث لا يتعلق بهذا العقل، بل يتعلق بمعنى آخر من معاني العقل، دعنا نصطلح عليه بالعقل العملي، فهذا العقل يصح فيه الكمال والنقصان باعتبار أنهما يتعلقان بمجموعة من العناصر التي تتدخل في ذلك، كالتجربة والخبرة والعلم وغير ذلك. فكل هذه الروافد تؤثر على هذا العقل في كل الناس، لذلك يقال: الشيخ أعقل من الشاب، العالم أعقل من الجاهل، لما معهما من الخبرة والمعلومات التي لا تكون عادة مع الشاب. ثم هناك عنصر آخر يتدخل في كمال ونقصان هذا العقل وهو طبيعة المرأة وطبيعة الرجل، بسبب اختلاف الوظيفة التي خُلق لها كل واحد منهما. فلما كان الرجل في الوضع الإلهي مخلوقاً للكدح والعمل ومواجهة الخارج لتوفير الأمن لنفسه ولغيره، لا جرم أن كان مهيأ أن يكون عقله العملي متصفاً بمجموعة من الصفات التي لا يستقيم بها ما خُلق له إلا بها، وذلك مثل الميل نحو الشدة والقسوة، الميل نحو التركيز والمباشر، الميل نحو الصبر والمقاومة، وغير ذلك، عكس المرأة التي تميل بطبعها نحو التعاطف، والرقة، وتعددية التركيز، واللامباشرة، وسرعة الانفعال، لأن كل هذا مطلوب لوظيفتها في الحياة، أي توفير السكن للزوج، وتربية الطفل. فهذه قبسة من قبسات معاني ودلالات هذا الحديث النبوي الشريف. والله الموفق.

245. عظم حق الزوج على زوجته

(عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: يا رسولَ اللهِ، مَن أعظَمُ النَّاسِ حَقًّا على المرأةِ؟ قالَ: زوْجُها) [مستدرك الحاكم على الصحيحين]. هذا الحديث يقرر حقيقة شرعية في الحياة الزوجية، وهي أن حق الزوج على زوجته أعظم الحقوق، فحتى حق الله تعالى عليها لا تقوم به كما يجب هي مضيعة حق زوجها. وقد تسأل سائلة عن علة هذا المعنى؟ بين يدي الجواب لابد من مقدمات: **(1)** الله تعالى هو المشرع، ولهذا فهو وحده لا شريك له الذي له الحق المطلق في وضع الحقوق والواجبات، والعبد عليه السمع والطاعة، لأنه

مخلوق للتكليف، وعليه يجازى ويحاسب يوم القيامة. (**2**) الزوجة المسلمة تحرص على القيام بحقوق زوجها كما ينبغي طاعة لله تعالى، أي إنها تطيع ربها بطاعة زوجها، كما أننا نحرص على البر بالوالدين طاعة لله تعالى، فنحن نطيع الله ونتقرب إليه ببرهما. (**3**) طاعة الزوجة لزوجها وقيامها بحقوقه عليها ليست مطلقة بل مقيدة بالشرع، لأن الشرع هو الذي أوجب هذا الحق للزوج على الزوجة، فوجب إذن أن تتقيد الطاعة والحقوق بالشرع. (**4**) حق الزوج على زوجته وطاعتها له مقيدة بالشرع كما قلنا، ولهذا فهي تكون بالمعروف، في المعروف، فلا طاعة في معصية وحرام، ولا طاعة فيما فوق الطاقة أو ما ينافي الذوق السليم. نأتي الآن إلى جواب أصل السؤال: (**1**) الدنيا كلها قائمة على ثنائية الغنم بالغرم، أي لكي تحصل على امتياز لابد أن تدفع المقابل، فلما حصلت الزوجة شرعا على امتيازات شتى واجبة على الزوجة كان لزاما في بديهة العقل والفطرة أن يُعطى للرجل امتيازات مقابلة، فكان حقه أعظم الحقوق عليها. وهذا يناسب قاعدة (كلما عظمت الواجبات عظمت الحقوق) فالنبي عظمت مسؤولياته فعظمت حقوقه على الأمة، والحاكم الشرعي عظمت مسؤولياته فعظمت حقوقه على الرعية، والمدير عظمت مسؤولياته الإدارية فعظمت حقوقه على الموظفين. (**2**) لما كان يجب شرعا على الرجل أن يقوم بشؤون زوجته كلها: توفير الأمن إلى درجة الموت دفاعا عنها، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ قُتِلَ دُونَ أهلِهِ فهوَ شَهيدٌ) [سنن الترمذي]، وتوفير النفقات من طعام ولباس وسكن، إلى درجة وضع الإثم عليه إذا لم يقم بذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كَفى بالمرءِ إثمًا أنْ يُضيِّعَ مَن يَعولُ) [المستدرك على الصحيحين]، وحسن معاملتها بالمعروف والصبر عليها وتحمل ضعفها إلى درجة جعل الشرع أن هذا من أمارات خيرية الزوج، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (خَيرُكم خَيرُكم لأهلِه، وأنا خَيرُكم لأهلي) [سنن ابن ماجة]. لما كان يجب كل هذا على الرجل شرعا فقد وجب له أن يكون حقه أعظم الحقوق على زوجته. فهذا باختصار تفسير علة تعظيم حق الزوج على زوجته. واعاني أن الأمور الشرعية يجب أن تقرئيها في إطارها الشرعي، وبمفاهيمها الشرعية، وليس بموازين زمانك ومفاهيم المجتمع والاعلام والثقافة الغالبة. والله الموفق

246. آثار الحزن على تكالب الأعداء

ليس واجباً عليك أيها المسلم أن تأسف وتحزن على أهل المعاصي والضلال والكفر والإلحاد، وعلى ما يبذلونه من الأموال والأعمار والجهود لمحاربة الإسلام، فعمل ذلك يضرك ولا ينفعك، ويدخل عليك الأسى والضيق والتوتر، ولن يتغير أي شيء. لقد نهى الله سبحانه الأنبياء عليهم السلام عن الأسف والحزن على من اختار لنفسه الضلال والعناد من أقوامهم، يقول رب العزة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَٱصۡبِرۡ

وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل ١٢٧]، وقال سبحانه لنبيه موسى عليه السلام: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْۛ أَرْبَعِينَ سَنَةًۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة ٢٦]، وقال تعالى وتقدس لنبيه نوح عليه السلام: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [هود ٣٦]. فهذا مبدأ مركزي وقاعدة جيدة، فإن بعض المسلمين يمتلئون حزناً وأسى وأسفاً لما يرونه من حال الأمة، وتكالب الأعداء عليها، وأيضا لإصرار الملاحدة والعلمانيين وغيرهم من فرق الكفر والضلال على العناد، وبذل جمهور القنوات الإعلامية والحكومات العربية الجهود الضخمة في محاربة الله ورسوله والمؤمنين، وهذا كما قلت خطأ، بل الواجب على المسلم أن يلتزم بوصية الله تعالى للأنبياء، فالحق واضح، والحجة قائمة، والطريق لاحب، فمن آثر الكفر والمعاصي والعناد والجحود، فإلى جهنم وبئس القرار. وإنما المسلم يحرص على الحفاظ على نفسيته وحمايتها من كل ما يدخل عليه الأسى والحزن والتوتر والهموم، لأن كل هذا يؤثر على صلته بخالقه سبحانه، وهو من مسالك الشيطان الخفية ضد المؤمن، فهو يصور له الأمر على أنه صواب ودلالة على محبته للإسلام، لكنه خلال ذلك يدخل عليه أنواع الهموم والأحزان والآلام النفسية وهو ما يؤثر مع مرور الوقت على صلته بالله تعالى. والله المستعان

247. شعار "ضع بصمتك"

من الهوس المنتشر بين المحجبات والمنتقبات، هوس (ضع بصمتك/ خدمة دينك)!! وهذا الجنون يروج له حتى بعض المشايخ والدعاة والإسلاميين!! من الآثار السلبية لهذا الهوس: هذه الأخت تضعف في نفسها قيمة الزواج والأسرة والقرار في البيت، وهذا شيء طبيعي، لأنه عمليا كل هذا لا يتوافق مع شعار (ضع بصمتك/ خدمة دينك)!! لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آلاف الصحابة ﷺ، وكانوا في العلم والتقوى والورع وحب الله ورسوله في المرتبة العليا رغم تباين منازلهم في ذلك. لكن، افتح كتب التفسير والفقه والحديث، وانظر كم تجد من أسماء الصحابة فيها؟ قلة قليلة، ثم الذين لهم حضور مكثف وبارز في تلك المجالات وتبليغها أقل من القليل. ثم ابحث عن أسماء الصحابيات رضي الله عنهن فتجد أنهن أقل من الصحابة الرجال بما لا مجال للمقارنة، ثم ابحث في كتب التفسير والفقه والحديث والعقيدة عن أسماء النساء المسلمات عبر التاريخ فتجد أن حضورهن غير موجود!! لكن، هؤلاء الصحابة والصحابيات والنساء عبر التاريخ هم وهن في القمة، ومنازلهم ومنازلهن عند الله تعالى عالية باسقة، رغم غياب اسمائهم في كتب العلوم والمعارف، لأنهم ولأنهن لم يكونوا ولم يكن يخدعون ويخدعن أنفسهم بشعار (ضع بصمتك/خدمة دينك)! لقد قلت لبعض البنات اللواتي سألنني في هذا الموضوع: أعظم خدمة تقدمينها للإسلام وأجمل بصمة تتركينها في الحياة

هو أن تحرصي على تعيشي بالإسلام كما يريد الإسلام، أما الدعوة وخدمة الدين فهذا أساسا ليس واجبا عليك، إذ هناك مئات من العلماء والباحثين يقومون بهذا الواجب الشرعي أفضل قيام، تأليفا، ومحاضرة، ودورات، ومناظرات، وغير ذلك.

248. كفر أمم الجاهلية المعاصرة

قول الله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنبياء ٢٤] قال الشوكاني في "فتح القدير" عند كلامه عن هذه الآية: «وهَذا إضْرابٌ مِن جِهَتِهِ سُبْحانَهُ وانْتِقالٌ مِن تَبْكِيتِهِمْ بِمُطالَبَتِهِمْ بِالبُرْهانِ إلى بَيانِ أنَّهُ لا يُؤَثِّرُ فِيهِمْ إقامَةُ البُرْهانِ لِكَوْنِهِمْ جاهِلِينَ لِلْحَقِّ لا يُمَيِّزُونَ بَيْنَهُ وبَيْنَ الباطِلِ. وجُمْلَةُ ﴿فَهم مُعْرِضُونَ﴾ تَعْلِيلٌ لِما قَبْلَهُ مِن كَوْنِ أكْثَرِهِمْ لا يَعْلَمُونَ: أيْ فَهم لِأجْلِ هَذا الجَهْلِ المسْتَوْلِي عَلى أكْثَرِهِمْ مُعْرِضُونَ عَنْ قَبُولِ الحَقِّ مُسْتَمِرُّونَ عَلى الإعْراضِ عَنِ التَّوْحِيدِ واتِّباعِ الرَّسُولِ، فَلا يَتَأمَّلُونَ حُجَّةً، ولا يَتَدَبَّرُونَ في بُرْهانٍ، ولا يَتَفَكَّرُونَ في دَلِيلٍ». قلت: بهذا تدرك تهافت حجة من ينفي اليوم حكم الكفر على الأمم الغربية وغيرها، بدعوى أنهم لم يصلهم الحق واضحا!! والمنطلق عند هؤلاء خطأ فكانت النتيجة خطأ، وذلك أنهم افترضوا أن شعوب الكفر والشرك والوثنية في الغرب وغيره محبون للحق، باحثون عنه، حريصون عليه، ولو أنهم وجدوه لقبلوه والتزموه!! وكما ترى، فهذا المدخل أو المنطلق فاسد، يكذبه الوحي، فقد قال رب العزة: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ وَقَالَ ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، كما يكذبه الواقع، فإنك ترى هذه الأمم لا شأن لها إلا اللهاث المسعور وراء شهوات الدنيا ومتعها، وتحصيل أسبابها وروافدها، والتفكر في مداخلها ومخارجها، ولا يبالون بالحق ومعرفته، ولهذا تجد من رغب في الحق وجده بعد البحث عنه في الإنترنت والتواصل مع بعض المراكز الدعوية في الغرب وغير ذلك. على أني لست أشك في أن هذه الدعوة والترويج لها، أعني عدم القول بكفر الأمم والشعوب الغربية وغيرها، تمت بصلة لتوهين عقيدة تميز الإسلام في نفوس الشباب، وأنه الحق المطلق، وأن كل الأديان والمذاهب والفلسفات أباطيل، وهذا المعنى وإن لم يقصده البعض في الترويج لهذه الدعوة، فإن عاقبتها في النفوس هي ما ذكرت لك. والله المستعان.

249. مكانة العقل في القرآن

لم يرد في القرآن قط ولا في السنة ذم العقل، بل الذي في القرآن أن الله سبحانه يحاكم عباده إلى فطرة العقل، ويأمرهم بتثوير عقولهم، ويذمهم على عدم ممارسة فعل التعقل الراشد، بل وجدنا الله تعالى يكشف

لنا أن أهل النار جعلوا من أبرز أسباب دخولهم النار عدم العقل، فكيف يذم السلف العقل وهم العلماء الأولياء المشهود لهم بالتقدم والرسوخ في مطالب المعارف الإلهية!! وإنما ذم السلف رضوان الله عليهم معنى خاصا من العقل، وهو ما يمكن الاصطلاح عليه ب «العقل الأهوائي»، أي العقل الذي يتعامل مع الوحي والعقيدة بمنطلقات وقواعد وأصول غير ما قرره القرآن والسنة، لأن العقل لابد له من مرجعية ينطلق منها ويؤسس عليها، فإن لم تكن الحق كانت الباطل أو مزيجا منهما، وهذا من دقة فهم السلف رضوان الله عليهم، لأن العقل إذا كان قد أثبت صحة الوحي، فالواجب إذن أن يسلم له ويخضع له ويكون تابعا له غير متقدم عليه، وإلا نقض دعواه صحة الوحي. وأيضا، لأن الوحي نزل ليخرج العقل من كونه ناظرا بمجرد نفسه إلى كونه ناظرا بتوجيه ربه سبحانه، لأن الوحي نزل ليكون المرجعية المعيارية العليا للعقل، فخلط مصادر أخرى به نقض لهذه الغاية. وكذلك، لأن المعرفة الإلهية التي جاء بها الوحي ذات طورين، طور يعقله العقل ويدركه، وطور فوق مدرك العقل لكنه لا يحيله، وهذا الطور الثاني من مقاصده تحقيق «عبودية العقل» لله سبحانه. ومعنى آخر وهو أن العقل الأهوائي يتضمن معنى التهمة لله ولرسوله، بعدم تبيين الحق أو العجز عن ذلك، والحال أن الوحي موصوف بأنه نور وبرهان وهدى وفرقان. ولهذا كانوا رضوان الله عليهم يسمون الفرق والمذاهب الكلامية ب «أصحاب الأهواء» وليس «أصحاب العقل»، فاعرف قدر أئمة السلف والسنة والأثر ولا تكن من الجاهلين فتكون من الضالين.

250. التباكي على واقع العلم في العالم العربي

من صور الخبث الذي يمارسه المنافقون الجدد في بلداننا أو قل الكائن العلماني، أنك تراه يندب حظ العلوم في بلدان المسلمين ويبكي أحوال الشعوب المسلمة لأنها لم تدخل مجال العلم، لكنه يسوق قوله في إطار ماكر وهو الإيهام بأن الحكومات القائمة اليوم حكومات إسلامية تحكم بشرع الله تعالى، ولذلك تحارب العلوم والابتكار!! لكن لماذا يقوم الكائن العلماني أو قل المنافق بذلك؟ الجواب هو: **(أولا)** لغرس بذرة النفور اللاشعوري من شرع الله تعالى في نفوس الشباب المسلم، عبر آلية الربط بين التخلف العلمي الذي تمر به الأمة اليوم، والقول بأن الحكومات تحارب العلوم والابتكار من منطلق شرعي إسلامي. ومعلوم أن للعلم سطوة قاهرة خصوصا في عصرنا الحاضر، خصوصا حين نستحضر تمجيد الكائن العلماني للحضارة الغربية المادية وخداعه للشباب المسلم بأن الغرب لم يتقدم إلا بعد التحرر من سلطة الإله والدين (لا يبين لهم بأن هذا التحرر كان من إله ودين مزيف ومحرف). **(ثانيا)** لإبعاد عقول الشباب عن اتهام العلمانية بالفشل الذريع الصارخ في تنمية بلدان العالم الإسلامي بعد إبعاد الحكم بالشرع والانضباط بالإسلام في مجالات الحياة

المختلفة. والكائن العلماني يدرك جيدا أن الحكومات العربية كلها علمانية حتى النخاع، وهي تحكم الشعوب المسلمة بترسانة قوانين وتوصيات غربية، لكن لأن مشكلته مع الإسلام ومع الله سبحانه، يحرص على تزييف الحقيقة، ولكيلا يقول الشاب المسلم: لحظة، التخلف الذي تعاني منه الأمة منذ مائة عام هو بسبب العلمانية الحاكمة ليس بسبب الإسلام فالإسلام لا يحكم اليوم. وعلى كل حال، فالكائن العلماني كائن فاشل بامتياز، فأين هي ابتكاراته وإبداعاته في مجال ما يسمى بالعلوم الإنسانية، كعلم النفس والاجتماع والاقتصاد والفلسفة وغيرها؟ ما هي النظريات العظيمة التي قدمها الكائن العلماني في هذه المجالات، علما أنها مجالات تعتمد أساسا على سعة الاطلاع وقوة الذكاء والاستقلال الفكري ونبذ التبعية للآخرين في أصولهم المرجعية؟ لا يوجد شيء من هذا، وإنما شأن الكائن العلماني منذ مائة عام الثرثرة الباردة، بل حتى عندما يكتب ويؤلف، فإنك تجد كتاباتهم ليست في الحقيقة أكثر من أطروحات الفكر والفلسفة الغربية لكن باللغة العربية، وبهذا يكون الكائن العلماني جمع بين الفشل الذريع والتقليد الأعمى، فلا هو فالح في شؤون الدنيا ولا هو فالح في شؤون الآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

251. معنى دخول سن التكليف

أيها الفتى، أيتها الفتاة، ينبغي أن تفهما أن دخولكما سن البلوغ (حوالي الـ 14 عاماً) يعني أنكما صرتما مكلفين شرعاً، ماذا يعني التكليف شرعاً؟ إنه يعني أن الشاب أو الفتاة صار في حكم الله تعالى مؤهلا عقليا ونفسيا لتحمل المسؤولية الشرعية، وقادرا على القيام بواجباتها، وصار محاسباً على كل نشاطاته وأعماله وقناعاته ومواقفه إلى أن ينتهي عمره ولو بعد مائة عام. ولهذا؛ يجب أن تفهما أنكما لم تعودا طفلين صغيرين، ويجب ألا تنخدعا بقول بابا وماما لكما: أنت لا تزال صغيرا/ أنت لا تزالين صغيرة، أو قول الجهال لكما: عش/عيشي حياتك فلا تزال صغيرا/لا تزالين صغيرة. كم من والدين يرفضان أن تلبس ابنتهما الحجاب ولا يدربانها على ذلك بدعوى أنها صغيرة، وكم من والدين يرفضان أن يدربا ابنهما على تحمل المسؤولية بدعوى أنه صغير، وكم من والدين لا يتشددان في حفاظ ابنهما/ابنتهما على الصلاة بدعوى أنه صغير/ أنها صغيرة = وهذا من الخيانة الأبوية للأبناء!! ولهذا، يجب عليك _وقد دخلت سن التكليف_ أن تفكر/ تفكري، وأن تعيش/ تعيشي، على هذا الأساس: أنا شخص مسؤول أمام الله، ومصيري بعد الموت مرتبط بمدى طاعتي لله واستقامتي على أمره واجتنابي للتفاهة والمعاصي.

252. التخصص في طب النساء

سألني شاب تخصص طب نسائي: هل يؤثر تعامل الطبيب مع النساء والكشف عليهن على حياته الزوجية؟ فقلت له: لا شك في ذلك، فأن يكشف الرجل على النساء يوميا، وفيهن أشكال وأصناف، من الرشيقة والبدينة، البيضاء والسمراء، الشابة والعجوز، الجميلة ودونها، وينظر يوميا أو شبه يومي إلى مناطق مختلفة من أجسادهن، علما أن كل جزء في جسد المرأة مثير ومغر للرجل = لا شك أن هذا يؤثر عليه، فهو بشر من لحم ودم وليس من حجر وحديد، ولديه شهوات وغرائز وأهواء، ولهذا من الطبيعي أن تتأثر حياته الزوجية، خصوصا إذا لم تكن زوجته ذات جمال يملأ العين والنفس، أو لم تكن تحسن إشباعه نفسيا وعاطفيا وجنسيا، أو لم تكن مستوعبة لمدى الفتنة التي يتعرض لها زوجها يوميا مع طبقات شتى من البنات والنساء. لهذا؛ فمن نصح لنفسه من الشباب لا ينبغي أن يتخصص في طب النساء، وضرورة التعامل معهن بالكشف عليهن يومياً، فالأمر مغامر خطرة، وفتنة شديدة، لها عواقب وخيمة.

253. العلمانية والآخرة

علمانيا؛ الآخرة لا معنى لوجودها! فالآخرة في الرؤية الإيمانية تعني الحساب والجزاء والثواب والعقاب، وكل هذا لا يكون إلا بوجود منظومة أحكام منزَلَة من الله تعالى يحاسب ويجازي عليها العباد في الحياة بعد الموت، وبدونها لن يكون هناك أي معنى لكل ذلك، بل سيكون الأمر أدنى للعبث والظلم والاعتباط! لكن العلمانيين يرفضون أن يكون لله تعالى في الأرض هذه المنظومة التشريعية التي تتضمن (افعل ولا تفعل)، وإذن، فرفض العلمانيين لشرع الله تعالى يسحب ضمنيا الأساس الموضوعي لعالم الآخرة بعد الموت. ولهذا، فالموقف المنطقي للعلماني هو عدم الإيمان بالآخرة، أما دعوى الاعتراف بها فيضعه أمام تناقض صارخ، أي إن المرء لا يمكن أن يكون علمانياً قبل أن ينكر الآخرة!

254. إله العلمانيين

إله العلمانيين إلهٌ عجيب!! الإله العلماني خلق الإنسان ثم قدّم استقالته، فلا شأن له به، ولا يبالي به، ولا ينظر إليه، بل لقد تركه هملا سدى، فلا يأمره ولا ينهاه، ولا يحاسبه ولا يثيبه ولا يعاقبه، إنه إله كيوت، بل إله تافه جداً لأن ملوك الأرض لا يرضون بما رضي به هو لنفسه، لأنهم يمارسون إصدار الأمر والنهي، والحساب والجزاء، أما هو فقد خلق الإنسان عبثاً وتركه سدى، يخبط في الحياة وينظمها كيف يشاء. ولهذا؛ فالعلماني لا يؤمن بالآخرة، أو على الأقل فإن طبيعة العلمانية تمنع الإيمان بالحياة بعد الموت، لأن الإيمان بالآخرة يعني وجود الحساب والجزاء، والثواب والعقاب، على مواقف الإنسان ونشاطاته وسلوكياته، لكن الإله

العلماني كما قلنا إله قدّم استقالته مباشرة بعد الانتهاء من عملية الخلق، وأعرض عن الإنسان، فلم يضع له نظام الحياة وضوابط النشاط والسلوك، ولهذا فالحياة بعد الموت علمانيا لا معنى لها، اللهم إلا أن يؤمن العلماني بأن هناك حياة بعد الموت كائنة، لكنها محصورة في الجنة ولا وجود لجهنم، ومن ثم، فالحياة بعد الموت موجودة لكي ينتقل العلماني إلى نعيم الجنة جزاء وثواباً على حياته العلمانية في الأرض! إن إله العلمانيين إله عجيب، كيوت، تافه.. ونحن نكفر بهذا الإله!

255. التبرير والتعليل للملحدين

أيها المسلم: لا تبرر للملاحدة أي شيء في دينك أو سيرة نبيك أو القدر الإلهي، بل كن فخوراً بدينك ونبيك، وكن فخوراً بانتمائك وعبوديتك لربك سبحانه، أما هؤلاء الملحدة فلا تأسف عليهم لأن جهنم واسعة جداً ولن تضيق عنهم. وإنما يجب أن تقول: هذا حكم الشرع، أو هذا تصرف النبي صلى الله عليه وسلم، أو هذا قدر الله تعالى، إن قبلته فأنت مؤمن وإن رفضته فأنت كافر مرتد، والعذاب الأليم ينتظرك مباشرة بعد لحظة الموت. لكن؛ هناك بعض الشباب المسلم يعانون من مشكلة مزعجة لهم، وهي أنك تجدهم يحرصون كل الحرص على تبرير كل شيء في الشرع والقدر والسيرة النبوية ولو بالتعسف والباطل، وهذا يدل على ضعف الشخصية الإيمانية والإدراك لمنظومة الإسلام فيهم أكثر من أي شيء آخر!

256. التعدد حل نموذجي وليس مشكلة

التعدد ليس لإثبات الرجولة، ولا لإغاظة الزوجة، بل هو تكليف جديد ومسؤولية إضافية، وضغوط مضاعفة. حسبك فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راع وهو مسؤول عن رعيته﴾، وأيضا قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت﴾. ومن هنا؛ فالتعدد حل وضعته الشريعة، لكن بعض المتهورين من ذوي الحماسة حولوه إلى مشكلة، والأصل أن من لا يستطيع التعدد لافتقاد شروطه الشرعية والموضوعية لا ينبغي أن يفتح على نفسه بلاء هو في غنى عنه، فيظلم نفسه ويظلم امرأتين أو إحداهما. كم من متهور بادر للتعدد، ولأنه لا يملك شرط قوة الرجولة وقوة النفس، جاءت مثلا الزوجة الأولى تذرف دموع التماسيح، فما كان إلا أن طلق الثانية، وبذلك تسبب لها في مأساة أليمة، أو تقوم بذلك الزوجة الثانية فيطلق الأولى، فيفتح عليها بذلك باب شقاء وبلاء لا يعلمه إلا الله. وكم من متهور بادر للتعدد، ولأنه لا يملك شرط قوة المال، فوجد نفسه يعيش في ضغوط مالية خانقة، بل منهم من يهضم حقوق إحدى الزوجتين لصالح الأخرى، فإحداهما أشبه بالفقيرة والأخرى

أشبه بالغنية. كم من متهور بادر للتعدد، ولأنه لا يملك شرط قوة الإعفاف الجنسي، فإذا به يعجز عن إعفاف الزوجتين، فهما متزوجتان لكنهما تفتقدان الإشباع والإعفاف الجنسي، لأن الزوج ليس قادرا على القيام بواجب الإعفاف لهما معا. ومع هذا، فأنت ترى في كثير من المنشورات والتعليقات: قم بالتعدد عليها، لو لم يُمنع التعدد لحُلت المشاكل، وما يشبه هذا الكلام الدال على عدم وضوح الرؤية، والغفلة عن واقع التعدد.

257. جناية النسوية على المرأة

النسوية رفعت ثقل المسؤولية عن الرجل التي ما زال يتحمل تكاليفها عبر القرون للحصول على المرأة، من أجل أن الأصل في العلاقة بين الرجل والمرأة أنها علاقة جنسية، لكن، لكي يحصل الرجل على المرأة هناك طريقان لا ثالث لهما: إما بالزواج الشرعي وإما بالزنا والسفاح. أما الزواج فهو يعني تكاليف ومسؤولية مقابل الحصول الشرعي المعترف بها اجتماعيا على المرأة، وأما الزنا والسفاح فهو يعني الحصول على المرأة بلا تكاليف ولا مسؤوليات. ولأن الجنس غريزة مركزية في البشر، الذكر والأنثى، لا يمكن للمرأة النسوية أن تتجاوزها أو تنسلخ عنها أو تتحرر من قبضتها أو تتفادى ضغوطها، لكن هذه المرأة النسوية تجد نفسها لإشباع هذه الغريزة بين خيارات بعضها أشد من أشد: فهي أن تشبعها بالعادة السرية، لكن هذه الممارسة مستنزفة مع مرور الزمن، أو أن تشبعها بالسحاق أي بالفعل مع امرأة مثلها، لكن هذا حل مؤقت خانق وضغوطه أشد، أو أن ترفض إشباعها، لكنها ستدفع ثمنا باهظا من نفسيتها وأعصابها، والحل الأخير أن تبحث عن الرجل، لكنها تكره الرجل. من جهة أخرى، فإن الإنجاب يشكل للمرأة النسوية كابوسا فظيعا، فهو يشعرها بالقهر والسحق والخضوع، كما أنها يحرمها من الانطلاق وتحقيق الذات، رغم أن الأمومة غريزة قوية جدا لا تقل عن غريزة الجنس نفسها. وهنا تجد المرأة النسوية نفسها مضطرة لإهداء نفسها للرجل يستمتع بها (ولتحصل هي أيضا على المتعة) بدون أية تكاليف أو مسؤوليات تترتب على ذلك. وحتى في حال قررت الإنجاب لإشباع غريزة الأمومة، ثم طرد الرجل، فإنها تجد نفسها مرغمة على القيام بدور الرجل في تنشئة الطفل وتحمل تكاليفه المالية والنفسية والبدنية. لهذا كله، يمكن القول بأن النسوية تقدم خدمة جليلة للرجل. ثم حتى لو ذهبت ترفض رفضا قاطعا أي التقاء بالرجل، سواء للحصول على متعة الجنس أو للحصول على غريزة الأمومة، فإنها تكتشف أنها بعد تجاوز عتبة الـ 45 عاما على أقصى تقدير، صارت منتهية الصلاحية، وصارت جيوش الوحدة والعزلة تغزو نفسيتها، فلا تسأل عن مأساتها الصامتة التي تجعل كل لحظة تمر عليها كأنها سنة!

258. عدم رؤية الملائكة والجن

إذا جادلك أحد حول رؤية الملائكة عليهم السلام ــوكذا الجنــ لنا وعدم رؤيتنا لهم، فيمكنك أن ترد بالآتي: (**1**) الإيمان بوجود هؤلاء المخلوقات ينبني على الإيمان بوجود الله تعالى، فإذا آمنت به سبحانه لزمك الإيمان بهم، لأنه أخبر عنهم. (**2**) ليس في الإيمان بوجودهم، ومن ثم برؤيتهم لنا وعدم رؤيتنا لهم أي استحالة عقلية، بل ذلك يدخل في الإمكان العقلي، وهذا الإمكان يؤكده الوحي والإيمان. (**3**) عدم رؤيتنا لهم لا يدل على عدم وجودهم، فالعجز عن الرؤية ليس دليلا على العدم، فأنت لا ترى الكائنات الدقيقة التي تعيش في مناطق مختلفة من جسدك، لكنها موجودة. (**4**) مثال حسي آخر، وهو أن هناك نوعا من الزجاج ترى أنت من داخل الغرفة من بالخارج، ولا يرى من بالخارج من بالداخل، وعدم رؤيته لا يدل على عدم وجود من بداخل الغرفة. وإذن، فحتى الملحد الذي يزعم أنه لا يؤمن إلا بما تراه عينه لا يستطيع نفي وجود الملائكة والجن والشياطين، لأن أقصى ما معه هو نفيه عن حسه الشخصي، وهذا ليس معياراً ولا برهاناً، لما سبقت إليه الإشارة في رقم 3 و 4، بل حتى على مستوى الفيزياء والفلك، تجد العلماء يضعون فرضياتهم ونظرياتهم تتضمن وجود عناصر غير مرئية لكن الحسابات تؤكد وجودها، ثم بعد أجل مسمى يطول أو يقصر من البحث وتطور وسائل الرصد والملاحظة يدخل هذا العنصر غير المرئي سابقا الى دائرة الرصد الحسي.

259. أسباب تكاثر الشبهات

تتكاثر الشبهات والمشكَلات لأسباب، أبرزها: (**1**) الجهل مطلقاً، فالجهل حجاب كثيف. (**2**) الآفات القلبية، كالكبر والعجب والرياء. (**3**) أسس مبتدَعة، تُقدس لأنها قواعد المذهب. (4) الرؤية المادية، تحصر الحقيقة في الدنيا. (**5**) الثقافة الغالبة، فالتقليد الفكري يعمي ويصم. (**6**) سلطة الجماعة، التشبه يبغَض للنفس ما خالفه. (**7**) عدم تعظيم الوحي، يجعل التعامل معه شكليا. (**8**) كثرة المعاصي، فلها ظلمة تعلو عين العقل والقلب. وسر هذا الأمر؛ هو أن الله تبارك شأنه وضع في الفطرة معايير الحق، ونصب عليه في الخارج الكثير من الأدلة، لأنه سبحانه خلق الإنسان لمعرفته وعبادته، فلا يمكن إذن أن يضل العبد إلا لأسباب تصرفه عن معرفة الحق أو تمنعه عن قبوله أو تصده عن اتباعه والالتزام به. وقد أدرك عتاة المفسدين في الأرض وجنود إبليس هذه الحقيقة، ولهذا تراهم اليوم يتفننون ويجتهدون في تكثيف أسباب الضلال والشكوك والغفلة، لكيلا يجد إنسان هذا العصر مجالاً للتوقف والتساؤل والبحث عن الحق. والله المستعان.

260. معجزة القرآن

قول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء ٨٢]، إشارة عجيبة لمعنى من معاني الإعجاز في القرآن الكريم. وذلك أن القرآن قدم منظومة شاملة ومتنوعة للعقيدة والتصور، وللسلوك والنشاط، وللأخلاق والقيم، وللأحكام والتشريعات. أي إن القرآن تحدث عن الله، وعالم الغيب، وعن التاريخ، والحياة، والكون، والدنيا والآخرة في سياقات مختلفة ومتداخلة. وهنا يوجه القرآن من خلال هذه الآية إلى أن هذه المعطيات كلها رغم تنوع مجالاتها واختلاف جوانبها إلا أن القرآن صهرها في سبيكة واحدة، وجمع بين شتاتها بما يرسم صورة الحقيقة المطلقة. فحديثه عن الله تعالى لا يتعارض مع حديث عن التشريع، ونظام التشريع عن يتخالف مع حديثه عن حركة التاريخ وقوانينه، وكلامه عن الحياة والكون لا يتناقض مع كلامه حول ركائز الاعتقاد، وقس على هذا. من أجل ذلك، فإن هذه القدرة العجيبة في التأليف بين هذه المجالات وتقديم الحق فيها بلا اختلاف ولا تناقض بين عناصرها، من أعظم مظاهر الإعجاز والعظمة في القرآن الكريم. لأنه لا يوجد مخلوق يستطيع الكلام في هذه المجالات بلا تناقض ولا جهل ووهم وقصور! وهذا يحركك لفهم الجواب على تلك الشبهة الباردة التي يرددها الملاحدة والنصارى حول تفرد القرآن بالقول بأن الفلاسفة كتبوا والأدباء قالوا، ولا أحد يستطيع أن يقول مثل قولهم!! فهذا كما ترى كلام يتفجر جهلا، لأن الغرض ليس مجرد الكلام ولو بلغ عشرات المجلدات، بل الإحاطة والشمول والتكامل بلا اختلاف ولا تناقض ولا قصور، وهذه الغاية يستحيل على القوى البشرية بلوغها.

261. تشكل الإلحاد في النفس

ما ألحد ملحد إلا بعد تراكمات من الاعتراضات على الشرع والقدر، ومراجعة تاريخ الإلحاد تؤكد على هذه الحقيقة. بل إبليس نفسه لم تكن معصيته حين أمر الله تعالى بالسجود لآدم إلا بالاعتراض على أمره وقدره: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾، بل إذا نظرنا في أول معصية في تاريخ البشرية سنجد أنها كانت بالاعتراض على أمر الله وقدره، وكانت من ابن آدم الأول الذي حسد أخاه على أن تقبل الله منه دونه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَۖ﴾. وهذا الاعتراض يدخل في باب (الابتلاء العقلي)، لأن أفعال الله تعالى وأسرار أحكامه كثيرا ما تأتي على غير هوى النفس، وفوق مدارك العقل، ولذلك يقع في هذه المعصية حتى بعض العلماء والعُبّاد فضلا عن عوام المتدينين. وإنما كان الاعتراض على شرع الله أو قدره كبيرة نكراء وجريمة شنعاء، تكون عقوبتها

الحيرة والشكوك، ثم قد تصل إلى الكفر والإلحاد، لأنه يتضمن الشرك بالله تعالى، والشرك ظلم عظيم كما قال الله تعالى في القرآن. ومعنى كونه شركاً، أن المعترض يضع عقله ورأيه وهواه في مرتبة الله تعالى، ومن ثم، فهو يساوي نفسه به تبارك شأنه. وهذا يتضمن خطيئتين: (**الأولى**) سلب الألوهية كمالها وعظمتها، لأن الاعتراض اتهام لله تعالى بسوء التدبير التشريعي والقدري للخلق. (**الثانية**) إضفاء الذات معنى الكمال والعظمة، لأن الاعتراض إثبات للذات برجاحة الرأي وصواب الاقتراح. أي إن المعترض على شرع الله وقدره يقول: يا رب، حكمه وقدرك مجانب للصواب، ومضاد للحكمة، بل ينبغي أن يكون على كذا وكذا مما يوافق هواي ويناسب رأيي. وهذا كما ترى، تناقض بيّن، إذ كيف للمخلوق أن يكون أعلم وأحكم وأكمل من الخالق؟ إن الاعتراض على شرع الله وقدره شبكة شياطين الإنس والجن في طريق الشباب والبنات المسلمين، بضروب من الأقاويل وفنون من الشعارات، فليحذر مسلم من كيدهم، فإن العبد لو أتى الله تعالى بكل معصية من معاصي الجوارح خير له ألف ألف مرة من أن يأتيه بمعصية الاعتراض على أحكام شرعه أو تدابير قدره. فاللهم ثبتنا وعافنا.

262. تضييع الآباء لتربية أبنائهم

قصة كثير من آباء هذا الزمان مع أبنائهم وبناتهم: منذ صغره أو صغرها، يفتحون له ولها التلفاز، بلا رقابة صارمة، ثم لاحقا يشترون له ولها الهاتف، بلا رقابة صارمة، أما الأصدقاء والصديقات فلا داعي للتذكير بأن هؤلاء الآباء لا يبالون بهم وبهن. ثم، فجأة، وقد بلغ هذا الابن أو هذه البنت 15 عاما أو أكثر، إذا بالوالدين (اللذين ضحيا كثيرا لتوفير مستقبل مادي زاهر له أو لها) يكتشفان بأن هذا الابن صار لا أدريا أو لادينيا أو حتى ملحدا، وبأن هذه البنت صارت تردد شعارات النسويات، فالرجل بالنسبة لها جحيم، والزواج عبودية، وحريتها فوق كل اعتبار وهي الشيء الوحيد المقدس. هنا، يصرخ الأب والأم: وي، وي، ما هذا؟ من أين دُهينا؟ من السبب؟ كيف حدث هذا؟ ولماذا حدث هذا؟ وتظل الأسئلة والاستفسارات والصراخ، دون أن يتوقفا قليلا ليفهما أنهما السبب الأول في هذه النتيجة أو قل الكارثة!! وبالمناسبة هذا وقع فيه حتى بعض الآباء والأمهات الذين (يهتمون بالدعوة كما يقولون) أو عموم التدين والالتزام. هؤلاء الآباء والأمهات يتعاملون مع أبنائهم وبناتهم بمنطق شديد السطحية والسذاجة، إنهم لا يريدون أن يفهموا أن هذا الابن وهذه البنت هدف مهم للمفسدين في الأرض منذ نعومة أظافره، عبر أفلام الرسوم المتحركة، وكذلك اللعب والدمى، ثم لاحقا عبر مقررات الدراسة. فهؤلاء المفسدون يبذلون جهودا ضخمة، وأموالا طائلة، وخططا ماكرة

لإخراج الأجيال الصاعدة أجيالا مطبوعة بطابع الميوعة والتفاهة، وبطابع الدنيوية والشهوات، وبطابع عدم الخصوصية والهوية الدينية والعقدية. والله المستعان

263. حاجة الابنة لاحتواء الوالدين

(هل صحيح أن الفتاة التي لم تجد الحب في بيت أهلها تبحث عنه في الخارج أو يسهل خداعها باسم الحب؟). هذا الكلام جزء من الحقيقة وليس كل الحقيقة. نعم، الإنسان خصوصا المرأة يبحث عن دفء الحب والحنان، ويظل يرغب فيه، سواء حصل عليه في بيت أهله أم لا، لأنها طبيعة فطرية، وسواء في سن 16 عاما أو سن 50 عاما. الذي يحدث حين لا تجد الفتاة في بيت أهلها الدفء والحنان والعطف والحب، يكون ذلك ضاغطا على نفسيتها، وهذا الضغوط الذي يعكس شعور الحرمان، يكون (ضمن عوامل أخرى) مهيئا لها للسقوط أو الانخداع. لكن، رغم هذا، فهذا القول حين يقال يجب أن يقال على سبيل التفسير لا على سبيل التبرير. ولهذا، تؤاخذ الفتاة شرعا وعرفا إذا سقطت في الزنا أو مقدماته أو مجرد التعارف بدعوى الحب، لأنه لا عذر لها في هذا السقوط رغم حاجتها الغريزية لذلك، وإلا لو قلنا بالتبرير لكل حرمان من غريزة نفسية لوقعنا في الفوضى ولما كان للتكاليف الشرعية اي معنى، والاصل في الشريعة أنها جاءت لضبط غرائز النفس وتهذيبها. فالفقير لا عذر له في السرقة لأنه فقير! والشاب لا عذر له الزنا أو مشاهدة الإباحية لأنه عاجز عن الزواج! والمقصود: يجب أن نقول لكل فتاة، نعم، من حقك الحب والعطف والحنان، لكن هذا ليس مبررا لك للسقوط، فأنت منذ دخلت سن التكليف بالبلوغ صرت مسؤولة ومحاسبة على تصرفاتك ونشاطاتك وعلاقاتك. فاصبري واثبتي واستقيمي حتى يفرج الله عنك، أو حتى تموتين وتدخلين إن شاء الله الجنة وفيها لك ما تشتهي نفسك مما لا يخطر على بالك الآن من الشهوات واللذات. والله المستعان

264. تضخيم الديموقراطية

من يذكّر صبيان الغرب "العلمانيون، الليبراليون" وبعض الإسلاميين، الذين يلهجون بالديموقراطية، وأنها أعظم نظام أنتجه البشر! ولذا، فبالنسبة لهؤلاء لا حضارة ولا تحديث ولا ازدهار للبلدان العربية إلا بالديموقراطية! مَن يُذكّر هؤلاء جميعاً بأن الصين بلغت اليوم في التحضر والازدهار والتقدم، اقتصاديا وتقنيا وعلميا مبلغا لم تبلغ جملة من الدول الغربية نفسها، فضلاً عن الدول العربية والإسلامية، بل وهي مرشحة لاحتلال مكانة أمريكا خلال العقود القليلة القادمة، ومع ذلك كله فهي ليست ديمقراطية بل استبدادية بحسب المقاييس الغربية!! فهل يمكن أن نقول بأن الصين إذا جلست على عرش العالم كما تجلس اليوم

أمريكا، سنجد هؤلاء المستعبدين للغرب يؤكدون على أن الحضارة والتحديث لا يمكن فصلهما عن الاستبداد، والحزب الواحد، وتضييق مجال الحريات، والمراقبة الصارمة للشعب!!

265. كراهة الموت وقلة المال

قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿اثنتَانِ يَكرهُهما ابنُ آدمَ: يَكره الموتَ، والموتُ خيرٌ للمؤمنِ من الفتنةِ، ويَكرهُ قِلَّةَ المالِ، وقِلَّةُ المالِ أَقَلُّ لِلحسابِ﴾. قلت: أما كون الموت خيراً للمؤمن، فلأنه يذهب إلى ربه وخالقه، وهو رابح عليه سبحانه، فإن تفضل عليه ابتداء برحمته فهو خير له ونعيم معجل، وإن عامله بعدله فكذلك هو خير له، لأنه خفف عنه العقوبة بقطعه عن المعصية، ثم مآله دخول الجنة. وبالموت ينتقل المؤمن من ضيق الدنيا ونكدها وضغوطها إلى رحابة الأبدية وسعادتها ونعيمها. وأما كون قلة المال أقل للحساب، فلأن من نوقش الحساب فقد عُذب نوعا من العذاب حتى وإن لم يدخل جهنم، ألا ترى في الدنيا إذا شدد عليك موظف إداري أو شرطي في الوثائق وما يشبه ذلك كان في ذلك نوعا من العذاب لك!! والله يهدينا ويثبتنا ويرحمنا ويعاملنا بفضله.

266. زبدة العلوم القرآنية

من نظر في القرآن وجده يتحدث عن: (1) الله تعالى، من حيث ذاته وأسماؤه وصفاته وأفعاله. (2) عالم الغيب، من حيث مكوناته ومخلوقاته وعجائبه. (3) طبيعة الوجود، من حيث نشأته ووظيفته ومصيره. (4) حقيقة الإنسان، من حيث أصله ودوره وطبيعته ومصيره. (5) حركة التاريخ، من حيث سننه ومساراته ومآلاته. (6) منظومة القيم، من حيث مركزيتها وآثارها ومصدرها. (7) ضوابط الأحكام، من حيث أصولها وقواعدها ومقاصدها. وهذا كله يقرر عندك حقيقة كبرى، وهي أن القرآن حوى زبدة العلوم العقلية، وخلاصة المعارف اليقينية، وصفوة المطالب الإلهية. أما ما تراهم يقولون عنه "العلوم العقلية" فليس يعدو أن يكون عبثاً من عبث العقل حين يفقد نور الوحي وبوصلته ومرجعيته! وآية ذلك؛ أنك لا تكاد تجد أحداً تعمق في علم الوحي إلا وتجده أسد رأياً، وأرشد عقلاً، وأكثر صواباً، وأنور قلباً، وأشرح صدراً، ولا تكاد تجد أحداً تعمق في العلوم العقلية إلا وتجد من أكثر خلق الله اضطراباً، وحيرة، وشكوكاً، وتناقضاً، وانقباضاً!

267. ثلاثية حقيقة التوحيد

احفظ هذه الكلمات الثلاثة وتفكر فيها: (لا رب بحق إلا الله). المعنى: الله سبحانه خالق كل شيء في الوجود، وُجد أو يوجد أو سيوجد، وهو المدبر لكل شيء والقائم عليه، ولا شيء يخرج عن سلطان إرادته، أو يتجاوز حدود قدرته. (لا معبود بحق إلا الله). المعنى: الله سبحانه المستحق للعبادة، سواء أكانت عبادة القلوب كالتوكل والمحبة والتعظيم والاستغاثة والدعاء، أو كانت عبادة الجوارح كالصلاة والركوع والسجود والجهاد والذبائح. (لا مشرع بحق إلا الله). المعنى: الله سبحانه المستحق للحكم والتشريع، يحكم بما يشاء ويشرّع ما يريد، فالخلق خلقه، مع اليقين أن كل شرعه وحكمه خير ورحمة وعدل وحكمة. واعلم –بارك الله فيك– أن هذه العناصر الثلاثة وثيقة الصلة فيما بينها، بل لا يمكن الفصل بينها، إلا على سبيل البيان والتفهيم، لأن الخالق الحق لا يكون إلا الإله الحق، والإله الحق لا يكون إلا الحاكم الحق. ولهذا تجد القرآن يجمع بين هذه العناصر في نسق واحد، ويرتب بعضها على بعض، كما في قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف ٥٤]، فالخلق كلمة جامعة للإيجاد والتدبير والقيومية، وكلمة الأمر جامعة للحكم والتشريع والإرشاد.

268. مستندات وحدانية الله تعالى

تتجلى مستندات وحدانية الله تعالى في القرآن في الآتي: (أولا: كمال الذات)، فقد قرر القرآن أن الله سبحانه له الكمال المطلق والعظمة اللانهائية في ذاته وأسمائه وصفاته، قال تبارك شأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١]، أي لا يشبه هو شيئاً من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه، لأنه متفرد بالكمال المطلق. (ثانياً: تناسق العالم)، فقد قرر القرآن أن العالم في ظاهره وباطنه في غاية التناسق ومنتهى النظم ودقة الإبداع، قال جل جلاله: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك ٣] أي إن الوجود في غاية التصميم والنظام والإتقان، لأنه خلق الله تعالى ذي الكمال والجمال والعظمة. (ثالثاً: حجة النبوة)، فقد قرر القرآن أن الله سبحانه ما زال يبعث إلى البشرية منذ كانت أنبياء اصطفاهم لحمل رسالة الوحي ليبينوا للناس لماذا هم هنا، وماذا يجب عليهم، وإلى أين يسيرون بعد الموت، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة ٢١٣]، فأصول النبوات واحدة لأن المرسل واحد سبحانه. (رابعاً: وحدة الفطرة)، فقد قرر القرآن أن الله تعالى قد خلق الخلق على فطرة واحدة ذات معنى واحد، قال سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم ٣٠] ولهذا يشترك كل البشر في نفس المبادئ العقلية وفي نفس النزعات الروحية وفي نفس الغرائز النفسية. واعلم

–علمك الله– أن المستندات الثلاثة الأخيرة «العالم، النبوة، الفطرة» مؤسسة على المستند الأول «كمال الله»، لأنه مصدرها، ولهذا تجد هذه المستندات الثلاثة تتسم بالثبات والتناسق والانسجام، سواء في نفسها أو فيما بينها، فلا اختلاف بين النبوة والفطرة، ولا بين النبوة والكون، ولا بين الفطرة والنبوة، ولا بين الفطرة والكون، ولهذا يستحيل أن يكون هناك تعارض بين الوحي الصريح والعقل الصحيح أو بين الوحي الصريح والعلم التجريبي القطعي. فسبحان الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد، تفرد بالوحدانية واستبد بالكمال والعظمة اللانهائية، لا إله إلا هو.

269. التفكير الشبكي

من أهم ما ينبغي على طالب العلم الحرص عليه في بناء منهجية تفكيره، ما يمكن أن نصطلح عليه بـ (التفكير الشبكي)، والمقصود أن ينظر لأي موضوع نظرة مركبة، تتداخل فيها جملة من المعطيات والعناصر، فتكون هذه النظرة أشبه بشبكة تترابط خيوطها هنا وهناك، لكنها جميعا يؤثر بعضها في بعض ويتأثر بعضها ببعض. وأنت إذا استعرضت القرآن، ستجد سمة العرض الشبكي بارزة ساطعة، فلن تجد فيه مثلا عرضا لمسائل الاعتقاد بأسلوب البحوث والفصول، بل تجده يستعرض معطيات العقيدة في سياقات مختلفة، في النفس والتاريخ والكون والحياة والقيم والسلوك والتشريع والارتقاء والسقوط والمصير والآخرة، وهذا ما يمنح مكونات الاعتقاد القوة والرسوخ والفاعلية والحركة. كيف إذن تكتسب هذا الأسلوب؟ يكون ذلك _بعد فضل الله وتوفيقه_ بكثرة القراءة الموسعة والمتنوعة، بعد ترسخ الرؤية الوجودية الإسلامية لديك، لأنها المرجعية العليا والمعيارية التي تضبط لك حقيقة الأفكار والأشخاص والأحداث. وأيضا بالحرص على التفكير بهذا الأسلوب في مختلف المواضيع والمجالات لكي يصير عادة لعقلك في الفهم والتحليل والتفسير. وكذلك بالكتابة الكثيرة والدائمة.

270. منزلة الصحابة

من نظر في مقالات الصحابة أيقن بأمرين: الأول: أنهم رضي الله عنهم لم يخطر ببال أحدهم قط إمكانية أن يرد في القرآن أو السنة ما يناقض العقل. الثاني: أنهم رضي الله عنهم لم يخطر ببال أحدهم قط إمكانية أن يرد في القرآن أو السنة ما ينقض بعضه بعضاً. بل كانوا رضي الله عنهم يجزمون على اتساق القرآن والسنة، وانسجام الوحي والعقل والفطرة والواقع، ومن ثم، لم يكن أحد منهم يذهب مذهب تقديم عقله ونظره على القرآن والسنة، بل كانوا رضي الله عنهم يعظمون الوحي غاية التعظيم، ويوقنون كل الإيقان أنه

حقٌّ كله، لا يأتيه الباطل من أية جهة مفترضة، ولهذا كانوا إذا أُشكل على أحدهم الشيء في القرآن أو السنة يسألون سؤال الاستفسار لمعرفة المعنى الذي غاب عنهم، وغمض عليهم. وهذا المنهج منهم من دلائل قوة إيمانهم، ورجاحة عقولهم، وصفاء قلوبهم، عكس مبتدعة المتكلمين والمتفلسفين الذين أصّلوا لإمكانية التعارض بين الوحي والعقل، فخبطوا في كثير من المسائل والقضايا.

271. أشراط الساعة

أحاديث أشراط الساعة وأخبارها وما يكون بين يديها، من جملة العقيدة التي جاء بها نبينا صلى الله عليه وسلم، ولهذا، يكون الاهتمام بها والنظر فيها والتوفر عليها، مهما للمسلم. وقد تلاعب الشيطان بقوم اعتقدوا أن هذا الأمر لا قيمة له، بل ذهبوا مذهب التهمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأئمة العلم بإشاعة السلبية والتواكل والخمول في الأمة. وحسبهم هذا شراً لو كانوا يعقلون. وإنما أوتي هؤلاء من قِبل جهلهم بمقاصد الأخبار، وتأثرهم بالنظرة المادية الطاغية في هذا العصر. وأذكر لك هنا معنيين من مقاصد الخبر بأشراط الساعة، وهما: (**1**) الدلالة الحسية على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه مسلم، فهذه الأشراط تقوم عند مسلم زمانها مقام المعجزات الحسية التي حضرها الصحابة رضوان الله عليهم، ولا شك أن رؤية تحقق خبر من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو بشكل عام، يزيد المسلم إيمانا، ويعزز فيه اليقين. (**2**) تحصين المسلم عقديا وفكريا ونفسيا وسلوكيا عند حدوث هذه الأحداث وتحقق هذه الأشراط، فلا شك أن من يعلم بما سيقع من الوقائع العظيمة يكون مستعدا نفسيا لها، حتى إذا ما وقعت كان بمنأى عن صدمة حدوثها، وعرف كيف يتعامل معها لما معه من العلم النبوي بها. فكما ترى، فإن الأمر يحمل صورة شفقة النبي الأعظم، ورحمته ورأفته بأمته كلما تطاول بهم الزمان، فصلى الله عليه وسلم عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته. والله المسؤول أن يعصمنا من الفتن.

272. الناس في القرآن

ذكر الله تعالى الناس، فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة ٢٤٣] (تكررت 3 مرات). ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف ١٨٧] (تكررت 12 مرة). ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [هود ١٧] (تكررت 6 مرات). وترتيب هذه الصفات السلبية بحسب تكرارها هو: عدم العلم، ثم عدم الإيمان، ثم عدم الشكر. ولهذا لا خير في الناس، فما أهلك الناس إلا الناس! يمارس الناس دور السلطة المعنوية على الفرد، من خلال كثرة الكلام، وتنويع الانتقاد، وتكرار التخويف من الخروج على النمط المعهود بينهم،

وتبشيع تجاوز حدود تفكيرهم ورؤيتهم، وبهذا يخضع الفرد رغما عنه للجماعة (العائلة، الأصدقاء، المجتمع) لأنه يخشى نبذهم وإقصاءهم له! ولهذا يسايرهم في تقاليدهم وأهوائهم واقتراحاتهم، حتى وإن كان في قرارة نفسه رافضا لكل ذلك! إن جمهور الناس يتبعون أهواءهم، ولهذا فإن مقاومة ضغوطهم وانتقاداتهم موقف عظيم لكل من يريد أن يعيش حرا، يكيّف تفكيره وسلوكه واختياراته في إطار القرآن والسنة وكلام العلماء. إنه موقف عظيم خصوصا في أزمنة الجهل والتفاهة والميوعة والسعار المجنون وراء الدنيا، كما هو شأن زماننا الحاضر. إنه موقف عظيم لأن مواجهة الناس تحتاج لشجاعة قوية وإيمان راسخ وبصيرة منيرة وصبر طويل.

273. شقاء الناس بأيديهم

من الرسائل التي توصلت بكثير منها، فيستبد بي العجب وتغمرني الدهشة، رسالة متزوجة تحكي أنه مضى على زواجها سنوات طويلة، ولديها أبناء، وأنها الآن تعبت، فزوجها لا يصلي أو لا يكاد يصلي، أو لا يخفي عنها أنه يزني ويخرج مع الساقطات، أو غارق في مشاهدة الأفلام الإباحية، أو لا يريد الانتهاء عن محادثة البنات في وسائل التواصل رغم أنه تجاوز 45 أو 50 عاما. ورسالة متزوج يقص أنه مضى على زواجه سنوات طويلة، ولديه أبناء، وأنه لم يعد يطيق زوجته، فهي لا مبالية ولا تهتم به لا قليلا ولا كثيرا، غارقة في التفاهة والسخافة، تفشي اسرار البيت لأهلها أو صديقاتها، لا تحترمه ولا تقدره بل تتعامل معه بأسلوب العناد والندية والتمرد والكبر. قلت: أين يكون هؤلاء خلال الستة أشهر الأولى، خلال العام الأول، خلال العامين الأولين؟؟ نعم، نعذر من تغير شريكه بعد سنوات من الاستقامة معه، لكن أن تعيش مع شخص بمثل هذه السلبية والسوء وأنت تعلم ذلك وتراه منذ الشهر الأول من الزواج، وتستمر على ذلك لسنوات؟ فهذا عجيب. الحل في مثل هذه الحالات هو أن يجلس الطرفان مع طرف ثالث له عقل وحكمة وخبرة، ويتحاورون ثلاثتهم ويعرض كل طرف ما لديه، فهنا إذا كان عندهما معا الرغبة الصادقة في التغيير، فسيكون الأمر كذلك، وإلا فسيظل الأمر على ما هو عليه. مرة قال لي والدي خلال الكلام في موضوع معين: أعجب لنا، تجد الزوجين لا أحد منهما يطيق الآخر، ومع ذلك نظل مرتبطين رغم كل شيء، نقاسي ونعاني، ونعيش حياتنا كأننا في سجن، لماذا عندما نعجز عن الاستمرار معا لا نتطلق؟ بل نفضل المعاناة الصامتة وأحيانا الصارخة.

274. شكوى الفضلاء من ضيق الدنيا

عبر التاريخ المديد للعلم والفكر والفلسفة، شكا كثير من أرباب هذه الصناعات من أمرين: أولهما؛ قلة حظوظهم من الدنيا وتأبّيها عليهم، وعلة هذا، أن التوفر على الدنيا يتطلب التنازل عن المبادئ والخضوع للسلطة الحاكمة والسير في ركابها وعدم الاعتراض عليها، وهذا أمر يُفترض أن أهل العلم والفكر والفلسفة لا يمكنهم القبول به والموافقة عليه. ثانيهما؛ لامبالاة الجمهور بهم لضيق دائرة شهرتهم، وعلة هذا، أن جمهور الناس يربطون بين الشهرة وصحة الرأي وسداد المذهب، ويستبعدون هذه الصحة والسداد مع الجهالة والخمول، وهذا أمر يُفترض أن أهل العلم والفكر والفلسفة لا يسعون إليه ولا يحرصون عليه. ثم؛ أليس هؤلاء يستقبحون ما عليه العامة من الجهل والغفلة والتفاهة، ويستعظمون ما هم عليه من العلم والفكر والفلسفة! فهل يريد هؤلاء الاستحواذ على فضيلة العلم والفلسفة، وشرف المال والدنيا؟! ومهما كانت العلة، فالأمر أولا وآخراً أقدار يجريها سلطان العالم ومدبر الوجود، بأسباب واعتبارات، ولله الحجة البالغة.

275. اقتضاء الشرف الستر والحشمة

لما جاءت ملكة سبأ إلى نبي الله سليمان عليه السلام، أُدخلت مكاناً عجيباً، أرضيته زجاجية، فلما رأته ﴿حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ﴾، أي رفعت ثوبها قليلاً عن ساقيها لتفادي الابتلال بالماء كما توهمت. وهذا الفعل من الملكة أي الكشف عن ساقيها يدل على أن ثوبها كان طويلاً ساتراً، رغم أنها كانت كافرة. ومن هنا، يمكن تقرير أن الستر سمة من سمات الشرف والنبالة ورفعة القدر وشرف المكانة، وهو ما يعني أنه حتى في الزمن القديم لم تكن تتخفف من لباسها وسترها إلا الغانيات لاصطياد الرجال، أما الشريفات القدر فلم يكنّ متبرجات، فالشرف والعفاف يقتضي الستر والحشمة. نخرج من هذا للقول بأن المسلمة التي تتبرج بشتى أنواع التبرج (يدخل فيه الحجاب الضيق: شد حزام وسط البطن، فيظهر الصدر بارزا على حدة، والخصر بارزا على حدة)، هذه المسلمة اقترفت: **(1)** معصية عظيمة في ميزان الشرع، فالحجاب فريضة شرعية، ولهذا فهي بالتبرج آثمة فاجرة حسب مدى تبرج لباسها، **(2)** متشبهة بالساقطات القدر عبر التاريخ، وبالفاجرات العاهرات قديما وحديثا، ومن تشبه بقوم فهو منهم. **(3)** شيّأت نفسها، إذ جعلت بلباسها الآخرين ينظرون إليها نظرة جنسية صارخة، خصوصا إذا كانت جميلة. **(4)** خادمة لأجندات شياطين الإنس والجن في إفساد المجتمعات وتفكيك الأسر والعلاقات الزوجية. والخلاصة: أنت متبرجة، إذن لا تتحدثي عن الشرف، فيكفي أنك تتشبهين بالساقطات القدر في كل زمان ومكان، منذ كانت البشرية وإلى أن تفنى!

276. ضرورة اختيار الزوجة الراشدة

حدثني الثقة.. دكتور جامعي تزوج بفتاة أمية من البادية، لأنه رغم كونك أكاديميا، إلا أن تفكيره في هذا كتفكير بعض رواد وسائل التواصل: تزوجها أمية لتربيها على يديك، فالأمية من البادية تكون بريئة من لوثات النسويات والنساء السلافع. المهم، صاحبنا الأكاديمي كانت له مكتبة ضخمة في البيت (ربما المسكين ما يزال يؤسسها كتابا بعد كتاب خلال سنوات طويلة)، ثم إنه لاحظ اختفاء الكتب باستمرار، فكان أن اكتشف أن المدام الغالية ترمي بها بعد تمزيقها. وفي النهاية طلقها. المقصود هنا، أن فكرة (تزوجها أمية من البادية) فكرة مغرقة في السذاجة والاختزال والسطحية. نعم، قد تجد فتاة أمية من البادية وهي مع ذلك طيبة وعلى حياء، وتعرف شؤون البيت، وربما لا تجد معها كثير صعوبة في التهذيب والإصلاح. لكن، هؤلاء قلة، لأن المفسدين في الأرض لم يتركوا البادية والقرى بمنأى عن الإفساد، فلقد أوصلوا إلى هناك شبكة الهاتف والإنترنت، ومن قبل أوصلوا التلفاز والصحون اللاقطة للقنوات الفضائية، وأنت خبير بطبيعة المسلسلات المدبلجة، والبرامج المذاعة باللهجة العامية. الخلاصة: تريد أن تتزوج، فابحث عن ذات الدين والصلاح، ومن معها حظ من المعرفة والعلم والثقافة، ثم لا يهم بعد ذلك أن تكون ذات مستوى الثانوي أو مستوى الجامعي، أما هذه الحماسة المنفوخة فإن عاقبتها تؤول إلى شر وبلاء وفتنة. وتذكر أنه ليس كل بنات البادية طيبات، ولا كل بنات الجامعة شرّيرات.

277. أهمية الجهاد

قال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «لا يَدَعُ قَومٌ الجِهادَ في سبيلِ اللهِ إلَّا ضرَبَهُمُ اللهُ بالذُّلِّ، ولا يُشيعُ قَومٌ الفاحِشةَ إلَّا عَمَّهُمُ اللهُ بالبلاءِ». قلت: وهذه قاعدة ثابتة في تاريخ الدول العظمى قديما وحديثا، وانظر الأمة الإسلامية قديما لما كانت ترفع راية الجهاد كيف كان شأنها، ثم لما أعرضت عنه إلى أي شيء آل أمرها! وكذلك انظر حديثا كيف أن أمريكا لا تستطيع الاستمرار في مركز الصدارة إلا بخوض الحروب باستمرار! رغم الفروق الشاسعة بين الأمة الإسلامية وغيرها من الأمم الكبرى في خوض الحروب، من حيث الدوافع والضوابط والغايات. ولهذا لن يعود لهذه الأمة مجدها وعزتها وكراكمتها –وكل هذا كائن إن شاء الله– إلا بالعودة إلى تفعيل شعيرة الجهاد، وهذا ما ثبت في السنة النبوية عن عودة الخلافة الراشدة في آخر الزمان.

278. استنزاف السلفي والأشعري

إذا أردت أنا السلفي أن أصنع كتابا في الرد على الأشاعرة فعلى الأرجح لن أجد سوى تكرار المكرر، لأن هناك عشرات الكتب التي ناقشت العقيدة الأشعرية، من كل جوانبها وبكل جزئياتها. وإذا أردت أنت الأشعري أن تصنع كتابا في الرد على السلفيين فعلى الأرجح لن تجد سوى تكرار المكرر، لأن هناك عشرات الكتب التي ناقشت العقيدة السلفية، من كل جوانبها وبكل جزئياتها. لكن، إذا أردت أنا وأنت كتبا تناقش قضية الحكم بغير ما أنزل الله تعالى، وماذا ينبغي على عوام المسلمين تجاه ترسانة القوانين الوضعية المفروضة عليهم، فكم ترانا سنجد من الكتب؟! سنجد رفوف المكتبة الإسلامية خالية منها إلا عناوين تعد برؤوس أصابع اليد الواحدة!! أليس هذا من صور الخلل الفكري لدى الفريقين معا! نعم، بلا شك، فإن العقيدة مركزية في الرؤية الإسلامية، وهي الأساس والمنطلق، لكن، حين يتحول الأمر إلى تكرار المكرر وجدل بارد كيل التهم، مع إهمال تام أو شبه تام لجانب الحكم بما أنزل الله، علما أن الحكم بالشرع حق الله، فهنا كما قلت يوجد خلل بل خلل فظيع جدا!! لكن يبدو أن كثيرين وجدوا الخوض في المعارك العقدية في صورتها القديمة كما كانت بين المتكلمين أهون بكثير من الخوض في معركة الحكم بما أنزل الله، لأن الأولى لن تكلفهم شيئاً، أما الثانية فتضعهم وجهاً لوجه مع الحكومات العلمانية الطاغوتية!

279. أثر الطاعة والمعصية

لما كان المراد الأقصى للشريعة أن يبلغ العبد الكمال الممكن له في عالم الدنيا وذلك لا يكون إلا بالعبودية لله تعالى، فإن النتيجة المهمة المترتبة على ذلك، هي أن كل معصية يقترفها العبد نقص من كماله المطلوب منه الارتقاء إليه، لأن المعاصي ظلمة، بقدر ما تكون المعصية عظيمة تكون الظلمة كذلك. وكل طاعة يفعلها العبد كمال يضاف إلى كماله المطلوب منه الارتقاء إليه، لأن للطاعات نور، بقدر ما تكون الطاعة عظيمة يكون النور كذلك. ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إنَّ العبدَ إذا أخطأَ خطيئةً نُكِتت في قلبِهِ نُكْتةٌ سوداءُ، فإذا هوَ نزعَ واستَغفرَ وتابَ سُقِلَ قلبُهُ، وإن عادَ زيدَ فيها حتَّى تعلوَ قلبَهُ، وَهوَ الرَّانُ الَّذي ذَكَرَ اللَّه "كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"﴾ (سنن الترمذي)

280. حكم المسائل العقدية

المسائل الكبرى للعقيدة لا تدخل في باب الخطأ والصواب، بل في باب الحق والباطل. لأن العقيدة ليست رأيا يصيب ويخطئ، بل مقررات نبوية ثابتة، موافقها محق، ومخالفها مبطل. إن الرأي حكمه الاحتمال، أما العقيدة فحكمها الجزم واليقين. بحيث يمكن أن نقول: رأيي صواب ويحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ

ويحتمل الصواب. أما عقيدتي فهي الحق واعتقاد غيري باطل. واليوم هناك سعي جبار وجهود هائلة لحصر العقيدة في باب الخطأ والصواب، لتكون من باب الرأي المحتمل الذي لا يتطرق إليه الجزم واليقين، وهي جهود تُبذل لكي تسقط العقيدة في النسبية والسيولة المعيارية. يترتب على ذلك منع الإنكار في الاعتقاد، بدعوى أن الكل محتمل الخطأ ومحتمل الصواب، وبهذا سيكون محتملا جدا أن تكون العقيدة النصرانية مثلا صوابا، وسيكون للملاحدة الحق في نشر عقائدهم!!

281. الانتحار ليس حلاً

يتوهم البعض أن الانتحار حل لمشاكله، لكنه ليس كذلك، ولا يمكن أن يكون كذلك! لا للمسلم ولا للملحد، فالانتحار إلحادياً مشكلة إضافية، لأن السؤال هو لماذا يريد الملحد الانتحار؟ سيقول: للتخلص من مأساة الحياة، فيقال له: الشعور بالمأساة وإدراكها وعياً يتطلب قدراً كبيراً من تجاوز أفق الرؤية المادية للذات والحياة والعالم، وكل هذا يخالف الرؤية الإلحادية! وأما بالنسبة للمسلم؛ فالانتحار في حكم الإسلام: كبيرة من الكبائر العظيمة، وجريمة من الجرائم المنكرة، يعاقب مرتكبها عليها بالعذاب الأليم في قبره ويوم حشره، لأنه يتضمن معنى الاعتراض على القدر، واتهام لله سبحانه بالظلم، وأيضاً الجهل بالسنن الإلهية في حياة البشرية، وترهل الإيمان، وغياب اليقين والتوكل. فالانتحار في أوله وآخره جهل من ثلاث جهات، فهو جهل بالله تعالى، وجهل بطبيعة الدنيا، وجهل بحقيقة الآخرة. ولكل هذا؛ الانتحار لا يستقيم على أصول الإلحاد ولا على أصول الإسلام.

282. أنواع التطبيع

يبذل المنافقون والمفسدون جهودا ضخمة، ويحشدون إمكانيات هائلة، وبأساليب في غاية الخبث والمكر، لإسقاطك في فخاخ التطبيع. والتطبيع الذي يشتغلون عليه أنواع: (أولا) التطبيع الأخلاقي مع الانحراف، (ثانيا) التطبيع النفسي مع التفاهة، (ثالثا) التطبيع الفكري مع النسبية، (رابعا) التطبيع العقدي مع الشرك، (خامسا) التطبيع الاجتماعي مع الغرب. وهذه الجهود المبذولة ليست وليدة الساعة، بل ما زالوا يقومون بها منذ عقود طويلة جدا، بدء من المقررات الدراسية، ومرورا بالإعلام المرئي والمسموع والمكتوب، ووصولا إلى ترسانة القوانين. ثم، إنك مهما قلّبت وجوه الرأي في الشيء الذي يراهنون عليه في تحقيق أهداف هذه الأنواع الخمسة من التطبيع، ستهتدي إلى أنه "الجهل بالإسلام"، فجهلك أنت أيها المسلم/ أيتها المسلمة هو "أوكسجين" خططهم الأثيمة وأهدافهم المجرمة. وبهذا فالواجب والمسؤولية يقعان عليك في مساعدتهم

على تحقيق ما يريدون فتنال بذلك وسام إبليس، وغضب الرب، والعذاب في الآخرة، أو الرفض والتحدي والمقا ومة بالحرص على تعلم دينك الذي تنتمي إليه، والذي يحرصون على سلخك عنك..

283. حقيقة المعركة الحالية

المعركة الشرسة التي تدور اليوم، وتحشد لها إمكانيات هائلة، وتنصب لها وسائل جبارة، ويجند لها حشود من صناع الرأي والسلوك. هذه المعركة ليست نفي وجود الله تعالى، أو الطعن في دينه وشريعته، رغم أن كل هذا لا يزال قائما، إلا أنها مرحلة ماضية كان هدفها تهيئة أجواء معركة اليوم. هذه المعركة هي العمل على تغيير الفطرة بشكل جذري، وبوتيرة سريعة، وبأسلوب الصدمة، وبمنطق المواجهة المباشرة، وليس الاجتهاد في نشر اللواط والسحاق، وليس الاجتهاد في إشاعة الاباحية والترويج لها، وليس الاجتهاد في طمس الفروق بين الرجل والمرأة. ليست صور هذا الاجتهاد الذي كما قلت تبذل له إمكانيات هائلة وأموال طائلة وأطر جبارة، سوى مظاهر لهدف تغيير الفطرة! لكن، لماذا التركيز على تغيير الفطرة؟ الجواب: (أولا)، لأنه نتيجة طبيعية وحتمية لمسار نشر الإلحاد والمادية، فمع غياب وجود الله تعالى في الوعي والشعور يكون كل شيء ممكنا وجائزا ومباحا، ولهذا فالجاهلية لا قرار لها، ومن ستطول به الحياة سيرى في مستقبل الأعوام العجائب! (ثانيا)، لأن تغيير الفطرة (وليس المقصود استبدال الفطرة الإلهية بفطرة جديدة فهذا مستحيل) سيترتب عليه سقوط المعايير نهائيا، لأنه حتى مع نفي وجود الله تعالى، تظل هناك جملة من قيم الفطرة لها شيء من السلطة على الإنسان، فالله سبحانه خلق الفطرة خيّرة وصالحة ومحبة للعدل، لكن مع عملية التغيير العنيفة والشديدة تسقط المعايير الفطرية، ومع هذا السقوط يموت الإنسان قيميا! فلا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا، منغمس إلى أقصى حد في بوتقة المادية والدنيوية! من أجل ذلك، على كل مسلم أن يحرص على حماية نفسه من تأثير هذه الحرب العالمية على الفطرة، وألا يستهين بما يجري، وعليه أن يحرص شديد الحرص على حماية أبنائه وبناته فالجيل الصاعد هو المقصود أساسا وهو الذي يتعرض لقصف هذه الحرب أصالة، ولا نملك سوى أن ندعو الله تعالى بأن يعجل بتدمير هذه الجاهلية المستكبرة.

284. موت المؤمن والكافر

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً﴾. معنى الآية: يوم يرى الكفار والمنافقون والمجرمون من أعداء الله ورسوله والمؤمنين، يوم يرون الملائكة عليهم السلام، عند الموت، وفي القبر، وفي الحشر، يجدونهم يستقبلونهم بالنقمة الوبيلة، والخزي العظيم، وبالإهانة البالغة، والتوعد الشديد بما ينتظرهم

في نار جهنم من العذاب الرهيب، وتقول الملائكة لهم: رحمة الله وكرامته ونعميه محرم عليكم. وهذا بخلاف المؤمن الصالح، فإن الملائكة عند الموت، وفي القبر، وفي الحشر، تستقبله بالبشارة البهيجة، والحفاوة الجليلة، والترحيب الكريم، والوعد الجميل بما ينتظره في الجنة من النعيم الأبدي. وقد ثبت هذا وذاك في مواضع أخرى من القرآن والسنة، ولهذا قالت العلماء: من مات قامت قيامته.

285. العمل ودخول الجنة

قالت العلماء: قول الله تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (الأعراف:43) لا يتعارض مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ أحَدًا عَمَلُهُ» (صحيح مسلم)، وذلك لأن الآية أثبتت فقط السببية، ونحن نقول بذلك، لأن الله تعالى وضع الدنيا والآخرة على قانون الأسباب، ولهذا لن يدخل الجنة أحد من الإنس والجن إلا من جاء بالسبب الشرعي لدخولها، وهو الإيمان والتوحيد والعمل. أما الحديث فليس فيه نفي لمعنى السببية، وإنما فيه نفي لمعنى المعاوضة والثمنية، أي إن الحديث نفى أن يكون عمل المسلم ثمنا للجنة، وذلك لأن العبد لو عاش مليون عام يطيع الله تعالى ولا يعصيه طرفة عين، فإن عمله لا يكون ثمنا للجنة، لأن الجنة نعيم أبدي، ومعلوم أن العمل المحدود لا يمكن أن يكون ثمنا لنعيم غير محدود. نسأل الله تعالى أن يرحمنا بالجنة.

286. كمال الرسالة المحمدية

من مبادئ ديننا: (**1**) كل ما يحتاج إليه المسلم من الاعتقاد والأحكام والآداب قد عرضه القرآن والسنة أكمل عرض، و بأوضح بيان، وضرب له البرهان، وأقام عليه الحجة. (**2**) كل ما جاء في القرآن والسنة في الاعتقاد والأحكام والآداب لا يحتاج فيه المسلم إلى مصادر أخرى لفهمه، كالمنطق والفلسفة وغير ذلك. (**3**) كل حق قد يوجد في الأديان والفلسفات، ففي القرآن السنة ما هو أكمل منه، وأعظم منه، وأبين منه، ويستحيل أن يوجد حق مما يحتاج إليه المسلم ولا يذكره الوحي. والذي يظن ــفضلا عن أن يعتقدــ غير هذه الأصول الثلاثة، فهو يتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتمان شيء مما أُمر بتبليغه للناس. وإذا كان هذا الظن الكامن كفراً، فذلك لأنه يتضمن التشكيك في صدق قول الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾. ولهذا تجد في مذاهب المتكلمين والمتصوفين والمتفلسفين وغيرهم، ممن استعان بمصادر أجنبية على القرآن والسنة، تجد لديهم من الحيرة والتناقض والابتداع والضلال بقدر ما حكّموا تلك المصادر على القرآن والسنة.

287. موقف المسلم تجاه الوحي

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾، أفادت هذه الآية المباركة أن المطلوب من العبد تجاه الوحي ثلاثة مطالب: **(1)** العلم بأنه الحق المطلق الذي لا يتطرق إليه الباطل، سواء في الاعتقادات أو التشريعات، لأنه تنزيل رب العالمين. وفي هذا دعوة للمسلم لكي يتعلم دينه ويبحث فيه ويفتش عنه، ليفهم حقائقه ويستوعبه مضامينه ويدرك براهينه. **(2)** الإيمان الراسخ بأنه الحق المطلق، لأن العلم إذا اقتصر على أن يكون مجرد معلومات تتزاحم في الذهن، لم ينفع صاحبه، بل بالحري أنه يكون وبالا عليه. وأحد أهم مقاصد العلم رسوخ الإيمان وقوة اليقين. **(3)** لم ينزل الوحي ليكون معلومات أو ليقدم ثقافة معرفية، بل ليحقق الهدف من وجود الإنسان، وهو العبادة لله تعالى بمفهومها الشامل والمتكامل، فهذه هي ثمرة العلم والإيمان. ولهذا فالمطلوب الثالث من العبد العمل والخشوع والإخبات. فبقدر ما يتحقق للعبد من هذه المطالب يكون معه من الاستقامة في العقيدة والسلوك والآداب والفهم والبصيرة.. والله الموفق

288. علمنة الجيل الصاعد

يتعرض المسلم والمسلمة اليوم، منذ الصغر، عبر مراحل التعليم، والإعلام، والقوانين، يتعرض لعملية علمنة شخصيته، من حيث الفكر والرؤية، ومن حيث السلوك والنشاط، ومن حيث الأهداف والطموحات. هذه العملية من المؤكدات على أن العلمانية رؤية شمولية تعمل على إزاحة الإسلام باعتباره رؤية شمولية منافسة. يمكن بيان مظاهر هذه العلمنة التي تمارس على المسلم والمسلمة منذ الصغر في الآتي: **(1)** ينشأ المسلم والمسلمة منذ الصغر بنمط واحد، في اللباس، في مقرر الدراسة، وبهذا تذوب الفوارق في لاوعيهما بين الرجولة والأنوثة، فيشب الفتى وهو لا يشعر أنه رجل، وتشب الفتاة وهي لا تشعر أنها أنثى! **(2)** ينشأ المسلم والمسلمة منذ الصغر برؤية واحدة نحو الدنيا والآخرة، فالآخرة تُستبعد من الوعي والشعور والثقافة، ويكون التركيز على الدنيا، وأنها معيار تحقيق الذات والاستقلال والنجاح والسعادة والشخصية المثالية! **(3)** تستبدل معايير الرؤية الإسلامية للأحداث والاشخاص والافكار والسلوكيات بمعايير علمانية، فإذا كانت المعايير الإسلامية تستقى من الله تعالى (مرجعية الوحي)، فإن معايير العلمانية تستقى من الإنسان (مرجعية الهوى)! تراهن العلمانية على هذه الخطة الناعمة في تخريج جيل من الشباب والبنات لا يربطهم بالإسلام إلا الاسم وشهادة الميلاد، ومن ثم تراهن العلمانية على أن النصر في معركة الرؤية الوجودية والشخصية سيكون

حليفها. أما نحن فنقول ونعتقد بأنه صحيح أنه ستخرج ربما أجيال من الشباب والبنات مطبوعين بطابع المادية والتفاهة والميوعة والهشاشة، لكن، المؤكد أن النصر النهائي سيكون حليف الإسلام ضد الجاهلية/العلمانية المحلية والعالمية.

289. تصنيف القرآن للناس

القرآن الكريم مليء بالوعد والوعيد، وبتصنيف الناس إلى مؤمن وكافر ومنافق وفاسق ومجرم وظالم، وببيان الأفعال والمقالات التي ترتب عليها هذا التصنيف والوعد والوعيد. فحين يأتي لكع بن لكع يقول: الحمد لله أن الجنة والنار ليست بأيدكم، أو يقول: دعووا الخلق للخالق هو يحاسبهم يوم القيامة كما يشاء، وما يشبه هذا المعنى. فهنا، يجب أن نقول له: أنت جاهل بألف باء دين الله تعالى أو خبيث ماكر تريد التلبيس على المسلمين.. فلو كان الأمر كما تزعم أيها الجاهل (ولا كلام عن الخبيث لأن هدفه من وراء دعوته معروف) إذن لكان إرسال الرسل وإنزال الكتب والشرائع عبثاً، ولكان جها د رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين فمن بعدهم عبثا بل ظلما، لأن فعل الجهاد منهم يعني أنهم لم يتركوا الخلق للخالق يحاسبهم يوم القيامة، بل قاموا بالتصنيف والحكم على الأشخاص بالكفر والشرك والردة. بل إن هذا القول الجاهل يتضمن الاعتراض على الله تعالى، فلقد أخبرنا الله تعالى في القرآن أنه أنزل أليم العقاب بكثير من أمم الكفر والشرك بعد أن رفضت دعوة أنبيائهم، فلو صح هذا القول لكان إذن ينبغي أن يتركهم الله تعالى بلا عذاب في الدنيا بل يكون ذلك في الآخرة فقط، ولا شك أن هذا الظن من الكفر البواح، لأنه كما قلنا اعتراض على الله، والاعتراض يتضمن معنى التجهيل والتسفيه والحكم بالظلم. إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في الأعمال والمقالات، وبيان الأحكام الشرعية لهذه الأعمال والمقالات، وما يترتب على ذلك من الأوضاع في الدنيا والآخر، هذا من صميم ديننا وجوهر عقيدتنا. فالإسلام لم يأت ليكون دروشة هادئة، بل بالحري ليكون حركة موّارة في مواجهة الجاهلية في الاعتقاد والسلوك والقوانين والقيم، ولتكون له الكلمة العليا، قولا وحالا، حكما وواقعا. ثم يقال لهذا الجاهل: أنت تطالبنا بترك الخلق للخالق، فلماذا لا تتركنا أنت للخالق؟

290. لا تعبث مع الهوى

من أخطاء كثير من الشباب والبنات: العبث مع الهوى والغرام! تبدأ القصة بخدعة بريئة لكنها وخيمة العاقبة، وهي: وجدت فيها ما أتمناه، واتفقنا على عدم تجاوز الحدود، إلى أن أتخرج أو أعمل، وهي تقول:

وجدت فيه ما أتمناه وقررت انتظاره، مع عدم تجاوز الحدود في التواصل بيننا. وهنا يكون الشيطان قد بدأ عمله في نفوسهما، لكن، بهدوء وصمت، ومن بعيد بعيد، وهو خلال ذلك يغزل لهما الشبكة، ويفتل لهما الحبل، ويزين أحدهما للآخر، وهكذا تمر الأيام، وفي الإثر تمر الشهور، ثم ينتبهان فيجدان أنفسهما في ورطة الهوى مع العجز عن الزواج! ولذا أوجه دائماً الشباب إلى: أنت غير مستعد للزواج الآن إذن ابتعد نهائيا عن فكرة البحث عن فتاة الأحلام، وإلا فإنك ستدفع الثمن باهظا من أعصابك وراحتك. وأوجه دائماً البنات إلى: هذا الشخص غير مستعد للزواج الآن إذن لا تقبلي أن تعطيه شطر كلمة، وإلا فإنك ستدفعين الثمن مكلفا من أعصابك وراحتك.

291. مشكلتهم مع القرآن

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُۚ﴾، (يونس:15). كشفت هذه الآية الدوافع الحقيقية لرفض الإسلام، فمشكلتهم مع القرآن، فهم لا يريدنه على ما هو عليه: منهج عقيدة وسلوك وحياة وقوانين، ولهذا يطالبون بقرآن جديد أو التغيير في نصوص القرآن الموجود لتتناسب مع أهوائهم وشعاراتهم وطموحاتهم ونمط حياتهم! كذلك كان الأمر مع كفار قريش، وكذلك هو الأمر اليوم مع العلمانية الليبرالية والرأسمالية الغربية، وكذلك سيظل الأمر ما بقي في الأرض، إسلام وجاهلية، وإيمان وكفر، وتوحيد وشرك، وحق وباطل! مشكلتهم الحقيقية مع القرآن، لأن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي لا يجامل في الحق، وهو الكتاب الوحيد الذي لا يقبل أنصاف الحلول، وهو الكتاب الوحيد الذي يرفض رفضا قاطعا أن يشارك اللهَ أحد من الناس في التشريع للناس، وهم -في كل زمان وكل مكان، بمختلف أسمائهم واتجاهاتهم وشعاراتهم- لا يقبلون بهذا، بل يريد الله تعالى إلها هناك في السماء لا في الأرض، وهناك في مجاهل الضمير لا في واقع الحياة، وهناك في المسجد والزاوية لا في شؤون السياسة والاقتصاد والقانون والتربية والتعليم! هذه هي مشكلتهم الحقيقية، ولهذا يبذلون جهودا صخمة لتفريغ القرآن من مضامينه، وتزييف حقائقه، والتلاعب بمعانيه، ليكون واقعا في حس المسلم ووعيه اسما بلا مسمى، وشكلا بلا معنى! ذلك لأنهم عجزوا -رغم إمكانياتهم الهائلة- عن حذف القرآن من الوجود، أو على الأقل حذف النصوص التي لا تناسب جاهليتهم الشاردة!

292. فضيلة فاطمة الزهراء

ما هي البصمة التي تركتها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنها؟ لا شيء، فهي لم تترك أقوالا في التفسير، ولا أقوالا في الفقه، ولا أقوالا في الحديث، ولم تتدخل في شؤون الدعوة والرسالة لوالدها صلى الله عليه وسلم، ولا غير ذلك. ولكن مع ذلك.. هي رضي الله عنها من سيدات نساء الجنة. وإذا شئت البصمة العظيمة التي كانت لها في الحياة، فهي: **(أولا)** حرصها الشديد على طاعة الله تعالى، والتعبد له، والتقرب إليه، بأنواع من الأعمال الصالحة، كقراءة القرآن، والذكر، والصلاة. **(ثانيا)** حرصها الشديد على حيائها وأنوثتها وعفافها، فلم تكن خرّاجة ولاّجة، بل هي من قالت: "خير للمرأة ألا ترى رجلا ولا يراها رجل". **(ثالثا)** حرصها الشديد على حسن التبعل لزوجها علي رضي الله عنه، لعلمها الوكيد أن حسن التبعل للزوج من طاعة الله تعالى، وأن الزوجة لن تشكر الله ما لم تشكر زوجها بحسن الطاعة والموافقة. **(رابعاً)** حرصها الشديد على تربية ولديها الحسن والحسين رضي الله عنهما، فلقد غرست فيهما العقيدة الصحيحة، والأخلاق الحميدة، والفضيلة السامية، فكانا سيدا شباب أهل الجنة. السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها لا يوجد لها حضور في خطاب النسويات المحجبات، لأنها لا تخدم أهدافهن، ولا يوجد في حياتها ما يؤيد شعاراتهن، إلا قصة رفضها رضي الله عنها زواج زوجها عليها وليس لهن في موقفها حجة كما هو مبين عند أهل العلم. وهذا ما يحمل المسلمة الليبية اليوم على عدم الاغترار بهؤلاء المفسدات بشعارات إسلامية!! فعندما يحدثونك يا مسلمة _وإنما نخاطب العاقلة الصالحة_ عن البصمة، وضرورة ترك بصمة في الحياة، فتذكري جيدا نموذج فاطمة الزهراء رضي الله عنها، واجعليها قدوتك ونموذجك في الحياة.

293. مسار الغواية

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ [الأعراف ١٧٥]. هذا رجل رزقه الله تعالى علما واسعا ومعرفة غزيرة «ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا»، فإلى ماذا آل أمره؟! لقد آل أن صار «مِنَ ٱلۡغَاوِينَ»، والغواية لفظ يحمل معنى الفساد والضلال والإسراف والإمعان في الانحراف. لكن، كيف حدث هذا؟ لقد بدأ الأمر معه في السقوط خطوة بخطوة «فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا»، والانسلاخ لفظ يحمل معنى النزع والخروج من الشيء بتدرج كسلخ جلد الشاة يكون شيئاً فشيئا. لقد كان هناك الشيطان «فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ»، ولفظ أتبع أدل من لفظ تبع في الإشارة إلى السيطرة والإحكام، فكأن الشيطان مازال يترقبه ويترصده، في كل خطوة وفي كل حركة، ينفخ فيه من هنا ويزين له من هناك، بشكل خفي وبطيء، إلى أن امتلأت نفس هذا الشقي بالغرور والكبر، وبالغفلة واللامبالاة، فصار في قبضة الشيطان يتلاعب به كيف شاء! إنها قصة كل عالم وطالب علم، وقصة كل سالك وعابد، حين يبدأ التنازل والرضوخ، أو حين يفتح في

نفسه نافذة العجب والكبر، أو حين يلهث وراء الشهوات.. فالشيطان ليس مستعجلا، بل لديه نفس طويل يمتد إلى آخر لحظة خروج روح العبد من الجسد. فاللهم احفظنا واعصمنا وثبتنا.

294. كيف تعاملين زوجك؟

أيتها الزوجة _والخطاب موجه للعاقلات فقط_ تعاملي مع زوجك تعامل الموظفة مع وظيفتها وزملائها ومديرها، وستنجحين في حياتك الزوجية نجاحا باهرا: **(1)** الموظفة يوميا، كل صباح تعمل نظافة شخصية، وتنتقي لباسا أنيقا غير الذي لبست في اليوم السابق. **(2)** في الشغل لا تمسك عن الابتسامة المشرقة والمجاملات اللفظية مع الموظفين وخصوصا مع المدير. **(3)** يوميا تحرص على أداء عملها كما يجب، وتحرص على إتقانه بلا كلل ولا ملل ولا تبرم على الأقل أمام المدير. **(4)** لا يمكنها أن تستسلم للإعياء أو الرغبة في الراحة، بل تجدينها حريصة على إظهار القوة والحيوية والنشاط. **(5)** تنتبه غاية الانتباه لتصرفاتها وطريقة كلامها مع الموظفين وخصوصا مع المدير لكيلا يكون انطباعهم عنها سلبيا. وكل هذا تفعله الموظفة لماذا؟ لأجل المرتب المالي آخر الشهر، ولأجل الترقية بعد مدة معينة، وربما لأجل الحصول على منح مالية تحفيزية، ولكيلا تُفصل وتُطرد من وظيفتها. فأنت إذن أحق منها بكل ذلك مع زوجك، لماذا؟ لأنك تطيعين الله تعالى في طاعتك لزوجتك، ولأنك تحافظين على استقرار بيتك، ولأنك تجلبين الهناء والسعادة لأسرتك.

295. ما ذنب من وُلد غير مسلم

(ما ذنب من نشأ على ديانة غير الإسلام إذا مات عليها ولم يفكر في تغييرها لاعتقادها صحتها كاعتقاد من نشأ في الإسلام بصحة معتقدهم فلم يلزمهم إثبات صحته بالأدلة العقلية والنظرية!). قلت: الإنسان غير محاسب على زمان ومكان ميلاده ولا على أبويه ولا مجتمعه، فكل هذا غير محاسب عليه لأنه خارج إرادته. وإنما يحاسب على العقل والإرادة والحرية الموهوبة له. واللهُ سبحانه قد وضع آلاف الدلائل الشرعية والعقلية والكونية على وجوده سبحانه، وعلى الرسالة المحمدية، فمن أعرض عن هذا، فهو مسؤول محاسب، ولا عذر له بأنه وُلد لأبوين كافرين. وكون الكافر يعتقد صحة عقيدته، لا قيمة لذلك، وإنما القيمة بواقع المعتقد هل هو صحيح أم لا؟ ويستحيل أن يكون معتقد الكفر صحيحاً حتى في نفسه ولو بدون معرفة الوحي، لأن العقل مبني على الحق. ولهذا، فالكافر ملزم بمجرد أن يسمع بدين الحق أن يبحث ويؤمن به، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي أو نصراني، ثم لا يؤمن بي إلا كان من أهل النار﴾. فإذا سمع الكافر بالإسلام ومع ذلك رفض البحث عنه،

فهو يعني أنه رفض عنادا، وليس على سبيل الحجة، لأن الله تعالى وضع في فطرة العقل القدرة على إدراك الحق، ودعم هذه الفطرة بآيات الوجود، وآيات الوحي. ولهذا رأينا مئات البشر من مختلف الديانات والثقافات والأعراق واللغات ينتقلون إلى الإسلام رغم أنهم عاشوا طويلا في الشهوات والضلال. فدل ذلك على أن وجود الله والإسلام مقتضى العقل ومطلب الفطرة. والقرآن كشف في جملة من المواضع بأن الكافر كفر لعناده وجحوده وغفلته وتقليده لسلفه، وأنه رفض البحث عن الحق بوسائل الحق، ولذلك لم يعذر الله تعالى أحدا من أقوام الأنبياء رغم أن فيهم الغوغاء أكثر من الأذكياء. أليس هذا الكافر نفسه لو أصيب بمرض ما تراه يبحث عن أفضل الأطباء لعلاجه حتى إنه قد يسافر إلى بلد آخر ويدفع الأموال الطائلة. فمشكلة الكافر إذن أنه يتعامل مع هذه القضية الكبرى باللامبالاة والاستكبار والتعصب الأعمى!

296. فتور العلاقة الزوجية

خذها قاعدة :الذي يقول لك أن بينه وبين زوجته حب كبير ولم يشعرا أبدا ببعض البرود والانزعاج والجفاف والنفور والملل، فهذا إما كاذب أو أعزب حالم!! فحب بلا ملل ولا نفور يوجد فقط في رواية رومانسية فاشلة!! والذي يقول لك أنه يعمل عملا حرا أو موظف وهو سعيد جدا ولم يشعر أبدا بالانزعاج من عمله والفتور والملل، فهذا إما كاذب أو غشاش في عمله!! فعمل بلا ملل ولا نفور يوجد فقط في كتاب تنمية فاشل!! ببساطة الطبيعة البشرية لا تقبل هذا.. فلابد للإنسان من بعض الملل والفتور في مختلف نشاطاته.. الفرق بين فلان وفلان يكمن في مدى القدرة على إدارة هذا الملل والفتور والجفاف والنفور. وسر ذلك، أن النفس البشرية لا تزال تضيق بواقعها، وتتطلع أبدا لواقع أفضل، وهذا الأفضل معنى كلي يتحقق واقعا بشكل جزئي، ولذا لا تزال أبدا تطلب الأفضل مهما تحقق لها من الأحلام والرغبات، ولعل هذا أحد أسرار التجديد الأبدي في الجنة في الشكل والمظهر وفي مختلف اللذات، وفي مشاهد الطبيعة من حولهم. ولهذا كان أهل كلما اطلع عليهم ربهم تعالى وتجلى لهم بجماله وكماله انقطع عنهم الحس باللذات التي هم فيها استغراقا في رؤية جمال الله تعالى وكماله، ولو لا أنه سبحانه يحتجب عنهم لما اهتموا أدنى من طرفة عين بنعيم الجنة من زوجات وطعام وشراب وغير ذلك. والله الموفق

297. العرف يحاكم إلى نفسه

قاعدة في فهم الأحداث والوقائع الاجتماعية والتاريخية: «العرف يحاكَم إلى نفسه، وليس إلى عرف غيره». مثال ذلك :زواج النبي صلى الله عليه وسلم من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. فهذا الزواج حدث

مع فارق السن بينهما، والمغرضون يستغلون هذا الحدث ليبثوا بعض سموم شبهاتهم في عقول الشباب والبنات، لغرس بذور النظرة السلبية للنبي صلى الله عليه وسلم، ومن ثم، نظرة التوقف والتردد في الدين الذي جاء به. والمغالطة التي يمارسها هؤلاء المغرضون هي هدر العُرف في ذلك الزمان، ومحاكمة الحدث إلى العُرف الراهن في زماننا. علماً أن حدث الزواج لو كان منتهكا للعُرف يومئذ لاستغله أعداء هذا الدين، فقد كانت قريش حريصة على الطعن في الإسلام، وكان المنافقون واليهود أشد حرصا على ذلك، بل ونصارى جزيرة العرب، بل وحتى خلال العصور اللاحقة، لم يوجد أحد من هؤلاء الأعداء يدخل إلى الطعن في الإسلام من مدخل هذا الحدث أي الزواج بعائشة، لعلمهم أنه عرف قائم في جغرافيا المجتمعات البشرية يومئذ.

298. أسباب الزنا بين الموظفين والموظفات

ما تراه من صور السقوط في حمأة الزنا ومقدماته، بين موظفة وموظف أو مدير، سواء عزباء أو متزوجة، أو بين متزوجة وأخ زوجها، أو غير هذا، فإن من أبرز أسبابه، أن الناس لا يتعاملون بحسب الطبيعة البشرية في الرجل والمرأة، أي إن الرجل لا ينظر لزوجته بمنظار الطبيعة البشرية فيها، ومن ثم، يرفض أن تعمل في مكان مختلط أو أن تختلط بأخيه، بل يتعاملون بمثاليات وشعارات لا قيمة لها في حكم الحقيقة، فالرجل يقول لك أنا أثق في زوجتي، الأب يقول لك أنا أثق في ابنتي، الزوج يقول لك أنا أثق في أخي، العزباء تقول لك ابن عمي مثل أخي أو نحن كبرنا معا. بل إغفال الطبيعة البشرية تجده حتى لدى شريحة من المشايخ والدعاة اليوم ممن تأثروا بالعلمانية والليبرالية والنسوية، فيدعون لخروج المرأة وعملها وضرورة تواجدها في الفضاءات العامة مع الرجل بدعوى أن الأمة تحتاج للمرأة!! وإذا نظرت في الشريعة ومقالات السلف وأهل العلم ستجد مبدأ الطبيعة البشرية في الرجل والمرأة معتبرا غاية الاعتبار، ولذلك ترى الشرع والفقهاء في منتهى التشدد في مسألة الاختلاط، ولا يبالي الشرع ولا العلماء بهراء المثاليات والشعارات التي يتعامل بها كثير من الناس اليوم. ولهذا تجد في العصور الخالية كانت أحداث زنا المحارم معدومة أو شبه معدومة، أما اليوم فمع هراء المثاليات والشعارات الفارغة كما قلنا كثر الزنا ومقدماته بين الفتاة وبعض شباب العائلة وبين الزوجة وأخ زوجها، واغتصاب الأب لزوجة ابنه، وسقوط متزوجة في فخ موظف معها.. إلخ.

299. أمور في الوحي لا نفهمها

(لماذا هناك أمور في الدين لا نفهمها؟). قلت، هنا مرتكزات، وهي: **(1)** من المهم تحديد الدين المسؤول عنه، وهو الإسلام. أما الأديان الأخرى كالنصرانية وغيرها فلا شأن لنا بها أن تكون غامضة ومبهمة.

(**2**) كل شيء تكلم الله تعالى عنه في القرآن أو رسوله صلى الله عليه وسلم في السنة، فهو معقول المعنى مفهوم الحقيقة، فالله جل جلاله لا يعبث. (**3**) القصور في فهم الحكمة في بعض موارد الوحي، نسبي، فليس العلماء كالعامة، والعلماء أنفسهم مراتب، ولذلك أسباب وعوامل. (**4**) من الطبيعي جدا أن يكون في الدين الحق ما يحتاج معه العبد لوقت ودراسة وتأمل لكي يفهم بعض جوانبه أو لا يفهمه أصلا، فالوحي تنزيل الذي يعلم ما في الوجود، وإلا لتساوى علم الخالق وعلم المخلوق، وهذا لا يمكن تصوره. (**5**) لو قدمت لك كتاباً في التحليل الفلسفي أو الفيزيائي أو السياسي أو غير ذلك، وأنت لم يكن اهتمام مسبق بمجال موضوع الكتاب، فمن المؤكد أنك لن تفهم كثيرا مما تقرأ، ولن تتهم الكاتب بل ستقول: عادي، فهذا ليس مجالي. (6) يجب أن تكون هذه القاعدة نصب عينيك: الله سبحانه له الكمال والعظمة اللامتناهية في ذاته وصفاته، ويستحيلا بفطرة العقل أن يكون في كلامه أو في خلقه شيء جاء على سبيل العبث والاعتباط. إذن؛ فعدم العلم بحكمته ليس علماً بعدم وجودها. ولهذا كان من أعظم مقامات الدين، مقام التسليم لله ولرسوله. (**7**) في الحياة هناك الكثير من الأشياء يحصل المقصود منها حتى والإنسان يجهل حكمتها وأسرارها. فأنت لا تعرف كثيرا عن الهاتف أو الحاسوب أو محرك السيارة، ومع ذلك تستفيد منها جميعا، رغم جهلك بعمل كل قطعة وكل جزء ضمن الكل في تلك الأجهزة، ولا تتوقف لتسأل كيف ولماذا، لأنك تعلم أن الأمر لابد له من حكمة ولمعرفتها لابد من الدراسة المعمقة. فكذلك نظام الوحي.. والله الموفق

300. مهمة المرأة المؤمنة والمنافقة

حين تبحث في القرآن عن انتماء المرأة، ستجد "المرأة المؤمنة" و "المرأة المنافقة" و "المرأة المشركة". لم يول القرآن اهتماماً ب "المرأة المشركة" إلا في موضع النهي عن الزواج بها، وبيان مصيرها الأبدي وهو النار. أما الاهتمام والتركيز، فقد كان ب "المرأة المؤمنة" و "المرأة المنافقة"، فقد وضع القرآن المرأتين في تقابل، سواء من حيث النشاط والوظيفة، أو من حيث الخاتمة والمصير. ففي النشاط والوظيفة: ﴿ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾. وفي الخاتمة والمصير: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾. ماذا يعني هذا التقابل بين (المرأة المؤمنة) و (المرأة المنافقة)؟؟ إنه يعني _ضمن ما يعني والله أعلم_ التنبيه والتوكيد على الدور الخطير الذي تمارسه المرأة المنافقة في واقع المجتمع المسلم، وهو دور يتمثل في توهين العقيدة،

وإضعاف الارتباط بالشرع، والترويج للفساد . وهذا يتجلى في عصرنا أكثر من أي عصر مضى، فاليوم هناك نشاط كثيف جدا تمارسه المرأة المنافقة، سواء في صورة "امرأة علمانية" أو في صورة "امرأة نسوية"، وسواء كانت متبرجة أو كانت محجبة. فانظر كيف تبذل اليوم المرأة المنافقة الجهود والوقت للدفع بالمسلمة نحو الخارج، والتواجد في فضاءات الرجل، والتخبيب على الزوج، وتوهين قيمة الزواج والأسرة، وتفخيم الانطلاق والحرية والانفتاح وتحقيق الذات!! ولهذا ينبغي على المرأة المؤمنة أن تكون واعية بهذه النشاطات، من حيث دوافعها وغاياتها، وأن تتعامل بمسؤولية مع تحركات المرأة المنافقة سواء في صورة نسوية متبرجة أو صورة نسوية محجبة.

301. بدون الإيمان لا معنى للحياة

إذا لم تكن تؤمن بالله تعالى والحياة بعد الموت؛ فالواجب عليك أن تبادر للانسحاب من مسرح هذه الحياة الدنيا، فما تصيب فيها من اللذات لا يقوم بما يصيبك فيها من البؤس والحرمان والآلام! حقاً؛ بدون الإيمان لا يوجد أدنى مبرر لتحمل تلك الضغوط! ولهذا؛ اسأل أي ملحد شئت، من العامة أو الخاصة: لماذا تتشبث بالحياة بالرغم من أنك تفصح دائماً بالانزعاج من كثرة الشرور والمآسي والشقاء فيها؟! فلن يرجع إليك بأدنى جواب معتبر!! بل حتى حين يريد الملحد أن ينت حر، فإنه لن يجد أدنى مبرر مادي للانتحار، فالانتحار في دلالته الفلسفية يعني الفشل في إدراك المعنى في الحياة والعالم، وفي دلالته النفسية يعني الشعور بعدم القيمة والغاية. وسواء هذه أو تلك، فإن الرؤية المادية أعجز من أن تقدم تبريراً لهما!!

302. التقوقع يضمر نماء شخصية الشاب

لا أحب للشاب المتدين (16 عاما فما فوق) أن يتقوقع على نفسه وفي بيته بدعوى التدين وأن الزمان فاسد وأنه لا يوجد أصدقاء صلحاء، لأن هذا التقوقع يعمل على إنشاء حالة ضمور لشخصيته بسبب الانفصال عن الواقع، لأن تفتح الشخصية ونماءها يتطلب خوض غمار الحياة. ولا شك أن هذا الضمور سيؤثر عليه سلبا. ينبغي على الشاب في مثل هذه السن أن ينطلق في الحياة: هناك الدراسة النظامية، وهناك ممارسة الرياضية، وهناك القراءة والمطالعة. والأصدقاء موجودون، يكفي بعض المرونة في التعامل معهم، فلا يمكن أن يكون الأصدقاء وفق ما نريد بنسبة مئة بالمئة، وهناك استغلال عطلة الصيف في خوض تجربة الشغل مع تاجر، مع نجار، مع كهربائي، مع خضار.. إلخ والذي يصر على التحصيل العلمي، يمكنه استغلال عطلة الصيف للرحلة إلى مركز أو معهد أو مدرسة معروفة بقيام مشايخ على نظام التدريس فيها، فهذه الرحلة نفسها

فرصة ممتازة وذات إمكانيات متنوعة لصقل العقل، وإنماء الشخصية، واكتساب قيم الرجولة، وتجديد الوعي، واكتشاف بعض جوانب الحياة، والدربة على الاستقلال عن أهلك والاعتماد على نفسك.

302. ألم الموت

(لماذا كتب الله علينا الألم عند الموت، ألا يكفي الحساب والجزاء يوم القيامة؟). قلت: شاء الله تبارك وتعالى بواسع حكمته أن الدنيا دار تكليف، والآخرة دار جزاء، وإذ كان الأمر كذلك، فالموت باعتباره بوابة الآخرة لا جرم أن يبدأ الجزاء الأخروي منذ لحظة ما قبل الموت. والناس عند الموت فريقان، فريق المسلمين وفريق الكافرين. أما الكافرون فيشملهم جميعا حكم العذاب منذ اللحظات التي تسبق الموت، وهذا طبيعي جدا، لأن الموت بوابة الآخرة التي ستكون مسرح الجزاء والحساب النهائي، والذي سيكون للكافر في صورة العذاب الأبدي، ثم بعد عذاب الموت، ينتقل الكافر إلى عذاب القبر، إلى يوم القيامة. أما المسلمون فهم فريقان، فريق أهل الصلاح والاستقامة، وفريق أهل المعاصي والانحراف، فالفريق الثاني بحكم معاصيه ورفضه الخضوع لأمر الله تعالى وبسبب اتباعه هواه، فلا شك أن تناله العقوبة، رغم أن هذا الفريق متباينون في العقوبة، فهناك من تناله في لحظات الموت وفي القبر إلى أجل مسمى، ومنهم من تستمر معه إلى يوم الحشر، ثم ينتهي الأمر، ومنهم من يستمر معه في عرصات الحشر ولا يدخل جهنم، ومنهم من يدخل جهنم بحسب عقوبته الواجبة عليه، ثم يخرج منها إلى الجنة ذلك لأن أهل المعاصي من أهل الإسلام لا يخلدون في النار. وأما الفريق الأول من المسلمين أي أهل الصلاح والتقوى والاستقامة، فالموت عموما يكون لهم بداية النعيم الأبدي، رغم ما قد يصيب بعضهم من الشدة في الموت كأن تكون له بعض الذنوب فتطهره سكرات الموت منها ليدخل قبره طاهرا، أو تكون له منزلة سنية عند الله تعالى لكن عمله قصّر به عنها فتكون شدة سكرات الموت مرقاة إليها. فنسأل الله الكريم الرحيم الرؤوف أن يثبتنا عند الموت وأن يجعله لنا بوابة إلى النعيم الأبدي مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

303. فساد الأبناء من فساد الآباء

اخرج إلى الشارع، اذهب إلى المدارس الابتدائية والإعدادية، سترى وستجد حشودا كثيرة من البنات بين 7 سنوات إلى 15 سنة، لباسهن هو السروالات الضيقة، والسترات الضيقة، وبعضهن يضعن قطعة قماش يسترن بها شعورهن على أساس أنهن محجبات. وخلال الصيف ستجدهن بالسروالات الضيقة والقمصان الضيقة، وربما التنانير فوق الركبة. هؤلاء البنات الصغيرات، من أين حصلن على هذه الملابس؟

طبعا الأب والأم هما من اشتريا كل تلك القطع من الملابس، ودفعا المال برضا تام وبوعي كامل = إذن البديهة العقلية تقول: هذا الأب وهذه الأم يدفعان ابنتهما عمدا إلى الانحراف، والفسوق، والتفاهة، ويسهلان لها أسباب ذلك، ويباركان عليها حين تخرج معهما وهي رغم صغر سنها (بنات 15 سنة) كأنها عروس في غرفة النوم.. إذن هذا الأب وهذه الأم هما السبب الأول في هذه الجريمة. لكن، متى يستيقظ بعض هؤلاء الآباء؟ عندما يكتشفان أن ابنتهما ذات الـ 15 أو 18 سنة، لم تعد بكراً، فقد استمتع بها أكثر من شاب واستمتعت هي أيضا معهم، ومنهم من لا ينزعج عمليا لذلك، وإنما يثور ويغضب إذا عادت إلى البيت يوما وهي حامل..... أقول بعض الآباء، لأني على علم يقيني أن هناك آباء وخصوصا أمهات لا تعترض على إنشاء ابنتها علاقة زنا أو شبه زنا لتوفر لها فرصة الزواج في وقت قلّ فيه الزواج. أعرف بعض الشباب قالوا لي: كنا نتحدث مع والدة الفتاة العشيقة وهي تعلم أن ابنتها تأتي إلى البيت وتقضي معي ساعات! الفساد والانحراف والتفاهة يأتي أولا من هؤلاء الآباء والأمهات الجاهليّين.

304. رفع لقمة إلى فم الزوجة صدقة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إنك مهما أنفقتَ على أهلكَ من نفقةٍ فإنك تُؤجرُ فيها حتى اللقمةَ ترفعها إلى فِي امرأتكَ﴾. تخيل حتى اللقمة تضعها في فم زوجتك تكون لك صدقة! ما هي دلالة هذا الحديث؟ الحديث يعلم الزوج المسلم (والزوجة بالتبع) أن يرتقي في تعامله مع زوجته من مستوى الوظيفة والواجب إلى مستوى القيمة والجمال والإحسان، ومن ضرورة الاجتماع الدنيوي إلى الارتباط بالله والآخرة في هذا الاجتماع. وأيضا، يعلم الحديث الزوج المسلم (والزوجة بالتبع) أن ينتبه لتلك التصرفات الجزئية الصغيرة العابرة ليتخذها وسيلة لرفع مستوى التقارب والتوادد بينه وبين زوجته، لأن هذه الأشياء الصغيرة بين الزوجين هي ماء حياة زواجهما. فتأمل كيف أن حديثا واحدا مختصرا رسم للزوجين المسلمين (والخطاب موجه للعقلاء والعاقلات) جانبا بارزا من أسباب استقرار الحياة الزوجية وسعادتها وجمالها!!! ولكنها النبوة التي تحمل المعاني العظيمة في كلمات مختصرة.

305. خدعة الملاحدة في مصطلح الدين

لا تدع الملحد والعلماني (والعلمانية إلحاد متخفف) يخدعونك باستعمال مطلق الدين لنقد الدين بأنه ضد العلم أو ضد العقل أو ضد الحضارة أو غير ذلك من المعزوفات الإلحادية/العلمانية، بل يجب أن تطالبه بتحديد الدين الذي يقصده بكلامه؟ فكون الإسلام والنصرانية والهندوسية يشتركون في كلمة "دين" لا يعني

أنهم متحدون في الأسس والمنطلقات، وفي القواعد والثوابت، وفي الأصول والمرتكزات، وفي الأهداف والغايات. فبالنسبة للمسلم، فالإسلام دين الحق وغيره أديان باطلة، وينتج عن ذلك عدم صحة التعامل مع الإسلام كما لو أنه نسخة مطابقة للنصرانية أو اليهودية أو الهندوسية وغيرها من الأديان!

306. الإسلام والتصوف البدعي

جاء الإسلام ليرفع شأن الإنسان، بالتوحيد والإيمان، وبالتهذيب والتأديب، وبالضبط والتوجيه، إذ بذلك يتحرر من الخضوع للأشخاص والزعماء، وللتقاليد والعادات المنحرفة، وللنظم والقوانين الطاغوتية. ومن ثم، ليقوم بواجب العبودية الخالصة لله تعالى في أبعادها الرحيبة وآمادها الوسيعة، في ذاته وفي واقعه، وفي مجال البشرية كافة. وبهذا يكون الإسلام ثورة مزلزلة للشرك والجاهلية، وحركة عارمة للطغيان والفساد. فجاء هؤلاء الصوفية الجهال فحولوا الإسلام إلى دروشة مقيتة، وسذاجة غبية، وتقديس للأشخاص بدعوى الولاية، وتعظيم للقبور والأضرحة بذريعة الصلاح والصفاء، ولهاث مسعور وراء الوهم بزعم المقامات والأحوال، فلا جرم أن كان التصوف الجاهل حبيب الطغاة، ولا عجب أن نجد مراكز صنع القرار الغربي توصي بدعم التصوف في العالم الإسلامي، لأنهم وجدوا فيه أحد أهم عناصر التخدير للأمة.

307. الإسلام هو الحق المطلق

(هل صحيح أنه لا يمكن أن يعتقد المسلم أنه هو وحده الذي على الحق، لأنه لا يمكن تصور أن الله خلق كل هؤلاء البشر لجهنم؟). الجواب إن شاء الله: قاعدة: المسلم الذي لا يعتقد أنه هو وحده الذي عليه الحق، بل حتى اليهودي والنصراني والبوذي والهندو سي وغيرهم يمكن أن يكونوا على الحق = هذا المسلم إما جاهل بالإسلام فيجب أن تقام عليه الحجة العلمية، وإما زنديق مرتد يتخفى بالإسلام ليمارس إضلال الشباب دون إثارة الانتباه، فمن ثوابت عقيدتنا أن الإسلام الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق المطلق والدين الحق، وكل ما سواه من الأديان والاتجاهات باطل من الأباطيل. وقد سبق أن تكلمت على هذا في بعض المنشورات. وقضية (لا يمكن تصور أن الله خلق هذه الحشود لجهنم)، قضية ليست نابعة من العلم بل من الجهل والهوى والمزاج الليبرالي. ولكيلا أطيل، رغم أنني تكلمت أيضا على معنى هذه القضية في بعض المنشور، يكفي أن أذكر هنا حكم الله تعالى نفسه. قال الله تعالى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ﴾ فهنا لديك حكم إلهي أن جمهور البشرية منذ كانوا مشركون. وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ

فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾، فهنا لديك حكم إلهي أن الله لا يغفر أبدا الشرك، وأن المشرك بشركه قد اقترف جرما عظيما. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾، فهنا لديك حكم إلهي أن هؤلاء الذين ماتوا على الكفر والشرك في نار جهنم خالدين فيها، وهم شر الخليقة بسبب كفرهم وشركهم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يقولُ اللهُ تعالَى: يا آدمُ؛ فيَقولُ: لبَّيْكَ وسعديْكَ والخيرُ في يديْكَ، فيقولُ: أخْرِجْ بعْثَ النارِ، قال: وما بَعْثُ النارِ؟ قال: من كلِّ ألْفٍ تِسعُمائةٍ وتِسعةٌ وتِسعينَ، فعِندَها يَشيبُ الصغيرُ وتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ، ومَا هُمْ بِسُكَارَى﴾. فهنا لديك بيان نبوي صريح أن جهور الناس سيدخلون جهنم خالدين فيها أبدا بسبب كفرهم وشركهم وإلحادهم ورفضهم الحق. فالحمد لله الذي مسلمين.

308. دلالات إنكار السنة

حين تنكر السنة النبوية، فأنت بين ثلاث خيارات: **(الخيار الأول)** أن تقر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبيّن للصحابة رضي الله عنهم الكثير من دينهم، في العقيدة والآداب والتشريع. **(الخيار الثاني)** أن تذهب مذهب القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يبين للصحابة رضي الله عنهم شيئا من دينهم بل يحيلهم فقط على القرآن. **(الخيار الثالث)** أن تعتقد أن خطاب النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة في بيانه كان خاصا بهم فقط ويتوافق بزمانهم وعصرهم، ولا شأن لمن يأتي بعدهم بذلك. **بالنسبة للخيار الأول** يمكن أن نعرض عليه سؤالا مهما، وهو: أين ذهبت تلك الثروة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم؟ وهنا أنت بين احتمالين: **(الاحتمال الأول)** أن تقول بأن الصحابة رضي الله عنهم بلغوا أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم للأمة. **(الاحتمال الثاني)** أن تقول بأن الصحابة رضي الله عنهم لم يبلغوا أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم للأمة. **بالنسبة للاحتمال الأول** يمكن أن نعرض عليه هذا السؤال: أين هي إذن تلك الثروة النبوية التي بلغها الصحابة؟ ولا جواب له إلا القول بأن الأمة حفظت السنة النبوية وهي بين أيدينا وستبقى كذلك إلى يوم القيامة. أو القول بأن الأمة فرّطت في حفظ سنة نبيها صلى الله عليه وسلم، وهذا يعني اتهام التابعين والأئمة الأولين وهم أساس العلم والاجتهاد، قد ابتدعوا دينا من قِبل أنفسهم، وهو هذا الذي بين أيدينا اليوم. **بالنسبة للاحتمال الثاني** يتضمن اتهام الصحابة رضي الله عنهم بكتمان السنة النبوية أو التفريط في بيانها وتبليغها للأمة .وهذا يعني أن الصحابة رضي الله عنهم قد وقعوا في كبيرة عظيمة جدا، واقترفوا جريمة نكراء جدا، وعليهم إثم الأمة إلى يوم القيامة، وهذا يعني ضمنا اتهام النبي صلى الله عليه وسلم بأنه فشل أو يحسن تربية الصحابة رغم أنه مكث فيهم سنوات طويلة. وأما **بالنسبة للخيار الثاني** أي القول بأن النبي

صلى الله عليه وسلم لم يبين للصحابة شيئا من دينهم بل أحالهم على القرآن، فأنت هنا بين احتمالين: **(الاحتمال الأول)** أن الصحابة رضي الله عنهم قد كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الألوف من الأحاديث التي نسبوها إليه، وهو صلى الله عليه وسلم منها بريء. **(الاحتمال الثاني)** أن النبي صلى الله عليه وسلم فرّط في بيان قول الله تعالى ومراده في الاعتقادات والتشريعات والأخبار، ولم يكن صلى الله عليه وسلم يبالي بالمسلمين أن يعتقدوا الحق أو الباطل. أو أن تقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يفهم مراد الله من كلامه في الاعتقادات والتشريعات والأخبار، فمثله صلى الله عليه وسلم مثل أي مسلم عادي عامي ولا فرق. وأما **بالنسبة للخيار الثالث** أي إن خطاب النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة كان خاصا بهم ولا شأن لنا بهم، فأنت هنا بين احتمالين: **(الاحتمال الأول)** أن نصوص القرآن الدالة على عموم تبليغ وبيان النبي صلى الله عليه وسلم، تعمدت إيقاع المسلمين بعد عصر الصحابة في الخطأ والباطل والوهم؟ **(الاحتمال الثاني)** أن النبي صلى الله عليه وسلم فهم خطأ كلام الله وأمره بالتبليغ والبيان لنصوص القرآن، فقال من قِبل نفسه ما أوهم الأمة أن خطابه متوجه إليهم جميعا في كل زمان ومكان. قلت: هذه إشارات مختصرة، إذا تأملتها عرفت لماذا كان إنكار السنة بوابة الزندقة، وهدما للإسلام، وتحريفا للقرآن، ومادة الابتداع. وأن هذه النتائج حتمية لكل من أنكر السنة تصريحا أو ضمنا، في الاعتقادات أو التشريعات، سواء علموا ذلك والتزموه أم جهلوه ورفضوه. ومن ثم، يكون إنكار السنة تكذيب لله تعالى في قوله: «إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ»، فحفظ الذكر نوعان، الأول الحفظ المادي، أي كلام الله فلا يزاد فيه حرف ولا يُنقص منه حرف، والثاني الحفظ المعنوي، أي مراد كلام الله تعالى ومقاصده من أقوله في نصوص الاعتقاد والتشريع والأخبار.

309. لا يصلح آخر الأمة إلا بما صلح به أولها

لم يصلح حال أول هذه الأمة إلا بالجهد والعرق والدم والتضحيات، مضى على ذلك رسول صلى الله عليه وسلم ولم يقبل أنصاف الحلول مع قريش والعرب وغيرهم، ثم في الإثر تبعه الصحابة رضي الله عنهم بذلوا الجهد والعرق والدم والتضحيات حتى استقر أمر الإسلام. لهذا اعلم أنه لن يصلح حال آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ولن يستقر أمر الإسلام في آخر الزمان إلا بما استقر به في أول الزمان. وإذ علمت، علمت أن المداخلة بلسان القال والمداخلة بلسان الحال، الذين يدعون للخنوع للطاغوت العلماني لأنه ولي الأمر، والذين يدعون للتدرج بهدوء دون مواجهة، قوم جهلوا سنة الله تعالى في الحياة فينتظرون أن يغير سبحانه نظام السنن بسبب جهلهم وجبنهم وسطحيتهم، فهل في هؤلاء من خير للأمة وللإسلام!

310. إعذار الغربيين في كفرهم

من المغالطات التي يروجها مَن يعذر الغربيين في كفرهم وشركهم، قولهم بأن الإسلام لم يُعرض عليهم كما ينبغي، ولهذا لا ينبغي تكفيرهم!! وهذه المغالطة مبني على مستندات هي نفسها مغالطات، أكتفي هنا بذكر أحد أبرزها، وهو: «القول الضمني بأن هؤلاء الكفار والمشركين يحبون الحق، وإذا وجدوه فلن يرغبوا عنه». وهذا غير صحيح بهذا الإطلاق، بل النصوص الشرعية على خلافه، وهو أن كثيراً من الناس يحبون الباطل ويدعمونه، ويكرهون الحق ويحاربونه، ولا يهتمون بمعرف الصواب من الخطأ، ويفضلون البقاء على ما كان عليه آباؤهم. وحسبك هذه الآية: ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾، فقد جاءت بصيغة التعجب من موقف الكفار عبر الزمان ومسيرة التاريخ من الأنبياء ودعوة التوحيد، كأن بعضهم يوصي بعضاً بضرورة التمسك بموقف الرفض والرد واللامبالاة والصد عن دعوة التوحيد، ثم بيّنت الآية السر وراء ذلك، وهو الطغيان، فهم قوم طاغون في رفض رسالة الأنبياء عليهم السلام، مستكبرون عن اتباع الحق والخضوع له، ولذلك لهم نفس التفكير، ونفس الشعور، ونفس السلوك تجاه دعوة التوحيد، كما في الآية الأخرى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾. فالكفار والمشركون اليوم في أقطار الأرض كلها، وليس في الغرب فقط، لا ينفكون عن هذه الحقيقة، حقيقة أنهم يرفضون الحق والبحث عنه واتباعه، ويرفضون دعوة التوحيد ومعرفة ما يريده الله تعالى منهم، ويلهثون وراء الشهوات، ويعيشون لدنياهم فقط، ولولا أنهم كذلك، أليس الإنترنت موجودا يمكن البحث فيه!! أليس هناك الكثير من الكتب المعرّفة بالإسلام؟ أليس هؤلاء أنفسهم من يصرف الأموال والأوقات في اكتسب مهارات جديدة تساعده على الحصول على وظائف مرموقة لجني مرتبات ممتازة!! بل أليس هناك الكثير من الغربيين مثلا أسلموا من تلقاء أنفسهم، لأنهم قرؤوا ترجمة القرآن أو بعض الكتب أو المحاضرات أو المناظرات!! إذن هم عمليا يستحبون الكفر على الإيمان، والشرك على التوحيد، والضلال على الهدى، والوثنية على الإسلام، كما قال سبحانه عن أسلافهم الغابرين: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾.

311. التعدد ليس نزهة

التعدد ليس نزهة، بل مسؤولية مضاعفة تُلقى على كاهل الزوج، ولهذا فهو يحتاج لعناصر: القدرة المالية، والقدرة النفسية، والقدرة الجنسية، وبدون هذه العناصر الثلاثة سيكون التعدد وبالا وبلاء ومصيبة على الزوج والزوجتين والأسرتين. وهذا يعني أنه إذا كان كل رجل نظريا يصلح للتعدد، فليس كل رجل عمليا

يصلح للتعدد. وبسبب عدم صلاحية بعض الرجال للتعدد لفقدهم تلك العناصر الثلاثة أو بعضها، تخربت بيوت، وتمزقت زيجات، كان مآلها الكثير من البؤس والشقاء. ولهذا؛ فحتى بعض المشايخ والدعاة الذين يتكلمون في التعدد "كأنه مفتاح سحري" لمشاكل المجتمع، حبذا لو يدخلوا خلال كلامهم الخطط العملية لنجاح التعدد. بالله عليك، كيف يُعقل أن يذهب رجل يعدد ويحشر الزوجتين معا في بيت واحد!! وكيف يُعقل أن يذهب رجل يعدد ومرتبه الشهري بالكاد يكفي البيت الأول!! وكيف يُعقل أن يذهب رجل يعدد وصحته متدهورة لا يعف زوجته الأولى لا عاطفيا ولا جنسيا، فكيف يعف زوجة أخرى!! وإلا فكم من رجل كانت حياته الزوجية مستقرة بنسبة كبيرة، ثم دخلت فكرة التعدد في رأسه وهو يفتقد تلك العناصر، فماذا كان؟ لقد خسر كل شيء، فضيع نفسه وضيع زوجته وضيع أبناءه! أنا مع التعدد، وأدعو إليه، وأحث عليه، ولكن، لمن توفرت له تلك العناصر الثلاثة الآنفة الذكر، فحين يكون الأمر كذلك، فلا شك أن التعدد سيكون حلا لكثير من المسلمات الصالحات اللواتي لا يجد سبيلا للزواج من أعزب. ولهذا أقول: إن التعدد حل، فلا يصح أن يتحول إلى مشكلة.

312. الرفض العلماني للتكفير

في بلداننا اليوم؛ كثيرون يرفعون شعار العلمانية والحداثة والليبرالية والنسوية، ويعملون على نقد الإسلام تحت مسميات شتى وفي مظاهر مختلفة، أي إنهم عمليا يفكرون ويعيشون بما يعتبره الإسلام كفراً، لكنهم مع ذلك، حين يقال لهم بأن ما تقومون به كفر في ميزان الإسلام، وأنتم بذلك مرتدون كفار، تجدهم يصرخون ويولولون: لا للتكفير، نحن فقط نمارس الإبداع والاجتهاد! والواقع أن هؤلاء المنافقين، إنما يريدون الأمر أن يكون مسايرا لأهوائهم، ضبابيا وهلاميا، بلا ثوابت ولا ضوابط ولا حدود!! والحقيقة التي يجب أن تُقرر دائماً هي أن الإسلام دين له ثوابت وضوابط وحدود من آمن بها والتزم بها فهو مسلم، ومن رفضها أو شكك فيها وطعن عليها فهو في ميزان الإسلام كافر. ولا يمكن غير هذا، فكل دين وكل مذهب وكل فلسفة، له حدود وقواعد وأصول، تميزه عن غيره وتضع حواجز بينه وبين غيره، وعلى وفق هذه القواعد والثوابت والأصول يتحقق الانتماء إلى هذا الدين أو ذاك وإلى هذه الفلسفة أو تلك. ونحن لا نخشى من إعلان التكفير لكل من سولت له نفسه تجاوز هذه الثوابت والأصول والضوابط، سواء في الاعتقاد أو في الأحكام، مهما توفرت شروط ذلك وتحققت، لأننا لا نتسول إسلام أحد، ولأننا ندرك أن هذا التجاوز مع الصمت عن التكفير خيانة لله ولرسوله وللناس، وإسهام في تزييف الإسلام وتمييع الحق والمصادقة على الباطل.

313. الترويج لتفاهة الزوج

شاهدت مجموعة من الفيديوهات تدور في هذا الإطار: **(1)** يدخل الزوج، فتكون الزوجة تنتظر لتقدمه إلى المطبخ ليغسل الأواني وينظف، وهو منزعج من تصرفها لكنه ساكت. **(2)** يكون الزوج جالسا يفعل شيئا، ثم تقول الزوجة شيئا ما، فيرد عليها بما لا يعجبها، فتقوم برمي المخدات عليها، وهو ساكت. **(3)** يفعل الزوج شيئا لا يعجب الزوجة، فتقوم هي بمطاردته بعصا المكنسة، وهو لا يفعل سوى الهروب منها. **(4)** تكون الزوجة مختبئة وراء الباب، وبمجرد أن يفتح الباب تظهر له فجأة، وإذا به يسقط أرضاً فزعاً. **(5)** الزوج جالس يقرأ شيئا وتأتي الزوجة بفنجان قهوة، وهذا مشهد يُعرض على أنه قبل عقدين من الزمان، ثم في المشهد الثاني يكون العكس، أي الزوجة هي التي تقرأ والزوج يأتيها بفنجان قهوة، ويُعرض على أنه موقف سنة 2020. وغير هذا، وهي مواقف تشمل كذلك "الزوج الملتحي" و "الزوجة المحجبة أو المنقبة"، كما أن الأشخاص هنا ليسوا من الشباب الصغار السن، بل واضح أن منهم من يبدو أو تبدو فوق 35 و40 عاما. ربما يكون هؤلاء ليس لهم غرض سوى جمع مزيد من الإعجابات، لتحقيق مزيد من الأرباح من قنواتهم، لكن المؤكد أن هؤلاء التافهين والتافهات يسهمون في إشاعة التفاهة بين الشباب والبنات، ومسخ الفطرة فيهم وفيهن، وقلب الأدوار الطبيعية. وعملية ترسيخ التفاهة في النفوس وقلب أدوار الرجل والمرأة، وترجيل المرأة وتأنيث الرجل، لا تتم بين عشية وضحاها، بل عبر الزمن، وعبر تراكمات المشاهد، حتى يجد الذي/التي يتابع هؤلاء نفسه يتبنى نفس التصور، ويقوم بنفس السلوك.

314. فتنة القبور والأضرحة

الذي يذهب إلى القبور والأضرحة يستغيث بهم، فيطلب منهم كشف الضر، أو تفريج الكربة، أو شفاء المريض، أو تيسير الزواج، أو تسهيل الرزق، وغير ذلك، بدعوى أنهم أولياء ومقربون عند الله، لا شك أنه وقع في الشرك، قد اقترف جريمة نكراء، ولابس خطيئة شنعاء، وإن زوقها له حماة القبورية، وحراس الشرك، بشعارات شتى، ومصطلحات مزخرفة! لقد جاء الإسلام لتحقيق التوحيد لله تعالى، ونفي كل الأوهام التي علقت به بين الأمم الجاهلية خلال القرون، ومن ذلك حرصه على ربط المسلم بخالقه سبحانه مباشرة، له يتضرع ويدعو، وإليه يقصد، ومنه يطلب، وبه يستغيث، وإياه يرجو. والذي يقرأ القرآن ويتتبع السنة ويبحث عن مقالات الصحابة والأئمة السابقين، يدرك جيدا أن الإسلام ما زال يعلن الحرب الضروس على الشرك والمشركين، في جميع الصور والمظاهر، ويتتبع شبهات بالتفنيد والدحض والكشف. لكن، اليوم ها نحن أولاء

نرى حراس الشرك وسدنة الأضرحة يجتهدون في إغواء عوام المسلمين بالقبور والأضرحة، ويقدمون لهم التأويلات والتبريرات التي ضاهوا فيها إبليس في خطة التلبيس. وأحيانا يكون الأمر منهم مجرد الطعن في "السلفية/ الوهابية"، وهؤلاء متوافرون اليوم في وسائل التواصل، يخدعون عوام المسلمين بزخرف من القول غرورا. يصورون الأمر على أنه معركة ضد "السلفية/الوهابية" والحقيقة أنها معركة ضد التوحيد الذي جاء به القرآن والسنة. ألا فليحذر مسلم هؤلاء الدعاة على أبواب جهنم، فإن الحق بيّن واضح، ومن طلبه وجده.

315. كل الوحي معقول في نفسه

ضع هذه الحقيقة نصب عينيك: كل شيء جاء به الوحي، من الاعتقادات والتشريعات، معقول المعنى، علمه مَن علمه، وجهله مَن جهله، لماذا؟ الجواب لأن الله تعالى هو الحق، وقد خلق الإنسان بالحق وللحق، ولذلك يستحيل أن يكون وحيه متضمنا شيئاً غير الحق، وإذ كان الأمر كذلك، فكل الوحي معقول المعنى في نفسه. وينتج عن هذا، أن الظن بوجود شيء من الاعتقادات أو العمليات في الوحي غير معقول المعنى في نفسه، يلزم عنه القول بالاعتباط والعبث ونفي الحكمة عن الله تعالى، وهذا كفر محض. وبعض الناس يخلطون بين حقيقة كون الوحي معقول المعنى في نفسه، وهي كما ذكرت تتأسس على القول بكمال حكمة الله وعدله ورحمته، وبين عجزهم عن فهم الحكمة فيه، فيجعلون عجزهم مبرراً لتقرير أن في الوحي ما ليس معقولاً، وهذا خطأ، فالجهل ليس حجة.

316. التكيف مع طبيعة الحياة الزوجية

تجدها قبل الزواج، بحكم الجامعة أو الوظيفة تُكيّف حياتها وطباعها ويومياتها بحسب متطلبات الجامعة أو الوظيفة. هنا، تجدها حريصة على الالتحاق بالجامعة أو الوظيفة في المواعيد المحددة، وحريصة على احترام المسؤولين والمشرفين. لكن؛ يوم تتزوج ماذا يكون؟ تنسى كل هذا، وتراها تتعامل بأسلوب: هذه طباعي، هكذا أنا، لا يمكن أن أغير شخصيتي! إنها تنسى تماما أن موافقتها على الزواج تعني ضمنا الموافقة على تغيير طباعها ونمط حياتها ويومياتها بما يتوافق مع المرحلة الجديدة التي دخلتها. لهذا أقول دائماً للشباب: كن زوجا رائعاً من أول يوم، لكن يجب أن تكون أيضا صارماً من أول يوم كذلك، وحينها سيكون الأمر مع زوجتك: إما أن تكون عاقلة ناضجة واعية بالطور الجديد في حياتها، وبمعنى كونها صارت الآن زوجة، وأن الزواج حياة جديدة تتطلب تكيفا ومرونة وضبطا لكثير من الطباع، وإما ستجدها طائشة متهورة، وستزعجها صرامتك وحزمك، وهذا الصنف قد تجدها من الصنف الذي يحتاج فقط لهزة صرامة لتعود إلى رشدها وتنتبه من

أوهامها، فتخرج من طور الطيش والتهور إلى طور التعقل والنضج. وقد تجدها عنيدة متمردة، وهنا ستبادر هي لطلب الطلاق إذا وجدتك رجلا. الخلاصة: التي تقول (هذه طباعي، هذه شخصيتي، هكذا أنا)، يقال لها: الزمي بيت أبيك، وتدللي عنده كما شئت! وهذا المعنى يشمل الرجل أيضاً.

317. أهداف النسوية

من السذاجة والتهور أن تظني أن "النسوية" تعني المطالبة بحقوق المرأة!! بل النسوية في تطبيقها العملي تنشد غاية معينة تتجلى في الآتي: **(1)** إنشاء حالة توتر دائمة بينك وبين الرجل، **(2)** غرس شعور المظلومية فيك بسبب الرجل، **(3)** ترسيخ فكرة إذلال الرجل في نفسك، **(4)** تضخيم شعار استغنائك عن الرجل، **(5)** تعظيم فكرة أن كل تصرفات الرجل تصب في سحق كرامتك. هذا على المستوى التطبيقي، أما على المستوى النظري المعرفي، فهو: **(1)** تهويل شعور أن الله سبحانه تحيز ضدك لصالح الرجل، **(2)** تضخيم فكرة التمركز حول ذاتك لأنك مركز الكون، **(3)** تعزيز القول بأن الفقهاء أنتجوا فقهاً لصالح الرجل ضدك، **(4)** اللهاث المسعور لإزاحة الرجل عن موقعه الشرعي الفطري، هذه هي الأهداف النهائية للنسوية، كل ما في الأمر، أن النسوية العلمانية تصارحك بها بنسبة كبيرة بدون لف ولا دوران، وأما النسوية المحجبة فهي تخادعك بكثير من الشعارات البرّاقة ذات طابع إسلامي لكي يسهل عليها اصطيادك بلا كثير مقاومة منك.

318. حديث القرآن عن عالم الغيب

حديث القرآن لك عن صلة الله تعالى الوثيقة بأحداث العالم، وعن وجود الملائكة والجن، وعن وجود البرزخ والجنة والنار والحساب والجزاء بعد الموت، وعن وجود سنن إلهية في حياة البشرية ثابتة وصارمة، وعن كتابة المقادير قبل خلق الخلق بخمسين ألف سنة، أحد مقاصد هذا الحديث والبيان والكشف، هو تكوين رؤية مركبة للأشياء والأحداث، وللذات والعالم، أي إن القرآن بهذا المنهج يعمل على انتشالك من وهاد الرؤية المسطحة، والمختزلة، والساذجة، والأحادية، كما هو شأن الماديين والعلمانيين، والارتقاء بك إلى أفق الرؤية المركبة. فائدة هذه الرؤية الكونية التي يريد القرآن ترسيخها فيك، وأنت تتلقى مختلف المعطيات، من مشاهد وأحداث وأشياء، هي توسيع مدارك العقل فيك، وتنويع زوايا النظر عندك، وهذا ما يمنح وعيك العمق والثراء والسمو، وما يضفي على حياتك المعنى والقيمة والمسؤولية.

319. قيمة الحياء في المرأة

أيتها الفتاة المسلمة، قال ربك سبحانه عن فتاة مسلمة مثلك مضت في التاريخ قبل مئات السنين: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ [القصص 25]، واضح جدا أن التقاط هذا المشهد ﴿تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ لم يكن اعتباطا، جل ربنا وتقدس عن ذلك، ولكن ليُخلد هذه الحقيقة.. حقيقة أن المرأة هي الحياء، بقدر ما تأخذ منه تأخذ تكسب قيمتها، وبقدر ما تفقد منه تفقد من قيمتها. لقد جاءت ﴿تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ وهذا تعبير شديد الإيحاء، كثيف الدلالة، متدفق المعنى، فهي من شدة حيائها صار الحياء يحيط بها من كل جهة، فحتى مشيتها تخطوها كأنها تخطو على بساط الحياء، وهذا يشير إلى أن كل شيء فيها، كلامها، حركاتها، نظراتها، كل ذلك يتدفق حياء، ولم تكن كذلك إلا لأنها شبَّت في بيت رباها على الحياء، وغرس فيها معانيه النبيلة. أما اليوم، فتجد الفتاة كأنها لم تسمع قط بشيء اسمه الحياء، بل تراها مرسلة في مشيتها، وفي حركاتها، وفي كلامها، وفي نظراتها، تمازح هذا، وتناقش ذاك، وتسافر وحدها أو مع شبيهة لها، ثم بلا حياء تقول لك أنا فتاة ملتزمة! وما هذا الالتزام! إنه قطعة قماش على رأسها، وإنه عدم خوض مغامرات غرامية! وإن شئتَ أن تقول بأنه التزام بلا حياء فهو بلا شك مذهب معتبر في الرأي.

320. مفهوم القراءة في القرآن

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:1]. هذا هو التصور الإسلامي للقراءة والتحصيل العلمي والمعرفي: يجب أن يكون كل ذلك متعلقا بتحقيق مزيد من التعرف على الله سبحانه وأسمائه وصفاته وكماله وعظمته، وعلى أحكامه وحِكمه في التشريع والقدر والحياة. ومن ثم، فكل قراءة وكل علم لا يحقق هذه الغاية المقدسة وهذا المقصد العظيم يكون وفق التصور الإسلامي بلا قيمة ولا معنى حتى وتم تضخيمه وتهويله وتعظيمه، وبهذا تسقط فكرة القراءة للقراءة وتتلاشى دعوة المهم هو أن تقرأ!! وهذه الحقيقة، حقيقة القراءة في التصور الإسلامي تكتسب معناها ومنطلقها وإطارها وغايتها من طبيعة المهمة الكبرى لوجود الإنسان في هذا العالم، مهمة معرفة الله وعبادته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:56]. وتستطيع أن تتأمل سورة اقرأ، وستجد أنها افتتحت بالأمر بالقراءة باسم الله، وليس كما قلنا لمجرد القراءة وإشباع الفضول والترف العقلي، واختتمت بالأمر بالسجود: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ [العلق: 19]، ولذا فهي ترسم منطلق القراءة وغايتها. فيا مسكين، يا من تضيع عمرك في قراءة الروايات، وقراءة كتب الفكر والفلسفة الغربية، وأنت صفر أو شبه صفر من المعارف القرآنية والنبوية، ماذا يفوتك من الحق!! وماذا تراكم على روحك من التفاهة والباطل!!

321. سر تسميتهم السنة تراثاً

تسمية السنة النبوية تراثا، مدخل من مداخل الكفر، فالسنة النبوية وحي من الوحي، والوحي له عصمة وقداسة وقيمة ومرجعية، أما التراث فهو إنتاج بشري ضمن مجموعة من المعطيات، فيمكن الأخذ منه والرد ضمن ضوابط. الذين يقولون يجب أن نتعامل مع السنة النبوية على أنها جزء من التراث لهم هدف خبيث جدا، فبمجرد التعاطي مع السنة كذلك يعني سيكون بإمكانك الأخذ والرد منها بحسب هواك انطلاقا من فكرة أنها نتاج سياق تاريخي واجتماعي معين ولهذا فنحن لسنا ملزمين بها، بسبب تغير الزمان، وتطور الإنسان. ثم ماذا يعني هذا؟ يعني أنه سيكون بإمكانك التلاعب بالقرآن الكريم كما تشاء، وتفريغه من مضامينه ومرتكزاته العقدية والتشريعية، لأن السنة النبوية بيان لكثير من معاني القرآن، وبهذا سيتم تطويع الدلالة القرآنية لصالح مرجعيات ومعايير مختلفة، كالقيم الإنسانية والمواثيق الغربية. ولهذا لا يمكن أبدا أن تُسقط السنة النبوية ومع ذلك تحافظ على قداسة القرآن ودلالاته، فمن يسقط السنة بشعارات مختلفة، إنما غرضه النهائي إسقاط القرآن، لأنهم لما وجدوا أنه مستحيل إسقاط القرآن مباشرة، أوحى إليهم الشيطان والهوى بالالتفاف عليه، ليظل قائما شكلا ساقطا مضمونا.

322. سر إخفاء عذاب القبر

من مظاهر رحمة الله تعالى بالأحياء؛ أنه أخفى عنهم ما يكون في القبر من عذاب. تخيل أنك ذهبت إلى المقبرة فرأيت أباك، أو أمك، أو زوجتك، أو ابنك، أو ابنتك، أو أختك، أو أخاك، أو صديقك، أو جارك، بل حتى مطلق الأفراد، يتعذبون بأنواع من العذاب بسبب إسرافهم على أنفسهم وكثرة معاصيهم، هل كنتَ ستهنأ بعيش أو تسعد براحة أو تلتذ بمتعة أو تنشط بحركة؟ أليس كانت تكون حياتك حينها مأساة متواصلة، ومعاناة دائمة، وحزن كئيب، وألم رهيب! إن ثوابت عقيدتنا، الإيمان بعالم البرزخ، فيه نعيم وعذاب، بحسب كل إنسان وما قدّم من الإيمان والعمل أو الكفر والنفاق والمعاصي. فاللهم قنا فتنة القبر وعذابه، واجعل حفرة قبرنا روضة من رياض الجنة.

323. الدعاء بالرحمة لمن مات على الشرك

دعك من هذه الثرثرة التي يلهج بها هؤلاء الذين يفرقون بين المغفرة والرحمة لأجل القول بجواز أن ندعو للمشرك الذي مات على الشرك بالرحمة لأن القرآن نهى عن الاستغفار وليس الرحمة!! فرغم أن هذا "استحمار" للمتابعين لهم وتلبيس زائغ، وعزف على لعبة الكلمات كما هو شأن الذين يريدون الظهور بمظهر

المحقق المدقق!! ورغم أن لنا الحق في التساؤل عن سر عدم دعاء الخليل ابراهيم عليه السلام لأبيه بالرحمة بعد أن تبين له أنه عدو لله بإصراره على الكفر، وسر عدم دعاء الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام لعمه أبي طالب بالرحمة بعد أن نهاه الله تعالى عن سؤال المغفرة له، فهل كانا –حاشاهما عليهما أفضل الصلاة وأزكى السلام– يجهلان الفرق بين المغفرة والرحمة!! بل لماذا لم يوجههما الله تعالى نفسه (وهما أحب الخلق إليه) للدعاء بالرحمة بعد النهي عن سؤال المغفرة؟! أقول: دعك من تلك الثرثرة الباردة التي لا تنطلي إلا على الدهماء الجهلاء، نطرح عليهم سؤالا يكشف خبيئة نفوسهم ومنتهى أهدافهم، وهو: سلمنا أن الرحمة غير المغفرة، وأننا يمكن أن نقول اللهم ارحم فلانا المشرك، فهل إذا رحمه يدخله الجنة أم لا؟ إن قالوا نعم، فقد كفروا، لإنكارهم معلوما من الدين بالضرورة، وهو أن الكافر لا يدخل الجنة أبدا، وإن قالوا لا، نقول لهم إذن ما هذا العبث والمجون والتلبيس على المسلمين، إذ نحن نعلم أساسا أن منازل المشركين في النار متباينة، فالله لا يعذب مشركا لم يقتل ولم يظلم مثل مشرك قتل وسرق وزنا وظلم وبغى. ثم يقال: إذا كنتم تترحمون على نصراني مات على الشرك، وتقولون بأن الأمر لا حرج فيه، فما قولكم في النبي عيسى عليه السلام الذي يزعم هؤلاء النصارى اتباعه، وهو: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة ٧٢]، فإما أن تصدقوا عيسى وتكذبوا الذين يدعون اتباعه، وإما أن تتبعوا أهواءكم وتكذبوا عيسى عليه السلام، وهذا كفر منكم!

324. الدعاء للزوجة الكتابية بعد الموت

(كيف أجاز الإسلام الزواج من الكتابية ومنع الترحم عليها بعد وفاتها؟). والجواب إن شاء الله: من القواعد التي تعامل بها المسلم في مثل هذا المقام: (1) الله تعالى هو المشرّع، وله أن يحكم بما يشاء. وأحكامه كلها عدل ورحمة وحكمة، سواء فهم العبد ذلك أم لم يفهمه، إذ ليس من شرط العبودية فهم مقاصد الأحكام. (2) يجب على المسلم التسليم والاتباع والخضوع لأحكام الشريعة، فهذا مقتضى الإيمان بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا. أما التوقف والتردد والاعتراض فهو كفر. بعد هذا؛ إباحة الزواج من الكتابية، وهناك شروط وليست كل من هبت ودبت يحل الزواج بها لمجرد أنها مسيحية: (1) محصور في عالم الدنيا، فهو من باب التعامل بحكم قاسم مشترك هو مبدأ فكرة الخالق.، كما يتعامل المسلم مع مطلق المسيحين. (2) الجواز خاص بالرجل المسلم، إذ يُحرم على المسلمة الزواج بالمسيحي أو اليهودي، لأن الرجل له القوامة شرعا وفطرة وحسا. (3) إجازة الزواج بالكتابية لا يترتب عليه شرعاً الاعتراف والإقرار بصحة اعتقادها، بل

حكم البطلان لعقيدتها يظل قائما أبداً. أما الترحم والاستغفار فهو يتعلق بصميم الاعتقاد، فالله سبحانه بيّن وقرر في الوحي: (**1**) أن النصارى كفار مشركون، (**2**) لن يغفر لمن مات مشركاً كافراً، (3) لعن الكافر المشرك، (**4**) أعد للمشرك نار جهنم خالدا فيها أبداً، (**5**) لن يتقبل ديناً غير دين الإسلام، (**6**) لن يتقبل أعمال المشرك. (**7**) لن يدخل الجنة إلا نفس مسلمة. فحين تأتي أنت وتدعو بالرحمة والمغفرة للمشركة/المشرك، فأنت هنا عمليا: (**1**) ترفض حكم الله تعالى وتعترض عليه. (**2**) تتهم الله سبحانه بالظلم والكذب. (**3**) تشكك في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. (**4**) تتهم الله عز وجل بالتسبب في تفريق وحدة المجتمع. (**5**) تحاكم الإسلام إلى مقررات هواك ورغباتك ومزاجك الليبرالي. (**6**) ترفع القيم الإنسانوية إلى مستوى القداسة والمطلق. (**7**) تتبنى فكرة نسبية الحقيقة وسيولتها وعدم ثباتها. (**8**) ترفض أن يكون حق وضع معايير دخول الجنة والنار لله سبحانه. (**9**) لابد أن ترفض كل الأحكام الأخرى التي تُفرق بين المسلم وغيره. فهذا بعض ما تحت الدعاء بالرحمة والمغفرة للمشركين لمجرد أنهم قدموا خدمات مفيدة للمجتمع أو البشرية. علما أنه في ديننا لا يُقبل من المسلم نفسه أي عمل لمنفعة الغير ما لم يتحقق فيه شرطان: (أن يكون موافقا لأحكام الشرع)، و(أن يكون خالصا لوجه الله تعالى)، فما بالك بالمشرك الذي فقد الركيزة الأولى والأهم في قبول الأعمال، ألا وهي التوحيد والإيمان وشهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله). نسأل الله أن يثبت الإيمان في قلوبنا وأن يعصمنا من مضلات الفتن وأغلوطات الشبهات.

325. طلاق كبار السن

لماذا يتطلق كبار السن خصوصا بعد حصول الزوج على التقاعد؟ هؤلاء الصنف من الأزواج يقضون سنوات ما قبل التقاعد في هدنة أو قل حرب باردة بسبب انشغال الزوجة بالأبناء وانشغال الزوج بالعمل، يعني هناك موانع تحول دون الاصطدام المباشر والمتواصل. لكن، بعد أن يذهب الأبناء في مسالك الحياة ويتقاعد الزوج، هناك يكون لديهما الفراغ الكامل، والتواجه المباشر، والنتيجة الحتمية لذلك بروز كل الصراعات التي كانت ساكنة إلى حد ما قبل ذلك، خصوصا أن الوحدة للمتقدمين في السن تكون من عوامل المواجهة بين الزوجين، ومن ثم ستجد كثيرا من النقد بينهما، وهنا يصل البعض إلى الطلاق. ولهذا قلت: أيها الأزواج الشباب أصلحوا علاقتكم الزوجية باطراد لتفادي الصراع المر في نهاية العمر.

326. حفظ الله تعالى للوحي

تخيل لو أن الله تعالى ترك مهمة حفظ الوحي للمسلمين، كما فعل مع اليهود والنصارى، أليس كان المسلمون أنفسهم من سيقوم بالكثير من التحريف والتبديل والتغيير، كما فعل اليهود والنصارى! وهذا أمر ما زال ينمو ويكبر عبر التاريخ، بدء بالفرق الكلامية ــمع تباينها في ذلك قلة وكثرةــ التي ذهبت مذهب رد السنة المتعلقة بالصفات، وتفريغ دلالات آيات الصفات من معانيها. إلى أن وصلنا في العصر الحاضر، حيث صار كثير ممن يعلنون انتماءهم إلى الإسلام، بل ولديهم شهادات جامعية في التخصص الشرعي، يقومون بالتحريف والتغيير والتبديل المعنوي للوحي لعجزهم عن ذلك ماديا. فهؤلاء يرفضون ثوابت العقيدة ويميّعون مبادئها لكي تناسب المزاج الليبرالي، ودين الإنسانية، بالنسبة لهم لا صوت يعلو فوق صوت التسامح والمحبة ووحدة الوطن، وبالنسبة لهم لا قيمة للمعايير التي وضعها الوحي لنيل رحمة الله دخول الجنة، بل المعيار الوحيد هو "خدمة الوطن، حقوق الإنسان، القيم الإنسانية". أليس هؤلاء ــهم كُثُر لا بارك الله فيهمــ يتعاملون مع القرآن بمنطق الأهواء، ما وافقها يأخذون به وما خالفها يرفضونه ويضربون به عرض الحائط؟ أليسوا يشبهون الجاهليين قبل الإسلام الذين كانوا يقدسون آلهتهم ما لم تخالف أهواءهم، فإذا كان لم يبالوا بها، بل قد يأكلونها أكلا؟ أليس هؤلاء لو وجدوا سبيلا لحذف آيات الاعتقاد وآيات كفر اليهود والنصارى وآيات خلود المشركين وأهل الكتاب في النار = لما ترددوا طرفة عين؟ إنها الفتن.. ظلمات بعضها فوق بعض، فليراجع كل امرئ إسلامه وإيمانه، فقد جاء في الأخبار أنه إذا كان آخر الزمان يُنتزع الإيمان من صاحبه دون أن يدري. نعوذ بالله من البلاء والخذلان.

327. القراءة المتأنية

من المفيد لطالب العلم والمعرفة، قراءة الكتاب من فاتحته إلى خاتمته، من أجل (**أولاً**) التدرب على اكتساب طول النَّفس في القراءة، و(**ثانياً**) التدرب على التركيز واستخلاص المضامين، و(**ثالثاً**) التدرب على استيعاب منهجيات الكُتّاب في التأليف، و(**رابعاً**) التدرب على فهم طرق المؤلفين في رد الجزئيات إلى كليات الأفكار التي يطرحونها، و(**خامساً**) التدرب على الانتباه إلى مسالك استثمار الاقتباسات والنقول في عرض الأفكار. و(**سادساً**) التدرب على فن الصياغة وأساليب عرض الأفكار لدى مختلف المؤلفين. ولهذا من الخطأ أن نغرس في عقول الشباب (القراءة المتنقلة)، أي توجيههم وإرشادهم للاكتفاء بقراءة بعض الفصول هنا وهناك، بدعوى أن ليس كل فصول الكتاب لها فائدة معتبرة وفيها إضافة مهمة.

328. المهدي من آل البيت

لما قضى الله تعالى لهذه الأمة المباركة بأن تكون خاتمها في عالم الدنيا الصلاح والاستقامة على نهج شريعته كما كان الأمر في العهد الأول، اقتضت حكمة الله تعالى أن يبعث عبده المهدي من نسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليصلح ما أفسد الإنسان، فكما طابق اسمه اسم الرسول صلى الله عليه وسلم وصفته صفته ومهمته مهمته، كانت قيمة وجوده تضارع قيمة وجود الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فليس بينهما إلا حجاب النبوة، فلذلك تظهر العجائب في عصره رضي الله عنه، ولذلك يكون صحابته في قمة الإيمان وتتجلى لهم حقائق الإيمان واقعاً كما كان الحال مع الصحابة الأولين.

329. الشرور في الحياة البشرية

في الحياة هناك الكثير من صور الأحداث "الفقر، المرض، الظلم، الفساد، الحرمان.. إلخ"، التي تراها النظرة العجلى صوراً مبعثرة بلا ترابط، ومفككة بلا اتساق! وتاريخ الإلحاد والشك يؤكد على أن هذه النظرة العجلى كانت ركيزة أسباب إلحاد الملحدين، بعد عجزهم عن امتلاك نظرة شمولية لهذه المواقف والأحداث. أما في الرؤية الإسلامية، فقد عالج الإسلام هذا التبعثر والتفكك في مرأى الرأي العجول في إطار أربعة عناصر: **(الأول)**، الله سبحانه قيوم العالم، والمدبر له، بالعلم والحكمة والقدرة، فلا يكون في العالم شيء إلا أن يشاء الله تعالى. **(الثاني)** وجود منظومة سنن إلهية في الكون والمجتمعات، تتسم بالثبات والاطراد والشمول، ولا شيء يمكن أن يخرج عنها. **(الثالث)** الإنسان مسؤول لأن له إرادة حرة وقدرة على الاختيار بين البدائل، ولهذا فهو مؤثر ــبإذن الله تعالىــ في سير الأحداث ونتائج المواقف المختلفة. **(الرابع)** الدنيا عالم ممر وفناء وزوال ونهاية، لأن الإنسان مخلوق للأبدية، ولهذا فهو منتقل حتماً إلى عالم الخلود عبر بوابة الموت لينال جزاءه على أفعاله. في إطار هذه العناصر الأربعة تتشكل رؤية المسلم لواقع العالم الذي يعيش فيه، ولهذا فإن رؤيته للأحداث تتسم بالتركيب والتكامل والشمول، لتكون هذه الأحداث على كثرتها وتشابكها وتشعبها متلاحمة وثيقة الصلات بين أجزائها. هنا ينظر المسلم بمنظار ثنائية الفعل: فاعلية الله تعالى، وفاعلية الإنسان، رغم أن فاعلية الإنسان لا تخرج أبداً عن فاعلية الله تعالى، بحكم أن الإنسان مخلوق، عاجز، قاصر، جاهل، والله الخالق، له الكمال المطلق في ذاته وصفاته. وبهذا لا تسقط رؤية المسلم في الاختزال والسطحية والتبعثر الذي تقع فيه الرؤية المادية عند الإنسان الملحد.

330. من نصر الله نصره

علّمنا التاريخ أنّ الله تعالى يؤيد بنصره وتوفيقه الأمة المستمسكة بمنهج وحيه في نشاطات الحياة حتى وإن كانت قليلة العَدد والعُدد، على الأمة الفاجرة الجاهليّة حتى وإن كانت كثيرة العَدد والعُدد. هذه الحقيقة أقرّها القرآن الكريم، كما أننا نجد شواهدها في السيرة النبوية. قال الله سبحانه: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة/249]. لكن عندما تقف أمتان وجهاً لوجه وكلاهما منفصل عن الله تعالى، فهنا الحقُ تبارك وتعالى يمنع تأييده وتوفيقه عن الأمتين معاً، لتكون المواجهة بينهما حسب سنن الله تعالى في الحياة: الأقوى مادياً وتخطيطاً هو المنتصر. لقد استوعب المسلمون في العصور الغابرة هذه الحقيقة، فكانوا أشد حرصاً على توثيق علاقتهم بالله، منهم على الارتباط بالعدة المادية، وبذلك حققوا انتصارات عظيمة في لحظة تاريخية فارقة.

331. أخبار الوحي غير الحسية

حديث الوحي عن أمور لا تخضع للتجربة الحسيّة، كحديثه عن سجود الشمس وعالم البرزخ، وكحديثه الملائكة عليهم السلام، وكذا عن الجن والشياطين، وكحديثه عن كتابة المقادير التدبيرية قبل خلق الإنسان. هذا الحديث له مقاصد، يمكن تحديد أبرزها في التالي: (**أولها عقيدية**)، وهي بيان جانب من كمال الله سبحانه وسلطانه العظيم. و(**ثانيها معرفية**)، وهي توسيع مدارك العقل وإثراء فضاء الروح. و(**ثالثها تربوية**)، وهي ترسيخ خُلق التواضع والمحبة والتوكل والتزكية. هذه المقاصد تعمل على ترقية العبد في ثلاثة مدارج وهي: (**العبودية العقلية**)، و(**العبودية النفسية**)، و(**العبودية البدنية**). وكلما ترسخ العبد في هذه المدارج وترقى في هذه المنازل، ترسخت قدمه في مقامي التسليم والاتباع: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة/208]. فينتقل العبد بذلك من مستوى (**العقل المجرد الأهوائي**) إلى أفق (**العقل المؤيد الإلهي**)، فتتحقق له (**المعية الإلهية**): ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل/182]. نسأل الله حسن التوفيق.

332. لماذا التبرج والتحرش؟

من دلالات تبرّج الفتيات في الشارع ومعاكسة الشباب لهن، انتقام بعضهم ينتقم من بعض، وهم جميعاً ينتقمون من المجتمع! فالفتاة تعتبر نفسها مظلومة من الشاب الذي تخلى عن السعي للزواج بها لتشعر بمعاني الأنوثة فيها، فلا تجد طريقة للانتقام منه إلا إثارته بمفاتنها، فإذا به يتقلّب بين القلق والاضطراب النفسي! والشاب يعتبر نفسه مظلوماً من الفتاة التي تخلّت عن معاني الفضيلة فيها، فلا يجد سبيلاً للانتقام

منها إلا الرغبة في إيقاعها في شراكه، فإذا شبع منها اطرحها أرضاً يمزقها الضياع والمجهول! وهما معاً ينتقمون من المجتمع الذي وضع العراقيل في طريق لقائهما في إطار الفضيلة وتفريغ شحنات الشهوة في مصرف الحلال، وتلبية النزعات الفطرية بأسلوب مشروع، فإذا بالكل "الفتاة، الشاب، المجتمع" يعاني مأساة أليمة بشتى تجلّياتها لأنّ الكل عملياً ينشر الفاحشة!

333. من يختارها الرجل؟

لن تجدي _أيتها المرأة_ رجلاً (ولا أتحدث عن أشباه الرجال) يرغب فيك لأنك قوية، أو مستقلة، أو حرة، أو طالبة علم، أو لأنك ذات شهادة عالية، أو غير هذا مما يخدعك به دعاة على أبواب جهنم، من المسترجلات والنسويات، وكذا بعض أشبه الرجال.. وإنما سيبحث فيك الرجل عن الدين، والحياء، والجمال، والنضج، والماضي النظيف، ومهارة البيت، وحلاوة الأنوثة. لماذا؟ لأن فطرة الرجل كذلك، والفطرة قد تتشوه وتنحرف، لكنها لا تتغير أبداً، ولذلك حين يجد الرجل في المرأة الجرأة والاستقلال والندية والاندفاع والعناد، وما يشبه هذه المعاني، ينفر منها، لأنه يشعر أنه يتعامل مع رجل وليس مع أنثى، وهو إنما يبحث عن الأنثى. بل حتى القرآن الكريم، حين تحدث عن علة خلق المرأة، قال: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم:21]، فهذا الحرف [لتسكنوا إليها]، قد جمع تلك المعاني كلها التي ذكرتها لك، لأن الرجل لا يسكن إلى زوجته إلا بذلك، وبقدر ما تكون فيها هذه المعاني وفيرة وساطعة وثرية، تكون سكينة الزوج إليها، ورغبته فيها، وحبه لها. فإياك وهؤلاء اللواتي يبعن لك الوهم، فأنت وحدك الخاسر.

334. نسيان أخذ الميثاق

قول الملحد: لا أتذكر أن الإله أخذ عليّ العهد والميثاق كما تزعمون! وهذا من الأوهام والخرافات التي يروجونها! والجواب أن يقال له: كنتَ جنيناً في بطن أمك لمدة تسعة أشهر، وكل أطباء الدنيا بل كل قوانين الدول تعترف بأنّك بعد أربعة أشهر من الحمل بك كنتَ إنساناً كامل الإنسانيّة لديك إحساس وسمع ونوم وأكل وشرب، حتى صار إجهاضك جريمة يعاقب عليها الدين والقانون في كثير من البلدان. فهل تستطيع أن تذكر لنا قليلاً فقط مما حدث لك خلال الخمسة أشهر قبل خروجك إلى عالم الدنيا؟ من المؤكد أنه لا يستطيع إنسان أن يتذكر ذلك، وهذا يبرهن على أن عدم التذكر لا يعني بالضرورة عدم الحدوث. ومن هنا نجد أن الملحد ينفي حدث الميثاق الذي أخبر به الوحي، لكنه نفي بلا دليل ولا حجة، بل هو الظن والوهم والهوى!

335. الانسحاب من الخطبة

أيها الشاب تقدمت لخطبة فتاة قيل لك عنها خيراً، وفي النهاية لم تعجبك، عادي جداً، هذا حقك، كما أنه من حقها أن ترفضك إذا لم تعجبها، ففيما يعشق الناس مذاهب، ولهذا حث الإسلام على الرؤية قبل الزواج. لكن.. اتق الله يا أخي فلا تعلن أمامها أو أمام أهلها أن رفضك وتراجعك سببه أنها لم تعجبك في شكلها ولم يرق لك مستواها من الجمال! فوالله إنك لا تدري أن تصرفك هذا في تأثيره وألمه ومعاناته في نفسية الفتاة يضارع تأثير وألم ومعاناة مَن أُخذ فقُطّع جسده إرباً إرباً، فلا يأتي عليه الموت حتى يكون قد ذاق من الألم ما يعجز الخيال عن رسمه! لك في المعاريض فسحة واسعة عن الكذب المباشر، بل أن تكذب كذباً مباشراً أولى في النظر الشرعي من مواجهتها أن سبب الرفض هو (أنت غير جميلة).

336. آفة عدم الانضباط

تبدأ المشاكل الزوجية، المأساة الشخصية، الرسوب والفشل والتخلف والسقوط، حين لا يكون هناك انضباط وحين لا يكون هناك نظام. ولهذا تجد الإسلام قد وضع نظام حياة يومي شامل ومتكامل، في الأحكام والآداب، في أصغر الأشياء كما في أكبرها، لأنه يعلم أنه لا يمكن أن تكون هناك ترقية عقلية ولا تزكية نفسية ولا تحلية أخلاقية ولا استقامة اجتماعية، ولا سعادة ولا نجاح ولا سلام ولا استقرار، في النفوس والبيوت والمجتمع ما لم يكن هناك نظام صارم وانضباط متين. وهذه حقيقة يؤكدها الواقع والتاريخ.

337. النسوية الصريحة والمتخفية

بالنسبة للنسوية الصريحة أو المتخفية، فإن الزواج سجن، بل سجن مرعب، وأشد ما فيه هو الحمل والإنجاب!! كلاهما يصور لها العبودية شاخصة، والضعف قائما، والخضوع متجسدا، وكل هذا يحطم لديها الطموح والنجاح المنشود، بل يحطم لديها فكرة المرأة الحديدية، القوية، التي لا تستسلم للرجل ولا تخضع له!! الفرق بين النسوية العلمانية والنسوية المحجبة، أن الأولى تربط ذلك كله بالدنيا ولذاتها والتقدم والحضارة، والثانية تربطه بالمساهمة في نهضة الأمة والدعوة وجبل صلاح الدين!! هذا الصنف من النساء كما قلت في بعض المنشورات، لا هو رجل ولا هو أنثى، بل مخلوق مشوه بشع، فالمرأة النسوية تبذل مجهودا ضخما لخنق أصوات الفطرة والأنوثة والأمومة فيها، ولذلك فالمرأة النسوية لعنة على نفسها وعلى من يبتلى بها!!

338. الإلحاد ديانة جديدة

لا يخفى على أي مراقب للمسألة الإلحادية الجهود الجبارة التي يبذلها ويقوم بها الملاحدة للترويج للإلحاد! والحقيقة أن الأمر يمكننا استيعابه حين ننظر إليه في إطار كون الإلحاد (ديانة جديدة) يتم تقديمها على أنها البديل الأفضل للأديان، إذ من الطبيعي أن كل صاحب دين يسعى تلقائيّاً لنشر ديانته وإشاعة رؤاها المعرفية والقيمية. لكن؛ إذا كان هذا شيئاً مفهوماً في إطار كون الإلحاد ديناً، فإنّ الملاحدة بهذه الجهود الكبيرة لتلحيد الناس والتبشير بالرؤية الإلحادية بينهما، يناقضون بنوداً كبيرة في عقيدتهم! فمثلاً وفق مبدأي (الانتخاب الطبيعي) و(البقاء للأصلح)، لا يوجد مبرر للقيام بتلك المجهودات الهائلة (أموال، أوقات، تضحيات كبيرة)، بل يجب ترك الأمور تسير على طبيعتها، لأن الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح كفيلان بتحويل أفراد البشرية إلى ملحدين، بما أن الإلحاد (عقيدة صالحة وأفضل)!

339. نهاية النسوية

لا تبلغ النسوية كمال (التَنَسْوُن) حتى تمارس السحاق (الجنس مع أنثى مثلها)، فالسحاق قمة تجلي التحرر الكامل من السلطة الذكورية! وهذا متوافق تماماً مع أصول الفكر النسوي القائم على التمركز حول الذات والصراع ضد الذكر. إن السحاق أحد أبرز مظاهر التمرد والثورة على سلطة الذكر، غير أنه لما كان ضد الفطرة، تجد أغلبية النسويات لا يتعاطين له، وإن كان يلزم جميعهن من الناحية النظرية! فتأمل هذه اللعنة التي أصابت هؤلاء الجاهليات الفاجرات!

340. هوس النقد للتراث

لما تقرر في نفوسهم أن سبب سقوط الأمة هو العلم الشرعي الممتد بتراثه خلال القرون، كانت النتيجة الحتمية هي إسقاط هذا التراث لتحقيق النهضة، ومن ثم كان هوس التجديد، وجنون النقد!! إنه النقد الهلامي، السائل، المطاطي، بلا ضوابط ولا معايير، وإنه التجديد المنفلت، المتحرك، والهادم للأسس والثوابت!! إذن، لا يمكن سوى الإشادة بكل من مارس هذه المهنة (النقد والتجديد)، حتى ولو أتى على أركان ما يزعم أنه قام في الأساس للعودة إليه وإحيائه! هذا يتعلق بمن له حسن نية لكنه أخطأ الفهم، فأخطأ التقدير، فأخطأ المنهج. أما خبثاء النية وعملاء الهدم فأمرهم أوضح من الشمس وإن حاولوا أحياناً التخفي وراء ممارسة النقد الرشيد والبريء!

341. الحذر من الشبهات

كان السلف رضوان الله عليهم ــرغم سعة علمهم، ورجاحة عقولهم، وطهارة قلوبهمــ شديدي الحذر من الأهواء والشبهات! وذلك لعلمهم أن القلوب ضعيفة والشبه خطّافة، وأن مسارب الشيطان غامضة وخفية، وأيضاً لتأديب العوام وتحذيرهم عملياً من الاسترسال مع أصحاب الأهواء من مختلف المذاهب والفرق والاتجاهات. واليوم تجد المراهق الطائش والشاب التافه يبحث عن الشبهات بحثاً مقصوداً تحت مبررات شتّى، فلا ينتهي حتى يُغرقه الشيطان في ظلمات الحيرة والشكوك والضلال! وهو في كل ذلك يحسب أنه يحسن صنعاً، وأنه سبيل الشخصية الفكرية المستقلة، والسير في درب المفكرين العظماء! وبالتوازي مع ذلك؛ تجدهم يرفضون القراءة في علم القرآن والسنة، ومعرفة مقالات أهل العلم والحكمة، كما يرفضون قراءة كتب أهل التخصص في الرد على الأهواء والشبهات والمذاهب الهدامة!

342. إلحاد الإنسان الغربي

إلحاد الإنسان الغربي لم يكن في يوم من الأيام إلحاداً حقيقيّاً؛ بل كان في الواقع تمرداً وثورة على صورة الإله كما عرضته الأساطير اليونانية الإغريقيّة والأساطير الكنسيّة الصليبيّة، وعلاقة هذا الإله بالإنسان والواقع والتاريخ! في الواقع لقد كانت تجربة الإنسان الغربي ــبسببهماــ مع عقيدة الإله تجربة بائسة جدّاً ومريرة للغاية! ولهذا يوم أتيحت له الفرصة قرّر أن يثور عليها وأن يتحرّر منها! غير أنّه بدل أن يبحث عن الإله الحق وكما ينبغي أن يكون، راح يضرب في التيه البعيد، هروباً من الدين والإله وما يتعلّق بهما!

343. المتاجرة بشعار حقوق المرأة

من المهم أن نتذكر أن أكبر نسبة في اغتصاب النساء، التحرش الجنسي اليومي، العنف الرهيب ضد الزوجات والعشيقات والمطلقات، الفضائح الجنسية بين المشاهير والنخبة السياسية والمالية.. هذه النسبة المرتفعة والتي تحتل الصدارة، موجودة في الدول الغربية التي ما زالت منذ عقود ترفع شعار حقوق المرأة! وإذا لزم أخذ عبرة من هذه الحقيقة المثيرة، فهي أن شعار حقوق المرأة لم يكن منذ بدأ إلا شعار متاجرة بالمرأة نفسها!

344. شعار وحدة الأمة

من أجل دعوى الابتعاد عن التكفير ووحدة الأمة، من المقبول عند هؤلاء المناضلين والمناظرين عن الزنادقة الجدد تمييع العقيدة وتسييل المبادئ الإسلامية، حتى وهم ينقضون بناء الإسلام، ويحرفون القرآن تحريفاً

فجاً، ويمسخون عقول الشباب! تذكرني هذه الشعارات بشعار كفار قريش حين قالوا عن النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يُسفّه عقولهم، ويسب آلهتهم، وأنه جاء بدين يفرق بين الأب وابنه وبين الرجل وقبيلته! مضمون هذا القول هو: كفار قريش رفعوا شعار (ضرورة الابتعاد عن التكفير والتسفيه) وشعار (وحدة المجتمع والقبيلة فوق كل اعتبار)، واليوم نجد حاملين لشهادات في الدراسات الشرعية ــفضلاً عن غيرهمــ يعيدون إنتاج هذه المضامين!!

345. تكفير الزنادقة الجدد

حين نكفر بعض هؤلاء الذين أفنوا أعمارهم في تفريغ الإسلام من مضامينه وتشويه حقائقه وأحكامه ومبادئه في العقول والنفوس، فنحن لا نفعل ذلك لمجرد الهوى ومناكفة الخصوم، كما يفعل بعضهم في رفض تكفيره، بل نكفره لأنه هو نفسه ترك مستندات صارخة تدينه بذلك، ونفعل تحذيراً للشباب منه ومن أفكاره وباقي العصابة التي تسير في مساره، ولأننا لن نقبل أن يكون ديننا العظيم لعبة بأيدي هؤلاء الزنادقة، يهدمونه باسمه ومن داخله، ولأننا إذا لم نكفره رغم إصراره الطويل على محاربة الله ورسوله، فهذا يعني أنه لا يوجد كفر في الدنيا، وبالتالي فلا فرق بين الإسلام وغيره من الأديان!

346. لا تخشى الخطأ

علمتني الحياة ألا أخشى الخطأ، فأنا أولاً وآخراً بشر من البشر، ولابد للبشر من الخطأ، فذلك لازم تكوينهم النفسي والإدراكي. لكن، تعلمت أيضاً أنني حين أخطئ أن أبادر لتصحيح الخطأ، دونما تردد حائر أو شعور بالخجل. نعم، بلا شك، هناك أخطاء دفعت جرّاءها الكثير جدّاً، لكن رغم ذلك لا أتذكر أنني ندمت يوماً على خطأ ارتكبته ــإلا ما كان ذنباً أستغفر الله منهــ لعلمي أن الخطأ مثراة للروح، مرقاة للعقل، مشكاة للحقيقة. على أن العبرة ليست بأن تخطئ، ولكن في الاستمرار على الخطأ بعد تبيّنه!

347. الكتابة الإبداعية

الكتابة الإبداعية، تلك التي تشعر وأنت تقرأها أنها تلمس شيئا غامضا فيك، وأنها تترجم شيئاً عميقاً فيك، لم تخرج من فراغ، بل بالإضافة إلى عنصر البيان والصياغة، يكون صاحبها قد خاض تجارب مختلفة ومرّ بخبرات مختلفة، امتزج فيها الأمل والألم، النجاح والفشل، الطموح والخيبة، السعادة والمأساة. وأنا أزعم أنه لولا تجربة الألم والفشل والخيبة والمأساة التي يمر بها الكاتب، ستكون كتاباته المتعلقة بالإنسان والحياة،

قاصرة وضحلة ومختزلة. فخوضوا التجارب، ولا تخافوا من الفشل والألم، فذلك رغم أنه فشل وألم، مفيد لثراء النفس واتّساع الرؤية.

348. ليس فشلاً بل خبرة جديدة

تعلم ألا تقول فشلت في دراستي، زواجي، تجارتي.. إلخ، بل تعلم أن تقول اكتسبت خبرة جديدة. حين يكون هذا شعارك ومبدأك، سيكون وقع الصدمة عليك أخف بكثير، كما أنه سيساعدك على الانطلاق مرة أخرى على اختيار شريك آخر، اختيار شعبة أخرى، اختيار تجارة أخرى.. إلخ. وهذا ما يريده الإسلام من المسلم، أن يكون دائم التفاؤل عميق الأمل، بلا يأس متشائم ولا قنوط محبط، مهما واجهته الصعاب ووقفت في وجهه العراقيل، فعلّمه أن مقاليد الأمور وتصاريفها بيد الله تعالى وحده، يقلّبها على منهاج الحكمة، كما علّمه أنه مأجور على السرّاء إن شكر، وعلى الضرّاء إن صبر.

349. الغوغاء الكُتّاب

من عجائب عصرنا؛ بل من مهازله وسخافاته، أنك تجد الجاهل الساذج يكتب حول قضايا كبيرة ومسائل متشعّبة، لمجرد أنّه وجد فرصة للكتابة والتعبير في وسائل التواصل أو المواقع والجرائد الإلكترونية والورقية! وهو حين يكتب، يتوهم أن كتاباته الساذجة تعطي لآرائه قيمة وتُوجب لها احتراماً وتقديراً! والحق أنه لا شيء أفضل من أن يُجبه هؤلاء السفهاء بحقيقتهم وأنهم ليسوا على شيء، وأنّ آراءهم ليست أفضل من آراء راعي غنم في رأس جبل! ذلك لأنّ شيوع هذه الكتابات يسهم في إنشاء توجه فكري مطبوع بالجرأة والتهافت بين الصغار والشباب، تقتات عليه عقولهم ونفوسهم! في الواقع؛ إن انتشار هؤلاء الكُتّاب منذر خطر محدق، ستظهر نتائجه بشكل بارز في السنوات القادمة، فهم بمثل كتاباتهم إنما ينشئون ــ كما قلنا ــ حالة عقلية منمّطة ومختزلة وسطحية، ومن الواضح أن الأمة لا يمكن أن تستأنف رسالتها الخالدة بمثل هذه العقول!

350. قراءة القرآن

لا تقرأ القرآن الكريم، لتجد فيه آيات تؤيد أفكارك ومواقفك، فهذا الموقف حطٌّ من قيمته ورسالته في حياة الإنسان. ذلك لأن القرآن جاء لينشئ رؤى جديدة وليؤسس لمفاهيم جديدة، فأن تقلب أنت الوضع، وتجعله تابعاً لظنونك التي تصفها قطعيات، ظلم وجرم كبير في حق القرآن! الواجب عليك ــ إذن ــ أن تقرأه

لتكتشف فيه الأفكار التي يحسن بك تبنّيها لأنّك مسلم، والمواقف التي يجمل بك الانحياز إليها لأنّك مسلم، فهذه هي مهمة القرآن. لقد نزل ليكون ثورة شاملة للفكر والتصور والسلوك. أما حين تستقي أفكارك من مرجعيات أخرى ثم تأتي إلى القرآن لتدعمها به، فهذه خطيئة عظمى!

351. الحذر من الانحرافات

جاء في الأخبار النبوية التنبيه على كثير من الانحرافات الفكريّة والأخلاقية والاجتماعية، باعتبارها أمارات وعلامات لدنو الساعة وقرب قيامها. هذه الأخبار والآثار تقصد _من ضمن ما تقصد_ تنبيه المسلم كلما تطاول الزمان وبعد الناس عن عصر النبوة على أهمية وضرورة الحذر من السقوط في أوحال هذه الانحرافات، والدعوة إليها والترويج لها تحت مسميات برّاقة خلاّبة، وخصوصاً أن الدجل والدجاجلة سيكثرون بين يدي الساعة. وها نحن أولاء اليوم نشهد كيف أن كثيرين ممن ينتحون الفكر والثقافة والدعوة يسهمون في إشاعة هذه الفتن المختلفة الألوان والمتنوعة الأشكال بين الصغار والكبار تحت شعارات العقل والتطور والحضارة والوسطية والتجديد!

352. حاكمية الله تعالى

تنبع ضرورة حاكميّة الله تعالى التشريعيّة لنشاطات الحياة الفردية والاجتماعية المختلفة من ثلاث حقائق: (**أولاهما**) حقيقة أنه سبحانه الخالق لكل شيء في الوجود، و(**ثانيهما**) حقيقة أنه سبحانه أعلم بكل ما في الوجود، و(**ثالثهما**) حقيقة أنه سبحانه يحاسب الإنسان في القيامة على وحيه. ومن هنا فحاكميّة الله سبحانه حقيقة عقلية ووجودية قبل أن تكون حقيقة شرعيّة. وإذ كان الأمر كذلك؛ فلا ينازعه سبحانه أحدٌ في حق الحكم والتشريع إلا من عنده غبش كبير في العقيدة وجهل بالغ بحقيقة الألوهيّة وطبيعة الإنسانيّة!

353. امتناع إبليس عن السجود

قول الله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص/75]. هذه الآية تتضمن دلالات مهمة، وهي (**الدلالة العقدية**) أن نعتقد أنّ الله تعالى خلق آدم عليه السلام بيديه. بدون أن نخوض في الكيفية والماهية، لأنّ ذلك شأن إلهي. و(**الدلالة التربوية**) أن نستشعر تكريم الله تعالى للإنسان في شخص آدم، ونتذوق قيمتنا عنده، وهذا الشعور يوطد أواصر المحبة والتعظيم لله تعالى في نفوسنا. و(**الدلالة العلمية**) أن نعتقد أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام خلق الإنسان الأول مباشرة، وهذا يعني أنّنا يستحيل أن نقبل

خرافة التطور الدارويني. و(**الدلالة السلوكية**) أن نكون حذرين للغاية من همسات الشيطان ونزعات الأهواء فلا نغتر بعلومنا وعبادتنا وقوتنا، فالسقوط وارد، كما سقط إبليس رغم سعة علمه.

354. هواجس التساؤلات

بعض الشباب يفزعون جدّاً كلما ألمّ بهم هاجس سؤال حول الله تعالى، الآخرة، الإسلام، القرآن، النبي صلى الله عليه وسلم، ويستبد بهم القلق والفزع للغاية، من أجل أنّهم يعتقدون بأن هذه الهواجس أمارة على قلة الإيمان وضعف اليقين، وأن الله سبحانه قد تخلى عنهم وتركهم نُهبة للشيطان! في الواقع هواجس مثل هذه الأسئلة هي أمارة على أنّ في هؤلاء الشباب خيراً كثيراً، فالجسم إذا شعر بالألم فذلك أمارة على أن الجهاز العصبي يعمل بشكل سليم، أما لو جُرح مثلاً، ومع ذلك لم يشعر بألم فهو دليل على أن هذا الجهاز معطل، وهذه مشكلة. فكذلك الأمر هنا، بما أنّ هذه الهواجس والوساوس تقلق المسلم، فذلك دليل على أن عقله وإيمانه يعمل بشكل جيّد، كل ما في الأمر أنّه يحتاج لبعض العلم والفهم لتزول تلك النزغات الشيطانية. ولهذا أُمر المسلم بطلب الهداية الربانية والحرص على طلب ما أمكن من العلم بالقرآن والسنة.

355. إيمان الفلاسفة

يتوهم بعض الناس أنّ كل مَن أثبت وجود الخالق من الفلاسفة، فهو مؤمن موحد! ومن العجيب أنه حتى بعض الباحثين يقع في هذا الوهم والرأي الآفل الآفن! إن هؤلاء غابت عنهم بعض الحقائق المهمة في هذا الموضوع. فإثبات الخالق لا يدل (**أولاً**) على إثبات حقيقته الوجوديّة، بل قد يكون مجرد إثبات له كفكرة ذهنية مبهمة وعائمة. ولا يدل (**ثانياً**) على الاعتراف بمركزيّته في الحياة، بل قد يكون مجرد عنصر ضروري لتناسق المذهب عقليّاً وأخلاقيّاً. ولا يدل (**ثالثاً**) على وضوح حقيقته ذاتاً وصفات بل قد تكون صورته مغرقة في الغموض ومشحونة بالضبابيّة. ولهذا ينبغي التفريق بين إثبات الخالق من حيث الفكرة وأنّه مبدأ عقلي ثابت، وبين إثباته من حيث كونه إلهاً له حقيقة وجودية وله حقوق على عباده.

356. دلالة الجزية

الجزية الواجبة على غير المسلم المقيم في البلد المسلم قمة في العقلانية والموضوعية. فحين يقرر الكافر دفع الجزية سيكون واجباً على الحكومة الإسلاميّة ترك أملاكه الخاصة له، وسيُحرم عليها التعرّض له بالأذى والتضييق، وسيكون مفروضاً عليها الدفاع عنه لو قامت حرب ضد أعداء آخرين. فكما ترى، فإنّ الجزية

تترتب عليها أحكام والتزامات للدولة الإسلامية، على عكس ما يصور به القضيةَ العلمانيون والصليبيون والملحدون! وإلا هل يُعقل أن توفر الحكومة الإسلاميّة كل هذه الحقوق والضمانات للكافر تحت سلطانها بدون أدنى مقابل ولو من باب الرمزية؟! بل لو كان الأمر كذلك لَاتُّهِمَ الإسلام بالمثالية المفرطة والغباء التدبيري! كما أنّ الجزية تتضمن بُعداً نفسياً، فالكافر إن كان من ذوي الأنفة والفضيلة، لا شك أنّه سيبحث في هذا الدين الذي وفر له الحماية رغم اعتباره له كافراً، فيكون ذلك فرصة للتعرّف على الإسلام والحق.

357. عبر قصص الأنبياء

خذ من قصة أبينا آدم عليه السلام أنّ الولي وإن كان عظيم المنزلة عند الله تعالى، فذلك لا يمنع أن يتعثّر في الطريق. وخذ من قصة نوح عليه السلام أنّ صلاح الإنسان واجتهاده في إصلاح أبنائه لا يعني بالضرورة أنّهم سيكونون صالحين. وخذ من قصة إبراهيم عليه السلام أنّ أساس محبة الله وبرهانها أن يكون قلبك كله لله وفوق كل أنواع المحبات للآخرين. وخذ من قصة سيدنا موسى عليه السلام أنّك مهما حصلت من أنواع العلوم ودقائق المعارف، عليك أن تذكر أنّ ذلك فضل من الله عليك. وخذ من قصة سليمان عليه السلام أنّ ملكك للدنيا بما فيها، لا يجب أن يُنسيك أنّك عبدٌ لله وستفارق الدنيا يوماً ما. وخذ من قصة يعقوب عليه السلام أنّه مهما اشتدت الأزمة وبدت الآفاق حالكة، فهناك أمل. وخذ من قصة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أنّ الأهداف المقدسة تستحق أن نضحي لأجلها بكل شيء.

358. حديث الوحي عن الصفات

إذا كانت بعض العقول لا تريد أن تفهم دلالات حديث القرآن عن أسماء الله وصفاته، فتلك مشكلتها ولا علاقة لنا بها. كما أنّنا لسنا ملزمين باللهاث معها في مضمار القلق الوجودي لأوهام شاردة قالوا عنها عقليات قاطعة! فحديث ربنا عن أسمائه وصفاته في القرآن وحديث نبينا عليه الصلاة والسنة في السنة، كلاهما بالنسبة لنا حديث واضح بيّن، لا نحتاج معهما لاستدعاء فلسفات شرقية أو غربية، أو لافتراض أوهام وخيالات! إنّ الصفات حقيقة ذاتية بالنسبة لله تعالى، ولها آثار وجودية في الحياة والكون والإنسان والتاريخ. ولهذا لا تجد هذه الأسماء والصفات معروضة في القرآن إلا في سياقات التنبيه على فاعلية الخالق وآثارها. فاعجب لهؤلاء الذين أبوا إلا تصوير القرآن على أنه شبكة ألغاز ومتشابهات توجب التوقف والحيرة، والأصل أنّ الله تعالى أنزله ليكون هداية للعقول ونباريس نورانية في طريق السعادة الأبدية!

359. المؤمن والملحد

المؤمن يستطيع أن يؤطر سلوكه بعقيدته، ويضبط حياته بإيمانه، أما الملحد فيستطيع أن يعلن بسهولة إلحاده وإنكاره، لكن من الصعب أن يؤطر حياته ونشاطاته بقناعته الإلحاديّة، إلا للحظات عابرة وفي إطار محدود! وهذا يرجع إلى أنّ الإيمان ليس فلتة عقل أو خاطرة وجدان تلم بالإنسان في لحظة من اللحظات، بل هو حقيقة أصيلة في كيان الروح، كما هو حقيقة أصيلة في فطرة الكون والحياة، ولذلك يمكن التوفيق بينه وبين نشاطات السلوك. عكس الإلحاد فبسبب كونه مبثوث الصلة بطبيعة الوعي والشعور الإنساني، ومصادم لطبيعة نظام الحياة، لا يمكن التوفيق بينه وبين نشاطات السلوك بشكل نهائي.

360. استعباد الدنيا

ربما من اليسير أن تحصل على المجد الدنيوي، من مال، وشهرة، وسلطة. ولكن؛ من المؤكد أنّك لن تكون حينها حرّاً، بل عبداً! فبقدر ما ينبسط هذا المجد بين يديك، تتوغل أكثر في أوحال العبوديّة! هكذا هي الدنيا لا تعطيك إلا بمقدار ما تستعبدك! وإنّ أشقى أشكال العبودية هي أنّ تظن نفسك حرّاً، غير أنّك في الحقيقة وواقع الحال تقاسي مرارة العبودية الذليلة للمال، والشهرة، والسلطة! ولهذا كان الصحابة والصالحون، بل وحتى بعض كبار مفكري وفلاسفة الأمم الأخرى، يحرصون على البقاء بمسافة جيّدة عن هذا المجد الزائف والعظمة المنتفخة والغرور الزائل!

361. الإنسان والحضارة

الإنسان والحضارة وجودهما وثيق الارتباط بتحديد الهوية الذاتية، إذ في إطار هذه الهوية يتشكل الوعي ويتحدد إطار النشاطات المختلفة. ولهذا تجد الأمم الكبيرة حريصة على التذكير والترسيخ لمكونات الهوية في نفوس أفرادها، لتظل مشدودة إلى مركزها متحركة في دائرتها، وإلا لا يمكن تحقيق أي تقدم في مضمار النماء والانطلاق. ودعوة الأنبياء عليهم السلام تدور في هذا الإطار، فهي دعوة لتشكيل الهوية الذاتية داخل منظومة الوحي الرباني، الذي حدد أصل الإنسان، ودوره في الحياة، ومصيره بعد الموت، وعلاقته بخالقه، فكل ذلك هو ما يُضفي على النشاط الفردي والاجتماعي المعنى والقيمة، باعتبار أن الخالق سبحانه ما خلق الإنسان إلا لعبادته والتزامه شريعته في مجالات الحياة.

362. الوحدة الإسلامية

الوحدة الإسلامية فرضية شرعية، فنصوص الشريعة وأحكامها وآدابها، كلها تؤكد هذا المعنى وتشدد عليه وتدعو إليه، إذ في هذه الوحدة ضمان أكيد للقيام بالواجبات الشرعية وبالدور الرسالي للأمة في العالمين. وإذا كانت وحدة الأمة واجباً شرعيّاً، فهي ضرورة يُحتّمها النظر الاقتصادي، والنظر السياسي، والنظر الاستراتيجي. ومن هنا فالعمل الدؤوب على تحقيق هذه الوحدة حتمية متعددة الأهميّة وضرورة تدعمها كل الاعتبارات، كما أن العمل على تفكيك هذه الوحدة وإطالة أمد تمزقها، جريمة نكراء في حكم الشريعة، كما هو جريمة شنعاء في ميزان التاريخ. وإذا كنا نفهم دوافع العلمانيين في الإبقاء على هذه الفرقة وترسيخها، خدمة لأهوائهم ولأجندات الغرب، فمن المخزي أن نرى بعض المشايخ وطلبة العلم يعملون في الاتجاه المعاكس لتحقيق الوحدة، جرّاء تهورهم في إذكاء الضغائن بين الشباب بمباحثهم الكلامية!

363. الطلاق ليس حلاً دائماً

الطلاق ليس دائماً حلاً مثالياً. وكم من شخص (زوج أو زوجة) بادر للطلاق لمجرد نقاشات وخلافات مع شريكه، بعد أن خدع نفسه وأوهمه الشيطان أن قرار الطلاق صائب جداً ولا مفر منه، إلا أنه بعد مدة، قد تطول أو تقصر، يكتشف أنه ارتكب خطأ العمر، فيعض يديه ندماً!! خصوصاً المرأة، فمن المؤكد أن حياة المرأة بلا زوج ليست سهلة، على الأقل معنوياً!! هذا الندم الأليم يكون بعد أن يكتشف أن الحياة ليس كما توهم، فشيء من الخلافات والصدامات مع شريك الزواج لابد منه، حتى لو كان هذا الشريك في منتهى المثالية والنضج، لأن الإنسان مهما حاول يظل إنساناً يتأثر بمجموعة من العوامل والظروف والأحوال. وبعد أن يكتشف أن الحكمة تقتضي غض الطرف عن بعض السلبيات في الطرف الآخر وإلا لن تستقيم الحياة، وهي حقيقة لا تقتصر على شريك الزواج، بل إن الأمر يشمل كل علاقة بآخر، بدءاً بالوالدين والأبناء، ومروراً بالأصدقاء والمعارف، ووصولاً إلى زملاء العمل، فضلاً عن غيرهم!

364. قيمة المرأة

لأننا نؤمن أن المرأة نصف المجتمع، ندعوها دائماً، ونحرص أبداً على تقر في بيتها، تهتم بنفسها وزوجها وأبنائها، تعمل على أن يكون بيتها بيئة لتقوية الإيمان وتعزيز اليقين والنماء في إطار القيم الإسلامية. وإنها لمهمة مقدسة وواجب نبيل وغاية شريفة، دعامتها الكبرى هو إيمان المرأة المسلمة بالله وصلتها العميقة به، وعقيدتها الراسخة أنها مسؤولة بين يديه يوم القيامة عن نفسها وزوجها وأبنائها، ورافدها الأبرز هو إدراكها الواضح أن الأسرة في أي مجتمع هي خط الدفاع الأول ضد الأعداء والمفسدين في الأرض الذين يبغون

استعباد غيرهم. والمرأة المسلمة الناضجة حين تكون واعية بهذه الحقائق حينها فقط لن تنخدع بدعوات الفارغين والفارغات لأن تخرج وتلهث وراء سراب الوهم الذي يزينونه لها في قوالب شعارات ضخمة! إنها لا تنخدع لأنها تدرك أن معركة الأسرة وحرصهم على تزييف المرأة المسلمة هو جزء كبير من المعركة الكبرى ضد الإسلام وقيم الإسلام وشريعة الإسلام وأمة الإسلام.

365. عقوبة الإنسان الغربي

من عجائب القدر الإلهي أنّه يعاقب الإنسان الغربي بنفس الوسيلة التي ظن أنّه سيرفعه إلى مستوى الاستغناء عن الإله.. وسيلة (العلم)! لقد حقق الإنسان الغربي من الاكتشافات الهائلة والرائعة الشيء الكثير، كما استغل ذلك لتيسير حياته ورفاهيته، والسيطرة على شعوب العالم واستنزاف ثروات بلدانهم! ولكن؛ رغم هذه المظاهر والأبهة المنتفخة، إلا أنه تحت السطح وفي الأعماق، تكمن المأساة القاهرة! لقد جعل العلمُ الإنسانَ الغربي يسقط في العدمية والشعور بالاغتراب، ومن ثم راح يلهث وراء الشهوات هروباً من ضغط تلك المعاناة! كما راح يلهث باحثاً عن المذاهب التي يمكن أن تسد مسد الدين الحق! أما على المستوى الاجتماعي فقد حطم العلم أواصر المجتمع، فمن شيوع الزنا والإجهاض، إلى انتشار الأمراض العصبية والنفسية، إلى تدمير البيئة وتغير المناخ، إلى فقدان الخصوصية بفعل التجسس!

366. تعقيد الكون

كثرة النظريات لتفسير الكون تؤكد بقوة على أن الكون كيان في غاية التعقيد، ومنتهى الدقة، وروعة التصميم والبناء، وهنا يطل علينا سؤال مهم وهو: لماذا الكون كذلك؟ بهذه الثوابت الكونية؟ وبهذا القوانين الفيزيائية؟ وبهذه المشاهد المثيرة؟ وبهذا التناسق البديع؟ وحين يقول الملحد إنها الصدفة السعيدة! فهو في الواقع لم يفسر شيئاً، بل فقط أضاف أسئلة أخرى، زادت المسألة تعقيداً وغموضاً وإشكالاً! أي لماذا هذه الصدفة السعيدة!

367. التعامل مع الإسلام بمنطق الغرب

عندما تنظر لمعطيات الإسلام، سواء في الاعتقاد أو في الآداب أو في السلوك أو في الأحكام، بمنظار أجنبي عن الإسلام، كمن ينظر بمنظار الفلسفات الغربية والشرقية أو كمن ينظر بمنظار الليبرالية والنسوية وغير ذلك. هنا لا شك أنك ستجد في هذه المعطيات جملة من الأمور غير المفهومة، ومن ثم ستصنفها على أنها

من المتشابهات بعد أن صرتَ تستشكل ما لم يستشكله الصحابة والتابعون والأئمة الأولون، ظنا منك أنك لحدة ذكائك صرت تقف هذا الموقف، ولا شك أن من استشكل ما لم يستشكله الصحابة والتابعون فقد رفع نفسه فوق مقامهم!! والواقع أن هذه الأمور صارت بالنسبة لك غير مفهومة تماماً ومن المتشابهات المبهمة الغامضة، لا لأنها كذلك في نفسها، فالله تعالى وصف الوحي بأنه حق ونور ورحمة وهدى وفرقان، وإنما هي كذلك بالنسبة لك لأنها لم تستقم على معاييرك التي تشكلت لديك من إدمان النظر في تلك الفلسفات والاتجاهات. وسر هذا الأمر هنا، هو اختلاف المنهج وأسسه، فالإسلام وحي الله تعالى المحيط علماً بكل شيء، الذي يقول الحق المطلق فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد أنزل الوحي لكي يهدي الخلق به إليه هداية تامة كاملة صحيحة. أما الفلسفات والاتجاهات المختلفة فمنهجها صادر عن بشر، والبشر لابد فيهم من الجهل والقصور والعجز والهوى، فكيف إذن يمكن محاكمة الوحي إلى تقريرات المناهج الفلسفة والاتجاهات الفكرية المختلفة؟؟

368. الترويج لخروج المرأة

منذ عقود والعلمانيون والليبراليون يروجون لخروج المرأة للعمل، ويدعون إليه ويحثّون عليه ويوصون به، مع كيل الاتهامات لكل من يرفض هذه الدعوات الماكرة بتقزيم المرأة ودورها في النهوض بالمجتمع! وخرجت المرأة إلى العمل، فماذا كان؟ لقد بقيت أحوال المجتمع كما هي، بل لا تزال تزداد تأزماً وتفككاً وتدهوراً على مختلف الأصعدة! انتشار العنوسة، كثرة الطلاق والشقاق، شيوع الزنا والانحلال، تخلف مرعب في التعليم والاقتصاد، الطغيان والاستبداد السياسي! نحن لا نقول بأن خروج المرأة تسبب في كل هذا، لكن نقصد بيان خبث هؤلاء الذين يحرصون على الربط بين خروج المرأة للعمل وبين التطور والازدهار، كأن خروج المرأة هو المفتاح السحري لأزمات الأمة!

369. حقيقة الحداثة

عندما يُبشّر الحداثيون العرب بالحداثة على أنها المفتاح السحري لأزمات الأمة، فهم يقصدون أولاً وقبل أي شيء آخر القطيعة مع الإسلام والمفاصلة مع التراث الإسلامي! وهذا ليس استنتاجاً يمكن أن يصيب أو يخطئ، بل هم أنفسهم يصرّحون بذلك في بعض كتبهم ومقالاتهم ولقاءاتهم. وعلى كل حال، فهم صادقون في هذا الرأي، فمن المؤكد أن الحداثة والإسلام لا يمكن أن يلتقيا ويتفقا، إذ لكل واحد منهما

عقيدته ومنطلقاته ومنهجه وغايته، فهما كالخطين المتوازيين، لا يمكن أن يلتقيا أبداً، ولذلك لا يمكن التعايش بينهما، لأن أحدهما حق والآخر باطل، أحدهما وحي من السماء والآخر أهواء من الأرض!

370. ملاحدة أخلاقيون

يتساءل كثيرون: إذا كان لا يمكن أن تكون هناك أخلاق بدون الإيمان، فلماذا هناك ملحدون أخلاقيون! ولماذا هناك مؤمنون فاسدون! الجواب الذي يغفل عنه هؤلاء المتسائلون والمشككون؛ هو أنّ تخلق الملحد بالأخلاق الفاضلة ليس نابعاً من كونه ملحداً، بل من جهة كونه إنساناً، فالملحد إنسان قبل أن يكون ملحداً. والإنسان مهما كفر وانحرف، فإن شعلة الفطرة تظل متوهجة فيه إلى حد ما. والأخلاق مكون أصيل من مكونات الفطرة، ولا يمكن الانسلاخ عن الفطرة، اللهم إلا بالتحول إلى مخلوق آخر لا يمكن إطلاق اسم الإنسان عليه! وإلا فلا يمكن لأي ملحد أن يبرر التزامه بالأخلاق انطلاقاً من الرؤية الإلحاديّة المنكرة للقيم والمقدس والغاية!

371. الجهل بالسنن الإلهية

من أعظم أسباب الشبهات عند الشباب، جهلهم بعلم السنن الإلهية في حياة البشرية. لقد وضع الله سبحانه مجموعة من السنن والنواميس الصارمة والثابتة والمطردة لضبط حياة الإنسان والمجتمعات، وليكون للتكليف والحساب معنى وقيمة. فأصلها يرجع إلى مبدأ الأسباب والمسببات والمقدمات والنتائج، وغايتها مرتبطة بالوظيفة التكليفية التي خُلق لها الإنسان. ومن ثم، فهي سنن تتجاوز عقيدة الفرد والمجتمع، سواء كان مؤمنا أو كان كافراً. فمن لم يفهم هذه الحقيقة الثابتة في عالم الدنيا، لا عجب أن تلتبس عليه الأمور المتعلقة بوجود الشرور وانتصار الكفار وتخلف المسلمين وما شابه هذه المسائل.

372. تجديد الإيمان

تجديد الإيمان في العقل والقلب ضرورة شرعية كما أنه ضرورة نفسية، فإن الإيمان في عصر كعصرنا، عصر الشبهات والشهوات، يبلى في العقل والقلب كما يبلى الثوب وبشكل أسرع من أي وقت مضى. حين يغفل المؤمن عن تجديد الإيمان يكون مهيأ للانكسار تحت ضغط الصدمات والظروف المحيطة، ويكون مهيأ للسقوط في فخاخ الشبهات والزيوف المنتشرة، ويكون مهيأ للانغماس في أوحال المعاصي والانحراف. إن

عصرنا لا يساعد على صفاء الإيمان فهناك الكثير من المنغصات والمشوشات والمغريات، فالواجب على من نصح لنفسه أن يحرص شديد الحرص على حماية إيمانه.

373. لماذا خلقنا الله؟

سؤال (لماذا خلقنا الله لعبادته إذا كان غنيّاً عنا لا يحتاج إلينا؟)، أحد وجوه جوابي هو: أنك بين أمرين، إما أن تعتقد أن الله سبحانه له الكمال المطلق والعظمة اللانهائية، وهنا بمقتضى هذا الاعتقاد منك فيه، يجب عليك أن تؤمن بيقين أنه تعالى خلق الخلق لحكمة عظيمة، سواء أدركتها أم جهلتها، وإلا ستكون متناقضاً وعقلك مشكوكاً فيه. وإما أن تعتقد أن الله سبحانه ليس كاملاً في ذاته وصفاته وعظمته، وهنا بمقتضى هذا الاعتقاد منك فيه، يجب عليك أن تؤمن بيقين أنه تعالى خلق الخلق لحاجته وافتقاره إليهم، لكن مع ضرورة مراجعة معنى الإله الخالق في عقلك!

374. تناسق الإيمان

باعتباري مسلماً مؤمناً، يمكنني الحديث في مختلف مجالات الحياة (الزواج، السعادة، الحب، الأخلاق، القيم، المجتمع، التاريخ، السلوك، التربية، المفاهيم) مع تقديم مبررات كافية من النفس والفطرة والعقل والسنن الحاكمة لحركة الإنسان والحياة. وكل هذا ناتج عن إيماني بمرجعية معيارية عليا (الوحي)، تتميز بالتجاوز لحدود الزمان والمكان والإنسان والكون والمادة، ولأنني أرى الإنسان قيمة مقدسة، والحياة لها معنى وغاية نبيلة، وأن الموت مجرد منعطف في مسيرة الإنسان الخالدة. أما الملحد، فقد يتكلم طويلاً في هذه المواضيع نفسها، وقد يقدم الكثير من الأفكار، لكنه لن يجد أدنى مبرر انطلاقاً من أسس الرؤية الإلحادية المادية لخوضه في تلك الموضوعات وطرح آرائه وأفكاره حولها! ولهذا، فالملحد إذا التزم بأصوله الإلحادية، سيجد نفسه بين الانتحار أو العودة إلى الإيمان، وليس هناك خيار ثالث!

375. كيف أخدمة الإسلام؟

يتساءل كثير من الشباب كيف أخدم الإسلام؟ ماذا يمكن أن أقدم للإسلام؟ والجواب هو أنّ أعظم خدمة تقدمها للإسلام، هي أن تحافظ على الإسلام في نفسك، عقيدة وآداباً وأحكاماً، فإذا كنت على شطر عظيم من ذلك، وضربت بسهم واسع في ذلك، فقد خدمت الإسلام خدمة جليلة، ثم بعد ذلك يمكن

توسيع دائرة الخدمة حسب قدراتك وإمكانياتك ومواهبك، كالتأليف والكتابة، والمحاضرة واللقاءات، ومساعدة طلاب العلم المجتهدين، وتقديم العون للدعاة بحسب الإمكان والخبرة، وما يشبه هذا.

376. مركزية الاعتقاد في الإسلام

علمنا ديننا كل شيء من خيري الدنيا والآخرة، حتى إنه علمنا آداب دخول وخروج الخلاء. أفيصح في منطق العقل السليم والرأي الرشيد أن يهتم دين بالخلاء وآدابه، ويترك نشاطات الحياة وعلاقاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية، لأهواء الناس ونزواتهم وصراعاتهم! تالله؛ إن هذا لظن سيئ بالخالق سبحانه، بل يوشك أن يكون سبّاً عظيماً له! ذلك لأنه سبحانه قد أنبأنا في الوحي أنه فصّل الحق والباطل، فلا يصح أن تكون الاعتقادات خارج هذا البيان. ولأنه تبارك شأنه ما خلق الإنسان إلا ليعرفه ويعبده، فلا يصح أن يتركه هملاً بلا هدى ولا بيان. ولهذا نقول: هما أمران لا ثالث لهما، إما أن الإسلام يكون بإهمال بيان الحق في الاعتقادات في حين حرص على بيان آداب الخلاء والنوم والأكل خرافة مُخدّرة، واعتقاد هذا كفر وزندقة، وإما أن العلمانيين والحداثيين ملاحدة متستّرين، إذ ردّوا الشريعة وكفروا بها.

377. تكاثر الغوغاء

كلما اقترب الزمان، كثرت فئتان لا كثّرهم الله. فئة هم همج رعاع، لا يعرفون أبجديات دينهم ولا مقدمات عقيدتهم، فيتّبعون كل ناعق، ويلهثون وراء كل دجال، يحبون الباطل ويقبلون عليه، ويكرهون الحق وينفرون منه. وفئة هم دجالة خبثاء، أشد حرصاً على تمييع العقيدة وإبهام الإسلام وتسيّيل مبادئه ومعانيه وأحكامه، يغرسون في النفوس عدم الفرق بين الإسلام وغيره، وأن الكل سواء! ومنهم مَن هم دونهم إلا أنهم يشيدون بهم، ويرفضون كشف حقائقهم، تحت ذرائع شتّى وشعارات يغالطون بها الجهلة السفهاء! وهذا من غربة الإسلام التي أخبرنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

378. حدود التفكر

قد حدّد الله تعالى للمسلم حدود النظر فقال: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. [يونس/101]. وفي الكون الفسيح مجال للعقل ومسرح للفكر، إذ في العقل قوة للإدراك، وفي الكون قابلية ليكون مفهوماً. وهذه رحمة إلهيّة، فهذا النظر يُوسّع آفاق العقل والوجدان، كما أنّه يمتع الحياة ويبهجها، وكذلك يصل المخلوق بالخالق. وكل هذه مقاصد مهمة وأهداف مقدسة في الإسلام. لكن تحت ضغط الثقافة الوافدة أبى قوم منّا

خلال قرون طويلة إلا تجاوز هذه الحدود، فبدل أن تنظر في آفاق الكون ومسارح الحياة، لتكتشف ما أودع الله تعالى فيهما من الذخائر، ومن ثم استغلالها للرقي والازدهار، بالإضافة للترقي في مدارج معرفة عظمة الخالق، بدل كل هذا راحوا ينظرون في وجود الله وماهية صفاته!! فماذا كان؟ لا شيء، سوى أننا بقينا نتجادل ونتنازع حتى تعبنا، ثم سقطنا من شدة الإعياء تحت أقدام الصليبيين!

379. لا أمة بلا دين

إنّ التاريخ ليحدثنا بأنّه من الممكن أن نجد أمة بدون حضارة ولا بسطة في العلوم الطبيعيّة والعمرانيّة؛ ولكن لا يمكن العثور على أمة بدون عقيدة وبدون دُور للعبادة، بغض النظر عن طبيعة ومستوى هذه العقيدة وهذه العبادة في ميزان الحق والحقيقة! أعتقد أن الأمر وثيق الصلة بفطرة الإنسان، فهذه الفطرة مبنية على الإيمان، وفكرة المقدس أصيلة وجوهرية فيها، ولذلك لا يستطيع الإنسان إلغاء التفكير في الإله!

380. ميوعة بعض الشرعيين

كلما هلك منافق من هؤلاء الذين أفنوا أعمارهم في تزييف الإسلام وتفريغه من مضامينه في عقول الناشئة، انبرى أتباعهم للدفاع عنه وعيب من يكشف للشباب حقيقة دعوتهم ومقالاتهم، قائلين (لقد اجتهد، وكل مجتهد إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد)، كأنه لا يحق لغيرهم أن يقولوا (ونحن اجتهدنا فأدّانا الاجتهاد إلى أنه كافر بما تلاعب ونقض من الدين، فإن أصبنا فلنا أجران، وإن أخطأنا فلنا أجر، فلماذا تعيبون علينا تكفيره، أم حلال لكم الاجتهاد وطرح ما شئتم من الأفكار تحت شعار الاجتهاد، وحرام علينا الاجتهاد وطرح ما نشاء من الأحكام!!). والذي يتابع حماسة النضال عن هؤلاء من بعض الشرعيين، يكتشف بأنّهم إما أنهم لم يقرؤوا لهم شيئاً يُذكر، بل يناضلون من باب المناكفة لخصومهم وللظهور بمظهر الاعتدال والوسطية! وإما أنهم قد قرأوا ويؤيدون ما قرؤوا إلا أنهم يستترون تحت شعارات فضفاضة! وإما ليس لهم من حظ من استيعاب مبادئ الشريعة إلا الشهادة الجامعية!

381. كيل الملحد بمكيالين

إذا كان الملحد يعتقد أن الإلحاد كفيل بتحقيق السعادة وعالم خال من الشرور والخرافات، ويراهن على المستقبل البعيد في ذلك، فهو واقعاً متعلق بالغيب، فلماذا يمنع المسلمَ من القول إن العالم الخالي من الشرور كلها موجود وكائن في المستقبل (بعد الموت) وفيه ستنكشف الحقائق بوضوح تام؟! فكما ترى، فالأمر

واحد ومتشابه بين الملحد والمؤمن، لكن، الملحد يقبله لنفسه ويرفضه للمسلم، وهذا من الأمور التي تبرهن على أن الملحد إنما يتّبع هواه، وليس باحثاً عن الحق كما يروج لذلك!

382. من تناقضات الملحد

من تناقضات الملحد الصارخة، أنه لا يعترف بالأخلاق من حيث هي قيم معيارية مطلقة وثابتة ومقدسة، متجاوزة للزمان والمكان والأشخاص، لأنه يعتبرها مجرد عادات تنشأ في السياق الاجتماعي، ومن ثم فهي مرتبطة به صعوداً أو هبوطاً! لكنه مع ذلك لا يجد حرجاً في محاكمة القدر والشرع أخلاقياً (وجود الشر، زواج السيدة عائشة، العبيد والإماء، الجهاد والقتال... وغير ذلك) حتى إنه يجوز أن نقول بأن أحد أهم مستندات الملحد لصحة الإلحاد هي الأخلاق، التي تنكرها الأسس الإلحادية أساساً!!

383. الانخداع بالعلمانية

كثيرون ينخدعون بمبررات العلمانيين في رفض الشريعة نظاماً للحياة العامة في عصرنا الحاضر، فيعتقدون بأنّ الأمر يتعلق بمسألة تغير الأحوال والظروف أو ضغط الطغيان الغربي والسياق الدولي! لكن الحقيقة الكامنة في رفض العلمانية للشريعة مصدراً وإطاراً ومعايير لنشاطات الحياة السياسية والاقتصادية والتربوية، وغيرها، ليست كما يروج لها العلمانيون، بل لأنّهم يعتبرون الشريعة الربانيّة (غير جديرة بالثقة)! أي إنهم يعتبرون (الوحي الإلهي) قاصراً وعاجزاً عن تحقيق السعادة والنظام والازدهار للمجتمعات المعاصرة، ولذلك فالشريعة (منتهية الصلاحية)! فالأمر عقيدة قبل أي شيء آخر!

384. استعجال المؤلف

عندما يستعجل الكاتب الانتهاء من كتابه لأجل ضغط دار النشر، أو استجابة لرغبة الجمهور، أو بداعية هوى خفي، عندها تُصاب مقاتله! أما أنت القارئ؛ ففي الغالب الأعم ستجد في هذا الصنف من الكُتب والمؤلفات حشواً كثيراً، أو تسطيحاً عجيباً، أو نتائج مستعجلة، أو أحكاماً جائرة، أو سرقات مختلفة، أو هذه كلها! وليس ينجو أحد من المؤلفين في هذا العصر من هذه الورطة المردية سوى مَن كتب الله تعالى. إنّ الكتابة بالنسبة للإنسان المسلم عمل؛ وإنما يحب الله ﷻ من الأعمال ما كان خالصاً صالحاً. ولذلك يحرص الكاتب المسلم الجاد على أن تكون كتاباته إيجابية وهادفة. وهو حين يقوم بهذا الدور الخطير، فذلك

لأنّه يعي جيّداً أهميّة الكلمة ودورها البالغ في تشكيل العقول، وتوجيه الأجيال، وصناعة الواقع. كما أنّ الكاتب المسلم الجاد حين يكتب؛ فإنّه ينطلق من مبدأ أنّ الحقيقة يجب أن تُكشف لأنّها تستحق ذلك.

385. الكوارث الطبيعية

لو كان هؤلاء _الذين يقولون بأن الكوارث والأوبئة ليست بلاء ولا لها صلة بغضب الله_ في عصور الأنبياء ورأوا كيف يأخذهم العذاب الذي حكاه الله تعالى عنهم في القرآن، لقالوا (لا يجب الربط بين ما يجري وغضب الله) أو لقالوا (إن ما يحدث ليس بلاء من الله) بل كل هذا أمور طبيعية عادية جداً وستنتهي! إنهم _علموا أو جهلوا، ومن العجب أن يكون بعضهم من أهل العلم الشرعي!_ يعملون على فصلك عن الله، وعن مراجعة علاقتك بالله، وعن إبعاد الله عن الحياة! إنهم يريدون الله إلهاً لا شأن له بنشاط الإنسان، ولا يتدخل في شؤونه، ومن ثم، يريدونك أن تفهم أن الأمر صدف عابرة وليست سنناً ربانية ثابتة صارمة مطردة! وهذا هو جوهر الرؤية العلمانية الكامنة: موت الإله معنوياً!!

386. خوف الملحد من الموت

إذا كان الملحد يجزم بأن الموت نهاية الرحلة، وأنه عودة إلى العدم، إذ لا توجد _في زعمه واعتقاده_ حياة بعد الموت، وليس هناك جنة ولا نار، إذا كان الأمر كذلك، علماً أن هذه القناعة الإلحادية عارية عن دليل العقل ولا نصيب لها من العلم، بل متدثّرة بالعاطفة الانفعالية، فلماذا إذن نراه يصرخ ويثور ويزمجر ويسب ويشتم إذا رآنا نقول عن هلاك ملحد هو في النار! لو كان منسجماً مع قناعته لما انزعج من ذلك، اللهم إلا أن يكون في شك منها، وأنه في قرارة نفسه يجد أن فكرة نهاية الرحلة بالموت لا تستقيم مع فطرة النفس ولا قانون العقل ولا منهاج الأخلاق!

387. الدعوة للتفكر في الكون

أحد مقاصد القرآن الكريم من تكرار الدعوة للنظر وتقليب العقل في مشاهد الكون والحياة، هو إخراج المسلم من حالة الرتابة والألفة مع هذه المشاهد، إلى حالة الدهشة والاكتشاف والإعجاب. حين تستبد هذه المعاني بعقل المسلم ووجدانه وهو ينظر في ملكوت السماوات والأرض، حينها فقط لا يعود ينظر إلى تلك المشاهد على أنها مجرد أشياء هكذا وُجدت وهكذا توجد، بل سيرتقي إلى أفق النظر إليها على أنها تجليات ومظاهر لذلك الكمال والجلال والجمال الأزلي للباري تقدست أسماؤه. إن التواجد في مستوى الدهشة

والاكتشاف والإعجاب، يضفي المعنى المقدس على الذات والعالم. ولهذا تنوعت عبارات العارفين حول هذه الحقيقة، فقال بعضهم ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله، وقال بعضهم ما رأيت شيئا إلا رأيت الله معه.

388. معركة المولد النبوي

هناك أقوام كلما اقترب وحل موعد "المولد النبوي" أقاموا الدنيا والآخرة لو استطاعوا على من يرفض الاحتفال، بل يتهمونه بخلو القلب من حب النبي صلى الله عليه وسلم، وقساوة نفسه، وحرمانه من احترام الجناب النبوي، ثم تراهم يرسلون بسخاء الأشعار المتعلقة بحب النبي صلى الله عليه وسلم. هؤلاء أنفسهم كلما سُب النبي صلى الله عليه وسلم وشُتم تبحث عنهم فلا تسمع لهم صوتاً! وآخرون انتصبوا للدفاع عن الثوابت "مذهب مالك وعقيدة الأشعري وتصوف الجنيد" كما هو الحال ببلاد المغرب الأقصى، وتراهم يخوضون الصراعات والجدالات، وتراهم يرمون بالاتهامات وتكرار المعزوفات، وبعضهم يفعل ذلك هنا في وسائل التواصل الاجتماعي. هؤلاء أنفسهم كلما سب النبي صلى الله عليه وسلم وشتم تبحث عنهم فلا تسمع لهم صوتاً! وهؤلاء وأولئك لديهم الكثير مما يمكن عمله، لمكانتهم وإمكانياتهم، لكنهم يلزمون الصمت! فلا يدري المرء هل هو خلل في الرؤية، أم سوء تقدير في الفهم، أم جهل بسنة التدافع، أم جبن نفسي متأصل، أم هذه كلها؟!

389. دلالة الصدمة

الصدمة نوعان: صدمة مفاجئة وصدمة متراخية. الصدمة المفاجئة كأنك يموت لك حبيب أو عزيز. أما الصدمة المتراخية فهي الصدمة التي تتراكم شيئا بعد شيء عبر الزمن، كصدمة الفشل، مثل شخص فشل في تجاراته، وظائفه، علاقاته، وغير ذلك. بالنسبة لي فإن الصدمة المتراخية التي تنشأ عبر الزمن أشد وأقسى، من حيث وقعها ومن حيث علاجها. وقد عالج المنهج الإسلامي الصدمة عبر وسيلتين: الأولى، التوكيد المستمر على عقيدة القضاء والقدر، ويتفرع عنها، عقيدة كمال الله وعدله ورحمته وقدرته. فلو عمل العبد ما عمل من الصالحات ولم يؤمن بالقدر حبط عمله. والإيمان بالقدر من أعظم أسباب حفظ النفس من التوتر والاضطراب. الثانية، التوكيد المستمر على أن الدنيا دار بلاء وليست دار هناء، ومن ثم، فكل عبد معرّض للمرض والفقر والظلم والموت، لأن هذه الدار ليست دار بقاء وإنما خُلق فيه العبد إعدادا لعالم الخلود بعد الموت. فكلما قوي علم العبد بهذه المعاني كان جديراً أن يعصمه الله تعالى من تأثير الصدمات تأثيراً بالغاً.

390. حكمة الصلاة

الصلاة في الإسلام ليست مجرد إخراج للمسلم من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة، بل هي تعميق وإثراء وتوسيع إدراك وشعور المسلم بطبيعة وجوده في عالم الدنيا وطبيعة صلته بعالم الآخرة.. لذلك تبدأ الصلاة بـ (الله أكبر) إعلاناً عن التعالي والتجاوز للحدود والقيود، وللأهواء والأوهام، وتنتهي بـ (السلام عليكم) إشارة إلى نتائج ذلك التعالي والتجاوز، فيمتلئ المسلم خمس مرات في اليوم والليلة بالعمق والسلام والثراء والسعة في نظرته لذاته وللوجود، وبالقدرة على التحرك بين عالم الشهادة وعالم الغيب دونما شعور بالتناقض والتفكك. الصلاة إذن تعلم المسلم أنه يعيش في خط زمني مفتوح، لكنه ذو مستويات وآفاق وآماد.

391. القيم الإسلامية

الصحابي أبو ذر الغفاري العربي في لحظة غضب الصحابي بلال بن رباح الأسود الحبشي ب "ابن السوداء"، فبلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: ﴿يا أبا ذر، أنت امرؤ فيك جاهلية﴾. أما الغرب الجاهلي في عصرنا، فقد ثرثر كثيراً حول حقوق الإنسان، وحول القيم الإنسانية الكونية، لكن، هل فعلا تحرر من فكرة العنصرية المتغلغلة في كيانه؟ أبداً، ولا يمكن أن يتحرر من ذلك، لأنه غارق في الرؤية المادية الداروينية التي تقيم الحواجز بين البشر بسبب ألوانهم وأعراقهم وحتى بسبب جماجمهم. فلا يمكن لأي دارويني أن يرفض العنصرية، أو أن يتظاهر احتجاجاً عليها، فرفض العنصرية يقتضي الإيمان بأن الإنسان قيمة، الحياة مقدسة، هناك معنى وغاية في الوجود، أما في عالم المادة وعالم الداروينية، فلا توجد قيمة ولا قداسة ولا معنى وغاية، كما لا توجد مرجعية ولا معيار، فعلى أي أساس وبأي مبرر يمكن أن يتظاهر ويحتج ضد العنصرية؟

392. تعظيم قدر خديجة رضي الله عنها

نحن لا نعظم قدر السيدة خديجة، وننوه بشأنها، ونترضى عنها لأنها كانت صاحبة مال وأعمال، بل لأنها كانت زوجة صالحة، صبرت مع زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقسى الظروف، ساعدته بكل شيء ممكن ومن ذلك مالها، منحته الحب والحنان والدفء والاحترام.. ولأنها كانت أما مثالية، قامت بتربية أبنائها تربية نموذجية، نفخت فيهم روح الشخصية الراقية، وغرست فيهم القيم النبيلة، وأدبتهم بآداب الفضيلة. فتلك التي تصرخ: أريد أن أعمل لأثبت ذاتي، فأم المؤمنين كانت سيدة أعمال، عليها أن تفهم بأن السيدة خديجة لم يكن شرفها يسمح لها أبداً أن تكون مثل موظفات هذا العصر، فضلاً عن سيدات الأعمال حيث الاختلاط واستنزاف طاقتها على حساب شرفها وأسرتها وبيتها. كما أن عليها أن تفهم بأن السيدة خديجة

وغيرها من نساء الجيل الأول، كن يدركن جيداً أن دورهن المقدس في الحياة ليس خارج المنزل، وأن الواجب الشرعي والأخلاقي والوجودي يتطلب منهن عدم الانخداع واللهاث وراء الشعارات البراقة التي تصرفهن عن مهمتهن الأصلية.

393. معالجة الإسلام للعنصرية

عالج المنهج الإسلام العنصرية عبر المبادئ التالية: **(أولاً)** الخلق كلهم عبيد الله. و **(ثانياً)** الخلق كلهم أصلهم واحد. و**(ثالثاً)** الخلق كلهم لديهم نفس الفطرة. و**(رابعاً)** الخلق كلهم في الأصل مكرمون إلهيا. و**(خامساً)** الخلق كلهم لديهم نفس المهمة الوجودية. و**(سادساً)** الخلق كلهم سواسية في الأحكام الشرعية. و**(سابعاً)** الخلق كلهم معيار تفاضلهم هو التقوى "التوحيد والعمل الصالح". و**(ثامناً)** الخلق كلهم صائرون إلى عاقبة واحدة "الأبدية: إما الجنة أو النار. بهذه المبادئ الثمانية حمى الإسلام المسلم من لوثات العنصرية، وغرس في نفوس أتباعه بمختلف ألوانهم، وأعراقهم، ولغاتهم، وأوطانهم قيم المحبة والأخوة والتضامن، وأن معيار التفاضل بينهم هو التقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات/13]. وهذا القاعدة مشحونة بالقيم الإنسانية النبيلة، بل والقيم المعرفية الراقية، فلا عنصرية في الإسلام.

394. تحكيم العقل في الوحي

أنزل الله سبحانه القرآنَ الكريم ليكون مصدر المعارف الحقة، وليكون المرجعيّة المعياريّة التي تُحاكم إليها كل الآراء والمواقف. ولقد استوعب الجيل الأول من المسلمين هذه الحقيقة، فتعاملوا مع القرآن كذلك. ثم خلفت بعدهم خلوف نصّبت عقولها في موقع الحكم على القرآن، فكل ما خالف أهواءهم من الوحي اعتبروه مناقضاً للقواطع العقلية! لكن؛ إذا ثبت بالعقل أن القرآن حق، فجعلُ العقل حاكماً على القرآن، قبل أن يكون ضلالاً مبيناً فهو تناقض صارخ! إذ كيف تقضي بأن القرآن حق لأنه كلام الخالق، ثم تُخضعه لعقلك وتحاكمه لآرائك؟! وهذا ربّك ﷻ يقول لك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحجرات/1]، لأن العقل تتدخل عوامل شتّى في تشكيله والتأثير عليه وتوجيهه وجهات معيّنة، ولذلك أمرك بالتقوى، أي بالحذر والحيطة أن تحاكم كلام الله تعالى المطلق وكلام النبوة إلى عقلك المحدود.

395. الذاكر والغافل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَثل الذي يذكر الله والذي لا يذكره مثل الحي والميت﴾ [صحيح البخاري]. هذا الحديث مشحون بالدلالات! إنه التذكير بحقيقة الإنسان الخالدة، حقيقة أنّ الإنسان في نفسه لا شيء، مخلوق يسري العدم في بُنيته وكيانه! ومن ثم؛ ينبّه الحديث إلى أنّ الإنسان كما اكتسب الحياة بعد العدم من خالقه، فكذلك لا يكتسب الحياة المعنوية إلا بمدى ارتباطه واتصاله بخالقه. تذكر هذه الحقيقة عنصر فعّال في توجيه العقل وضبط السلوك وتنظيم الحياة، إذ يعمل الذكر على ربط العبد بخالقه، ومن ثم يتحقق له الترقي في مدراج الحياة والنماء والثراء المعنوي. وذلك عبر تحصينه من مُوَهِّنات تلقي أمداد الحياة المعنوية على مستوى العقل والوجدان. أما حين يغفل العبد عن الذكر؛ فالنتيجة _كما هو مشاهد_ هي السقوط في أوحال الشهوات المختلفة، واللهاث وراء الأهواء الشاردة، وذلك هو الموت المعنوي!

396. الاحتفال برأس السنة

من دلالة احتفال العلمانيين برأس السنة؛ أنّ هناك طقوساً علمانية ثابتة، تتكرر كل عام. والاحتفال المرتبط بلحظة زمانية أو مكانية معينة، يعني أنه طقس شعائري، والطقوس الشعائرية تتضمن أبعاداً رمزية فلسفية متجاوزة، تُشعر الفرد الملتزم بها بالانتماء والولاء والهوية. ومن هنا فالعلمانية نحّت الطقوس الإلهية وأحلّت مكانها طقوساً وضعية، فالاحتفال العلماني برأس السنة، هو عملياً طقس شعائري سنوي، يمنح الفرد العلماني الشعور بالانتماء والولاء والهوية العلمانية. لكن؛ إذا كان الاحتفال برأس السنة مشحوناً بالمضامين الفلسفية (الانتماء والولاء والهوية)، فإن الطقوسية المقدسة التي يُضفيها العلمانيون على الاحتفال والمتمثّلة في (حلويات الاحتفال والمشروبات وتبادل الهدايا) وأن ذلك أمارة الرقي والتحضر، هذه الطقوسية لا تنفك عن البُعد الاقتصادي، فهناك مليارات تُنفق سنوياً على هذا الاحتفال، فهي إذن أفيون الجيوب!

397. تثوير الكينونة الإنسانية

شاء الله سبحانه أن تقوم حياة البشرية على التفاعل بين عناصرها، كما بينها وبين الكون والحياة من حولها. تتحلّى أهميّة هذا التفاعل والنشاط في قدرته على تثوير كينونة الإنسان، والدفع بها نحو التفتّح والانطلاق والازدهار. ذلك لأنّ الحق سبحانه لم يخلق شيئاً عبثاً، بل كل طاقة من طاقات كينونة الإنسان مخلوقة لغاية عظيمة ومقصد شريف: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون/115]. وضوح هذه الحقيقة في وعي المسلم يحمله على اغتنام الفرص الممكنة: ﴿احرِص على ما ينفعُكَ، واستعِن

باللّهِ ولا تعجِزْ﴾ [رواه مسلم]. لتحقيق تفتّح ونماء أفضل لتلك الطاقات، ومن ثم يستطيع الترقي في مراتب الإحسان الممكنة بشكل مستمر، في عملية القيام بمهمته التي خُلق لأجلها.

398. نزعة الكمال

أس نزعات الإنسان ومعقدها؛ نزعة الكمال! تتبدّى هذه النزعة منذ سن الطفولة، ثم تزيدها الأيام والسنين تفتّحاً ورسوخاً وسيطرة على الفكر والشعور والسلوك. تختلف استجابة الناس في تلبية هذه النزعة لعوامل متشابكة. لكن؛ ورغم الاختلاف في مظاهر وأشكال هذه الاستجابة، إلا أنّها تظل النزعة المسيطرة والموجّهة للإنسان، ولها سلطانها الذي لا يستطيع الإنسان الانفلات من هيمنته! إلا أن هناك خياران، فإما أن يلتزم العبد بمنهج الوحي فيحقق مختلف نزعاته تحقيقاً راقياً، وإما أن يلهث وراء أهوائه وأوهامه فيشقى وييأس!

399. القرآن كلام الله تعالى

عندما يقول الملحد: القرآن كلام محمد صلى الله عليه وسلم، ينسى بأن ادعاءه هذا _الذي لا يقوم على ساق_ يعني الاعتراف بعجز وضعف الناس جميعاً منذ أربعة عشر قرناً علميّاً ومعرفيّاً عن الإتيان بمثل القرآن في شموليته لمختلف النواحي الإنسانية والوجودية والحضارية، وبمستوى أسلوبه البارع وصياغاته الدقيقة التي تراعي شتّى الحقائق وتشابكاتها العقليّة والنفسيّة والقيميّة! كما أن الملحد بهذه الدعوى المتهافتة؛ يقر ضمنيّاً بوجود الله تعالى، ذلك لأنّ نفيه أن يكون القرآن الكريم كلام الله العظيم بدعوى وجود أخطاء فيه، يعني أنه يدرك مسبقاً أن الخالق يستحيل أن يتضمن كلامُه خطأ واحداً فضلاً عن أخطاء، وإلا من أين عرف أن كلام الخالق لا يمكن أن يتضمن الخطأ!

400. حجة الشر الإلحادية

حين يحتج الملحد على وجود الشرور، ويربطها بعدم وجود الإله، ويتخذها ذريعة ومبرراً لإنكاره للخالق، فإنّه في الحقيقة يريد أن يقول لنا: لا أريد أن أكون مسؤولاً عن تصرفاتي وأفعالي! لا أريد أن أكون حرّاً، ومريداً، ومختاراً وأنا أخوض نشاطات الحياة وعلاقاتها! لا أريد أن أكون مسؤولاً عن التغيير في نفسي وواقعي نحو عالم أفضل واجتماع أفضل ومستقبل أفضل! لا أريد أن يقف شيء حائلاً بيني وبين اللهاث وراء

نزواتي وشهواتي! إنّ الملحد يريد أن يكون آلة صماء وفي منزلة أدنى من الأنعام، إنّه يريد أن يُترك هملاً بلا نظام وسدى بلا حساب! والعجب أنه يتّهم الإسلام بتخدير العقول وتثبيط العزائم!

401. القنوط من رحمة الله تعالى

القنوط من رحمة الله تعالى كبيرة من الكبائر التي يعاقب الله سبحانه عليها: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر/56]، فهذه الآية بيان بأنّ القنوط ضلال كبير، إذ مَن يعرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته، لا يمكن أن يتسلّل إليه القنوط، بل إن الله تعالى وضع القنوط موضع السمة والخصيصة للكافر، فقال: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف/87]، بحكم أن العبد لا يقنط ولا ييأس إلا إذا انقطعت صلته بالله تعالى على المستوى العقدي والنفسي. فالله تعالى لا يحب لعبده المؤمن أن يقنط من رحمته وفضله أو ييأس من عفوه ومغفرته.

402. ضبابية العقيدة

سيحكي التاريخ؛ أن شريحة لا بأس بها من المسلمين في عصر انحطاطهم العقلي والنفسي والديني، كانوا كلما سمعوا متكلماً يقول بأن النصارى واليهود والملحدين والبوذيين في النار، يردون عليه بالقول: وهل مفاتيح الجنة والنار بيدك! إنهم في الواقع لا يترددون في تكذيب الله ورسوله، ولا يترددون في الوقوع في الكفر ونواقض الإيمان، من أجل أن يظهروا بمظهر (المسلم الوسطي المعتدل)! علماً أن هناك الكثير من الدلائل الشرعيّة الواضحة تؤكد كفر النصارى واليهود فضلاً عن غيرهم. لكن، إذا كان المسلم لا يعترف بالفرق بين الإسلام والأديان الأخرى، فلماذا هو مسلم!

403. أسئلة الشباب المسلم

لقد مرت عليّ حالات شبابيّة من الجنسين؛ من ذوي الشهادات الجامعية والالتزام المتدين، كانوا ـبحكم عنايتي بموضوع الإلحادـ يطلبون عرض بعض الأسئلة الحرجة، حول الله ﷻ والوحي والإنسان والوجود والآخرة. وعندما كنت أفتح لهم الأبواب وأذيب بيني وبينهم حواجز التردد والخوف، كنت أكتشف بأن كثيراً منها أسئلة يعلوها القلق والشك والحيرة! بل وكثير منها ليست هواجس وليدة الساعة، بل هي رواسب متراكمة منذ سنين بعيدة، لكنهم كانوا يخافون من إفشائها للآخرين المقربين، خشية الاتهام بالكفر أو الطعن في التزامهم أو السخرية من سذاجة عقولهم!

404. الزواج والأسرة ووسائل التواصل

في عصر وسائل التواصل، والمسلسلات، والوقع الخانق، تبدو مسؤولية الزوجين للحفاظ على كيانهما الزوجي والأسري مضاعفة جدّاً، أكثر من أي وقت مضى في العصور الغابرة! هناك الكثير من المثيرات العاطفية والجنسية، وما لم يحرص الزوجان على إرواء بعضهما عاطفيّاً وجنسيّاً كما ينبغي، كَمّاً وكيفاً، فمن المؤكد أن النتائج تكون وخيمة جدّاً! وهناك الكثير من الضغوط الدافعة نحو الهوس الاستهلاكي، وما لم يعمل الزوجان على تثبيت بعضهما دون السقوط في فخ هوس الاستهلاك، فمن المؤكد أن النتائج تكون سلبية للغاية!

405. تأمل سنن الله في الحياة

دعا القرآن المسلم كثيراً لتأمل سنن الله تعالى في حياة البشرية الغابرة، وحركة التاريخ بين الأمم الخالية، كما في قول الله تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ﴾، بل يصرّح بأن هذه السنن الحاكمة لحركة حياة البشرية ثابتة لا تتغير أبداً: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾. وهذا يعني أن سنن الله تعالى لا تحابي أحداً، ولا تتحيز لأحد، بل كلما اجتمعت شروطها بين أمة، مؤمنة أو كافرة، وانتفت الموانع، تحققت نتائجها ولابد، لأن هذه السنن عبارة عن مقدمات ونتائج، ومن ثم فهي مثل القوانين الطبيعية التي تتجاوز الزمان والمكان والشعوب والأمم. ولك أن تراجع ما شئت من أطوار الأمم والشعوب، وانظر هل تجد بينها اختلافات ذات بال، بل دائما تجد فيها نفس الأخطاء، ونفس الحماقات، ونفس الأنماط، سواء بين الحاكم والمحكومين، أو بين أفراد الشعب فيما بينهم، فحري أن يقال بأن التاريخ البشري نسخة واحدة متكررة في أشكال مختلفة. والقرآن الكريم يقدّر هذه الحقيقة، ومن ثم جعل قضية السنن الإلهية في حياة البشرية من المحاور المركزية في بنيانه المعرفي، من أجل أن يستوعب المسلم طبيعة الأخطاء والحماقات التي اقترفتها الأمم الخالية فحاق بها العذاب فلم تعد في التاريخ أكثر من فصل يروى أو يُنسى، وبهذا تنجو الأمة الإسلامية من سوء المصير. ولكن، واأسفاه، لقد أعرضت الأمة عن هذه الحقيقة ولم تتوقف للتأمل فيما قص عليها القرآن، فكانت أن وقعت في نفس الأخطاء والحماقات، ومن ثم، كانت عاقبتها نفس عاقبة الأمم الخالية. فها نحن أولاء نشهد كيف يتفنن أعداؤها في إذلالها وإهانتها وهي لا تستطيع من أمرها شيئاً ذلك لأنها غثاء كغثاء السيل، بلا جذور ولا هوية!!

406. الأساليب القذرة لدعاة النصرانية

حين قال قدّيس النصارى بولس: (فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ صِدْقُ اللهِ قَدِ ازْدَادَ بِكَذِبِي لِمَجْدِهِ، فَلِمَاذَا أُدَانُ أَنَا بَعْدُ كَخَاطِئٍ؟) [رسالة رومية/ ص 3، ف 7]. فإنّه في الواقع كان يبرر ويؤصّل للمبشرين والمستشرقين انتحال كل إفك آثم، واتخاذ كل وسيلة قذرة، وركوب كل خطيئة مجرمة، من أجل خداع الآخرين لتشكيكهم في ديانتهم وإغرائهم بالانضمام إلى الكنيسة، كما كشف بأنّها خطته المفضّلة: (فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيَهُودِيٍّ لأَرْبَحَ الْيَهُودَ. وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ لأَرْبَحَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ. وَلِلَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ كَأَنِّي بِلاَ نَامُوسٍ _ مَعَ أَنِّي لَسْتُ بِلاَ نَامُوسٍ للهِ، بَلْ تَحْتَ نَامُوسٍ لِلْمَسِيحِ _ لأَرْبَحَ الَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ) [رسالة كورنثوس الأولى/ ص 9، ف 20 وما بعدها]. إن موقف هؤلاء الآثمين يدل بوضوح على أنهم يدركون تهافت العقيدة الصليبيّة، وأن العقول تأبها والنفوس تشمئز منها، فلم يجد سوى الخداع والمراوغة التلبيس!

407. استقلالية الفكر الغربي!

إن أكبر كذبة خُدعنا بها في العصر الحديث؛ من طرف الغربيين، لهي كذبة أن الفكر الغربي المعاصر فكرٌ مستقل بذاته، ليست له الصلة بالفكر اليوناني القديم ولا علاقة له بمختلف الروافد التاريخيّة، كما هو شأن كل المنظومات الفكرية الأخرى بين أمم وشعوب الأرض! والحقيقة أنّ البحث في كبرى نظريات الغربيين المعاصرة في جوهرها يكشف بأنّها امتدادات للفلسفة اليونانيّة القديمة وروافد التاريخ الأوروبي، بعد تحويرات وتغييرات معروضة في شكل نظريات مبتكرة! وهذا يبدو طبيعياً جدّاً، فالإنسان لا يمكنه أن يستأنف حياته الفكريّة في أبعادها النماذجية والنظرية، من لا شيء، بل لابد أن يبني على ما خلّفه له أسلافه، ذلك لأن الإنسان كائن مقلد بطبعه.

408. مزايا الشريعة الإسلامية

تتجلى عظمة قواعد الشريعة ومقاصدها، في أربع مزايا كبرى، وهي: **(الأولى الربانيّة)**، فالله سبحانه هو الذي أنزلها وفصّلها كذلك. **(الثانية الفطريّة)**، بحكم أنها مناسبة لفطرة الإنسان، فرداً وجماعة. **(الثالثة الشموليّة)**، لأنّها لا تقتصر على جانب دون آخر، بل تشمل كل جوانب الحياة. **(الرابعة العالميّة)**، لأنّها لا تختص بقوم دون آخرين، أو بزمان دون زمان، بل هي لكل الناس إلى يوم القيامة. فهذه هي الخصائص الكبرى للإسلام، وفيها تندرج كل الخصائص الجزئية.

409. أهمية العناية بالتاريخ للأمة

لا توجد أمة من الأمم خلا تاريخها من عثرات وسقطات، ونقاط سوداء يتصبب لها جبين الفضيلة خجلاً، ومع ذلك لا توجد أمة من الأمم لا تفخر بماضيها ولا تزهو بتاريخها، إذ كان التاريخ مادة هويتها والماضي منبت ثقافتها ووقود طاقتها. ولهذا لا تجد احتلالاً غاشماً إلا وهو حريص على فصل الأمة المحتلّة عن تاريخها، ومسخ مجده في ذاكرتها، إذ كان يعلم أنه بانفصال هذه الأمة عن تاريخها تنفصل عن هويتها، وبانفصالها عن هويتها تفقد الشعور بقيمتها، وبفقدان الشعور بقيمتها يسهل عليه إعادة تشكيل عقولها وأذواقها ومسالكها في الحياة الخاصة والعامة! وهذا سر حرص الغرب وعملائه من بني جلدتنا، تحت شعار الدراسة والبحث والاكتشاف، على تشويه التاريخ الإسلامي، والتركيز على النقاط السوداء، وشيطنة النماذج الكبرى في مختلف المجالات!

410. استشهاد الحسين ﷺ

في عصرنا انتشرت مزايدة باردة بين صفوف بعض المنتسبين للسنة في قضية مقتل الحسين ﷺ، وصار كثيرون ينفخون فيها بما لا يصح، ويجعلون ذلك سبب كل بلاء نزل بالأمة إلى يومنا! العجيب أننا لم نجد لديهم هذه الحماسة المنتفخة كل عام في ذكرى مقتل أحد أعاظم خلفاء البشرية، سيدنا عمر ﷺ! ولم نجد لديهم هذه الحماسة المنتفخة كل عام في ذكرى مقتل ذلك الرجل صاهره الرسول صلى الله عليه وسلم والذي كان تستحيي منه الملائكة الكرام، سيدنا عثمان ﷺ! بل لم نجد لديهم هذه الحماسة المنتفخة كل عام في ذكرى مقتل والد الحسين نفسه، سيدنا علي ﷺ! وهؤلاء كلهم كان اغتيالهم شرخاً عميقاً وفتقاً كبيراً في الإسلام! نعم، لقد كان مقتل الحسين حدثاً رهيباً، ولكنه لم يكن بخطورة مقتل أولئك السادة الخلفاء، ولكن المزايدة الفجة تفعل الأعاجيب!

411. الشدائد بين الصحابة والمسلمين اليوم

لا مجال للمقارنة بين الشدائد التي مرّ الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة ﷺ، وبين ما يمر به المسلمون اليوم! ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة كانوا في غاية الالتزام والاستقامة والصالحات والاتحاد والتعاون والتناصر والتكافل، ومن ثم فتلك الشدائد كانت بالنسبة لهم في الحقيقة نِعَمٌ ربانية وألطاف إلهية لما ترتّب عليها من رفعة الدرجات وتكثير الحسنات. أما الأمة اليوم، فما تمر به تستحقه، وذلك لأن جمهور أفرادها من عوام وخواص، في غاية التمزق والتفكك والتعاند والشقاق، حتى كأنهم لا تجمعهم جامعة

دين واحد! فكانت الشدائد والمتاعب وما يتعرّضون له من تقتيل وتدمير واغتصاب وتشريد وإذلال ونهب للثروات وضغوط مختلفة، هي في الحقيقة نِقَم ربانية وعقوبات إلهية.

412. عظمة القرآن

تحدّى الله سبحانه بالقرآن الكريم الإنس والجن، فقال: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء/88]، للتنبيه على أنّ هذا الكتاب ليس كباقي الكتب، وعلى أنّه قادر على إمداد الإنسان في كل زمان ومكان بالمنهج الذي يضمن له السعادة والنجاح في الدارين. ومن ثم، سيظل القرآن معجزة خالدة، لأن الكلمة القرآنية في موضعها لها تعلقات مختلفة وتشعبات شتى، بحيث لو أدرتَ لسان العرب كله فلن تجد كلمة واحدة تفي بشمولية التعلقات والارتباطات التي أرادها الله تعالى في ذلك السياق. فمن المعنى البلاغي، إلى المعنى النفسي، إلى المعنى الشرعي، إلى المعنى القيمي، إلى نظام السنن الحياتية، إلى الغيوب المجهولة، إلى آماد المصير المنتظر. هذه كلها آفاق تراعيها الكلمة والآية القرآنية.

413. انحرافات المسلم والملحد

المسلم والملحد نجد كلاهما قد يقترف أعمالاً قبيحة كالزنى، السرقة، القتل، الغش.. إلخ، لكن الفرق الجوهري بينهما هو أنّ الإنسان المسلم حينما يرتكب هذه الموبقات، فإنّه يُدرك جيّداً أنّها تتناقض جوهريّاً مع انتمائه الإيماني. أما الإنسان الملحد فحينما يمارسها، فإنّه يُدرك جيّداً أن هذه الأعمال تنسجم تماماً مع انتمائه الإلحادي. كلا الموقفين ناتج عن طبيعة العقيدة التي ينتمي إليه كلٌّ منهما. فالمسلم يعتقد أن هناك إلهاً، وأنّه مسؤول، وأنّ هناك حساباً بعد الموت. أما الملحد فلا يعتقد بوجود الإله، ولا يعتقد بأنّه مسؤول، ولا يؤمن بالحساب بعد الموت. الإشكالية ــإذنــ ليست في وجود مؤمنين فاسدين وملاحدة أخلاقيين، بل في مصدر القيم الأخلاقية والالتزام بها.

414. أساس النقاش مع العلمانيين/الليبراليين

من الخطأ مناقشة المنافقين الجدد "العلمانيين والليبراليين" في صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، بل يجب قبل أي شيء آخر، أن نناقش معهم العقيدة الإسلاميّة ومقتضياتها التي يعلنون الانتماء إليها. فهذه المنهجية هي التي تدعهم في العراء مكشوفين وتخلع عنهم جلابيب الزيف والخداع! إذ ما قيمة الانتماء لعقيدة

تقول بإله متقاعد لا شأن له بحركة الإنسان في واقع الحياة ونشاطاتها! ولهذا ترى هؤلاء العلمانيين والليبراليين يدافعون عن كل الجرائم الأخلاقيّة التي تُعتبر موبقات شرعيّة، بدعوى الحرية والكرامة الشخصيّة! إن الإسلام يقرّر بوضوح ساطع أنّ الله سبحانه لم يخلق الإنسان وتركه لوحده يدبر شؤون حياته ومختلف نشاطاتها وعلاقاته، فالله سبحانه أعظم من ذلك، بل بيّن الإسلام أن الله تعالى وثيق الصلة بالإنسان كما بالكون، وأنه أنزل دستور حياة شامل ومتكامل، وعليه سيكون الحساب في الآخرة ويتحدد المصير الأبدي لكل فرد.

415. الانزعاج من شبهات الإلحاد والعلمانية

بعض الشباب الملتزم ينزعجون من وجود الملحد والعلماني، مبررين ذلك بأنّهم يُضلّون الصغار والمراهقين، ويحاربون الله تعالى والحقَ والتوحيد. لا شك أنّ هذا موقف نبيل، ولكن؛ إذا نظرنا من زاوية أخرى، سنجد أنّ هؤلاء من أعظم نِعَم الله تعالى، فوجود هؤلاء المجرمين له فوائد (**أولاً**) المسلم المعاصر انطلق يكتشف مزيداً من كنوز القرآن والسنة، ومزيداً من بدائع حكمة الله تعالى في الكون والحياة، ولولا هؤلاء لكان غافلاً عن ذلك كله، (**ثانيّاً**) المسلم المعاصر ازداد يقظة وانتباهاً لأجندات هؤلاء المفسدين وأهدافهم الخبيثة في المجتمع الإسلامي، (**ثالثاً**) المسلم المعاصر فُتحت له أبواب واسعة للجهاد الفكري ضد الذين يحرصون على تزييف الحقيقة، فيزداد ثواباً عند الله تعالى.

416. فاعلية المسلم في الحياة

في الحديث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إذا قامت القيامة وفي يد أحكم فَسِيلَة، فليغرسها﴾ [رواه البزار]. دلالة هذا التوجيه النبوي عميقة جدّاً، فهي تُحدّد للمسلم كيف ينبغي عليه أن يتعامل في شتّى الظروف والأحوال، فلا ينبغي أن يشعر باليأس والإحباط والتشاؤم، بل بالتفاؤل والأمل والإيجابية. ومن ثم، يقوم بما يستطيع وفي دائرة الممكن، ثم يترك النتائج بيد الله سبحانه ليُقدّر أقداره ويجريها كيف يشاء. وبهذا نفهم خطأ البعض حين يرفضون أية مبادرة للإصلاح، بدعوى ضآلة فائدتها وأثرها! وذلك لأنّ المسلم ليس مأموراً بتغيير الواقع، بل القيام بواجباته في حدود الاستطاعة والإمكان، وقد يصنع الله تعالى من مبادرة صغيرة نتائج عظيمة.

417. الجارية العلمانية

"الجارية العلمانية" اليوم التي تعيش في أوهام الحرية والكرامة وتحقيق الذات والانطلاق، أرخص بكثير جدا من الجارية في العصور الإسلامية الخالية! اليوم مع "الجارية العلمانية" يمكن للعلماني أن يستمتع بها كيف شاء ومتى شاء ثم يرمي بها رميه لبقايا أكلة أو سيجارة، بلا حدود ولا قيود ولا مسؤولية ولا مطالبة. أما "الجارية الإسلامية" فقد كانت أشرف وأصون وأحفظ مكانة وقيمة، فهناك جملة من الأحكام الشرعية التي تحقق لها هذا كله، رغم أنها قد تنتقل من ملكية رجل إلى ملكية رجل آخر، لكن كل ذلك في إطار ضوابط شرعية صارمة تحقق لها الصون والحفظ والكرامة الممكنة. فالأمر لم يكن كما يروج الجاهليون المعاصرون ((العلمانيون والعلمانيات)) بأنه كان أشبه ب ((الإباحية المرسلة))، وهذه الفكرة ترسخت في أذهان كثير من الشباب والبنات بسبب الدعاية العلمانية الخبيثة. يكفي أن نعلم أن الجواري والإماء والعبيد هي حقيقة من حقائق تاريخ البشرية منذ أقدم العصور، وفي كل المجتمعات، المؤمنة والوثنية والمشركة، وفي شتى الحضارات الراقية والسافلة، وكان جملة من الفلاسفة والعلماء والمفكرين والأدباء، فضلا عن السياسيين والاقتصاديين يمتلكون عدد من الجواري والعبيد. والإسلام دين واقعي موضوعي، يتعامل مع واقع البشر كما هو، لكنه يحرص على الارتقاء به إلى أقصى ما يمكن في عالم الإمكان. ولهذا فالسؤال الذي ينبغي أن يبحث فيه العاقل اللبيب هو: ما هي أحكام العبيد والإماء والجواري في الشريعة الإسلامية؟ ما هو وضع العبيد والجواري والإماء في الإسلام ومقارنته بباقي الأديان والفلسفات والمذاهب؟ هنا تتجلى عظمة الإسلام تجاه قضية العبيد والجواري والإماء، يكفي أن أشير هنا أن الإسلام توعد بالعذاب لمن استغل سلطته على عبده أو أمته لتعذيبه وتكليفه ما لا يطاق، ويكفي أن أشيره هنا أن الإسلام جعل للعبد الذي يتقي ربه ويؤدي حق مولاه أجرين عند الله تعالى.

418. رمزية الهدية عند الزوجة

الهدية مفتاح القلوب والضمائر، فلها سحر عجيب في إذابة الحواجز وتصفية النفوس. ولهذا كانت عنصراً مهماً في توطيد العلاقة الزوجية واستقرارها وضخ أرواح الحياة في الحب الرابط بين الزوجين. غير أنّ المرأة بطبيعتها تحب وتفضل هدايا صغيرة في أوقات متقاربة، على هدايا كبيرة في أوقات متباعدة! فالهدايا المتقاربة زمنياً، تمنحها الشعور بأنها حاضرة باستمرار في تفكير زوجها، وهذا مهم بالنسبة لها، لأن ذلك يعني لها أنها لا تزال تملك الإثارة والجاذبية بالنسبة لزوجها. عكس الهدايا الكبيرة بين فترات متباعدة، فهي تعني لها عدم مركزيتها في تفكير زوجها ووجدانه.

418. النقاد الهواة

وسائل التواصل الاجتماعي، ومواقع التدوين الإلكتروني، وكذا نزعة الظهور بمظهر التميّز عن الأقران، كل هذه من أهم محفّزات ظاهر هوس النقد المنتشرة! والحقيقة أنّ النقد حين يكون من أهله و بأصوله وآدابه، فهو مطلوب ومرغوب شرعاً وعقلاً، لكن حين يكون مشاعاً بين الجميع، فهنا يتحول إلى عبث وطيش وتدمير، لأن النقد هدم وتهذيب، والعبرة بالإصلاح والبناء، والهدم يحسنه كل أحد، أما البناء فلا يحسنه إلا أهله. ولهذا ينزعج هؤلاء المهووسون بالنقد من مطالبتهم بطرح البديل، علماً أنه لا قيمة للنقد إلا بقيمة البديل المعروض!

419. تقليد المغلوب للغالب

المغلوب يقلد الغالب أبداً، في لغته، وتفكيره، وفي سلوكياته، وأحلامه، لأنه يتوهم أنّه لولا كماله لما كانت الغلبة له، فيذهب لتقليده، لأن طبع النفس عشق الكمال فتميل إلى الذين تتوهمه فيهم! ولذلك لستَ تجد أحداً اليوم من المسلمين ممن تشرّب قلبه الهزيمة إلا وتجده مُضمراً الإعجاب والتعظيم والتقديس للغرب، لأنه يتوهم فيه الكمال، فيحرص على تقليده ــولو لاشعورياً ــفي مفاهيم لغته وأنساق تفكيره وأنماط حياته! والغرب ــوصبيانه منّاــ حريص على غرس شعور الهزيمة في نفوس المسلمين وتضخيم صورته وعظمته في عقولهم، لأنه يدرك أن ذلك هو الضمان لإبقاء العملاق الإسلامي نائماً

420. الفرق بين العلم والفهم

من المفيد أن تُفرّق بين العلم والفهم. أما العلم فهو معلومات ملتقطة، تتزاحم في عقلك، بنظام وغير نظام. وأما الفهم فمرتبة أعلى من ذلك كله. العلم مشاع بين الناس، بقدر ما يبذلون من جهد ووقت، أما الفهم فهو منحة ربانية، لا تنالها إلا بقدر ما تتحقق به من أخلاق القلب وفضائل السلوك. على أن الاجتهاد في الطلب والتحصيل، عنصر مهم ومركزي في تحقيق الفهم الصحيح. فاطلب العلم بالاجتهاد، واطلب الفهم بالتزكية. فكم من شخص رغم سعة اطلاعه إلا أن العلم كان عليه نقمة من الجهة التي كان يمكن أن يكون له نعمة. وإذا قلّبتَ النظر في هذا المعنى صادفت فيه شيئاً من جنون العظمة كامناً خفياً!

421. الغرائز البشرية لا تتغير

قديماً زعم بعض الصوفية بأنهم وإن كانوا ينظرون إلى النساء أو المردان، فذلك لا يؤثر فيهم، لأنهم لا ينظرون بطباعهم وأهوائهم، فرد عليهم ابن الجوزي في كتابه (تلبيس إبليس) بأن طباع بني آدم واحدة، والصور المستحسنة تهيج الكوامن، ومن زعم خلاف ذلك فهو كاذب. وبهذا نحتج أيضاً على كل من يدعو للاختلاط بين الذكور والإناث بشعارات برّاقة ومبررات خادعة! وللأسف؛ فالأمر لم يعد قاصراً على العلمانيين الأقحاح، بل صار يصدر حتى من بعض الشرعيين الذين يُفترض أنهم حماة الفضيلة وحرّاس الشريعة! والحقيقة أنه ينبغي أن نستحضر ـ ونسمع هذه الدعوات والمبررات ـ واقع المجتمعات العلمانية المادية في الغرب والشرق، وما آلت إليه أحوالها جرّاء فسح المجال للاختلاط بين الأطراف، فلقد شاع فيهم الزنا، وكثر بينهم الاغتصاب، وراج عندهم الحمل والإجهاض حتى بين الفتيات المراهقات، والعاقل من اتعظ بغيره.

422. ذم الأمل

ذم الله تعالى في القرآن الأمل وجعله من سمات الكفار وأهل البطالة، فقال: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر/3]. وإذا نظرتَ لعلّة هذا الذم، تجدها مرتبطة بحقيقة الأمل ومآله. وذلك لأنّ للأمل الزائف دوراً كبيراً في تخدير العقل وإلهائه عن التفكر والاعتبار بآيات الله تعالى في الأنفس والآفاق، ومن ثم يغفل العبد عن الانتباه للمهمة المقدسة التي خُلق لها، بعد أن ينغمس بكلّيته في اتّباع الأهواء والشهوات.

423. محاكمة التصوف

من الخطأ الموافقة على التصوف لمجرد ادّعاء أصحابه أنه سلوك سبيل الزهد والإخلاص والصدق مع الله ﷻ، كما من الخطأ رفض التصوف لمجرد انحرافات وتجاوزات بعض المنتمين إليه صدقاً أو المدّعين له كذباً. ولهذا ينبغي التعامل مع التصوف بنظرة شمولية ومتكاملة، من خلال موازين الشرع وتحت ضوء قواعده ومبادئه وأصوله. فالشرع ميزان صادق ونبراس كاشف، أما الناس فلا أحد معصوم من الخطأ وسوء التقدير، مهما ارتقى في الصلاح والتزكية. والعاقل لا تمنعه بعض الهفوات والتجاوزات في الآراء والمواقف من الاعتراف بفضل أصحابها والإفادة من حكمتهم.

424. حكمة التاريخ

تاريخ الأمم والمجتمعات، بما فيه من أفكار ومذاهب وتقاليد وأنماط حياة، ليس أخباراً تُتلى وحكايات تُروى، الغرض منها إمتاع النفس أو إجمامها! كما أنه ليس مطالعة معلومات متناثرة عن حقبة معينة أو مجتمع معين، من أجل تكديسها في زوايا الذهن! بل التاريخ وعاء حكمة عظيمة تكتنز دلالات وحقائق كبيرة جدّاً، ومن ثم، فحين يُدرس التاريخ _أو هكذا ينبغي أن يكون_ لاستنباط عوامل النهوض والسقوط للأمم، وحين يُدرس لمعرفة سنن الله تعالى في المؤمنين والكافرين، لا جرم أنه سيسهم بشكّل فعّال في تكوين العقل وبناء الشخصية والوعي الإيماني والوجودي والحضاري. ولهذا ما زال القرآن الكريم يحث القارئ على تأمل التاريخ والبحث فيه: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران/137].

425. دين العلمانية

واقع أوروبا اليوم تجاه الإسلام والمسلمين يؤكد على حقيقة مهمة، وهي أن العلمانية تحولت إلى ديانة، لها قيمها الخاصة، وأهدافها الخاصة، وأنماط حياتها الخاصة، وكهنة يحرسون مكونات هذه الديانة، يستعمل قوة القانون وسلطة الإعلام لفرضها على الجميع، وحمايتها ضد من يخرج عنها. وهذا يعني أن أوروبا التي زعمت خلال القرنين أو الثلاثة قرون الأخيرة تحررها من الدين والإله والكنيسة، لم تفعل سوى أن نقلت ذلك كله إلى مجالات أخرى ومعاني أخرى، فبدل المسيحية هناك العلمانية، وبدل الكنيسة هناك البرلمان، وبدل الإله هو الفردانية والمادية. يبدو لي أن أوروبا تسير إلى منحدر الطاغوتية الشمولية لأجل الحفاظ على الديانة العلمانية، ومن ثم ستخوض الكثير من المعارك الداخلية في المستقبل القريب، خصوصا مع التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي صارت تضغط بعنف على صناع القرار وحماة العلمانية.

426. عذاب أبدي لمعصية محدودة

من أشهر الشبهات الرائجة بين الشباب والبنات من طرف الملاحدة: كيف يعذب الله إنسانا عذابا أبديا رغم أنه عصاه لمدة زمنية محدودة؟ هذا القول غفل عن أمور، أكتفي هنا باثنين منها: (**أولاً**) الجناية لا تعتبر بحجمها المادي المباشر، بل بقيمتها المعنوية، وهذا أمر قام عليه الإجماع البشري في كل زمان ومكان، فهو إذن أمر فطري. مثالان لذلك: (أ) شخص سب الحاكم، فالسب هنا فعل أخذ بضع دقائق على أقصى تقدير، ووفق منطق الملاحدة يجب أن يعاقب هذا الشخص بمقدار المدة الزمنية التي استغرقها في سب الحاكم أو الملك! لكن واقع الحال هو أن عقوبته تكون شديدة جدا، كَما وكيفا، لأن السب لا يُنظر إليه أنه متعلق بشخص الحاكم أو الملك من حيث هو فرد، بل باعتباره رمز الشعب فهو شخص معنوي، فلهذا تكون

العقوبة شديدة. (**ب**) شخص اغتصب فتاة، فالاغتصاب هنا فعل أخذ دقائق معدودة، ووفق منطق الملاحدة يجب أن يعاقب هذا المغتصب بمقدار المدة الزمنية التي استغرقها فعل الاغتصاب! لكن واقع الحال هو أن عقوبته تكون شديدة جدا، كما وكيفا، لأن الشعوب لا تنظر إلى الاغتصاب على أنه متعلق بلحظة زمنية قصيرة وانتهى، بل باعتباره فعل تعلق بجوانب معنوية تتعلق بانتهار شرف الفتاة، التسبب لها في الألم، ولأهلها، فلهذا تكون العقوبة شديدة. (**ثانياً**) لنفرض أن العقوبة في سجن جهنم تكون بمقدار المدة الزمنية التي قضاها الملحد والمشرك في الدنيا، السؤال هنا: بعد أن يقضي عقوبته في سجن جهنم لنقل بأنها ستون عاما مقدار عمره الدنيوي، إلى أين يؤول مصيره؟ هناك احتمالان: احتمال أن يصير ترابا عدما، وهذا غير ممكن لأن الله تعالى قضى بالخلود الوجودي للإنسان! الثاني دخول الجنة، وهذا غير ممكن لأن الله تعالى قضى ألا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة مؤمنة! فماذا يقترح الملحد؟!

427. الحياة الصالحة والمنحرفة

الحياة الصالحة في واقع فاسد صعبة، لكن صعوبتها محدودة بحدود الدنيا ومنتهية بانتهاء العمر! أما الحياة الفاسدة فهي أيضا صعبة، لكن صعوبتها غير محدودة بحدود الدنيا ولا منتهية بانتهاء العمر، بل تمتد إلى عالم الخلود بعد الموت! ولهذا، فالقاعدة التي ينبغي على كل متدين ومتدينة تذكرها دائماً هي: كل طريق يختار الإنسان السير فيه، طريق الصلاح أو طريق الفساد، له فاتورة لابد من دفعها، وفيه ضغوط لابد من تحملها. ذلك أن الإنسان مخلوق في الدنيا للتكليف والابتلاء، ولا يكون هذا إلا بالضغوط والشدة والمعاناة، وهذا ما يقرره القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد ٤]، وقال تبارك شأنه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك ٢] فاهدأ بارك الله فيك، فالدنيا لم تصف لأحد من الخلق، وإنما العمر ساعات، دافعها من هنا ومن هناك، فإذا به قد انتهى وجاءك الموت، ثم فريق في الجنة وفريق في السعير. اللهم سلمنا وعافنا وثبتنا، وارزقنا الجنة وقنا عذاب القبر وعذاب النار.

428. الحكم بالتشدد الديني

عامة الناس يحكمون اليوم على كثير من أهل الدين بالتشدد، لكن الحقيقة أن هذا الحكم يحكمون به عليهم لأنهم نظروا إليهم بمنظار تدينهم هم، أي إنهم حكموا عليهم بالتشدد لا بميزان الشرع بل بحسب طبيعة فهمهم وممارستهم هم للدين! إذن المحرّك الأصلي لنظرتهم هو ميزان الهوى وليس ميزان الشرع. وهذا يرجع إلى الناس اليوم تشبعوا بالرؤية الليبرالية والنسوية والتقاليد والعادات الجاهلية، فهم بطبيعة الحال ينظرون لمن يلتزم

بأحكام الشرع وآدابه في السلوك على أنه متشدد، أي إن ميزان التقويم للآخر بالنسبة لهم هو "الرؤية الليبرالية والنسوية والتقاليد". وقد أدركت العلمانية هذه الحقيقة، حقيقة أن محركات الأفكار هي التي تؤطر وتوجه الرؤية وترسم مسار السلوكيات، فاجتهدت في تشكيل هذه المحركات في لاوعي الناس (الأفلام، الإعلام، وسائل التواصل، الروايات... إلخ) لتكون هي منطلقهم في فهم التدين والسلوك والعلاقة بالإسلام، ومن ثم ستكون النتيجة هي أنهم سيصيرون ينظرون للمعروف الشرعي منكرات، وللمنكرات الشرعية معروفاً!

429. رفض المسلمة الاختلاط والعمل

تحتاج الفتاة المسلمة اليوم التي اختارت التمرد على جنون الاختلاط في الجامعات، ثم اللهاث المسعور وراء الوظيفة، تحتاج لامتلاك الشجاعة الأدبية الكافية لمواجهة الضغوط التي تمارس عليها للعودة إلى حظيرة النفوس المدجنة بتقبل الاختلاط والعمل! أنا دائماً أقول لمن تسألني حول هذا الموضوع: مع أبيك وأمك احرصي على ضبط نفسك، وتفادي الصدام معهما، ومحاولة التغاضي عن كلامهما وضغوطهما. لكن، مع أختك، صديقتك، جارتك، خالتك وابنتها، عمتك وابنتها، وغير هؤلاء من البنات والنساء فكلا وألف كلا، لا تتهربي من المواجهة، بل يجب أن تكوني معهن صارمة حازمة، لكي يمسكن عن التدخل في اختياراتك في الحياة، وعن محاولة إعادتك إلى حظيرة طاعة تقاليد جنون الاختلاط وسعار الوظيفة! هل يعتقدن أنهن أعقل منك؟ أذكى منك؟ أنضج منك؟ لماذا لم يستشرنك في اختياراتهن الخاصة بالدراسة والعمل؟ لماذا لا يقلّدنَك في اختيارك وقناعتك؟ هن اخترن السير في هذا الطريق وهن مستعدات لدفع فاتورة اختيارهن، إذن لماذا لا تكوني مثلهن، تعلنين أنك مستعدة لتحمل فاتورة الطريق الذي اخترت السير فيه، أي التمرد على البقاء في حظيرة النفوس المدجنة! لهذا يجب أن تتعاملي معهن بأسلوب الحزم وإلا سيستغلن ضعفك وجبنك لممارسة مزيد من الضغوط عليك!

430. سقوط الحضارات

في تاريخ البشرية؛ نشأت الكثير من الحضارات، ثم سقطت حتى لم يعد لها أثر في ذاكرة التاريخ! غير أنّ سقوط الأمم واضمحلال الحضارات لا يكون بسبب واحد؛ بل بجملة أسباب متشابكة وعوامل متداخلة. كما أن هذا السقوط والاضمحلال لا يحدث على حين فجأة، بل بعد أن تكون النفوس مستعدة حسب سنن الله تعالى الحاكمة لحياة البشرية. سقوط الأمم والحضارات _إذن_ له بُعد أفقي يجمع العوامل والأسباب

(معرفية، أخلاقية، اجتماعية، سياسية، اقتصادية)، وبُعد عامودي يعكس نشوء قابلية السقوط عبر خط الزمن وأطواره. ولهذا فحصر سقوط الأمة الإسلامية في سبب معين، لا يكون إلا من جاهل أو خبيث!

431. هدر أموال الشعب

عندما ترى اليوم المسؤولين السفهاء في هذا البلد أو ذاك يعطون لاعبي كرة القدم ملايين الدولارات سنويا، في حين المجتمع يموج بالفقراء وذوي الحاجة، فتذكر أنه في الماضي البعيد كان مسؤولون سفهاء يعطون شعراء ألوفاً هائلة من الدراهم على بيتين أو بضعة أبيات شعر تمدحهم وتنوه بذكرهم وتشيد بإنجازاتهم!! وكما أننا وجدنا من يعظم قدر أولئك الخلفاء أو الأمراء والسلاطين ويفخم كرمهم وجودهم، رغم أنها أموال الشعب أهدرها في الباطل، نجد اليوم من يفعل الشيء نفسه مع هؤلاء المسؤولين السفهاء في سخائهم مع لاعبي كرة القدم!! هي قضية واحدة بين الماضي والحاضر.. إنها السفه والطيش، وإنها احتقار الشعوب وازدراؤها، وإنها غفلة عن الله والآخرة، وإنها اعتقاد أن الأرض بما حملت من أموال وأشياء وأفراد ملك للحاكم والمسؤول يتصرف فيها كيف يشاء!! أما نحن المستضعفون وإن كنا نستحق ما يجري علينا منهم، إلا إننا نعزي أنفسنا ب: اللهم خذ بثأرنا منهم، فقد غلبونا على حقوقنا، وساومونا سوء العذاب والهوان.

432. شعار استمتع بحياتك

(استمع/استمعي بحياتك، ستعيش/ستعيشين مرة واحدة). هذه الجملة منتشرة بين جمهور عريض من الناس، الرجال والنساء، والشباب والبنات، بل يتبادلون هذه الجملة من باب النصيحة الخالصة الصادقة! لكن؛ مهلا، ألا يعلم هؤلاء أن هذه الجملة الصغيرة ذات حمولة قوية من الرؤية المادية، والفلسفة الوثنية الإلحادية! فهذه الرؤية والفلسفة التي لا تؤمن بوجود الحياة بعد الموت، بل إن الموت نهاية رحلة الإنسان في هذه الحياة، ولهذا ينبغي أن يستغل لحظات عمره في الاستماع إلى أقصى ما يمكن! وكما ترى، فهذه المعاني المضمرة في تلك الحملة القصيرة أو النصيحة المختصرة تتناقض جوهريا مع طبيعة العقيدة التي يؤمن بها المسلم وتسير في اتجاه معاكس لحقائقها! وتداول كثيرون وكثيرات لهذه الحملة النصيحة، لم يكن إلا نتيجة شيوع الجهل بينهم وبينهن بأبجديات الحقائق الدين ومرتكزات العقيدة التي يقولون بأنهم وبأنهن ينتمون إليه!

433. جناية الليبرالية

استطاعت الليبرالية المعاصرة، بإعلامها ونمط حياتها وشعاراتها إنتاج أجيال تافهة جدّاً، وساذجة جدّاً، أجيال أشبه بالمادة الهلامية التي لا معالم لها! وهي تفاهة وسذاجة تشمل الفكر والسلوك والطموحات! ومن ثم، لم تعد هذه الأجيال الشاردة وثيقة الصلة بالقضايا الوجودية الكبرى، ولم تعد قادرة بل ولا راغبة في تجاوز حدود عالم الحس والمادة والدنيا! وهذا مناسب لأجندات الرامية لتحويل البشر إلى عبيد دون أن يشعروا! وبلا شك، يصح أن نقول بأن هذه الأجيال الصاعدة هي أجيال الدجال!

434. إفساد الجيل الصاعد

معلوم للباحثين والمتابعين لما يجري، أنه منذ سنوات قليلة ارتفعت فيها وتيرة إفساد الجيل الصاعد في بلاد المسلمين بشكل لم يكن خلال العقود الماضية. هذا الإفساد لم يعد قاصراً على فئة الشباب واليافعين، بل نزل إلى مرحلة الطفولة، ويتجلى ذلك في مجالين: (**الأول**) هو أفلام الكارتون والألعاب المختلفة، فهنا يتم تمرير الكثير من الأفكار بأساليب مختلفة يدركها الباحثون، القصد منها هو أن تترسب في الخلفية الباطنة للوعي لكي تكون هي الإطار الذي ستتشكل فيه شخصية هذا الطفل مع مرور الزمن، عقليا ونفسيا، وعلى مستوى الرؤية العامة للذات والقيم والعالم والإله والدين. (**الثاني**) هو المقررات الدراسية، فهنا قد بدأ الأمر يأخذ منحى الوضوح بلا التواء ولا التفاف، وبلا لبس ولا غموض، بحيث صار يضاهي ما نجده واضحا صارخا في أفلام الإنمي والألعاب المختلفة. والهدف هو سلخ التلميذ من منظومة القيم الإسلامية أكثر بكثير مما كان عليه الأمر في السابق، وفك ارتباطه بالعقيدة ومرتكزاتها، بحيث لن يكون الإسلام هو المرجعية المعيارية التي يتحرك في إطار عندما يكبر. ولهذا، جدير لمن يريد إبراء ذمته أمام الله تجاه أبنائه وبناته أن ينتبه لهذين الأمرين، وعليه أن يتذكر أنه إن كان غافلا لاهيا لامباليا، فإن جنود إبليس ــوهم الذين بأيديهم اليوم مقاليد التوجيه والتأطيرــ لا يغفلون ولا يلهون ولا ينامون. ويبقى هنا السؤال: هل يجب على الأهل الرمي بأبنائهم وبناتهم إلى هذه المدارس التي تفسدهم؟؟ وهل يتحملون نصيبا من مسؤولية هذا الإفساد الواقع على هؤلاء الأبناء والبنات؟

435. ثراء أهل الدين

ما رأيك في بعض الدعاة والمشايخ الذين ينشرون مظاهر رفاهية عيشهم؟ وما رأيك في بعض الدعاة والمشايخ الذين يعيشون حياة الأغنياء؟ وما رأيك فيما يقال بأنهم يتجارون بالدين فيقبضون أموالا طائلة؟ قلت: المنطلق الأساس في هذه الأسئلة والتساؤلات المنتشرة بين كثيرين هو: الداعية المسلم أو الشيخ المسلم

أو المتدين المسلم يجب أن يكون فقيراً، ويعيش حياة الفقر، وإلا فمشكوك في أمره وإيمانه وتدينه! وهذه الفكرة يقولها شخصان: منافق معلوم النفاق (علماني، ليبرالي، حداثي، ملحد) لأن يستغلها في الطعن في أهل الدين. ومسلم جاهل ساذج ترسخ في ذهنه أن أهل الدين والصلاح يجب أن يكونوا فقراء! بالنسبة للمسلم نقول: هذا الداعية أو الشيخ أو المفكر أو المتدين رزقه الله رزقا واسعا، وهو ملتزم بواجباته الشرعية من صلاة في أوقاتها، وزكاة، وأعمال صالحة، فلماذا يجب أن يعيش فقيرا؟؟ ولماذا يجب عليه أن ينفق كل أمواله على الفقراء؟ من فرض عليه هذا؟؟ الشرع لم يأمره بذلك، وإنما الجهل والجهّال هم من يريدون فرض ذلك عليه. النبي صلى الله عليه وسلم قال [نِعم المال الصالح للرجل الصالح]، والعلماء قديما كانوا يشددون على اكتساب المال ليحفظ العالم هيبة العلم وشرف نفسه فلا يكون محتاجا لأحد، وفي الصحابة كان هناك فقراء وشبه فقراء، وكان هناك أغنياء وشبه أغنياء، ولم يعب هؤلاء الفقراء على الأغنياء، ولا هؤلاء الأغنياء خرجوا من أموالهم أو عاشوا حياة الفقر لكي يرضى عليهم الفقراء، والذي يطالع سِير العلماء والصالحين والنبلاء سيجدون جمهرة عريضة منهم كانوا يعيشون حياة الرغد والرفاه في المأكل والملبس، وهم علماء وصالحون ونبلاء. وبالنسبة للمنافقين نقول: تقولون بأن هؤلاء الدعاة يتاجرون بالدين، طيب وأنتم ماذا تفعلون يعني؟ فكُتّابكم ومؤلفوكم يتجارون بالعلمانية والإلحاد والليبرالية والنسوية، ويكسبون الأموال من نشر الكتب وإلقاء المحاضرات ونشر المقالات واللقاءات المتلفزة، فهل الأمر حلال عليكم حرام على أهل الدين؟ القناة التي تستضيف الشيخ أو الداعية تكسب من وراء برنامجه ألوفا من الدولارات فهل نقول للشيخ والداعية تنازل للقناة عن حقوقك المالية لكي تزداد هي ثراء، ولكي ترفع مرتبات الموظفين عندها؟ أما غير الكُتاب والمؤلفين والمحاضرين، فنقول لهم: أنتم كسالى، وتريدون أن يكون الجميع مثلكم، ولماذا لا تطالبون الأكاديميين من مذهبكم والمؤلفين والمحاضرين أن ينفقوا أموالهم على الفقراء، وألا يعيشون في منازل فخمة ولا سيارات فخمة؟ نحن في ديننا ليس العيش الرغيد في إطار الحلال حراما، فإن كان لكم رأي آخر فتلك مشكلتكم لا شأن لنا بها. وهؤلاء الشباب الذين تراهم يقولون يجب مراعاة الفقراء، يذكرونني بمن يقول يجب مراعاة العزاب فلا تتكلموا في شؤون الحب والزواج والحياة الجميلة بين الزوجين.. فيقال لهم: شمّروا عن سواعد الجد واذهبوا واعلموا واتبعوا لكي تحصلوا على المال الحلال فيتعيشون أنتم أيضا معيشة مرفهة، وتتزوجوا زوجة أو زوجتين في غاية الجمال والصلاح فتعيشوا حياة زوجية رائعة وممتازة. أما اتخاذ نقد الآخرين على معيشتهم في الحياة فهي مهنة الكسالى. صحيح أني لست مع الانغماس في نشر صورة مظاهر الرفاه والنعيم، لكن مبدئيا لا مشكلة لي في ذلك، فقد يمكن أن ننظر إلى جانب إيجابي وهو ترسيخ فكرة أن المتدين وأهل الدعوة والعلم لا يعني بالضرورة الفقر والبؤس والشقاء بل قد يكون المتدين والشيخ والداعية ويعيش حياة النعيم في إطار

الحلال. وإلا فلماذا لا يعترض الشباب والمنافقون على المشاهير من لاعبي الكرة والموسيقى والأفلام على نشرهم مظاهر الثراء. بل إنك تراهم يبررون تصرفهم ويقولون لك: يا أخي هذا اللاعب أو المغنية أو الممثلة يستحق، لكن عندما يأتون إلى متدين يفعل ذلك تراهم يزمجرون ويطعنون!

436. الإلحاد والعنف الديني

الملحد يتحجج بما يسميه العنف الديني أو الحروب الدينية، لكنه ينسى أنه وفق عقيدته الإلحادية لا مشكلة ولا حرج البتة في إبادة البشرية جمعاء! لأن الإنسان في المعتقد الإلحادي ليس سوى وسخ مادي ونفاية تافهة، بلا قيمة ولا قداسة ولا تميز عن أي شيء من عناصر العالم، كالذباب والخنازير والكلاب، لأن الكل هياكل مادية والعالم ليس إلا مادة! وبهذا يتبيّن لنا بأن هذا الاحتجاج يتناقض بشكل صارخ مع الأسس والمرتكزات الإلحادية، فهذا الاعتراض يتضمن الاعتراف بقيمة الإنسان وقداسته وتميزه، ويتضمن سمو الحياة وكرامتها وتعاليها، ويتضمن الإقرار بوجود منظومة قيم مطلقة متجاوزة للمادة!

437. سنة الإهلاك

الله تعالى كما وضع في مجاري الدنيا سننا تحكم العناصر الطبيعية، كالماء الذي إذا وضعته على النار فإنه ينقلب ساخنا شديدة السخونة حين يصل الغليان إلى درجة معينة. فهذه سنة ثابتة مطلقة في كل زمان ومكان. كذلك وضع الله تعالى في حياة البشرية سننا تحكم واقع اجتماعهم. ومن هذه السنن الثابتة المطلقة، سنة الإهلاك إذا بلغ الفساد حدا معينا، وقد يكون إهلاكا عاما شاملا وقد يكون جزئيا للتحذير والإنذار. قرّر النبي صلى الله عليه وسلم هذه السنة الثابتة في واقع حياة البشر، فقد جاء في الحديث: ﴿دخل النبي صلى الله عليه وسلم على زوجته زينب رضي الله عنها فَزِعًا يقولُ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، ويْلٌ لِلْعَرَبِ مِن شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليومَ مِن رَدْمِ يَأْجُوجَ، ومأْجُوجَ مِثْلُ هذا، وحَلَّقَ بإصْبَعِهِ، وبالَّتِي تَلِيهَا فَقَالَتْ زَيْنَبُ فَقُلتُ يا رَسولَ اللَّهِ أنَهْلِكُ وفينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ إذَا كَثُرَ الخَبَثُ﴾ (صحيح البخاري). فقف عند [أنَهْلِكُ وفينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ إذَا كَثُرَ الخَبَثُ]، أي إن الهلاك الإلهي مرتبط بكثرة الفساد وقلته، فإذا كثر الفساد حتى غطّى على الصلاح والصالحين تحقق في الواقع في صورة من الصور التي يسميها القرآن بالآيات كما في قوله:﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ (الإسراء:59) وقد تكون هذه الآية ريحا شديدة أو فيضانا عارما أو زلزالا مدمرا أو غير ذلك. فإذا استوعب المسلم هذا المعنى لم يخدعه شياطين الإنس والجن بما يحدث من

الحوادث العظيمة التي تدمر كل شيء، والشبهات التي يطرحونها للتشكيك في وجود الله أو التشكيك في تقريرات شرعية في ربط الهلاك بكثرة الذنوب والمعاصي والفساد.

438. الهزيمة النفسية

عندما يقع الشيخ/الأكاديمي الشرعي/المفكر الإسلامي في "فخ الهزيمة النفسية" أمام ضغط الأهواء الاجتماعية والهجوم العلماني، يحدث أن عقله يتبرمج تلقائيا على "تطويع" نصوص الوحي لتساير تلك الأهواء وذلك الهجوم! هذا التطويع يتمثل في ممارستين: (**الأولى**)، هي عملية الانتقاء لما يناسب المحرك الخفي فيه أي التطويع، واستبعاد ما لا يتوافق مع هذا الدافع. (**الثانية**)، هي عملية إعادة القراءة والتأويل لما كان عليه الأمر بين عامة علماء الأمة من أجل الانسجام مع هدف التطويع. وهذا الصنف من المشايخ/الأكاديميين الشرعيين/المفكرين الإسلاميين لا يلزم بالضرورة أن يكون أحدهم "معول هدم" عن سبق إصرار وترصد، بل في كثير من الأحيان هم أنفسهم لا يشعرون بذلك، وقد يدركون ذلك لكن يتجاوزونه في سبيله ما يعتقدون أنه انتصار للإسلام، رغم أن الحقيقة هي أنهم يكونون تحت ضغط نفسي كبير بسبب قوة الأهواء الاجتماعية وقوة الهجوم العلماني، فيتشكل فيهم محرك التطويع بآلياته المذكورة آنفا بطريقة بطيئة ومتدرجة، ومن ثم يكون هو المؤطر لرؤيتهم وتعاملهم مع نصوص الوحي!

439. فهم الكوارث الطبيعية

كثير من المسلمين يقرؤون كثيراً في القرآن قول الله تعالى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ (الأنبياء: 23)، لكن، عندما تقع كارثة من الكوارث، وتنزل مصيبة من المصائب، خصوصاً الكوارث العامة والمصائب الشاملة، كالزلازل والفياضات والعواصف، هنا يكون لهم موقف يتناقض تماماً مع معنى هذه الآية التي مرّوا عليها ربما عشرات المرات! إنهم يتساءلون (لماذا حدث هذا؟ ما ذنب الأطفال والعجائز؟ كم خسرنا من الجهد والوقت والمال لبناء بيت أو شراء سيارة ثم في لحظة ذهب كل شيء؟) إلى آخر هذه التساؤلات التي تحمل معاني لو تأملها بعين العقيدة لوجدها فظيعة جدا، تضع صاحبها على شفير الردة والإلحاد، إنها معاني الاعتراض والطعن والرفض! وسأقتصر هنا على أمرين من دلالات هذه المعاني الفظيعة الكامنة في توجيه السؤال إلى الله: لماذا؟، وهما: (**أولاً**) هذه المعاني الصامتة وراء تساؤلات الاعتراض عند هؤلاء تتضمن "التشكيك في علم الله، في حكمة الله، في عدل الله، في رحمة الله، في إتقان تدبير شؤون الإنسان". عندما أكتب أنا منشورا وتأتي أنت تعترض عليّ، فمعنى اعتراضك أنك تقول لي: لقد علمتَ شيئا وفاتتك أشياء،

لقد غفلت عن كذا وكذا، لقد نسيت كذا وكذا، والصواب هو كذا وكذا. فكل هذه المعاني مضمَرة في اعتراضك على منشوري أو مقالي أو كتابي. وهذا بيني وبينك عادي جدا وطبيعي جدا، لأننا بشر لابد لنا من الجهل والغفلة والنسيان والقصور. لكن ماذا عن الله؟ فاعتراضاتك الخفية الصامتة تعني هذا الذي ذكرتُ لك، أي اتهام الله سبحانه بالجهل والعجز والغفلة والظلم. **(ثانياً)** هذه المعاني الصامتة وراء تساؤلات الاعتراض عند هؤلاء تتضمن "من حقي على الله ألا يفعل شيئا يؤذيني، وهذا الحدث الذي وقع (الزلزال، الفيضان، العاصفة، البركان) قد آذاني، وسلبي حقي في الحياة والاستقرار والسعادة والاستمتاع، فكيف يفعل الله تعالى ذلك؟ بأي حق فعل ذلك؟". وهذه القضية "حقي على الله" مشكلة عقدية ومعرفية قبل أي شيء آخر، فالإنسان هنا ينسى حقيقته وهي أنه عبد مخلوق، والعبد المخلوق لا حق له على خالقه إلا ما شاء خالقه فضلا منه وكرما. كما أنه ينسى حقيقة الألوهية التي يتصف بها الله تعالى التي ترجع إلى معنى الكمال المطلق، وهو ما يعني استحالة أن يفعل سبحانه بغير حكمة أو أن يظلم أحداً مثقال ذرة. والمقصود: على المسلم أن ينتبه لما يجول في خاطره، خصوصا أن الزنادقة يستغلون هذه الوقائع المؤلمة لغرس التشكيك في وجود الله من بوابة التشكيك في رحمته وحكمته. فإن هذه الهواجس الخفية إذا استرسل معها العبد دون أن يقطعها عنه بدلائل الوحي وبراهين الفطرة والعقل، تكون بذورا لآفات القلب الباطنة، ثم لا تزال تتضخم ببطء وهدوء إلى أن يكتشف المرء أنه دخل ساحة الإلحاد ورفض وجود الله. نعوذ بالله من الخذلان

440. عصر الإيديولوجيات

لو قال قائل بأن العصر الحاضر هو عصر الإيديولوجيات، وأنها تتناسل تناسل الفطريات، فكل إيديولوجية تتفتت إلى إيديولوجيات فرعية، وكل فلسفة تتولد عنها فلسفة أخرى– لو قال هذا قائل لصدق، فإن واقع الأفكار والفلسفات اليوم خير شاهد. وهذا التناسل الرهيب في الفلسفات والإيديولوجيات والمذاهب ليس يدل على حيوية العقل الغربي، كما يحاول بعض الببغاوات الأكاديميين عندنا تصوير الأمر، وإنما يدل على أن العقل الغربي يعاني أزمة معرفية كبرى، فهو يسير بلا بوصلة ولا مرجعية ولا غاية. ولأن الفكر الغربي اليوم له سلطان معنوي على الثقافات في العالم كله، فإن أكثر الناس يجب عليهم الاطلاع على هذه المذاهب والإيديولوجيات والفلسفات الغربية المعاصرة، مع الحرص على معرفة تاريخها وأصولها وشعبها وآثارها العملية– هم المشايخ وطلبة العلم الشرعي، من أجل أن يكونوا بمنأى عن أن تتسرب إليهم بعض أفكار تلك المذاهب والإيديولوجيات دون أن ينتبهوا إليهم، بل يغترون بزخرفها فيذهبون يبحثون لها عن أساس في القرآن أو السنة

أو كلام العلماء السابقين. فكم رأينا من هؤلاء من يستبطن تصورات علمانية أو ليبرالية أو نسوية ويحرص على التأصيل لها شرعاً، فقط لأنه جاهل بحقيقة هذه المذاهب والاتجاهات وأصولها الفلسفية. والله الهادي

441. حقيقة أهل جنهم

يقول الله تعالى عن بعض أصحاب جهنم: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام ٢٨]. يعني أن هؤلاء القوم رغم أنهم شاهدوا جهنم، وذاقوا عذابها، ويتمنون الخروج منها، لكن مع كل هذا، فإنهم لو عادوا إلى الدنيا سيرجعون إلى ما كانوا عليه من العناد والفجور والكفر! لماذا؟! لأن نفوسهم أُشربت هذه الصفات الذميمة، كأن العناد والفجور والكفر يجري في عروقهم، أو كأن نفوسهم تطبعت بهذه المعاني فصارت كأنها ذاتية فيهم لا يستطيعون فكاكا منها! إذا شئت أن تفهم هذا المعنى الذي تحدثت عنه الآية الكريمة، فلك أنموذج مصغر بين يديك: انظر خلال الكوارث والوقائع العظيمة كالزلازل والفياضانات والحروب وغيرها التي تهلك مئات أو ألوفا من البشر، ويتضرر منها ألوف من الناس، وتدمر البنية التحتية في المنطقة التي وقعت فيها الواقعة، ومع ذلك؛ فإنك تجد نفوسا فاجرة لا تتعظ ولا تعتبر: سياسيون لا يبالون، إعلاميون يزيفون الواقع، مسؤولون لا يهتمون، تجار يرفعون الاثمنة، أصحاب قنوات في وسائل التواصل يريدون رفع نسبة المشاهدة والمتابعة، كل هؤلاء يحرص أحدهم على تحقيق مصالح شخصية على حساب الكارثة ولسان حاله يقول "مصائب قوم عند قوم فوائد"، فهذه النفوس الفاجرة التي رأيناها في تركيا والمغرب وليبيا وسوريا لم تهزها الكارثة، ولم تحرك فيهم شعرة واحدة! نعوذ بالله من الخذلان

442. لماذا يعشقون الاختلاط

من يعيش في القذارة لا يمكن أن يقبل العيش في النظافة. ولهذا ترى هؤلاء الفساق والفاسقات، يعشقون الاختلاط، في المدارس والجامعات والأسواق والإدارات والشوارع والفضاءات العامة! يعشقون كلمة هنا وتلميحة هناك، وغمزة هنا وحركة هناك، هؤلاء يعشقون إمتاع النظر في البنات، وهؤلاء البنات يعشقن الشعور بأن الشباب يستمتعون بالنظر إليهن! لكنهم ولكنهن يزينون صراخهم وضجيجهم وولولتهم بشعارات إبليس، دون أن يتوقفوا للحظة تأمل: الغرب فتح منذ عقود أبواب الاختلاط بل الجنس بين الطلبة والطالبات، وبين عامة الشباب والبنات، فهل تهذبت نفوسهم؟ هل قلّ التحرش بينهم؟ هل قل الاغتصاب بينهم؟ هل قل الإجهاض بينهم؟ أبدا، فأعلى نسبة تحرش جنسي موجودة في أوروبا وأمريكا، وأعلى نسبة ممارسة للجنس موجودة في أوروبا وأمريكا، وأعلى نسبة بنات حتى دون العشرين بلا بكارة موجودة في أوروبا وأمريكا، وأعلى

نسبة إجهاض موجودة في أوروبا وأمريكا، حتى إنهم صاروا يبحثون عن أي شيء يمنحهم لذة جنسية جديدة! والمنافقون والمنافقات عندنا يقولون ما تظن أنهم مخلوقات نزلت من كوكب المريخ ليست لديهم طبيعة البشر، ولا شهوات البشر، ولا غرائز البشر، ولهذا يمكن أن يختلط الشباب والبنات بلا مشاعر تتحرك، ولا غرائز تهتاج، ولا رغبات تظهر، أي إنهم يصورون الأمر على أنهم لمجرد أنهم طلبة وطالبات فإن الطبيعة البشرية فيهم تتغير تلقائياً، ولكن كما قلنا عشق القذارة والمجون والزنا!

443. هل يكتئب المسلم

هل يكتئب المسلم؟ لا شك أن الإيمان واليقين والتوكل وحسن الظن بالله والإيمان بالآخرة، كل هذا يعمل (صمام أمان) للمؤمن، ولهذا يكثر الانتحار بين الماديين الملحدين رغم الرفاه المعيشي الذي يكونون فيه فأكبر نسبة انتحار عالميا موجودة في أوروبا وأمريكا، لكن بسبب الخواء الروحي وعدم العقيدة في الله لا يجدون ما يقامون به ضغوط الدنيا، فهذه حقيقة لا شك فيها. ثم تبقى حقيقة أن المؤمنين مراتب فليسوا كلهم من أصحاب الإيمان العالي واليقين الثابت، ولهذا لا عجب أن يصاب البعض بالاكتئاب إلى حد ما. خصوصا حين نستحضر أن التربية السلبية في البيت وأجواء البيت يسهمان في ظهور الاكتئاب عند البعض، وأيضا طغيان الماديات اليوم ومثيرات الشهوات المختلفة تعمل بقوة على ظهور الاكتئاب عند البعض ممن يعجزون عن تحقيق مستوى الرفاه المادي. وهؤلاء لا يقال لهم بسبب ضعف الإيمان وقلة اليقين فيكم أنتم مصابون بهذا المرض، وإنما لابد من معالجة مجموعة من الأفكار والتصورات والمفاهيم في عقولهم لكي يفهموا بشكل أفضل ما يحدث ويجري من حولهم.

444. العلمانية والشذوذ

لابد للعلماني أن يكون شاذا أو داعما للشذوذ والشواذ، ببساطة لأن المرتكزات الفلسفية للعلمانية لا تدع له مجالاً للفرار أو الالتفاف على هذه النتيجة! وهذه النتيجة هي التي نراها في واقع الحداثة الغربية، لا لأن الغرب استطاع أن يربط بين الحداثة والعلمانية وبين الشذوذ _كما يتصور البعض_ بل لأنها حتمية لمسار العلمنة الفكرية والنفسية والسلوكية. السؤال هنا: ما الذي يمنع العلماني من أن يكون شاذاً أو على الأقل داعماً للشذوذ؟ لا شيء، لأن المنع يتطلب مرجعية متجاوزة للإنسان والكون تضع معايير الحق والباطل والصواب والخطأ، أي إن المنع يتطلب وجود الله، وأن يكون هو مصدر الحكم والتشريع لمنظومة القيم المعيارية. وحتى لو أراد العلماني أن يتفلسف برد موقف المنع والرفض إلى "قيم إنسانية"، فيقال له: أي إنسانية تتحدث

عنها؟ ما هي معايير هذه الإنسانية؟ إنسانية الغرب أم إنسانية الشرق؟ إنسانية المؤمنين أم إنسانية الماديين؟ إنسانية العوام أم إنسانية الشركات الرأسمالية التي تتربح من كل شيء يجلب مزيداً من المال؟ يمكن القول إذن بأنه إذا كان الإيمان بالله والاحتفاظ له بحق الحكم والتشريع يجعل كل شيء منضبطاً غير مباح، فإن عدم الإيمان بالله أو سحب حق الحكم والتشريع منه يجعل كل شيء مباحاً بحسب ما تمليه الأهواء والمصالح الشخصية والحزبية والعرقية!

445. رفض الأسرة الغربية تدريس الجنس للأطفال

لماذا تثور كثير من الأسر الغربية على بدء تدريس أطفالهم للجنس، الشذوذ، تغيير النوع؟ ما هي المرجعية التي يستند إليها هؤلاء الرافضون الثائرون؟ الواقع أنه لا يوجد مبرر موضوعي في الإطار العلماني الليبرالي الذي يحكم الرؤية الغربية لهذا الرفض ولهذه الثورة والاحتجاج!! وإلا، فبأي معيار يقال لفتى وفتاة ذي 15 عاما، يحق لكما قانونيا ممارسة الجنس، وتغيير النوع، ويقال لمن هم وهن دون هذه السن "القانونية التي لا أحد يعلم على أي أساس حددها القانون!" ليس من حقكم وحقكن تعلم الجنس والشذوذ وتغيير وممارسته عمليا!! من الناحية الحداثية الليبرالية، حيث تتلاشى المقدسات والثوابت والخصوصيات، فمن حق الأطفال أن يدرّس لهم الجنس والشذوذ وتغيير النوع، لأن هذه نفسها في إطار الرؤية المادية "التي يؤمن بها الغربيون" طبيعية جدا!! هذا المستوى الذي وصل إليه الغرب "تدريس الأطفال الجنس والشذوذ وتغيير النوع" نتيجة طبيعية بل حتمية في مسار العلمانية الشاملة والمادية النهائية حيث لا يوجد إله مطلق يكون المصدر الوحيد للتشريع والتنظيم!! لقد بدأ الغرب بإباحة الجنس بين الرجال والنساء بلا حدود ولا قيود، ثم انتقل إلى الشذوذ بين الرجال "اللواط" وبين النساء "السحاق"، وهذا الآن صار مقبولا قانونيا وحتى اجتماعيا بحكم أنه "حرية شخصية"، ثم ها نحن وصلنا إلى الأطفال، وكما ثار البعض على إباحة الجنس ثم صار طبيعيا، وثار البعض على اللواط والسحاق ثم صار طبيعيا، سيثور البعض على تدريس الجنس للأطفال ثم سيصير طبيعيا حتى من جهة ممارسة الأطفال الجنس، فهذا حقهم الطبيعي! وأتصور أن المرحلة القادمة "ربما بعد عشرين أو ثلاثين عاما" ستكون خاصة بإباحة الجنس بين المحارم، ثم يثور البعض ثم يتحول إلى حق قانوني لأنه حرية شخصية!! فكما ترى، فأساس مسار الانحدار إلى هذه القذارة هي أنه لا توجد عندهم مرجعية إلهية متعالية، يخضع لها الإنسان باعتبار أنها الوحيدة التي من حقها وضع التشريعات وتحديد القيم. لأنه بدون مرجعية معيارية مطلقة، لا يمكن أن تكون هناك ثوابت، ومن ثم سيتحتم نزع القداسة عن كل شيء بحسب ما تمليه الأهواء الشخصية والاجتماعية والمؤسسات والشركات!

446. رفض الأسرة الغربية تدريس الجنس للأطفال

«صحيح أنني لا أصلي.. لكن قلبي أبيض!»، «صحيح لست محجبة.. لكن قلبي أبيض!»، وقس على هاتين الجملتين كثيراً غيرها! والحقيقة أن هذه الجمل تنتشر بين جمهور عريض من الناس اليوم، وهي كما ترى، ذات حمولة علمانية ثقيلة جداً! فمستندات هذه المواقف من هؤلاء التائهين والتائهات هي: **(أولاً)** حقوق الله تعالى لا تساوي شيئاً أمام حقوق الناس لهذا فالقلب الأبيض تجاه الناس أعظم شأنا من الاهتمام بحقوق الله تعالى وطاعته وعبادته والخضوع له! **(ثانياً)** مرجعية الوحي والشرع لا قيمة لها في العصر الحاضر، فاليوم المرجعية هي القلب الأبيض "التسامح، المحبة، عدم إذاية الآخرين.. إلخ" أي إن المرجعية هي الأهواء! لو اقتصرنا فقط على هذين المعنيين الكامنين في شعار "المهم قلبي أبيض" لوجدنا أن أصحاب هذا الشعار يتبنون الفلسفة المادية التي تحيّد وجود الله تعالى من الفكر والسلوك والواقع! لكن؛ هنا سؤالان: **(1)** على أي أساس سيحاكم الله تعالى الناس يوم القيامة إذا كان شعار "المهم أن قلبي أبيض" حقا وصحيحا؟! رغم أن هذا أحد أساسات فلسفة إنكار النبوات! أليس كل هذا يتعارض مع دعوى "أنا مسلم/مسلمة لكني لا أصلي لا أصوم، غير محجبة، إلا أن قلبي أبيض"! **(2)** مَن الذي له الحق في الحكم على قلبك بالبياض أو السواد؟ ما هو المعيار؟ إذا قلنا بأنه عدم إذاية الآخرين، إذن كثير من المشركين أفضل بكثير من كثير من المسلمين!! وإذا قلنا بأنه الشرع، فالشرع اعتبر المعاصي ورفض أحكام الشرع ظلمات قلبية وعقلية! حقاً؛ لقد أثمرت تلك الجهود الهائلة التي بُذلت لسلخ الشعوب المسلمة عن عقيدتها وقيم دينها!

447. نعم نحن نمتلك الحق المطلق

نحن لا ندعي امتلاك الإسلام للحقيقة المطلقة، بل نحن نعتقد أن امتلاك الإسلام للحقيقة المطلقة حقيقة مطلقة، كما أننا نعتقد عدم اعتقاد امتلاك الإسلام للحقيقة المطلقة كفر. ونحن نبني هذا القول على المستندات التالية: **(أولاً)** الإسلام وحي الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، أنزله عليه ليكون هدى ورحمة ونورا للعالمين. **(ثانياً)** الله تعالى نفسه قرر في نصوص كثيرة أن أنواع الهداية المطلقة "العلميات والعمليات" محصورة في الوحي. **(ثالثاً)** واقع الفلسفات خلال خمسة عشر قرنا أثبت جهلها، وقصورها، وتناقضها، واختلافها، وفسادها، عكس الوحي. لو اقتصرنا على المستندات الثلاثة سنجد أن القول "امتلاك الإسلام للحقيقة المطلقة" ليس دعوى بل حقيقة مطلقة، ومن ثم، فإنكارها كفر وردة. ومن هنا يمكن ترتيب معنى آخر مهم جدا في هذا السياق وهو أن الإسلام حاكم على كل المذاهب والأديان والفلسفات، في كل زمان

ومكان، لأن الإسلام تنزيل من رب العالمين الذي أحاط علما بكل شيء، وتلك المذاهب والفلسفات والأديان نتائج أهواء مؤسسيها وأعلامها، وفيهم من جهل وقصور واختلاف ونوازع نفسية.

448. الملاحدة المتخفون

هناك ظاهرة بارزة في عصرنا الحاضر، وهي ما أسميه بالإلحاد المتخفي! يقوم زعماء هذا النوع من الإلحاد (علمانيون، ليبراليون، حداثيون، نسويات) على بث كَمٍّ هائل من الاعتراضات على أحكام الشرع وأحكام القدر، وهذه الخطة تحقق لهم الهدفين التاليين: (**1**) محاصر وعي الشباب بالشكوك والحيرة حتى لا يعود يرى غيرها. (**2**) تكون بذور الاعتراض على الله في شرعه وقدره في النفوس. والتركيز على هذين الهدفين ينتج عنه الهدف النهائي وهو أن الشاب المسلم يجد نفسه في العراء، في منطقة رمادية، بلا هوية ولا معايير ولا رؤية واضحة، فيكون بين أمرين، إما الانتقال إلى الإلحاد وإما البقاء في دائرة الشك. ولهذا، جدير بالمسلم العاقل ألا يستهين بالدور الخطير الذي يقوم بهؤلاء الملاحدة المتخفون، خصوصاً أنهم يقدمون كل ذلك تحت شعار الاجتهاد والبحث والاكتشاف والحضارة والعقلانية!

449. النبي عليه الصلاة والسلام في بيته

النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يكون في خدمة أهله في البيت "بما يقتضيه كونه رجلا"، وذلك من باب الرحمة بأهله والتحنن عليهن وحسن معاملتهن. هذا النبي اللّيّن الهيّن الرفيق الشفيق، هو نفسه صلى الله عليه وسلم الذي هجر زوجاته شهراً كاملاً عندما طالبنه برفع سقف النفقات الشهرية، ثم خيّرهن بين العيش معه كما يقتضيه كمال نبوته، وبين الطلاق، أجل الطلاق حتى لزوجته المحبوبة أكثر من غيرها، أي عائشة. أي إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعامل مع زوجاته بأسلوب حكيم: اللين في ساعته، والشدة في ساعتها، لأن طبيعة المرأة والأسرة والزواج والقوامة المفروضة على الزوج تفرض هذا التعامل مع الزوجة! فحين يأتون يركزون لك على جانب اللين والرفق في تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجاته ويهملون جانب الشدة والصرامة في شخصيته صلى الله عليه وسلم الزوجية فهم يزيفون في وعيك الحقيقة ويضخمون المرأة حتى كأنها مطلق مقدس يجب أن تتعامل معها بأسلوب الخضوع حفاظا على مشاعرها! إن طبيعة الزوجة تتطلب اللين والشدة، والرفق والحزم، فهما معا يمنحانها الشعور بحقيقة أنوثتها وبحقيقة رجولة زوجها، وحين يتعامل الزوج بأحدها دون المعنى الآخر، اللين والرفق أو الشدة والحزم، هنا تختل أنوثة الزوجة، ثم كلما ركز

الزوج على معنى دون الآخر ازداد الاختلال إلى أن تجد الزوجة نفسها تنظر باحتقار إلى هذا الزوج التافه السخيف أو الطاغية العنيد!

450. غرق مركب أوروبا

يجمع الباحثون على أن مركب أوروبا يغرق، ويستحيل أن يجدوا حلا للنجاة من هذا المصير المرعب! فلو استحضرت تاريخ أوروبا خلال القرون الثلاثة الأخيرة، في مساره الفلسفي والعلمي والاجتماعي، ستجد أن الواقع الذي وصلت إليه اليوم هو نتيجة حتمية لذلك التاريخ! لقد وعد الفلاسفة والعلماء الأوروبيون خلال القرون الثلاثة الأخيرة بتحقيق الفردوس الأرضي، بعيدا عن الإله والدين، لأن الإنسان "أي الرجل الأبيض" صار قادرا على تدبير شؤونه بنفسه! ثم ماذا كان؟! لقد انقلب السحر على الساحر! أزمات لا تعرف أوروبا منها مخرجا.. اقتصاديا، وسياسيا، واجتماعيا، وفلسفيا، وأخلاقيا، إنسان تائه، أسرة مفككة، أمراض نفسية وعضوية لا حصر لها، علاقات اجتماعية في غاية السوء! لكن؛ مع ذلك، فالعلماني والليبرالي العربي (المنافقون الجدد) يريد من المجتمعات المسلمة أن تركب نفس المركب لتغرق مع الغارقين!

451. تسلط الزوجة

حين تحاول الزوجة مزاحمة الزوج في تدبير شؤون البيت، فما هي الاحتمالات الممكنة لهذه المزاحمة؟ هناك احتمالان: (**الأول**) خضوع الزوج، وهذا يعني ضمور شخصية الرجولة فيه، وبروز شخصية الأنوثة في الزوجة. لكن عواقب هذا الضمور في الزوج هو اكتسابه سمات الأنوثة، وعواقب هذا البروز في الزوجة هو اكتسابها سمات الرجولة. (**الثاني**) ثورة الزوج، وهذا يعني جنوح الزوج إلى التركيز على أسلوب الحزم والصرامة والشدة لكي يضبط نزعات التمرد في زوجته في محاولة مزاحمته على أساس دوره أي القيادة الأسرية، وقد يصل الأمر إلى الطلاق. فكما ترى فإن الاحتمالين معا لهما نتيجة واحدة، وهي تفكك هذه العلاقة الزوجية وفقدانها لمعانيها وأهدافها ورسالتها. وهذا التفكك يتشكل في إطار نزاع وصراع بين الطرفين قبل أن تتحدد النتيجة اي خضوع الزوج وتبعيته لزوجته أو الشدة منه معها التي قد تؤدي إلى الطلاق! ولهذا تجد عامة البيوت المفككة أو المخربة مطبوعة بأحد هذين الاحتمالين.

452. عدم الاحتفال بالمولد

قال: رفض الاحتفال بالمولد النبوي جفاء وقلة محبة للنبي صلى الله عليه وسلم. قلت: فلان تسمع مني؟ قال: هات. قلت: دع عنك هذه الدروشة الساذجة، والمناكفة الباردة. نحن لماذا نحب النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: لأنه نبي هدانا وأرشدنا. قلت: جميل، إذن لولا النبوة لكان محمد رجلا من الرجال الذين لن يعرفه أحد منا إلا المتخصص المدقق في التاريخ القديم. والمحبة معنى مطلق فوجب إذن تعيينه، فما هو هذا التعيين؟ قال: لا أفهم عليك مرادك. قلت: المحبة دعوى عامة، لكن الشأن في واقعها التطبيقي، فهؤلاء النصارى يدعون أنهم يحبون الله، فهل نفعتهم دعواهم في شيء؟ طبعا لا، فهم في الآخرة في النار خالدين فيها أبدا. فوجب إذن أن نحدد مفهوم محبة النبي صلى الله عليه وسلم لكيلا يبقى مجرد دعوى. فأقول: المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم هي الاتباع، وإنما قلت بأنها الاتباع الذي يتضمن التعظيم والإجلال والتقدير، لأنه المقصد الأعظم من النبوة والرسالة، ولهذا حصر الله تعالى برهان المحبة له سبحانه في اتباع نبيه صلى الله عليه وسلم فقال: [قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ]، فأحاطنا العلم بأن أعظم ترجمة لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم هي اتباعه في الاعتقاد، والآداب، والسلوك، والقيم، والمبادئ، والتشريع، وأعظم ترجمة لمحبة الله تعالى هي اتباع نبيه، بحيث يمكن أن نقول: بقدر محبتك للنبي يكون منك الاتباع له، وبقدر اتباعك له تكون محبتك لله. فنخرج من هذا القول إلى أن حقيقة الجفاء وقلة المحبة للنبي هي عدم اتباع سنته، ومن عدم اتباع سنته عدم اتباع نهج صحابته، ذلك أن الصحابة لم يتركوا بابا من أبواب الخير إلا سبقوا إليه، ودلّوا عليه، وأمروا به، لكمال علمهم بالله ورسوله، وكمال محبتهم لله ولرسوله، فكل من جاء بعدهم يزايد عليهم في شيء من ذلك [العلم بالله ورسوله + محبة الله ورسوله] فهو يضحك على نفسك، وإن رفع من الشعارات الهائلة ما شاء أن يرفع. وهنا معنى آخر، وهو: إذا كان لابد من الاحتفال فليكن بيوم بعثته ونبوته، فهو أعظم من يوم مولده، وكما قلت آنفا، فمحمد (صلى الله عليه وسلم) لولا النبوة لكان رجلا من الناس لا نعرفه ولا نشعر بوجوده في التاريخ، فلما كان يوم بعثته ونزول الوحي عليه يوم نور ورحمة وبداية عهد جديد للإنسان والبشرية، فالواجب علينا إن كان لابد من الاحتفال أن نحتفل بهذا اليوم. ولنتذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوصنا بيوم مولده، وإنما وصانا بدينه وشريعته وسنته. ولهذا كيف تقول عن قوم يقولون لك: يا أخي الكريم، هل الاحتفال بالمولد شيء صنعه النبي نفسه؟ لا، أو شيء صنعه الصحابة؟ لا، أو شيء صنعه التابعون؟ لا، أو شيء صنعه الأئمة كمالك وأحمد والشافعي وأبي حنيفة وابن المبارك والليث ابن سعد وسفيان الثوري ومحمد البخاري ومئات أمثالهم، وهؤلاء الأئمة أصل الإسلام وأساس الدين؟ لا، وإنما حدث الاحتفال خلال دولة الزنادقة العبيديين في القرن الرابع هجري، فهل مرت على الأمة ثلاثة أو أربعة قرون وهي غافلة عن أن الاحتفال بالمولد النبوي من دلائل محبته صلى الله عليه وسلم، ورفض ذلك من الجفاء وقلة المحبة

والتعظيم = قليل من العقل بارك الله فيك. وأما قولك بأن فلانا العالم وفلان قال بالمولد؟ فالجواب: إذا وجب تقليد العلماء الذين قالوا بذلك فهلا كان التقليد للصحابة والتابعين والأئمة الأولين فهم أولى بالتقليد والاتباع.

والله يهدينا ويغفر لنا

453. أزمة المراهقة

كل ما يقال عن "أزمة المراهقة" و "أزمة منتصف العمر" لا شأن لنا به نحن المسلمون! لأن هذه مشاكل وأزمات خاصة بالمجتمعات الغربيات وطبيعة المستندات الفلسفية التي تؤطر رؤيتهم للذات والحياة والمصير بعد الموت! أما عندنا، فالمراهق مسؤول شرعا عن مواقفه العقدية وسلوكياته الأخلاقية، كما أنه مكلف من الله تعالى بالقيام بمجموعة من الواجبات وأداء حقوق الله عليه، أي إن المسلم عندنا مع سن البلوغ يكون كامل الأهلية لتحمل أعظم مسؤولية وجودية وتحديد مصيره الأبدي بعد الموت. والرجل عندنا إذا بلغ ما يسمى بمنتصف العمر أي الأربعين يكون قد دخل مرحلة الاقتراب الشديد من لحظة الانتقال إلى عالم الخلود بعد الموت، ومن ثم فهو شرعا يكون أكثر محاسبة على مواقفه وسلوكياته، ويكون مطالبا أكثر بالاستعداد لما بعد الموت. أي إن الرجل عندنا بعد سن الأربعين تتضاعف مسؤوليته الوجودية تجاه ربه ومصيره الأخروي! فأين هذه المعاني السامية والمسؤولة من ذلك العبث والتفاهة التي يلهج بها علماء النفس والاجتماع والتربية الغربيون ومقلدوهم في بلداننا العربية والإسلامية! فالمسلم المراهق يعلمه دينه بأنه دخل مرحلة المسؤولية لأنه كامل الأهلية، والمسلم الأربعيني يعلمه دينه بأنه دخل مرحلة مسؤولية الاستعداد للموت وعالم الآخرة، أولئك تعلمهم فلسفتهم المادية بأنهم لابد أن يمروا بأزمة، ولابد أن يستمتعوا بالحياة، وكل شيء مقبول لأنهم يمرون بأزمة المراهقة أو أزمة منتصف العمر!! فأي الفريقين خير وأهدى سبيلا!

417. تخريب قوانين الأسرة للأسرة

خلال العقود بل القرون الخالية كانت هناك ثقة كبيرة بين الرجل والمرأة، وإن اختلفت النسبة من زمان لزمان ومن واقع لواقع، فكان الرجل يذهب يتزوج والمرأة تقبل بالزواج والثقة بينهما عالية، بل حتى لو فرضنا الخلاف بعد الزواج كانت الامور بشكل عامة تسير سيرها الطبيعي. الذي حدث مع منظومة قوانين الأسرة في البلدان العربية هو أن هذه الثقة نزلت إلى أدنى مستوياتها كما لم يكن من قبل خلال العقود والقرون الماضية، لماذا؟ الجواب هو أن هذه القوانين الوضعية تستهدف تفكيك الأسرة المسلمة، وزرع الشكوك والخوف بين الرجل والمرأة بل في الرجل تجاه المرأة! اليوم كيف يمكن لرجل أن يثق في امرأة حتى لو رآها تقوم الليل

وتصوم النهار ولا تدع القرآن من يدها لعلمه أن قوانين الطلاق لصالح هذه المرأة ومتحيزة ضده، بل تستهدف سحقه وتدميره أو أن يقبل العيش معها ذليلا مهينا!!! خصوصا حين نستحضر حالات طلاق بين "متدينين" بعد سنوات من الزواج لم تتورع الزوجة عن استغلال القانون لصالحها ولو أنه يخالف الأحكام الشرعية لأن المرأة عند الطلاق عادة ما تفقد مقاومة الرغبة في الانتقام من الرجل!! إذن؛ زرع الرعب في الرجل من المرأة هو أحد أخطر إفرازات مدونة قوانين الأسرة في بلدان العالم العربي!! أي إن الرجل لم يعد ينظر إلى المرأة على أنها "المؤنسة الغالية" بل على أنها "كابوس مزعج"!!

418. الجميع يدفع الثمن

واقعنا فاسد بجميع المقاييس، وبجميع المعاني، ومن جميع الجهات. ولهذا؛ فالجميع يدفع الثمن باهظا، الرجل والمرأة، وليس فريق دون آخر، كما يحاول هذا الفريق أو ذاك تصوير الأمر! ولا سبيل للخروج والانعتاق من قبضة هذا الواقع إلا بإصلاح شامل ومتكامل، وذلك لن يكون إلا بعودة عامة الناس إلى دينهم والتحاكم إليه، والخضوع له، والالتزام بقيمه ومبادئه. ولا سبيل لهذه العودة إلا أن يكون الناس على وعي بالتالي: **(أولاً)** الواقع الفاسد والثمن المدفوع منهم نتيجة حتمية لاتخاذهم دين الله تعالى ظهريا، وإنما هم مسلمون بالاسم والشعارات. **(ثانياً)** هم يعيشون في جاهلية مرعبة، وسيظلون كذلك ما داموا يعيشون فكرا وسلوكا وعلاقات في إطار علماني. **(ثالثاً)** لن يتغير حالهم ولو بعد مائة عام إلا بالوعي بالحقيقتين السابقتين، ومن ثم التنادي بصدق وإخلاص للخروج والانعتاق. قال سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه: «ما أهون الخلق على الله إذا عصوه»، بل قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والَّذي نفسي بيدِه لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ولتَنهوُنَّ عنِ المنكرِ أو ليوشِكنَّ اللَّهُ أن يبعثَ عليكم عذابًا مِن عندِه ثمَّ لتدْعُنَّهُ فلا يستجابُ لكم».

419. الاصطفاف في خندق العلمانية

نظرت في معنى كثرة "الشرعيين=شهادات الدكتوراه في العلم الشرعي" اليوم الذين يصطفون في خندق الطاغوت العلماني، يبررون كل ما يأتون من القوانين الوضعية المستقاة من المدونات والتوصيات الغربية ليحكموا بها المسلمين بدلا عن حكمهم بشريعة ربهم عز وجل التي بعث بها نبيه صلى الله عليه وسلم. نظرت في كثرتهم في هذا العصر أكثر من أي عصر مضى، فذهب ظني إلى أن علة ذلك ترجع إلى أن عامة الشرعيين اليوم مجرد حملة شهادات جامعية، أي إنهم أخذوا العلم المباشر من الدكتور الشرعي المحاضر، ولم تكن هناك فرصة لأخذ الهدي والأخلاق والسلوك والأدب منه، وهذا ما يُفقد الحصيلة العلمية لدى المرء قيمتها، فالعلم

بلا تقوى ولا ورع ولا زهد ولا أدب وبال على صاحبه. وهذا الأمر كان القدماء يحظون منه بنصيب وافر، فقد كان الطالب يطلب العلم سنوات على أيدي مشايخه، وفي الوقت نفسه أخذ منهم الأدب والتقوى والورع والسلوك والهدي السلوكي، حتى قال بعضهم (تعلمنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من فقهه). وطالب العلم حين يفقد تلك المعاني القلبية يكون فريسة سهلة للشيطان والطاغوت، فهناك شهوات الدنيا، وحب الاستمتاع بها، وهناك المناصب والترقيات، وهناك الخوف من الفقر والطرد من الوظيفة، فلا تسأل إذن كيف يطوّع (حصيلته العلمية في الشرع) للمشروع العلماني!

420. التحيز الخفي

من أهم ما يجب على طالب العلم الجاد الحذر منه (التحيز الخفي)! والمقصود بالتحيز الخفي أن طالب العلم يبرمج عقله على "الانتقاء" في التعاطي مع كل شيء يخدم معركته وصراعه الإيديولوجي ضد خصوم مذهبه الذي نشأ عليه وتشرب مقالاته! يمكن التمثيل لهذا التحيز الخفي بالتالي: **(أولاً)** يُضخم كلام شيوخه، ويوهّن من كلام المخالفين، بغض النظر عن القيمة البرهانية لكلام هؤلاء وأولئك. **(ثانياً)** يحرص على استعراض كلام العلماء الذي يوجد فيه تأييد لكلام شيوخه، ويهمل كلامهم المنتقد لكلام شيوخه. **(ثالثاً)** يعتني على إبراز أعلام مذهبه أو الشيخ الأكبر للمذهب في صورة العبقري الفذ، فيربط به جملاً معينة كأنه مبدعها رغم أنها متداولة عند غيره. **(رابعاً)** ينتقي من أحداث التاريخ ما يخدم الصراع، فينتقي من تلك الأحداث ما يطعن حسب تصوره في المخالفين، أو ما يبجّل حسب تصوره شيوخ مذهبه. **(خامساً)** ربما يقرأ للمخالفين، لكن لا من منطلق مبدأ الذي أكرره دائماً "ليس بين العاقل والحق عداوة"، بل من منطلق تصيد ما يراه زلات وأخطاء تخدم صراعه الإيديولوجي. فهذه الخمسة من أبرز مظاهر التحيز الخفي. وهنا نفهم بأن التحيز الخفي يتشكّل في إطار أهواء النفس، وليس في إطار الإخلاص لله في البحث عن الحق! ولهذا جدير بطالب العلم العاقل أن يدرّب نفسه على التحرر من قبضة إيديولوجية صراع المذاهب، ويكون قائده ورائده شيء واحد فقط وهو: ماذا يريد الله ورسوله مني فهمه من نصوص القرآن والسنة، و: كيف فهم جيل الصحابة والتابعون والأئمة الأولون هذه النصوص، وإنما يجب أن يكون هذا هو القائد والرائد لأنه لا يوجد بين العاقل والحق عداوة. نعم، فالأمر ليس سهلاً كما يتصور كثيرون، لأنه متعلق بأهواء النفس الخفية، ولهذا بدون مجاهدة مستمرة على التحرر من هذه الأهواء التحيز الخفي، سيكون طالب العلم مجرد نسخة جديدة تضاف إلى نسخ ذوي عقليات الصراع المذهبي!

421. الجمعيات النسوية

الجمعيات النسائية في العالم العربية وظيفتها هي الدفاع عن (العاهرات، الساقطات، التافهات)! ولا يمكن أن تفهم غير ذلك، وأنت تراها تنادي بالإجهاض، وبالزنا تحت مسمى العلاقة الرضائية، وبالتبرج الصارخ تحت مسمى جسدي ملك لي، مع رفض الزواج لمن هن دون 18 عاما، وأيضاً المناداة برفض التعدد! أي إنهن عملياً لا ينادين بحقوق العفيفات الصالحات، بل هن عدوات للعفيفات الصالحات القانتات. وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لعن المتبرجات، والمتشبهات بالرجال، فما بالك بهؤلاء النسويات وهن لم يتركن شيئاً من ألوان الفجور والفسق والعهر والفساد إلا ويطالبن به! بل إن عضوات هذه الجمعيات النسائية ملعونات بنص القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾. ولهذا لا تدخل النسوية مجتمعاً إلا أعملت فيه معاول الهدم للأسرة وخراب البيوت ودمار العلاقات الزوجية، وتشجيع المراهقات والبنات على الفساد والانحراف، رأينا ذلك في المجتمعات الغربية، ونراه في المجتمعات الإسلامية!

422. تحديات الأمة الإسلامية

التحدي العظيم الذي تواجهه الأمة يتمثل في: **(1)** المشركون في الخارج وهم القوى الدولية الكبرى. **(2)** المنافقون في الداخل وهم مذاهب واتجاهات كثيرة جدا. **(3)** الجهل بالإسلام المستشري بين عامة المسلمين وجمهورهم. **(4)** تشتت جهود العاملين في الإصلاح. وهذا الرباعية تحتاج لتجاوزها إلى نبي أو من يشبه النبي، لأنها بدون تأييد إلهي عظيم يكون في ميزان الرؤية البشرية ومجارى طبائع الأشياء معجزة، بدون هذا التأييد فالتغيير شبه مستحيل إن لم نقل أنه مستحيل. على أن هذا لا ينبغي أن يهولك، لأن واجبك القيام بواجبك، فانظر ما يجب عليك تجاه الإسلام والأمة الإسلامية وقم به واشتغل عليه حتى يأتيك اليقين أي الموت. وإذا لم تكن أحد جنود الصنف الأول والصنف الثاني والصنف الرابع فأنت بخير.

423. الخوف من المرأة القوية

كثيرات يلهجن بفكرة "الرجل يخاف من المرأة القوية"، وإذا بحثنا في مفهوم هذه المرأة القوية سنجد أنها التي تدرس حتى تحصل على أعلى الشهادات، ثم تتوظف، وتحصل على المال، ولديها صفات رجولية لكي تستطيع العيش في عالم الخارج والشغل! والحقيقة أن الرجل لا يخاف من المرأة القوية، لأنه أساساً لا

يريدها ولا يرغب فيها، ببساطة لأن هذه المرأة القوية (الشهادات والوظيفة والتلبس بصفات رجولية) لا يمكن بل يستحيل أن تقدم له شيئاً جديداً في حياته! وماذا ستقدم له هذه المرأة القوية: المال؟ لا، بل هذا هدف الرجل التافه الذي يفكر ويخطط لأكل الدنيا بزوجته وخروجها اليومي واحتكاكها اليومي بمجتمع الرجال! ستقدم له المتعة الزوجية؟ لا، لأنها أساساً تكون مستنزفة في مشاعرها وجسدها، فمن الصعب أن تلبي له احتياجاته في المتعة الزوجية، فحياته هنا أشبه بحياة العزاب! ستقدم له بيتا هادئا وجميلا وعيشا "الطعام" هنيا؟ لا، لأنها تكون مرهقة يوميا بسبب الشغل، فلا تكاد تستطيع عمل شيء ذي بال، فحياته هنا أشبه بحياة العزاب! بقي احتمال الأطفال؟ والجواب هو لا، لأنها بسبب حرصها على عملها لكيلا تفقده لا يمكن أن تقوم بما يجب تجاه أطفاله، فحتى هم سيكونون معها في معاناة! وشيء أخير وهو وعيها وفكرها؟ لا، لأنه حين يريد الوعي والفكر يذهب الى كتب العلماء والمفكرين والفلاسفة، أو يذهب إلى أقرانه من الرجال طلبة العلم للنقاش والحوار. فالواقع إذن أن فكرة (تخافون من المرأة القوية) ابتكرتها امرأة تافهة تعاني الفراغ العاطفي والنفسي والزوجي أو هي متزوجة لكن برجل تافه، فذهبت تصرخ وتثرثر بهذه الفكرة! ولهذا فنحن الرجال لا نرغب أصلاً في هذه المرأة القوية لأننا نريد أن نعيش مع امرأة أنثى لا مع امرأة شبه رجل!

424. النزول إلى ساحة التغيير

الشعوب المسلمة تغلي بسبب تراكمات مختلفة: **(1)** ظلم الأنظمة الحاكمة لهذه الشعوب. **(2)** تفقير الأنظمة الحاكمة لهذه الشعوب. **(3)** تنفيذ الأنظمة الحاكمة لأوامر الغرب في سلخ هذه الشعوب عن دينها. **(4)** تواطؤ الأنظمة الحاكمة مع الغرب لسحق لنفسية الشعوب. **(5)** منع هذه الأنظمة الحاكمة الشعوب من نصرة بعضهم حين اعتداء الغرب عليهم. لكن هذا الغليان سيظل مجرد غليان في النفوس إلى أن ينزل العلماء والمشايخ والمفكرون الإسلاميون والدعاة المشاهير إلى ساحة التغيير لقيادة هذه الشعوب قيادة عملية لكسر حاجز الخوف. أما أن يظل هؤلاء يطالبون الشعوب بالتغيير أو كسر حاجز الخوف وهم في بيوتهم ومرتاحون على كراسيهم، فهذا الموقف سمه كما تشاء إلا أن تسميه قيام هؤلاء العلماء وغيرهم بأداء واجبهم! لا يوجد في التاريخ ثورة ضد الظلم والطغيان والطاغوت قام بها الشعب دون أن يكون هناك قادة هم الذي أشعلوا فتيل الحركة في النفوس والعقول نحو كسر حاجز الخوف في سبيل التغيير.. ومن يعرف غير هذا فليتفضل مشكورا بإخبارنا به! لكن من المؤسف المؤلم أن جمهورا من هؤلاء المشايخ والعلماء والمشاهير والمفكرين يلزمون الصمت أو يكتفون ببعض الكلام، أما القيادة الحقيقية فغير موجودة! ذلك رسول الله صلى

الله عليه وسلم أحب الخلق إلى الله وإمام الأنبياء وسيد الإنس والجن (بل بعض العلماء قالوا بتفضيله صلى الله عليه وسلم على الملائكة) وهو الذي صعد إلى السماوات العلا وبلغ إلى أفق من القرب إلى الله سبحانه لم يبلغه بعض الملائكة أنفسهم، ومع ذلك كان هو نفسه يكون في مواطن كثيرة من الغزوات في مقدمة الصفوف يقاتل ويجاهد، ويتحمل التعب والعرق والدم. وإلى الله المشتكى

425. نتائج الحرب بين المسلم والكافر

نبه القرآن الكريم على أحد أهم الفروق بين المؤمن والكافر في نتائج الحرب بينهما بعد أن قرر وجود قدر مشترك بينهما: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء ١٠٤]. فهنا الآية تأمر المؤمنين بعدم الضعف والوهن في ابتغاء العدو لمضاعفة الإثخان فيه. ثم نفت للمؤمن عذر وجود الألم جراء المعركة لماذا؟ لأن الآخر هو أيضا يتألم مثلك يعني أن الآية تقرر هنا البُعد المادي للمعركة رغم إمكانية تفاوت التدمير والألم المادي "الجسدي، العمراني" بسبب تفاوت العتاد العسكري بين الفريقين. وهذا فيه رد على الجبناء الذين تضخمت في نفوسهم الحسابات المادية. ثم ذكرت الآية فارقا جوهريا بين معسكر الإيمان ومعسكر الطغيان وهو أن المقاتل المسلم يتجاوز نطاق الحس المادي في النظر إلى المعركة ونتائجها المادية إلى أفق الرجاء في الله "النصر، الرحمة، الأجر، الجنة"، وهذا غير موجود لدى العدو، وهو لذلك فرق مركزي في معايير تقويم المعركة ونتائجها. ثم ختمت الآية بذكر اسمين من أسماء الله الحسنى وهما العليم الحكيم، للدلالة على أن الله سبحانه مطلع على دخائل النفوس ومجرى المعركة وهو الحكيم في تدبير مسارات النصر والهزيمة، أي إن الآية تنبه المؤمن في خضم المعركة أو المؤمن المراقب عدم الغفلة عن الله تعالى لأنه سبحانه حاضر فيها بعلمه وحكمته ولا شيء يخرج عن قدره. والله أعلم

426. سبب انحراف الأبناء

انزل إلى الشارع، مُر على المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية، ماذا تجد بين التلاميذ والتلميذات؟ التلميذات متبرجات.. الضحك والمزاح بينهن وبين التلاميذ.. التلاميذ بلباس وتسريحات شعر تدل على التفاهة! من الذي أفسد ويفسد هؤلاء البنات والذكور؟ إنهم الأب والأم.. هما السبب الأول في خراب بناتهم وأبنائهم! ولطالما تساءلت كيف يقبل أب أو أم أن تلبس ابنتهم وهي ذات 12 عاما فأكثر لباسا جنسيا صارخا تخرج به وتذهب به المدرسة وتتسكع به في الشوارع! كيف يمكن هذا لولا أن هذا الأب وهذه الأم

قد جمعوا بين قلة الدين وقلة العقل وقلة الرجولة وقلة الأخلاق! ولولا أن لديهم ما أسميه ب (التفكير العهري) ولهذا لا حرج ولا مشكلة أن تخرج ابنتهم بلباس يفترض أن الزوجة فقط هي من تلبس ذلك لزوجها لتحقيق الإثارة والإغراء له! وكيف يقبل هذا الأب وهذه الأم أن يكون ابنهم تافها سخيفا في لباسه وتسريحة شعره، وسلوكياته ونشاطاته، لولا أن هذا الأب وهذه الأم يعانون من فقر مدقع في حس المسؤولية والجهل بالأمانة التي وضعها الله تعالى في ذمتهم وسيسألون عنها! إن مصيبة هذا الجيل ليست المدرسة ولا الإعلام، رغم الفساد العظيم الذي يمارسانه، ولكنها الأب والأم فهما السبب الأول والأكبر، وإنما المدرسة والإعلام يتلقون بنات وذكورا هم أصلا فيهم فساد وانحراف فيستغلون ذلك!

427. حب الدنيا وكراهية الموت

يمكنك أن تذهب في مذاهب تحليل وضع الأمة مما وصلت إليه من الذلة والهوان والوهن والتخلف والخوف والجبن، ما شئت وكيف شئت، لكن، إذا أصبت في تحليلك فإنك ستجده يرجع إلى التحليل الصحيح الصريح، الجامع المانع، من رسول الله صلى الله وعليه وهو يكشف عن علل هذه الحالة المزرية التي تردت إليها الأمة، فقال: «حبُّ الدنيا وكراهيةُ الموتِ». فهما كما ترى كلمتين فقط "حب الدنيا" و "كراهية الموت" لكنهما أحاطتا بأسباب المرض ومواد العلل، ومصادر ما تمر به الأمة، وهذان "حب الدنيا وكراهية الموت" مفتاح كل خطيئة، وباب كل شر وفتنة، سواء للأفراد أو للمجتمعات! ويكشف لك نبيك صلى الله عليه وسلم النتيجة الحتمية لـ "حب الدنيا وكراهية الموت" فقال في توصيف حال الأمة في قيمتها الاجتماعية والعالمية: «ولكنَّكم غثاءٌ كغثاءِ السيلِ»، فحالة الغثائية وهي التي قلنا عنها "كل خطيئة، شر وفتنة" نتيجة حتمية لحب الدنيا وكراهية الموت، كما أن حب الدنيا وكراهية سبب لحالة الغثاء، فبينهما علاقة تأثر وتأثير. وبسبب هذه العلاقة "الجدلية" بين "حالة الغثاء" وبين "حب الدنيا وكراهية الموت" يتشكل في نفوس الأمة كراهة "الجهاد" وهذه الكراهة الناتجة عن ثلاثية "الغثائية وحب الدنيا وكراهية الموت" ينتج عنها في السياق الوجودي والتاريخي للأمة "أفرادا ومجتمعات" تسلط الأعداء عليها، وهذا التسلط عقوبة إلهية مقصودة شرعا وقدرا، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «سلَّطَ اللهُ عليكمْ ذلًّا»، هذا الذل الوجودي والتاريخي والحضاري يتمثل في نهب العدو لثروات الأمة، اغتصاب نسائها، قتل أطفالها، تخريب عمرانها، وأكبر من ذلك كله، سلخها عن التحاكم إلى شريعة دينها وإجبارها على التحاكم إلى شريعة الطاغوت العلماني الوضعي! إذن ما هو الحل لتحقيق الأمة "الخروج" من حالة الذل والضياع والغثائية إلى حال العزة والوحدة والمسؤولية؟ يجيبك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «حتى ترجعُوا إلى دينِكمْ»، فهذا الرجوع هو وحده مفتاح كلمة السر،

ونستحضر تلك الكلمة التي أرسلها القدر على لسان الإمام مالك بن أنس رحمه الله: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»، وهذا البيان من النبي صلى الله عليه وسلم ومن مالك بن أنس منسجم مع سنن الله تعالى في حياة البشرية، فاستمرار أي أمة أو جماعة في الوجود لا يكون إلا بالأسس التي قامت بها وتأسست عليها.

428. في سبيل الغرب

كم من شخص أنكر جملة من الأحكام الشرعية أو تحرج منها لأنها تخالف القيم الغربية! أو ارتد عن الإسلام إعجاباً بالقيم الغربية والحضارة المادية الغربية! أو شعر بالتوتر والحرج من التاريخ الإسلامي لأنه لا يتوافق مع القيم الغربية! أو جعل بطريقة لاشعورية القيم الغربية مرجعيته العليا، فالصواب والخطأ مرتبط بها! أو أنكر الجهاد الطلبي الهجومي لأن القيم الغربية تعتبر ذلك عنفا وإرهابا! أو أفنى عمره في محاربة الشريعة والتمكين للقيم الغربية وتنفيذ التوصيات الغربية! أو نظر إلى التراث الاسلامي نظرة باردة أو احتقارية لأنه ليس كتراث القيم الغربية! أو شعر بالحرج من بعض جوانب العقيدة الإسلامية لأنها لا تناسب مزاج القيم الغربية! وكم من جدالات دارت رحاها بين مفكرين ومثقفين بسبب تعظيم القيم الغربية! وكم من حكومة رفضت الحكم بالشريعة إرضاء للقيم الغربية! ثم ها نحن أولاء نشهد في كل مرة (احتلال العراق، وأفغانستان، وسوريا، وفلسطين) كيف ينزع الغرب قيمه كما ينزع أحدناً لباسه، فمن المؤسسة العسكرية إلى المؤسسة السياسية إلى المؤسسة الإعلامية إلى كثير من مراكز البحوث والدراسات "العالمية = الغربية" كلها تتنكر للقيم الغربية في كل مرة لا تخدم مصالحها! فأخزى الله من كفر أو كاد من بني جلدتنا في سبيل القيم الغربية!

429. عقيدة الولاء والبراء الغربية

كل الأديان، وكل الفلسفات، وكل الايديولوجيات، وكل المذاهب، وكل الدول، كل هؤلاء في كل زمان ومكان، قديما وحديثا، يمارسون نظريا وعمليا الولاء والبراء! لكن، هناك فئتان فقط لا تؤمن بهذه الحقيقة: (**الأولى**)، أصحاب الدروشة العقلية والنفسية! و(**الثانية**)، أصحاب الاستلاب للغرب عقليا ونفسيا! انظر مثلا للغرب، فمنذ قرنين على الأقل وهو يعزف أغنية حقوق الإنسان، وصارت فكرة حقوق الإنسان "هراوة" تستعلمها أمريكا وأوروبا تجاه بلدان العالم وشعوب البشرية غير الغرب! لكن، مع كل فلسطين مثلاً نجد الغرب كله يتنادى فيما بينه، بمؤسساته العسكرية، ومؤسساته السياسية، ومؤسساته الإعلامية، ومؤسساته البحثية والأكاديمية، يتنادون بينهم للتحيز ضد المسلمين هناك لصالح دولة الاحتلال اليهودي بعد أن أكلوا

صنم حقوق الإنسان، وقد تجدهم بالأمس فقط كانوا يطالبون العالم بإدانة الدولة الفلانية لأنها لم تحترم حقوق الإنسان كما يريد الغرب! ماذا يعني هذا؟! يعني أن الغرب يمارس عمليا –بمساعدات مالية وعسكرية وإعلامية هائلة جدا لدولة الكيان– مارس الولاء والبراء لما بينه وبين الكيان من المصالح المشتركة استراتيجيا ودينيا! وهذا طبيعي جداً، لأنه لابد لكل إيديولوجيا ولكل دولة من عقيدة الولاء والبراء لتظل متماسكة وقادرة على تحقيق أهدافها ومصالحها. فقط أصحاب العقول الحولاء من بني جلدتنا تراهم يثرثرون دائماً بتمجيد الفلسفة الغربية ويتغنون بقيم الغرب الإنسانية، ويرفضون الاستيقاظ من هذه الأحلام الواهمة!

430. المنافقون نسخة واحدة

بعد غزوة أحد التي تكبد فيها جيش الصحابة خسائر كبيرة، انطلق المنافقون يقولون: لماذا ورط النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنفسهم في حرب غير متكافئة، ها هي نتائج المعركة صدقت ما قلناه لهم! هذا المعنى خلّده الله تعالى في كتابه إلى يوم القيامة كما تراه في الآية التالية: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[آل عمران:168]، لكي يعلم المسلم أن المنافقين نسخة واحدة في كل زمان ومكان، لهم نفس التفكير، ونفس الرؤية، ونفس الشخصية، ونفس مستوى الإيمان والوعي! فهل ترى اختلافا بين المنافقين والمخذلين اليوم مع كل معركة يشنها الأعداء ضد الأمة هنا وهناك. لكن جواب القرآن عجيب! إنه لم يدخل معهم في سجال حول موقفهم بل تجاوز ذلك إلى حقيقة حتمية لا يمكنهم الجدال حولها وهي: لابد لكم من الموت، والله وحده الذي يقدر الموت، فاحتاطوا لأنفسكم كيف شئتم فلن ينفعكم ذلك أبدا، وبهذا ستموتون وأنتم أذلة بعد أن ظننتم أن عدم الالتحاق بالجيش ضد العدو سيحميكم من الموت!

431. الوظيفة فدام العلماء

أخي العزيز طالب العلم الشرعي أو المعرفة عموماً، غداً عندما تكون أكاديمياً، فيقال لك (الشيخ الدكتور) أو (المفكر الدكتور)، غداً ستكون مثل هؤلاء المشايخ والمفكرين الذين تعيب عليهم صمتهم عندما تحتاج الأمة منهم الكلام، والذين تعيب عليهم السكون عندما تنتظر منهم الأمة الحركة! لماذا؟! كلمة السر هنا أو جزؤها الأساسي هو (الوظيفة الحكومية)! والحكومات اخترعت الوظائف لهؤلاء لكي تلزمهم الصمت والسكون، لأنها تعلم أن مع الوظيفة هناك المرتب الجيد، ومع المرتب الجيد هناك المعيشة الجيدة، ومع التعود على المعيشة الجيدة يكون الخوف من التحول عنها وفقدانها، فمن عاش دهراً في حلية الدنيا أنّى له التحرر

من قبضتها! فإن شئت فاحرص على أن تكون مثل عامة من مضى من الأسلاف في العلم والفكر، فلقد كانوا أشد حرصاً على (الاستقلال المالي) واجتناب (أبواب السلطان) لما يعلمون في ذلك من الحرية النفسية فلا يستطيع السلطان أن يتعامل معهم بأسلوب (العصا والجزرة) أي إما الصمت والسكون أو الفصل من الوظيفة! عب على المشايخ والعلماء والمفكرين كما تشاء لكن احذر أن تكون مثلهم يوم يقال لك (الشيخ الدكتور فلان)، وتذكر أن الوظيفة "فدام =كمامة" العلماء والمفكرين!

432. سر قوة العدو ضد الأمة

لعدو هذه الأمة قوتان ضدها، بهما يتسلط عليها، والثانية أشد وأنكى من الأولى. أما **الأولى**؛ فهي منه، وذلك هو العتاد العسكري الضخم، والخطط الاستراتيجية الطويلة. وأما **الثانية**؛ فهي من الأمة نفسها، وذلك هو انبهار أبنائها بحضارة العدو، وانفصالهم عن هويتهم الدينية، بما فيها من عقيدة وقيم، وما فيها من أخلاق وآداب، وما فيها من أحكام وتشريعات. وإنما كانت الثانية أشد من الأولى، لأن الأولى تضرب ظاهر الأمة، وهذا أمر تأثيره ضعيف ويضعف مع الزمان، إذ قصارى أمره تخريب العمران وهدم البنيان. وأما الثانية فهي تضرب باطن الأمة، وهذا تأثيره قوي ويقوى مع مرور الوقت، إذ يعمل على مسخ الهوية، وتشويه القيم، وطمر العقيدة، والانفصال عن الله، فيكون أفراد الأمة أشبه بعراة عزّل في ساحة المعركة. من أجل ذلك؛ فأنت حين تتهاون في الالتزام بعقيدة الدين وقيمه وآدابه في التفكير والسلوك والمعاملة، فتكون جاهلا، غافلا، لامباليا، ولا تعرف من دينك إلا الاسم، أو حين لا تنشئ أبناءك على العقيدة والأخلاق والآداب والوعي بتاريخ أمتهم وحاضرهم، حين لا تفعل هذا وذاك فأنت عمليا تجعل من نفسك ومن أبنائك جنديا مخلصا في جيش العدو في جانب القوة الباطنة، وإن كنت في الظاهر أنت وأبناؤك من أفراد الأمة! ثم هنا كلمة واحدة: إذا لم تفهم أنك وإن كنت بائعا على الرصيف فأنت جندي من جنود الإسلام وتقف على ثغرة من ثغور الأمة، فيجب أن تحرص ألا يؤتى الإسلام من جهتك، إذا لم تفهم هذا فإنك ستلد للأمة أبناء مثلك، وهم سيلدون نسخا جديدة مثلك، فتكون قد خدمت الأعداء جليل الخدمة!

433. استمرارية العداوة لهذه الأمة

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾ [البقرة ٢١٧]. الآية كما ترى، واضحة وصريحة في تقرير حقيقة تاريخية، وهي أعداء هذا الدين وأعداء هذه الأمة لن يتوقفوا عن محاربته، ولن يتوقفوا عن استضعافها، والأمر لن يقتصر عن مرحلة زمنية دون أخرى، بل الأمر

مستمر من وقت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة، ولهذا استعمل صيغة المضارع في (ولا يزالون) الدالة على التجدد والاستمرار أبدا في المستقبل. إذن، فالذي يروج للسلام والتعايش والتسامح مع العدو فهو إما لا يؤمن بقول الله تعالى أو جاهل بقول الله وغافل عن حقيقة العدو وطبيعة المعركة. ولقد أثبت التاريخ قديما وحديثا حقيقة أن العدو لا يمكن أن يقنع ويتوقف عند حد معين تجاه هذا الدين وهذه الأمة، بل هو دائما حريص شديد الحرص على التحطيم والتدمير، ودائما يسعى بكل ما أمكن للإذلال والإهانة، تارة بالحرب العسكرية المباشرة وتارات بفنون من الحروب الأخرى، الثقافية والاقتصادية والاجتماعية. وخذ آخر برهان قدمه العدو على صدق الآية وصدق التاريخ، وهو حدث غزة، انظر كيف أكل الغرب كل شعاراته التي مزال يخدع بها العقول الساذجة، من قبيل حقوق الإنسان وحقوق المرأة وحقوق الطفل والقيم الكونية والتسامح والتعايش... إلخ، فجاء بعتاده وعدده وأمواله وإعلامه ومؤسساته يدعم علانية دولة الكيان لسحق غزة وتحطيمها! ولا داعي للتذكير بسوريا والعراق وأفغانستان، ولا داعي للتذكير بالاحتلال الذي مارسه خلال القرن ونصف القرن الماضي تجاه عامة البلدان الإسلامية فدمرها وخربها ونهبها وقتلها واغتصبها. ولكن مع كل هذا، لا يزال الأغبياء مخدوعين بتلك الشعارات، ولا يزال المنافقين يروجون لتلك الشعارات، وفي المثقفين والمفكرين والأكاديميين والإعلاميين والباحثين كثير من الأغبياء وكثير من المنافقين.

434. الموقف الغربي الثابت من الأمة

عندما تتابع ولو قليلا من مقاطع البرامج الغربية التي المسلمين ماذا تكتشف؟! تكتشف أن القوم لديهم موقف مسبق من الإسلام والمسلمين! من الناحية النفسية؛ حين يكون الإنسان موقف سلبي مسبق من أحد أو شيء أو فكرة فإنه تلقائيا يبحث عن أي شيء يزيد هذا الشخص او الشيء أو الفكرة تشوها وقبحا، ويزيد المتلقين نفورا منه وتوجسا! فإذا أضفنا الرواسب التاريخية والدينية والاستراتيجية عند الغرب من الإسلام والمسلمين فإنه الصورة تبدو واضحة بارزة المعالم! ماذا يعني هذا؟ إنه يعني أن "حدوثة" الإسلامفوبيا موقف إيديولوجي مترسخ في اللاشعور الغربي، أي إنهم هم أنفسهم بتصوراتهم ومواقفهم النفسية ورواسبهم المتكلسة سبب الإسلامفوبيا، وليس تصرفات المسلمين هنا وهناك! وهذا يجعلك تفهم أن حرص كثير من "النخبة" عندنا على تقديم إسلام كيوت يناسب المزاج الغربي لتفادي سعار الإسلامفوبيا، ولكي يقبل الغرب الإسلام والمسلمين، هذا الحرص ساذج ومثير للشفقة من هؤلاء الذين يحملون شهادات أكاديمية!

435. الحذر خلال الأحداث الكبرى

أمران لا أحبهما عندما تقع واقعة كبيرة في الأمة بهجوم عدوها عليها، وهما: **(الأول)** مسارعة البعض لتنزيل بعض الأحاديث من أحاديث الملاحم الكبرى التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوعها في آخر الزمان على ما يجري. وذلك أن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ثبت عنه فهو خبر صدق لابد أن يقع، لكن متى يقع؟ الله وحده يعلم ذلك، أما نحن البشر فنعلم بل نجزم بزمان وقوعه إذا وقع، أما قبل ذلك فلا يمكن الجزم بشيء، خصوصا حين نستحضر أن مثل هذه الأحاديث وثيقة الصلة بمجموعة من الاعتبارات والشروط في عصر وقوعها. خذ مثلا خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا بعودة الخلافة الراشدة، فإذا سألنا هل سيتحقق ذلك؟ الجواب هو نعم، ومن نفى ذلك فعليه مراجعة إيمانه، لكن لو سألنا متى يتحقق ذلك؟ فهنا نقول الله أعلم، إلا عندما تعود الخلافة فنكون قد شهدنا واقعا تحقق خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن هذا الحدث له ارتباطات متشعبة بجملة من الاعتبارات التي لا يحيط بها إلا الله سبحانه. **(الثاني)** مسارعة البعض في نشر رؤى منامية، إما فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره، فيفهم الرائي أنها بشارة نصر قريب، فيقوم بإذاعة ذلك بين الناس. وذلك أن الرؤى المنامية لا يمكن تنزيلها على حدث قائم إلا إذا كانت واضحة وصريحة ومباشرة، فإذا كان فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت أنه هو حقا، يخبر مباشرة أن هذه البشارة متعلقة بهذا الحدث القائم. وإلا فكما قلت لا يمكن التنزيل، لأنها وإن كانت حقا، فإن زمان تحققها لا يمكن معرفته، فكم من رؤى مبشرة تتحقق بعد زمان طويل، وإنما جاءت قبل ذلك لبعض أهل الإيمان من باب التثبيت وفسحة الأمل. لقد رأينا بعض الذين ينشرون أنفسهم للدعوة خلال كأس قطر ينشر مباشرة أنه رأى رؤيا مبشرة بفوز منتخب عربي بالكأس (تخيل!!) ثم ماذا كان؟! لا شيء. نحن على يقين ثابت بأن المستقبل للإسلام والمسلمين، وأن الخلافة الراشدة ستعود، وأن هذه الجاهلية المعاصرة ستتلاشى، لكن متى ذلك؟ وكيف ذلك؟ هذا شيء لم يفصح عنه القرآن ولا السنة، وفي ذلك حِكم وعلل ومقاصد، ربما أضع لبعض حسبما تيسر منشورا خاصا. والله يثبتنا ويوفقنا ويرحمنا ويسترنا.

436. نفي التشدد والعنف عن الغربي

لماذا تقول "أنت داعشي التفكير والفعل" للدلالة على التشدد والعنف والقسوة، ولا تقول "أنت صهيوني وغربي التفكير والفعل" للدلالة على التشدد والعنف والقسوة! إذا وضعت عدد قتلى وعنف داعش جنب قتلى وعنف وبطش اليهود والغرب بقيادة أمريكا في العراق وأفغانستان وسوريا وفلسطين، ستجد أن داعش لم تفعل شيئاً يذكر مقارنة مع الغرب واليهود؟! إذن؛ أنت لا تقول ذلك ولا يخطر ببالك أصلا أن تقول ذلك لأن آلة الإعلام الغربية والعربية جعلتك تعتقد أن العنف والقتل والاغتصاب والتدمير والقسوة من

السمات الذاتية لداعش، عكس الغرب واليهود! ألا ترى حتى المشتغلين بالفلسفة والفكر الغربي أي المنهزمين عقليا ونفسيا أمام الفلسفة الغربية كيف أنهم يحرصون على الفصل بين شعارات الغرب الجميلة اللذيذة الحضارية وبين تصرفات الغرب تجاه الأمة من البطش والقسوة والعنف، رغم أن شعارات ومقالات الفلسفة الغربية يستحيل أن تنتج في الواقع غير ما يمارسه الغرب!! وهذا يحدث لك بعد نهاية كل حدث كبير يقع على الأمة في هذا العصر، أي ستنسى سريعاً بفعل الإعلام الغربي والعربي تصرفات اليهود والغرب المتوحشة لتعود إلى نفس المربع الأول أي النظر إلى شعارات الغرب وحضارة الغرب نظرة رقيقة وحالمة ورومانسية لأنها حضارة إنسانية تدعو لحقوق الإنسان وحقوق المرأة والتسامح والتعايش السلمي!

437. فشل الأمة في تحقيق التحرر

ما الذي يمنع الأمة منذ قرن من الزمان على الأقل إلى يومنا هذا من الثورة العارمة ضد الاحتلال الخارجي، والاحتلال الداخلي (العلمانية)؟! الجواب هو أن هناك مانعين: **(المانع الأول)**: الجهل بالإسلام، فشو المعاصي، وانتشار الكبائر والفساد، وهذا أنتج في عامة الأمة حب الدنيا وكراهية الموت. **(المانع الثاني)**: عدم وجود قيادة علمائية تتقدم الصفوف الأمامية بشكل عملي، وهذا أنتج في عامة الأمة عدم وجود الحافز. والمانع الثاني أشد، لأن وجود قيادة حقيقية باعت نفسها لله، وتعيش لهذا الدين، ولديها وعي عميق بطبيعة المعركة، ينفخ في الأمة روح التجديد، والتوبة، والعودة إلى الله، فالجمهور لا يتحرك من تلقاء نفسه، وإذا تحرك فحركته تكون غير منضبطة ولا مستمرة، ولهذا يحتاج للقيادة تأخذ بيدها للثبات على الطريق. انظر مثلا، عندما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن أن الأمة –مع البشرية قاطبة– في آخر الزمان ستشهد علو سلطان الظلم والجور والفساد، فيبعث الله تعالى العبد الصالح "المهدي" لماذا؟! لأنه يكون للأمة بمثابة "المغناطيس" الذي يجذب النفوس نحو التغيير، إذ من المؤكد أنه ليس كل من ينضم إلى جيشه سيكون في القمة العليا من الإيمان والصلاح، بل كثير من أصحابه يكون أول شأنهم عوام زمانهم لكن قلوبهم فيها قابلية للتغير نحو الصلاح، وبهم سيتحقق النصر. والله يهيئ لهذه الأمة من أمرها رشدا عاجلا غير آجل.

438. أدوار تكرر في تاريخنا

في القرون الأخيرة من تاريخ الأمة، أو لنقل منذ الحروب الصليبية، ما زال يوجد هناك أمراء وحكام آثروا دنياهم على آخرتهم، فمنهم من تنصر ليحافظ على ملكه، ومنهم والى الصليبيين ليحافظ على عرشه، ومنهم من قدم المساعدة ضد أمراء آخرين، ومنهم من رفض التعاون مع غيره ضد الصليبيين. وأيضا ما زال

يوجد هناك بعض العلماء والمشايخ والمفكرين والأدباء من سلك هذا السبيل، أي إيثار الدنيا على الآخرة، تارة بالخدمة للحكام والأمراء الطغاة الجبابرة، وتارة بالصمت. كل هذا كان لأجل الملك، والحكم، والدنيا! لكن، أين هؤلاء الأمراء والحكام والقادة، وأين هؤلاء العلماء والمفكرون والأدباء، هل خُلّدوا في الدنيا؟! هل دام ملكهم قرونا؟! لقد ماتوا، وذهبوا، وبقيت أشخاصهم في التاريخ ملعونة، وأسماؤهم في المدونات مذمومة! ولئن كنا نقرأ ذلك قراءة تاريخية، فها نحن أولاء اليوم نشهد واقعا مثل هذه النماذج تتكرر أمام أعيننا.. فصول تتكرر بنفس المبررات، ونفس المضامين، رغم تباعد الزمان واختلاف الملابسات! وهكذا سيأتي أحفادنا يقرؤون عن واقعنا ما قرأناه نحن عن واقع أسلافنا، فكما نلعن نحن أولئك الأمراء والحكام والملوك والقادة العسكريين والعلماء والمفكرين والأدباء الذين خانوا الأمة وباعوها بثمن بخس، فكذلك سيأتي بعدنا من يفعل الشيء نفسه مع كثير من حكام هذا الزمان ومشايخه وأدبائه ومفكريه وعسكرييه!

439. إرادة الإنسان

البيئة تؤثر في الإنسان من حيث السمات والقناعات والمواقف. والإسلام يعترف بهذه الحقيقة غير أنّه يؤكد على أنّ الإنسان ليس قشة تتلاعب بها أرياح البيئة كيف تشاء، بل له القدرة الكافية للتمرد على البيئة والتحرر منها وتجاوزها. ذلك لأنّ وهج الفطرة مهما خبا في الإنسان بفعل البيئة وغيرها، إلا أنه لا ينطفئ تماماً. إنها حكمة الخالق سبحانه ليُقيم الحجة على الإنسان. لقد نصب الله ﷻ دلائل الإيمان والتوحيد في عقل الإنسان، وجعل له في الحياة والكون أمارات تثير عقله وفطرته، وتحفزه على البحث عن الحق وتيسر له إدراكه كما هو كامن في فطرته. هناك ملايين من البشر وُلدوا في بيئات كافرة وثنية، وعاشوا كذلك سنين طويلة، ومع ذلك اهتدوا للحق والتوحيد. ولهذا لا حجة في الميلاد في بيئة كافرة مادية وثنية، اللهم إلا مَن أعرض وعمي ورفض البحث عن الحق المفصّل، جرّاء التعصب واتّباع الأهواء!

440. ورطة العلمانيين العرب

العلمانيون العرب "المنافقون الجدد" بعد عملية طوفان الأقصى التي قامت بها حركة المقاومة حماس في غزة عام 1445 هجرية، 2023 ميلادية، وجدوا أنفسهم في ورطة كبيرة.. فها هو الغرب الذي ما فتئ العلمانيون العرب يرسمون له ولشعاراته وقيمه في نفوس الشباب المسلم صورة وردية جميلة وساحرة، وما فتئوا يؤكدون لهؤلاء الشباب أنه يستحيل أن تخرج المجتمعات العربية مما هي فيه إلا باتباع الغرب وتبني قيمه ومبادئه، وما فتئوا يؤكدون على أن الغرب نهاية التاريخ، والمرجعية المطلقة، ونقطة المركز الذي يجب أن ندور في فلكه

وإلا تجاوزنا التاريخ، فجأة، وجد العلمانيون العرب الغرب يأتي بعدده وعتاده، ويستنفر مؤسساته الإعلامية والسياسية وكل شيء في سبيل سحق سكان غزة بلا رحمة ولا إنسانية، وفجأة وجد العلمانيون العرب أن الغرب أكل أصنامه أي قيمه ومبادئه وشعاراته التي ما زال يروج بأنها سر حضارته وأساس قوته وتقدمه وتطوره، ماذا يعني هذا بالنسبة للعلمانيين العرب أو قل ما هو سر تخوفهم الآن؟ الجواب هو أنهم يخافون من أن يكتشف جمهور الشباب والبنات المسلم خديعة (مثالية القيم الغربية) وأن تكون هي المرجعية المعيارية العليا، وبهذا سيتحررون من خدعة العلمانية العربية، وبعد التحرر ليس هناك بديل سوى الإسلام والعودة إلى الإسلام الذي ما زال هؤلاء العلمانيون أي المنافقون خلال مائة عام يجتهدون في فصل الشباب المسلم عنه، وتوهين صورته وقيمه في نفوسهم.

441. الأمة لا تزال حية

شخصيا، أنا متفائل بجمهور الشعوب المسلمة، رغم كثرة الفساد وشيوع الانحرافات! انظر كيف تخرج جيوش من هذه الشعوب في مظاهرات دعم معنوي كلما نزلت نازلة مدلهمة ببعض المسلمين: في العراق، في أفغانستان، في سوريا، وفي فلسطين! هذه المظاهرات الحاشدة –رغم أنها ليست في المستوى المطلوب ولا هي كافية– ماذا تعني؟ وهي دلالتها؟ إنها تعني **أولا**، أن عامة الأمة أحياء، رغم ما قلنا من الفساد والانحراف والجهل بالإسلام عقيدة وقيما ومبادئ، علما أن أعداء هذا الدين وهذه الأمة ما زالوا ينفقون المليارات على سلخ المسلمين عن دينهم. وإنها تعني **ثانيا**، أن عامة الأمة لديها قابلية قوية للثورة والتغيير ومن ثم العودة إلى دينها، ولهذا كلما وجدت أصواتا تدعوها للخروج والتظاهر وتقدمها في الصفوف الأمامية فإنها لا تتردد في الاستجابة. إذن هذه الشعوب فيها خير كثير، هي فقط تنتظر القادة "علماء، مشايخ، مفكرون، أكاديميون" ينزلون معها إلى ساحة التغيير ويتقدمون الصفوف، ويضربون لها القدوة في دفع فاتورة هذا التغيير، فليت شعري متى يقرر هؤلاء القادة النزول، فلقد طال الانتظار! ولهذا يحق لي ولك أن تعجب من بعض الدعاة الإسلاميين والمشايخ والمفكرين الذين يتساءلون أين الأمة؟ ونحن نقول: الأمة موجودة وهي تنتظركم أنتم للتحرك العملي والتقدم إلى الصفوف الأمامية!

442. الإسلام دين السلام

(الإسلام دين السلام)، هذه الفكرة في الواقع هي ذات مسحة علمانية، لأنها أصلا تشكلت تحت ضغط علماني! أما الحقيقة، فهي أن الإسلام دين التسليم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم والخضوع

لشرعه واتباع سنته، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [البقرة ٢٠٨]، وعن هذه الحقيقة نتجت حقيقة أخرى جوهرية وهي أن الإسلام دين القوة والعدل والرحمة والحزم والسيف، فهو لا يتهاون مع من يسعى لنشر الكفر والفساد والانحرافات، ولا يقبل انصاف الحلول لأنه يعلو ولا يعلى عليه، ولهذا يسعى الإسلام ليوفر للمسلمين أجواء ممارسة دينهم وشريعتهم وعقيدتهم، ويضرب بقوة –من خلال منظومة أحكام العقوبات– كل من يحاول العبث بعقيدة المجتمع المسلم وأخلاقه وسلامته، كما أنه يسعى ليوفر للمشركين أجواء اختيار ممارسة دينهم أو الدخول في الإسلام دونما خوف من طاغوت ظالم أو كهنوت فاجر ولذلك شرع "جهاد الطلب" لنشر كلمة التوحيد والحق والعدل وتيسير ظروفها بين العالمين. هذه هي الحقيقة التي يجب استيعابها، بدل هذا الشعار الذي نشأ في عصر الضعف والهوان والهزيمة النفسية والفكرية!

443. ضرورة تكلم النخبة

العالم والمفكر والداعية والأكاديمي الذي يلزم الصمت عما يجري على الأمة من طرف أعدائها، هذا بلا شك خائن لله ولرسوله وللمؤمنين وللعلم وللتاريخ وللإنسانية. وإنما يجب على هذا الشخص الكلام الذي هو أضعف الإيمان، لأن الكلام له نتائج خطيرة جدا في ميزان الشرع وفي ميزان النفس وفي ميزان الواقع وفي ميزان التاريخ. عندما يتكلم هذا الشخص فهو يحقق النتائج التالية: **[1]** يقدم عذره إلى ربه رغم ضعف هذا العذر. **[2]** يثبت المسلمين المستضعفين المستهدفين مباشرة. **[3]** يثبت المسلمين المستضعفين المراقبين من بعيد. **[4]** يبقي شعلة الحقيقة متوهجة في نفوس الجيل الصاعد. **[5]** يؤكد للعدو أنه لن يغض الطرف عن جرائمه وإرهابه. **[6]** تنبيه الجيل الصاعد لخبث المنافقين والمخذلين ومكرهم. **[7]** إقامة الحجة شرعا وواقعا وتاريخا على المسؤولين. فهذه سبعة فوائد عظيمة جدا للكلام من طرف العالم والداعية والأكاديمي والمفكر، فليس يوجد تغيير ولا ثورة ولا نصر في تاريخ البشرية الطويل إلا وكان أول أمره كلام تخمرت في إطاره أفكار، وأفكار تشكلت في حدودها أفعال.

444. نفسية اليهود

﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران ١١٢]. هذه الآية تتعلق بيهود، وهي بيان عجيب: عجيب **أولاً** في صيغة المجهول في ضرب [ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ] لتترك الآية للمتلقي لها المجال للتفكر في المصدر الذي ضرب عليهم الذلة، وفي هذا تهويل وترهيب شديد، لأن السكوت عن

هذا المصدر يصور القارئ للآية والمستمع لها كأن الوجود كله بمخلوقاته وأشيائه قد ضرب عليهم الذلة والهوان. وعجيب **ثانياً**، أن يهود لا تقوم لهم قائمة في الوجود إلا بتأييد الله لهم بشرط الإيمان والتوحيد واتباع النبوة، وهذا الحبل مقطوع منذ ما قبل نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بعد أن تجبروا وفسدوا وأفسدوا. ثم هناك مصدر آخر لتقوم ليهود قائمة وهو القوى الكبرى في عصرهم كما هو شأن أمريكا وأوروبا في زماننا، وهذا هذا التعبير (حبل) دقيق التنبيه، فالحبل مهما كانت متانته لابد أن يتمزق يوما، ولهذا فكما أن حبل الله مشروط بقيامهم بالدين الحق فلما أضاعوا وحرفوا قطع الله عنهم حبله، فكذلك حبل القوى الدولية الكبرى مشروط بقيامهم بالوظيفة الموكولة لهم من هذه القوى وبمدى خدمتهم لأجندات هذه الدول، فإذا سقطت هذه الدول أو ضعفت خدمة يهود لوظيفتهم الموكولة إليهم ف "حبل الناس" هنا مقطوع ولابد. من أجل ذلك، فإن هذه الآية الكريمة بشارة عظيمة للأمة الإسلامية بأن أجل يهود مهما طال فله نهاية وكل ما هو آت فكأنه وقع. وإذا استحضرنا وعد الله ورسوله لهذه الأمة بالخلافة الراشدة الثانية فصورة البشارة تبدو ساطعة. أما المؤشرات الأخرى على صحة هذا المعنى فهي كثيرة جدا: سياسية داخلية في الكيان، واقتصادية، واجتماعية وأخلاقية، أي إن "فيروسات" التفسخ والتفكك الداخلي تتوالد بوتيرة متسارعة. أما المؤشرات الخارجية أي حبل الدول الكبرى فكذلك، فالغرب اليوم يغرق في أوحال مشاكل لا حصر لها، صحيح أن أحد أسباب الدعم أيديولوجيا دينية لكن مهما قاوم الغرب مشاكله الداخلية فيوما ما لابد أن يعجز عن تدبير الداخل والخارج. وأيضا هناك سنن الله تعالى في حياة البشرية فهي سنن ثابتة ومطردة ومطلقة يستحيل اختراقها وتجاوزها، ودولة الكيان ليست متعالية على الخضوع لهذه السن ومن هنا لابد أن تدرك هذه السنن دولة الكيان كما أدركت كل الإمبراطوريات العظيمة عبر التاريخ الطويل.

445. نشر معاني الحزن والعجز

لا يعجبني أن يكثر الشيخ أو طالب العلم أو المفكر من نشر منشورات تحمل معنى الحزن والأسى وقلة الحيلة حول ما يجري في هذا البلد أو ذاك من البلاد الإسلامية المحتلة!! فهذا الأمر لا هو يفيد أهل هذه البلاد، ولا هو يفيد الشباب المسلم، بل يفيد شخصاً واحداً فقط هو العدو، لأن الإكثار من هذا يدخل معاني اليأس والإحباط والتشاؤم في نفوس الشباب المسلم، وبهذا سيكون هؤلاء المشايخ أو طلبة العلم والمفكرون يقدمون خدمة جليلة للعدو، أي الإسهام في الحرب النفسية على المسلمين المراقبين!! وإنما على الشيخ أو الداعية أو طالب العلم أو المفكر أن يركز أكثر على الأمل والتفاؤل، وأن يفهم الجيل الصاعد أسباب ما يجري؟ ولماذا؟ وقراءة ذلك في إطار سنن الله سبحانه في البشرية؟، وعلاقة ذلك بابتعاد الأمة عن

دينها؟ وأن انتشار المعاصي الفردية من أعظم أسباب هوان الأمة؟ وكيف أن العلمانية العربية شيدت صروحا هائلة من الخوف في نفوس الشباب؟ وأن النصر على المدى البعيد لهذه الأمة هو وعد من الله ورسوله؟ وما هي وسائل نصر أهل هذه البلاد المحتلة، وأن كل فرد يجب عليه ذلك بما يحسن "الصورة، الفيديو، لغات أجنبية، وغير ذلك؟ وكيف أن مثل هذه الأحداث تؤكد على حقيقة أن الإسلام دين ودولة وفصلهما كان من أكبر أسباب الهزيمة؟ وأن فرقة المداخلة بمختلف أصنافهم والمنافقين بشتى أشكالهم الذين يظهرون بمظهر الخطاب الشرعي والسلفي هم واقعا أعداء لهذه الأمة فهم يحبون لها الهوان والذلة والخنوع بدعوى اتباع السلف والسلف منهم براء براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام؟ وما يشبه هذه المعاني التي تغرس في النفوس النضج والوعي واليقظة والأمل وتجديد الصلة بالله. وهذا أسلوب القرآن الكريم في تربية الصحابة خلال عشرين عاما وهم يخوضون المعارك ويتعرضون لظلم قريش وحلفائها، فما زال القرآن يؤكد لهم بأنهم الاعلون والمنصورون والمستقبل لهم، وأن الوهن والضعف نتيجة أنفسهم فعليهم الحذر من ذلك. والله الموفق

446. قانون سقوط الأمم

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [الأعراف ٣٤]. هذا قانون إلهي في حياة الأمم والحضارات، ولا يمكن أن تفلت أمة أو حضارة منه، مهما اكتسبت من أنواع العلوم، وحصلت من فنون الإمكانيات. الأمم البشرية مثل الفرد البشري، يشملهما نفس السنة الإلهية رغم اختلاف المدى الزمني الذي تتحقق فيه عليهما هذه السنة المطلقة. عندما تغزو الأمراض جسد الفرد، ومع طول الزمن، ومع التقدم في السن، فهنا لا يمكنك التخمين متى يسقط؟ ولا كيف سيسقط؟ رغم وجود مؤشرات الوهن والضعف عليه. كذلك الأمم، عندما تنتشر فيها الأمراض الحضارية، ويطول الأمد عليها كذلك، هنا تكون قد وصلت إلى أعلى قمة العلو الأرضي لها، فلا يتبقى شيء وراء ذلك إلا السقوط والاضمحلال، وهذان لا يمكن التنبؤ بهما متى يكونان؟ وكيف يكونان؟ وها نحن أولاء اليوم نشهد وصول الحضارة الغربية بقيادة أمريكا قمة علوها في الأرض، وقد بلغت "فيروسات" الفساد فيها إلى أقصى ما يمكن، كما أن هذه الفيروسات لم تجتمع في أمة كما اجتمعت في هذه الأمة الغربية، وهذا إيذان بأن يوم السقوط والاضمحلال وشيك. ماذا يعني هذا؟ يعني أن أجل كيان الاحتلال اليهودي في فلسطين على مشارف النهاية، لأن هذا الكيان لا يمكن أن تقوم له قائمة إلا بحبل ممدود من أمة قوية، فإذا سقطت هذه الأمة أو ضعفت ضعفا بيّنا سقط هذا الكيان ولابد. وقد قلنا بخصوص الأمم بأنه لا يمكن التخمين عن وقت السقوط أو كيفيته، فكذلك هنا لا يمكن التنبؤ بمتى يسقط الكيان؟ ولا كيف سيسقط؟ ونحن في المرجعية الإسلامية نؤمن بهذه الحقائق "سقوط

الحضارة الغربية وسقوط دولة الكيان" إيمانا يقينيا، بدليل الوحي، ودليل التاريخ، ودليل الواقع، ولا نغتر أبدا بكلام المنافقين والمخذلين منا الذين يضعون الأمر في باب المستحيل، فلينتظروا إنا معهم منتظرون.

447. لابد من اتخاذ موقف

عندما تطالب بعض الناس باتخاذ موقف واضح تجاه القضايا المهمة على مستوى المجتمع ومستوى الأمة، يرد عليك بالقول: أنا شخص عامي عادي لا يؤبه لي ولا قولي وموقفي له أثر. والحقيقة أن هذا يعكس غفلة كبيرة عن حقيقة مهمة، وهي أن الإنسان كائن منتم، أي إن الانتماء طبيعة ذاتية فيه بغض النظر عن مستواه العلمي أو الحضاري أو الاجتماعي، فلابد إذن يتخذ موقفاً معيناً تجاه الأحداث والأشخاص، وحتى ما يسمى بالحياد هو في الحقيقة موقف وإعلان انتماء وولاء وبراء. ثم إن مواقف الإنسان المختلفة لابد أن تظهر في نشاطه وكلامه، وهذان يظهران للناس القريبين منه، وبهذا سيكون شاء أم أبى مسهما في تشكيل موقف اجتماعي تجاه القضية القائمة. أي إن المرء وإن كان عامياً مغمورا بسيطا فموقفه مؤثر تأثير ما، في المحيط القريب منه، من الأصدقاء والمعارف. وإذا كان صاحب أبناء، فأبناؤه لابد أن يتأثروا بموقفه ويتشربوا خياره تجاه القضية القائمة، وبهذا يكبرون وقد تراكم في نفوسهم مجموع مواقفه تجاه الأحداث، وهذا يؤثر عليهم على مستوى النفس والوعي. فتأمل هذه المعاني، ولا تحقر نفسك، فمهما كان وضعك يجب عليك أن تحرص على أن تكون مواقفك متوافقة مع الشرع، بحسب إمكانياتك ومهاراتك وقدراتك حتى وإن لم يشتهر عملك هذا بين جموع الناس.

448. الرؤية الكونية وحياة الإنسان

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ. أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص. 27-28]. هاتان الآيتان تقرران الحقائق التالية: **(الأولى)**: الوجود مخلوق بالحق وللحق، أي إن كل شيء من صغير وكبير في هذا العالم مخلوق لحكمة، فالله سبحانه لا يخلق شيئاً عبثا أو اعتباطا. وهذا يعني أن الرؤية الإسلامية للكون والحياة رؤية قيمة. **(الثانية)**: تقرر الآية أن الرؤية العبثية، الإعتباطية، التي تنفي القيمة والغاية عن العالم أي إن الوجود موجود باطلا، وهذا معنى مادية الرؤية الكونية، هي رؤية الذين كفروا. **(الثالثة)**: توعدت الآية أصحاب الرؤية المادية للعالم بالعذاب الأبدي في النار، لأن هذه الرؤية تشكل شخصية صاحبها، على مستوى الفكر ومستوى الفعل، فيكون بذلك منفصلا عن الله منكرا لشرعه. **(الرابعة)**: مبرر

التوعد بالنار تبينه الآية الثانية، فهناك مؤمنون صالحون، وهناك فاسدون فجار، وهذا الانقسام ناتج عن طبيعة الرؤية الوجودية التي يتبنونها، فصاحب الرؤية القيمية للعالم مؤمن بالله يعمل صالحا بما يتوافق مع الشرع. وصاحب الرؤية المادية العبثية للكون والحياة يعيش حياته منفصلا عن الله، متبعا هواه، لأن الحياة بالنسبة له مسرحية هزلية والموت نهاية الرحلة. فكما ترى، ففي آيتين فقط بكلمات معدودة، قدم القرآن الأساس لاختلاف الناس في واقع الحياة، بين مؤمنين صالحين وماديين فاسدين، وهو طبيعة الرؤية الكونية التي يؤمنون بها. فعندما تؤمن بقيمية العالم وغائيته فالطبيعي أن تعيش حياتك بفكرها وسلوكها ونشاطاتها في أفق "الإنسان الرباني"، أي الالتزام بمنهج الوحي وأحكام الشرع. وعندما تؤمن بعبثية العالم ونفي الغاية والمعنى عن الكون والحياة فالطبيعي أن تعيش حياتك بمختلف جوانبها في أفق "الإنسان الأهوائي"، أي اتباع الأهواء الجامحة والرغبات المنفلتة لأنك تعيش للجسد وفي حدود الأرض.

449. إساءة معاملة الأبناء

لا أزال أعجب لأب قد بلغ الستين مثلا، وهو متقاعد له مرتب شهري، أو تاجر له دخل شهري، وله أبناء ذكور.. هذا الابن يكون قد تجاوز 25 عاما مثلا، وهو في بداية وظيفته أو تاجر أو عامل له دخل شهري متوسط أو ربما دون المتوسط! الذي يحدث هنا هو أن هذا الأب بدل أن يعفي هذا الابن من مصاريف البيت ليستعد لخوض حياته الجديدة (الزواج) فيعف نفسه ويبني أسرته، بدل ذلك، ترى هذا الصنف من الآباء يشدد على هذا الابن أن ينفق في البيت، وإذا تلكأ في ذلك أسمعه من الكلام القاسي أو التلميحات العنيفة ما يجعل هذا الابن يتمنى اللحظة التي يستطيع فيها الانعتاق من هذا السجن (البيت)! أعرف بعض الشباب يعيشون هذه المأساة، ومنهم بعض الشباب الذين تواصلوا معي حول ذلك! بالله عليك؛ كيف يفكر هذا الأب!! لماذا يتسبب في المعاناة لابنه/أبنائه، بدل أن يكون عونا لهم في الحياة، أما هو فماذا عساه يرجو وقد بلغ الستين وأكثر وعنده تقاعده الشهري مثلا؟ ومع هذا، فأنا دائما أوجه الشباب للخروج من هذه الاجواء الخانقة، التي تسحق النفسية وتدمر الشخصية، فأنت إذا بلغت العشرين وأكثر فأنت رجل، يجب أن تفكر في الاستقلال بنفسك إذا كان البيت سجنا كئيبا... أما المصيبة العمياء والداهية السوداء، فهي الفتاة التي يجبرها مثل هذا الأب والأم على العمل لكي تسهم في نفقات البيت أي شهوات الأب والأم والتفاخر بين الناس! وجدير بالآباء أن يتقوا الله في الأبناء.

450. قصص سقوط الحضارات الطاغوتية

أورد القرآن مجموعة متنوعة من قصص الحضارات الطاغوتية، من حيث أنواع فسادها وظلمها، واستكبارها عن الله ورسله، وأيضا نهاياتها. ويمكن أن نستشف من هذا العرض القرآني غايتين، وهما: **(الأولى)**: تنبيه المسلمين على أسباب سقوط الأمم وعوامل تدهور المجتمعات لكي يتفادوا ما وقعت فيه الأمم والأقوام الخالية فلا يصيبهم ما أصابهم، لأن سنن الله سبحانه ثابتة لا تتغير، ومطردة لا تتخلف، وشاملة لكل الأمم في كل زمان ومكان. **(الثانية)**: قد علم الله تعالى أن أمم الكفر والجاهلية ستكون لها دولة على الأمة الإسلامية، خصوصا في آخر الزمان، فكان في عرض نهايات الحضارات القديمة وأمم الأنبياء السابقين حماية للشعور والوعي المسلم من الانبهار بقوة هذه الدول الغالبة، بتقرير أن كل الأمم الجاهلية في السابق رغم قوتها وإمكانياتها الحضارية والعسكرية والاقتصادية قد سقطت، وإذن لابد حتى هذه الأمم الغالبة على الأمة لها نهاية شبيهة بنهاية الأمم الجاهلية في القرون الخالية، لأن سنن الله في الأمم واحدة. والله الموفق

451. سنة الله في الطواغيت

﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ﴾ [الأعراف ١٣٧]. هذه الآية المباركة جاءت في سياق الإمتنان على بني إسرائيل بعد أن استضعفتهم الحكومة الفرعونية في مصر، فكانت تتفنن في إذلالهم واستعبادهم. وصورة الآية توحي بحضور الله سبحانه في الأحداث، فهو الذي (أورث) بفضله وقدرته، وهو الذي (دمر) كبرياء حكومة فرعون وغطرستها وجبروتها الذي كانت تستغله لإذلال أمة بني إسرائيل المستضعفة. ماذا يعني هذا؟ إنه يعني –ضمن ما يعني– أن القضية لم تكن بين الحكومة المصرية في ذلك الزمان، وبين جماعة بني إسرائيل، وإنما في الحقيقة كانت بين الله تبارك شأنه وبين هذه الحكومة الطاغوتية المستكبرة، أي إن المعركة ليست "سياسية" أو "اقتصادية"، بل هي بين "التوحيد والشرك، الإيمان والكفر، الإسلام والجاهلية" أي إنها معركة عقيدة. وماذا عسى أن تكون نتيجة الصراع إذن وطرفا المعركة هما (الله) و(الطاغوت)؟! النتيجة هي ما توحي به ظلال كلمة (أورثنا) ودلالات كلمة (دمرنا)، ثم تأتي كلمة (بما صبروا)، لتؤدي معنى مهما في هذا السياق، فالله سبحانه تفضل على بني إسرائيل المستضعفين بالإخراج من هذا البلاء الشديد بعد أن انقطعت بهم الحيل، وانتهت لديهم الأسباب، وليس هناك قريب ولا بعيد ليقدم النصرة والمساعدة – الله فعل ذلك لأن هؤلاء المستضعفين (صبروا) على الإيمان والصلاح رغم الألم والضغوط وقلة الحيلة. ماذا يعني إذن نهاية فرعون وغطرسة حكومته وقومه رغم ضعف جماعة بني إسرائيل؟ إنه يعني –ضمن ما يعني– أن الأمة الطاغوتية عندما تبلغ أقصى ما يمكن لها في علم الله تعالى من الفساد

والطغيان والظلم والانحراف فإنها لابد أن تسقط، ولابد أن تنال عقابها الدنيوي قبل عذاب الآخرة، سواء كانت هناك أمة التوحيد والعقيدة والصلاح قائمة جاهزة لتكون هي نفسها قدر الله الذي يؤدب به هذه الأمة المتجبرة، أم لم تكن هذه الأمة قائمة وجاهزة لذلك. وها قد دار الزمان دورته فجاء التاريخ بفصل شبيه بفصل بني إسرائيل مع فرعون وقومه، فها نحن نشهد كيف صارت الأمة الإسلامية مستضعفة في مشارق الأرض ومغاربها، تتفنن أمم الجاهلية في إذلالها وإهانتها، وها نحن نشهد كيف أن بني صهيون أنفسهم يمارسون مع الأمة الإسلامية المستضعفة نفس ما مارسه فرعون عليهم قبل آلاف السنين، مستغلين وقوف قوى الشر والاستكبار والجاهلية والكفر بقيادة أمريكا معهم تمدهم بحبل القوة والغطرسة! فماذا عسى أن تكون النتيجة في نهاية المطاف وقد تشابهت القصة هنا وهناك؟! أتظن أن الله سبحانه الذي امتن على بني إسرائيل في عهد فرعون فأخرجهم ونصرهم وأورثهم الأرض، أتظن أنه ينسى أمة محمد صلى الله عليه وسلم؟! هيهات، إن منزلة محمد صلى الله عليه وسلم عند ربه تأبى ذلك، كيف والله ورسوله قد وعده هذه الأمة بالعزة والمجد والنصر والتمكين بعد مرحلة الاستضعاف والهوان؟!

452. موقف الكفار من المسلمين

نصوص القرآن المتعلقة بقصص الأنبياء وأقوامهم، وعلاقة المؤمنين والكافرين، تكشف لنا بوضوح حقيقة لا يجب أن نغفل عنا أبدا وهي: أعداء الأنبياء والمؤمنين فيهم همجية مرعبة، وشهوة عارمة في السحق والتدمير والقسوة والتعذيب والإذلال، وكلما تمكنوا من ممارسة ذلك تجاه الأنبياء والمؤمنين فإنهم لا يترددون لحظة واحدة! فقوم إبراهيم عليه السلام قذفوه في النار! وقوم محمد عليه السلام حاصروه في الشعب ليموت جوعا هو ومن سانده! ومؤمنون مستضعفون حفر لهم الكفار أخاديد نيران ليقذفوهم فيها مستمتعين بذلك: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ. ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ. ذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٌ. وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج: 4-7]، والكفار لا يحفظون في المسلمين عهدا ولا شعارات ولا قرابة بل كلما تمكنوا سحقوا ودمروا: ﴿كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ﴾ [التوبة ٨]، قلوبهم مليئة بالحقد والعداوة على أهل الإيمان، وإنما يعطون الابتسامة والظرافة انتظارا للفرصة الممكنة: ﴿يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة ٨]. لديهم حرص شديد على إخراج أهل الإسلام من الايمان إلى الكفر ومن التوحيد إلى الشرك، وقد اعترف بذلك بعض المبشرين الصليبيين في العصر الحديث، قال تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ﴾ [النساء ٨٩]. والخلاصة: ما زالت الأحداث على الأقل في الثلاثة عقود الأخيرة (العراق، أفغانستان، سوريا، فلسطين) تؤكد هذه الحقائق القرآنية، ومع ذلك أبى المنافقون والمغفلون إلا التغافل

والتجاهل رغم كل المجازر، والتدمير، والسحق، والتعذيب، والنهب، الذي مارسه الغرب والشرق ضد الأمة الإسلامية، وتصويرهم في صورة أهل الحضارة الراقية، والإنسانية النبيلة!! وما أجدر المسلم في هذه الأيام أن يعود إلى القرآن ليدرس ما جاء فيه عن مواقف المشركين بمختلف مذاهبهم تجاه الأمة الإسلامية، ليعرف الحقيقة كما عرضها القرآن.

453. التخصص العلمي والمواقف الشخصية

التخصص الشرعي أو العلمي، أي إن فلانا مشهود له بالعلم الشرعي أو غيره من التخصصات الأخرى، لا يعني الإصابة في المواقف العامة أو التوجيهات الحياتية. لماذا؟ لأن التخصص تقني، بمعنى أنك تتعلم العلم الشرعي أو الطب أو الفيزياء أو غير ذلك، وفق مجموعة من القواعد والأصول الثابتة، وهي نفسها في كل زمان ومكان، تحفظها وتقررها في نفسك، كما نقول 1+1=2، وفي هذا المستوى لا توجد عوامل خارجية توجه في نفسك مبادئ هذا التخصص وقواعده وأصوله. لكن، عندما نصل إلى المواقف "السياسية، الاجتماعية.. إلخ" أو توجيهات ونصائح الحياة في مجالاتها العملية المختلفة، فهنا الأمر مختلف تماما عن الأمر الأول أي التخصص. لماذا؟ لأن هذه المواقف تتدخل في تشكيلها مجموعة من العوامل، فلو أخذنا المواقف السلبية تجاه قضايا الأمة، فسنجد أن هناك الأهواء الشخصية، وهناك قصور النظر، وهناك حب الدنيا وكراهية الموت، وهناك الخضوع لرغبات الحاكم والسياسيين، وهناك الخوف على الوظيفة، وهناك الجهل بطبيعة مجريات الواقع القائم، وغير هذا من العوامل التي تتشكل فيها هذه المواقف. فمسألة: يجب السكوت على مواقف العلماء، لأن لحوم العلماء مسمومة، وهم أعلم وأدرى، هذا القول لا يقوله إلا السذج الذين يعتقدون أن التخصص العلمي يعني بالضرورة إصابة المواقف السياسية والاجتماعية وغيرها حول قضايا المجتمع وقضايا الأمة! ولهذا جدير بطالب العلم أن يدرك هذا الفرق، وأن يحرص هو نفسه على الجمع بين تحصيل العلم الشرعي وبين تحصيل المعرفة الواقعية، وممارسة النقد الذاتي لأفكاره ومواقفه باستمرار، وإلا سيكون نسخة جديدة من هذه النسخ المشوهة المنتشرة بيننا، من علماء ومشايخ ودعاة ومفكرين وأكاديميين الذين إما أن يخذلوا الأمة بالصمت فلا يقومون بواجب البيان الحق، وإما أن يخذلوها بالكلام الدال أحيانا على سذاجة تفكير ونظر وفي أحيان كثيرة على خضوع لمزاج الطاغوت حبا للدنيا وخوف من فقدان الوظيفة.

454. عزاء وتسلية للمؤمنين المستضعفين

﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ. عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ. هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المطففين 34-36]. هذه الآية عزاء وتسلية للمؤمنين المستضعفين. لقد كان الكفار في الدنيا يضحكون ويسخرون ويستهزؤون من هؤلاء المؤمنين، من دينهم، وعقيدتهم، وشريعتهم، ونبيهم، وإذا تمكنوا من استضعافهم، ساموهم سوء العذاب، والتدمير لعمرانهم، والقتل لآبائهم وأطفالهم، والاغتصاب لنسائهم، والنهب والاستنزاف لثرواتهم، ثم.. ذهبت الدنيا وفنيت، فزالت معها كل الأوهام والحسابات، وتلاشى معها كل الغرور والاستكبار، وإذا نحن أمام مشهد بديع عجيب، مشهد ضحك المؤمنين وسخريتهم وهم في مجالس النعيم المقيم من الكافرين وهم بين أطباق العذاب الفظيع، هذه الآية تقول إذن للمؤمنين: القصة لا تنتهي في الأرض، ولا تقف عند حدود الدنيا، بل هناك فصول أخرى بعد الموت، تكتمل بها الرواية الكبرى، وتنتهي بها الحقيقة النهائية، فصول الحساب الشديد للكافرين على عملوا في الدنيا من الكفر والفساد والاستكبار والطغيان. وبهذا تكون الآية تذكر المسلم بالنظرة الحقيقية التي يجب أن تكون لديه، وهي نظرة تجاوز عالم الحس والمادة والكون والفناء، إلى عالم المعنى والقيمة والحقيقة والخلود. وبهذا لن ييأس، ولن يتشاءم، ولن يفشل حتى وإن تكالب عليه العالم بجنده وقوته وجبروته، قد يتألم نعم، لكنه هو من سيضحك من الكفار غدا... في عالم الخلود.

455. سر أزمة المسلمين اليوم

لماذا أوضاعنا على النحو من الفوضى والفساد، في شوارعنا، وإداراتنا، ومدارسنا، وبيوتنا؟! يمكن حصر الجواب في أمرين: **(1)** قلة الدين. **(2)** قلة الوعي. وعن هذين نتج ما يشبه انعدام حس المسؤولية لدى عامة الناس في مختلف المجالات، وصار كل واحد يقول "نفسي، وأهلي" ولا يهمه شيء آخر، لا يهمه أن تعم الفوضى في واقع المجتمع، وتتراكم الأوساخ في الشوارع، بل هو نفسه يمارس ذلك مبررا أن الجميع يفعل ذلك! وعن انعدام حس المسؤولية نتجت نتيجة أخرى أشد خطورة من الأولى، وتلك هي إهمال تربية الأبناء والبنات على العقيدة الإسلامية، والقيم الأخلاقية، والمبادئ النبيلة، لأن العقلية مبرمجة على توفير الماديات فقط لهؤلاء الأبناء والبنات، مع خداع النفس بفكرة (المربي من عند ربي)! ويكفي عندما يتجاوز هذا الابن أو البنت ألا يأتي بفضيحة كبرى أو مشاكل مع الشرطة! ولهذا ترى اليوم مظاهر الانحراف منتشرة بين بنين وبنات في مستوى الإعدادي بل حتى مستوى الابتدائي: المصاحبة، التبرج، التسكع في الشوارع، الدخول إلى البيت إلى ما بعد المغرب أو العشاء، والأمر عادي وطبيعي بالنسبة للآباء والأمهات! نعم، الحكومات عليها مسؤولية عظيمة وهي محاسبة شديد الحساب بين يدي الله تعالى على ما يجري، لكن، هذا

لا ينفي مسؤولية كل فرد في المجتمع المسلم عما يجري، خصوصا إذا كان هو نفسه يرسّخ لمظاهر الفوضى والفساد وانعدام المسؤولية، سواء وهو أب، أو وهو موظف، أو وهو عامل.

456. أهمية معرفة الجاهلية الأولى

لكي تفهم قيمة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ينبغي أن تطلع على الأجواء العامة "السياسية، الأخلاقية، الدينية، الفكرية" التي حدثت فيها البعثة المحمدية. لأنه لا يمكن معرفة الإضافة الجديدة أو القيمة الثورية لأي فكرة أو شخص إلا بمعرفة الأجواء التي جاءت فيها هذه الفكرة وتحرك فيها هذا الشخص، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن مَن لم يعرف الجاهلية لم يعرف الإسلام. بولعل هذا أحد المعاني المقصودة للقرآن في تخليده لمجموعة متنوعة من جوانب تلك الأجواء والبيئة التي جاءت فيها النبوة المحمدية، وذلك: (**1**) لتكون ذكرى للصحابة عن واقع الجاهلية الذي عاشوا فيه، وثم النقلة الهائلة التي حدثت لهم بالإسلام، على مستوى الاعتقاد، والفكر، والسلوك، والقيم، والعلاقات العامة. (**2**) ولتكون أيضاً بياناً للمسلم الآتي عبر التاريخ المستقبلي لطبيعة الجاهلية التي كانت تسود وتهيمن على الوعي والعقل والشعور والسلوك والقيم عند مجيء الإسلام. ويكفي لتفهم طبيعة النقلة الجوهرية التي أحدثت الإسلام ودعوة الرسول صلى الله عليه وسلم في القلوب والعقول، وفي القيم والمبادئ، وفي النُّظم والقوانين، وفي السلوك والنشاط، يكفي أن تتأمل موقف قريش في مكة، ثم موقف اليهود والنصارى في المدينة، مع موقف القوى الدولية في ذلك العصر، من هذه البعثة وهذه الدعوة. لقد آثروا خوض الحروب، وإراقة الدماء، وقطع الأرحام، وهدر الأموال، وتخريب العمران، وتغيير التحالفات، مع ممارسة أقصى ما يمكن من الدعاية المغرضة، والتلبيس الماكر، وإشاعة الزيوف الباطلة، كل ذلك لأجل هدف واحد، وهو القضاء على الإسلام والإجهاز على الدعوة في مهدها وقبل أن يستفحل أمرها، وينتشر في العالمين شأنها. فلولا وعي تلك القوى المحلية والإقليمية والدولية بالتحدي العظيم الذي شكّله الإسلام والدعوة المحمدية، وأنهما خطر داهم على منظومة هائلة من الأساطير والبنى (السياسية، والاقتصادية، والدينية، والثقافية، والاجتماعية) التي يسيطرون بها الشعوب، وينشئون بها التحالفات لتحقيق المصالح المختلفة، لولا هذا الوعي والإدراك من هذه القوى (قريش، يهود، النصارى، فارس، الروم) لما جنحوا إلى الحروب والمعارك والتدمير والتخريب.

457. حقيقة النبي صلى الله عليه وسلم

اجتمع في النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة معاني: **(أولا)** قوة المعرفة بالخالق تعالى. **(ثانيا)** قوة الرغبة في هداية الخلق. **(ثالثا)** قوة البيان في التعريف بالله تعالى. ولهذا: **(1)** يستحيل أن يقول هذا النبي صلى الله عليه وسلم ما يلبّس على الخلق معرفتهم بالخالق. **(2)** يستحيل أن يدخر عن الخلق ما يزيدهم معرفة بالخالق مما يمكنهم إدراكه في عالم الدنيا. **(3)** يستحيل أن يعرّف أحد الخلق بخالقهم أكثر أو أوضح أو أشمل من تعريف هذا النبي صلى الله عليه وسلم. والنتيجة لهذا: **(أ)** كل ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم عن الله وفي التعريف به سبحانه فهو حق مطلق، ويستحيل أن يلزم عنه باطل. **(ب)** كل ما لم يتكلم به النبي صلى الله عليه وسلم ولا صحابته عن الله تعالى فليس من عقائد الحق المرادة لله ولرسوله. **(ت)** كل من طلب معرفة الله تعالى عن طريق غير طريق هذا النبي صلى الله عليه وسلم ضل سعيه وتخبط عقله. فالحمد لله الذي جعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

458. لماذا الإغراق في الجدل العقدي

يزعم أنه يشتغل بتحقيق التوحيد والعقيدة، وتراه يخوض صراعات في المواقع ووسائل التواصل حول هذا الموضوع، ضد المخالفين حول الصفات حقيقية أم مجازية، وباقي المنظومة الكلامية المعروفة! لكنه لا يتوقف ليتذكر أن من أعظم مقتضيات التوحيد وحقوق العقيدة أن يطالب بتحكيم الشريعة، وأن يذكّر الناس بأنهم محكومون بشريعة وضعية وهذا ينافي التوحيد وينقض بنيان العقيدة! علما أن التحاكم إلى شريعة غير شريعة الإسلام مصيبة عظمى ابتليت بها الأمة في هذا الزمان! وأيضاً عندما تلم داهية كبرى بالأمة لا ينفر لتعريف الجيل الصاعد بحقيقة ما يجري، وطبيعة المعركة التي تشن على المسلمين، وتعريفهم بسنن الله القدرية التي أنتجت هذا الواقع، وماذا يجب عليهم، بل يبلع لسانه ويغلق فهمه، لأن الصراع العقدي الجدلي ضد المخالف أهم لأنه يتعلق بالصفات وذات الله، وهذه الموضوعات تتعلق بالدنيا الفانية، رغم أن الشريعة حق أكبر من حقوق التوحيد! والحقيقة أن أحد أهم دوافع هذا الجدل العقيم، هو أن أصحابه لا يخشون إغضاب ولي الأمر، فولي الأمر العلماني اليوم لا يخشى من هذا الجدل والصراع العقدي بين السلفية والأشعرية، بل ربما يشجع عليه ويثني على أصحابه، لكنه يخشى كل الخشية من قضية فتح ملف الحكم بالشريعة وإجبار المسلمين على التحاكم إلى شريعة وضعية، فهذا هو الذي يزلزل عرشه ويكشف ردته وكفره، ويجعل الشعوب تنتبه إلى أس ما تمر به من فساد وطغيان وشرور! الطريف أنهم يصفون من لم يلهج بمثل جدلهم البارد بالضبابي وادعاء الحياد وعدم تعظيم شأن التوحيد وتحقيق الاعتقاد، ولديهم لوثات إنسانوية!

459. القبول بالمتدين الفقير

لطالما سألتني بنات عن رفض رجل فقير لكنه كما يقال متدين؟ قلت: من التصورات الخاطئة المنتشرة بين كثيرات وحتى بين كثيرين، فكرة أن الفتاة الصالحة يجب أن تقبل بأي رجل كيفما كان وضعه المادي أو شكله الخارجي إذا كان "متدينا"! وبعض هؤلاء يذهب بهن الظن إلى أن رفضهن يترتب عليه إثم شرعي وغضب الله!! وهذا خطأ، لا صلة له بالشرع، بل بالشائعات المنتشرة والتصورات الخاطئة!! والحقيقة أن الدين ركيزة أساسية لحياة زوجية مستقرة، لكنه ليس كل شيء، بل لابد من اعتبار أمور أخرى إذا فقدت ارتفع معنى الاستقرار والسعادة بين الزوجين، فالزواج علاقة عمر وعشرة دهر، وفي الإنسان رغبات ومتطلبات وأشواق وشهوات، وإذا لم تجد مجالا لإشباعها بين الزوجين تحولت حياتهما إلى كآبة ومأساة! نعم، لا ينبغي رفع سقف المادي عاليا، لكن ليس واجبا على المسلمة أن تعيش الفقر وما يشبه الفقر ليقال عنها (امرأة صالحة)، كما أنه ليس واجبا على المسلمة أن تقبل العيش في بيت فيه الأهل والإخوة والأخوات ليقال عنها (امرأة صالحة)! الاستقرار والسعادة الزوجية لهما شروط مادية ومعنوية، إذا توفرت تحقق الاستقرار والسعادة، وإذا لم تتوفر فلا استقرار ولا سعادة. صحيح أن الشروط المعنوية مقدمة على الشروط المادية لكن انعدام الشروط المادية يأتي على الجوانب المعنوية ويفقدها قيمتها وفاعليتها. والله الموفق

460. صدمة الرسوب الدراسي

من الحالات التي مرت علي؛ حالات صدمة الرسوب الدراسي! وأكثر هذه الحالات تكون في الإناث! وصدمة الرسوب الدراسي طبيعية جدا بل حتمية جدا حين نستحضر المعطيات التالية: (1) غرس الوالدين في ابنتهما فكرة (قيمتك = شهادتك + وظيفتك)، وتخيل أنت فتاة منذ صغرها تتشرب هذه الفكرة، كيف سيكون حالها إذا رسبت في الدراسة أو لم تتح لها وظيفة حكومية! (2) ربط الوالدين عبر السنين في وعي هذه الفتاة بين النجاح والسعادة وبين الشهادة والوظيفة، مع مدح دائم لفلانة وفلانة التي حصلت على وظيفة جيدة وحققت أهدافها وأحلام أهلها، فتخيل أنت فتاة منذ صغرها تتشرب هذه الفكرة، كيف سيكون حالها إذا لم تحصل على وظيفة حكومية أو وظيفة في القطاع الخاص؟! الذي يحدث هنا بعد الرسوب الدراسي أو العجز عن الحصول على وظيفة، أن هذه الفتاة تفقد الشعور بقيمتها، خصوصا وهي تسمع الكلام المحطم من الوالدين (وغيرهما) الذي يصب في فكرة واحدة هي: أنت بلا قيمة، حياتك بلا معنى، عدمك خير من وجودك! وحين تصل هذه الفتاة البائسة إلى هذه الشعور ويغمرها، هنا لا يكون بين يديها خيار إلا الانطواء

على الذات والانفصال عن الحياة والواقع، وهنا ستجد نفسها في دوامة مرعبة وهي دوامة الفراغ! والخيار الثاني هو الانتحار رغم أنه خيار قليل جدا بين البنات بسبب طبيعة المرأة! قلت لبضع من اشتكى لي من هذه الحالة في بعض معارفه: لا حل سوى بذل الجهد لعمل (إعادة تهيئة) لشخصية هذه الفتاة، من خلال تصحيح منظومة متنوعة من المفاهيم والأفكار والتصورات المركزية في تكوين الشخصية، مثل: مفهوم النجاح، مفهوم السعادة، مفهوم تحقيق الذات، مفهوم معنى أنا مسلم، مفهوم الحياة، مفهوم الموت، وغير ذلك من المفاهيم التي إذا لم تصحح عند هذا الفتاة بشكل صحيح فمن الصعب والمستبعد أن تخرج مما هي فيه، إلا أن يشاء الله شيئاً.

461. الحرص على اختيار الزوج

صحيح أننا ندعو الشاب لحسن اختيار الزوجة، لكن، لا أحد أوجب عليه أن يتشدد في الاختيار ويبالغ في الحذر أكثر من الفتاة! لماذا؟ الجواب هو أن الرجل يبقى رجلا، يمكن إذا اكتشف سوء اختياره، كأن تكون الزوجة نسوية أو مدخلية، يمكن أن يطلقها وينتهي الموضوع، رغم بعض الخسارة ماديا. لكن، بالنسبة للفتاة، فالأمر مختلف جدا. ولهذا جدير بالعاقلة (وأهلها) ألا تتعامل مع الأمر بسذاجة بمجرد أن يقال لها هو يصلي أو هو يصلي في المسجد، أو تراه بلحية وثوب قصير تظن أنه صحابي بُعث في هذا العصر! كم من فتاة تعاملت بسذاجة وبعد الزواج اكتشفت أن زوجها مدخلي راسخ في المدخلية فذاقت معه سوء الحياة وتجرعت على يديه مرارتها! وكم من فتاة تعاملت بسذاجة وبعد الزواج اكتشفت أن زوجها لا صلة له بالتدين إلا مظهر الصلاة وربما اللحية (التي صارت لدى كثيرين مجرد موضة) وأما الأخلاق والرجولة والشهامة والأدب فهو في عداوة مع هذه المعاني فإذا بحياتها معه كآبة ومأساة لا تنتهي! لهذا لا تجعلي تقدمك فوق العشرين يدفع بك نحو الهاوية، ولا تسمح لثرثرة النساء توردك موارد الهلكة، بل تمهلي في الاختيار، وتريثي في الموافقة، فهذا زواج عمر وليست علاقة غرامية لشهر وتنتهي. وكم من فتاة رزقها الله الجمال والدين والعقل والأنوثة ومهارة شؤون المنزل لكنها استعجلت في الموافقة على الزواج فتحطم كل معنى جميل في نفسها بسبب زوجها الهمجي الفكر والإحساس!

462. سنة صراع الحق والباطل

مرت على البشرية خلال تاريخها الطويل، مئات الحضارات الطاغوتية، وكان كثير من المستضعفين في مجال حكمها وسيطرتها يتساءلون: أين الإله من كل هذه الآلام التي تسببها هذه الحكومة الظالمة؟ إلى متى

سنتحمل كل هذه المعاناة من جورهم واستكبارهم؟ ثم، في الإثر مرت سنون أو عقود، فهلك الحاكم الطاغية، وهلك زمرة المسؤولين الظالمين، وسقطت الحضارة الطاغوتية، كأنها لم تكن، وتنفس المستضعفون الصعداء. لكن جاءت بعد ذلك حكومات وحضارات في مختلف مناطق العالم المأهولة يومئذ وسلكت نفس المسلك، وأيضاً كان هناك مستضعفون يتساءلون: أين الإله؟ لماذا كل هذا؟ والمقصود هنا بيان أن ما تراه يا مسلم مما يجري على أمتك من العذاب والهوان، حدث مثله كثيرا خلال تاريخ أمتك، كما حدث مثله بل أضعاف خلال تاريخ الأمم هنا وهناك. وكل هذا يدخل في باب (صراع الحق والباطل)، وفق مجموعة من السنن الإلهية في حياة البشرية ثابتة ومطلقة ومطردة، لأن عالم الدنيا موضوع للتكليف والابتلاء، للأفراد وللمجتمعات، والعبد لا يزال في أنواع من التكاليف والابتلاءات ما دام في الدنيا، ثم في البرزخ، ثم في المحشر، إلى أن يأذن الله تعالى بفضله بدخوله الجنة، فهنا فقط يرتاح راحة الأبد.

463. النسوية وحقوق المرأة

أحد المشاكل المفصلية في الفكر النسوي: مشكلة حقوق المرأة. تأتي النسوية وترفع شعار (حقوق المرأة)، كأنه سلاح أو فيتو في وجه كل من يرفض ما تطالب به، لأن هذا الرفض تصوّره على أساس أنه ضد الحقوق، وضد المرأة! لكن، أحد الأسئلة المركزية هنا، هو سؤال: حددي لي أيتها النسوية مرجعية هذه الحقوق التي تطالبين بها؟ إذ بدون مرجعية عليا، معيارية، ثابتة وواضحة، سنسقط في بوتقة الحقوق الهلامية، فيمكن حينها لكل امرأة أن تفعل ما تشاء بدعوى الحقوق (هذا حقي)، ولا يهم الآثار المترتبة على هذا الفعل على الواقع الأسري والاجتماعي الذي تعيش فيه. هذه الهلامية الحقوقية الناتجة كما قلنا عن غياب تحديد مصدر الحقوق، لا يمكن أن يتوقف عند حد معين، بل ستظل تتوسع مثل الزاوية المنفرجة إلى اللحظة التي تفقد فيها المرأة (والمجتمع الساكت) فطرتها، وتنتكس انتكاسة جذرية، فتتحول إلى مخلوق مشوه كما هو الحال في السياق الغربي لهذا العصر، فما زال زاوية (حقوق المرأة) تتسع بلا ضوابط ولا حدود إلى أن صار كل شيء مباح بالنسبة للمرأة، وصارت المرأة نفسها مجالا مباحاً للآخرين (الإشهارات، الأفلام الإباحية، شركات الماكياج والموضة.. إلخ). لهذا، فعندما تتلفظ النسوية ب (حقوق المرأة) فواجها بسؤال: ما هي المرجعية المعيارية لهذه الحقوق؟ فأي شيء تقوله سيرتد عليها بالنقض. فلو قالت (الإنسانية) فانتقل معها إلى مفهوم الإنسانية، مَن الذي له الحق في تحديده؟ وما هي مقوماته ومرتكزاته؟ وإذا قالت (المجتمع الدولي) فانتقال معها إلى التذكير بأن المجتمع الدولي خليط ثقافات وأديان وفلسفات ومرجعيات في الغرب والشرق والشمال والجنوب؟ وإذا قالت (القيم الكونية) فانتقل معها إلى ضرورة تحديد هذا المفهوم؟ ما هو مصدره؟ من الذي

له الحق في تحديد معناه؟ إذن النسوية بدل أن تقول لك (هذه رغباتي الشخصية) تقول لك (هذه حقوق المرأة الخاصة)، والرغبات الشخصية تتدخل جملة من المكونات لإنشائها وتوجيهها: الأهواء، الجهل والقصور، التربية المنزلية، الرواسب النفسية، الخطاب الإعلامي.. إلخ

464. لابد من دفع الفاتورة

لا توجد نبوة قامت في مجتمع، ولا يوجد شعب سعى للتحرر إلا بدفع "فاتورة" ضخمة في سبيل ذلك. بل حتى الأفراد، فلا يوجد أحد بلغ مراتب النجاح العليا كما خطط وطمح إلا بدفع "فاتورة" ضخمة مقابل ذلك. هذه سنة من سنن الله تعالى في حياة الشعوب والأفراد. ولهذا؛ فحين يأتي قوم من بني جلدتنا، بمختلف اتجاهاتهم وانتماءاتهم، ويعيبون على الشعوب المسلمة التي طمحت للتحرر من الاحتلال، كما هو شأن فلسطين وغيرها، بل يرغبون في الحصول على الحرية بدون ثمن، وعلى الاستقلال بلا مقابل، فهم ببساطة واهمون! واهمون، لأنهم يرغبون في شيء لا تقبله سنن الله تعالى في الحياة منذ كان البشر على هذه الأرض! واهمون، لأن الواقع المشهود يؤكد على استحالة نيل الحرية والاستقلال بلا ثمن وتضحيات جسيمة! واهمون، لأنهم يتجاهلون أن ما أُخذ بالقوة يستحيل أن يُسترد إلا بالقوة، وخلال عملية الاسترداد لابد من العرق والدم! دعني أستحضر لك خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، وذلك هو المتعلق بالملحمة الكبرى والنهائية التي ستكون مع حفيده المهدي، فقد أخبر أنه سيخرج على ولاة الأمور في زمانه، وسيخوض معهم معارك تسيل فيها الدماء، لماذا؟ لأنهم اغتصبوا حقوق الله تعالى في الحكم والتشريع، ونشروا الفساد والفواحش، ورفعوا راية الظلم والطغيان، وهؤلاء لا يمكن أن يفهموا لغة غير لغة القوة. بل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ما هي الفاتورة التي دفعوها مقابل نشر التوحيد والإيمان، والحق والعدل، ومقابل تحرير النفوس والعقول والأفراد والشعوب من الطغيان والضلال؟ لقد كانت فاتورة ضخمة هائلة، ولطالما خاضوا ضد المشركين حروبا هي في ميزان الرؤية المادية خاسرة بامتياز بسبب فارق العدد والقوة والإمكانيات لصالح قوى الشرك والجاهلية والطغيان، ومع ذلك خاض صلى الله عليه وسلم والصحابة هذه الحروب وانتصروا أحيانا وهُزموا أحيانا أخرى. إن معايير النصر والهزيمة تختلف من شخص لآخر، بسبب اطلاعه وخبرته وشخصيته، فالجبان الرعديد، والمادي الحسي تكون معاييره مناسبة لجبنه وماديته، أما الذين يتجاوزون نطاق الحس، والحسابات الرياضية البسيطة، فهم وحدهم الذين يدركون معنى النصر الحقيقي والهزيمة الحقيقية، ولهذا قد يدفعون الثمن باهظا ظاهرا، في الأنفس والعمران، لكنهم هم المنتصرون في واقع الأمر، وهم الذين يصنعون التاريخ والمجد لأممهم وشعوبهم.

465. نزول القرآن بالحق

عندما ترى الوحي يركز على فكرة أن القرآن نزل بالحق، وأن النبي صلى الله عليه وسلم مبعوث بالحق، فينبغي أن تفهم من ذلك، ضمن ما ينبغي أن تفهم، أن القرآن يدعو لعملية دورية لتنظيف عقلك من الأفكار والتصورات والمفاهيم والشعارات التي تراها مرفوعة شرقا وغربا، وهذا يكون عبر مصفاة الوحي، لماذا؟ لأن الوحي تنزيل من رب العالمين الذي يعلم الحق والحقيقة في عالم الغيب وعالم الشهادة، في الدنيا والآخرة، ومن هنا فهو يضع بين يدي عقلك الحق كما هو في الواقع حيث تعجز أنت عن رؤيته وإدراكه. فمثلا الشهيد أنت تراه قد تمزق أشلاء، وهذا يؤثر على نفسيتك، لأنك ترى الظاهر فقط أي الجسم وقد تمزق، أما الوحي فيقول لك على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بأن الشهيد لا يجد من ألم الموت إلا مثل القرصة، يعني لا شيء من الألم! هذا مثال بسيط، يمكنك أن تقيس عليه منظومة المفاهيم والأحكام والعقائد التي يقدمها لك الوحي. أما كل الفلسفات والشعارات والإيديولوجيات والمرجعيات بترسانتها المصطلحية والمفاهيمية فهي بالنسبة للوحي باطل في معانيها الثابتة والحقيقية، لماذا؟ لأنها نتاج عقول بشرية، والعقل البشرية يستحيل أن ينفصل عن الأهواء والرواسب النفسية والتحيزات الخفية والرغبات الشخصية والمصالح الضيقة، وكل ترسانته المفاهيم وشعاراته وأفكاره لابد أن تتشكل وتنصبغ بتلك الأهواء والتحيزات والرغبات.

466. المدخلية فكر وليست أشخاصاً

عندما نتحدث عن الجامية/ المداخلة، فهم ليسوا محصورين في الشيخ فلان والشيخ علان، بل قد يكون دكتورا، ببدلة أنيقة، وربما حليق الوجه، لأن الجامية/ المدخلية فكر يتجاوز الأشخاص المعينين إلى مستوى كونه فكرة يتبنّاها كثيرون حتى من طرف من يقال عنهم "باحث إسلامي، باحث أكاديمي"! لو أخذنا شيخا جاميا/ مدخليا سنجد خيوط كلامه ومواقفه ترجع إلى (ضرورة الدوران مع الحاكم حيث دار)، مبررا ذلك ب (وجوب طاعة ولي الأمر). ولهذا سيرفض المصادقة على كل نقد يوجّه إلى الحاكم، أو اعتراض يقام على قراراته، أو تحرك دون موافقته، سواء تعلق الأمر بأفراد الشعب أو بعموم المجتمع أو بشمول الأمة. ولو أخذنا دكتورا في تخصص معين سنجد خيوط كلامه ومواقفه ترجع إلى (ضرورة الدوران مع الحاكم حيث دار)، مبررا ذلك ب (الدولة القومية القائمة اليوم لها التزامات دولية، ومعاهدات دولية، واعتبارات دولية، وإكراهات مجتمعية)، ولهذا لن يقبل هذا الدكتور مثلا بمطالبة المسلمين في دول الطوق "مصر والأردن" بالجهاد نصرة لغزة وفلسطين، لأن هذه المطالبة تغرير بالمسلمين، ومزايدة على السلطة، وخلق حالة فوضى يمكن

استغلالها من أطراف خارجية! هذان الخطابان من هذا الشيخ والدكتور، موجودان اليوم، وكما ترى، فكلاهما ينتهي إلى نفس النتيجة وإن اختلفت المقدمات والمنطلقات، والنتيجة هي (الكلمة العليا للحاكم)، وعلى المسلمين أن يشاهدوا ويراقبوا، ويكفيهم الدعاء لإخوانهم، ويكفيهم الصبر على أوضاعهم القائمة. والسؤال: إلى متى؟ هنا نجد الشيخ يقول (حتى يفرّج الله) وعليكم بالتوبة والاستغفار، ونجد الدكتور يقول (يجب تفعيل القانون الدولي على الجميع ليحل السلام بين الشعوب)!

467. مركزية الآخرة في القرآن

أحد المواضيع التي لها حضور مكثف في القرآن الكريم؛ موضوع الآخرة، فالقرآن يعرض الآخرة بأساليب مختلفة، وفي سياقات مختلفة. يمكن أن يقال بأن أحد مقاصد هذه الكثافة في عرض موضوع الآخرة يرجع إلى الحرص على إخراج العبد من الظرف الدنيوي الذي يتحرك فيه، حتى لا يستغرقه ويتماهى معه، سواء كان ظرفا سلبيا (ألم، ظلم، حرمان.. إلخ)، أم كان ظرفا ايجابيا (لذة، نعمة، نجاح.. إلخ)، لماذا؟ لأن الإنسان كما تتحكم فيه النزعات الفطرية، تتحكم فيه كذلك المواقف الظرفية القائمة، بل عامة الناس تستغرقهم هذه المواقف فتشكل رؤيتهم، مشاعرهم، سلوكياتهم، أهدافهم، أي إن الجو العام الذي يتحرك فيه الإنسان يؤثر عليه بقوة. هنا يأتي أحد مقاصد الآخرة، فحين تترسخ عقيدة الآخرة في الوعي والشعور، وحين يكون لها حضور قوي في التفكير والإحساس، فبلا شك أنها ستعمل عمل صمام أمان للعبد من التماهي والذوبان مع الظرفية القائمة واللحظة الواقعية التي يمر بها، سواء إيجابية أم سلبية. وبهذا سيكون بإمكان المسلم ضبط بوصلة تعاطيه مع هذا الظرف القائم والواقع المشهود، لا بحسب ما يمليه الضغط الاجتماعي والتقاليد والعادات والإعلام، والأوامر الصادرة عن السلطة الحاكمة، بل بحسب ما يمليه الشرع الذي يفصل له مراد الله تعالى منه. أي إن العبد لن يكون عبدا للثقافة الغالبة والتقاليد الاجتماعية والأوامر السلطوية بل سيكون عبدا لله وحده لا شريك له يحرص على تنفيذ أوامره في كل موقف، ولهذا قال العلماء بأنه لا يوجد حدث إنساني إلا له حكم من الأحكام الشرعية الخمسة. لقد تكلم علماء النفس والتربية والاجتماع والسياسة عن تأثير الواقع على ذهنية الفرد ونفسيته وتوجيه سلوكه، ولكن رغم كثرة التفسيرات فهي مجرد وصف ظواهر خارجية لأنها بلا مرجعية عليا تفسر حقيقة الإنسان، وهنا تظهر قيمة عقيدة الآخرة بما تتضمن من لقاء الله تعالى والحساب والثواب والجزاء.

468. الفريضة الغائبة في كتب العقيدة

أليس من الخيانة العلمية أن نكتب في العقيدة، ونتحدث مطولا عن أدلة وجود الله تعالى وبراهين ربوبيته، ونتحدث مطولا عن الأسماء والصفات ونكرر صراعات الفرق الكلامية حولها، ونتحدث مطولا عن إفراد الله تعالى بالعبادة وما يتعلق بذلك من الشرك والتوسل والقبور، ونتحدث عن الإيمان ونكرر أيضا ما تدافعت حوله مختلف المذاهب (وكل هذا مهم وجميل وضروري). لكن، لا نخصص ولو فصلا من بضع صفحات عن حق الله تعالى في الحكم والتشريع، ونبرهن على أن هذا من مقتضيات التوحيد ومتطلبات الإيمان، وأن رفض الشرع يقف بصاحبه على شفا حفرة الردة والكفر، ونتكلم عن واجب المسلمين تجاه اغتصاب الحكومات اليوم في العالم الإسلامي لحق الله تعالى في التشريع وإجبار المسلمين على التحاكم إلى شرع وضعي أهوائي، أليس هذا عجيبا، لأن الأمة اليوم أصيبت في مقتل بسبب عدم تحاكمها إلى الشرع الرباني وخضوعها إلى منظومة قوانين وضعية؟! أليس قديما عندما نشأت مشكلة الأسماء والصفات خصص لها الأئمة جهودا ضخمة للدفاع عنها وبيانها والاحتجاج عنها وتقرير أحكام أصناف منكري الأسماء والصفات، وبيان الآثار المترتبة على ذلك، والشيء نفسه حول مشكلة القول بخلق القرآن، فلماذا لا يقتدي الذين يكتبون اليوم في العقيدة بهؤلاء الأئمة بحسب حادثة عصرنا المتعلقة بعدم الحكم بما أنزل الله رغم أن هذا من صميم حقوق الله تعالى وعظيم مظاهر التوحيد ومن أبرز مقاصد بعثة الأنبياء عليهم السلام!!

469. الزواج مشكلة!

من سمع مشاكل الزواج ونظر في جمهور العلاقات الزوجية، ذهب به اليقين إلى أن كثيرين وكثيرات يدخلون الزواج بفكرة أن الزواج مشكلة، ولهذا يعيشون حياتهم الزوجية على أساس أنه لا يمكن إلا أن تكون مشكلة، ومن غير الطبيعي ألا تكون كذلك! ومعلوم في قوانين الطبيعة البشرية أن الأفكار المتخيَّلة والقناعات المترسبة تؤثر على صاحبها حتى إنه يعمل لاشعورياً على عيش حياته في إطار هذه الأفكار والتصورات والقناعات. ولهذا حين تستعرض جمهرة المشاكل الزوجية تجدها مطبوعة بطابع التفاهة، العناد، الإغاظة، لأن الفكرة المحركة لهذين الزوجين _أو لأحدهما_ هي أن الزواج مشكلة!!

470. سر ذكر نهاية الإمبراطوريات في القرآن

خلّد الله تعالى لنا في القرآن ذكر نهاية مجموعة من الإمبراطوريات في التاريخ، عاد وثمود وفرعون، وغيرهم. لقد كانت نهاية هؤلاء الأقوام سريعة جدا، وعلى حين غفلة، وبأسباب لم تخطر ببال أحد ولا يمكن أن تخطر ببال أحد، فبعد زمان من الأبهة الحضارية، والقوة الاقتصادية والعسكرية والسياسية، فجأة ينزل بها

عقاب الله تعالى حتى كأنها لم تكن إلا حلما يراه النائم ثم سريعا يستيقظ فيتلاشى! في تصوري، فإن فتخليد القرآن هذه المصاير والنهايات مقصود لتحقيق غايات متعددة الأبعاد، على المستوى العقدي وهو أن الله سبحانه مالك الملك يفعل ما يشاء ولا يكون في ملكه إلا ما أراد. وعلى المستوى النفسي وهو حماية النفسية المؤمنة من الانبهار بالغطرسة الكافرة وما تملك من أسباب القوة، وعلى المستوى الفكري وهو ضرورة استحضار وجود الله تعالى في تأمل مسار الأحداث وحركة التاريخ. والمسلم اليوم بحاجة ماسة إلى تأمل هذه المعاني المكنونة في إشارات القصص القرآني، فما تعرض له المؤمنون خلال مسيرة الإيمان المديدة مع الأنبياء، والجبروت والطغيان الذي استكبرت به الإمبراطوريات التي نقرا فقط عنها في التاريخ، هو نفسه الذي يتعرض له المسلم في الواقع المعاصر، وهو نفس الطغيان والجبروت الذي تغتر به الإمبراطورية الأمريكية وحلفاؤها، ولأن سنة الله واحدة في الناس والتاريخ، فلابد إذن أن تدرك هذه السنة الجاهلية المعاصرة كما أدركت كل الجاهليات عبر التاريخ. سيقرأ أحفادنا عن الإمبراطورية الأمريكية وجبروتها وطغيانها، ثم زوالها واضمحلالها المباغت وقد نزل بها عذاب الله تعالى كما نقرأ نحن اليوم عن الإمبراطوريات الخالية بعد أن ظنت أنها خالدة لن تبيد ولن تزول!

471. الدعاء خيارنا الاستراتيجي!

عندما يخرج بعض المشايخ والعلماء والدعاة عند بعض الأحداث الكبرى التي تجري على الأمة اليوم، يقولون للشباب: (لا نملك إلا الدعاء لغزة)، فهم واقعا يقولون: (الدعاء خيارنا الاستراتيجي) على قياس قول الحكام والمسؤولين المنافقين: (السلام خيارنا الاستراتيجي)! وهذا يعني أن قولة هؤلاء (لا نملك إلا الدعاء)، تعمل على ترسيخ معاني الإحباط، السلبية، الفشل، الخوف، العجز، الضعف، الاستسلام، الخنوع في نفوس الشباب ووعيهم! والحقيقة لو أن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، ولو أن أجيال الفتوحات في العصور الزاهرة، ولو أن حركة طالبان، ولو أن حركة حماس، لو أنهم رفعوا شعار (الدعاء خيارنا الاستراتيجي) لما كنا نحن اليوم مسلمين، ولما انتصرت طالبان على أميركا بعد عشرين عاماً، ولما أدخلت حماس البشرية في منعطف تاريخي لن ينساه التاريخ. هناك الكثير مما يمكن عمله عكس ما تصور مقولة (لا نملك إلا الدعاء) لكن ليتحقق هذا الكثير لابد من التضحيات الجسام، بالنفس والمال والدنيا وما فيها، وقبل هذا لابد أن يخرج هؤلاء من قوقعة التفكير الدَّرْوَشِي [من الدروشة] إلى واقع التفكير المقاوم، المواجه، المتحدي، فالتحرير والتغيير يتطلب ذلك، وهذه هي سنة الله تعالى في كل حركات التحرير، وأما الدعاء فتكون له قيمة وفعالية عندما

يكون مصاحبا للفعل والحركة كما كان النبي صلى الله عليه وسلم قد يخرج إلى ساحة المعركة وهم قلة والعدو كثرة وهنا يلهج بالتضرع والدعاء إلى ربه بالنصر والتمكين. والله المستعان

472. خطورة التخذيل في الأمة

تأمل هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران ١٧٣] هذه الآية كانت في غزوة أحد التي وقعت في السنة الثالثة بعد الهجرة. خلال هذه المعركة بدأت تنتشر مقالة ظاهرها فيه الرحمة والشفقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة من كثرة جيوش العدو وقدراته وعتاده العسكري، وباطنها فيه التخذيل والتثبيط وغرس الفشل والإحباط في نفوس جيش المسلمين! لكن خطة المنافقين فشلت، بسبب قوة إيمان الجيش المسلم وثبات يقينهم بعدالة حربه وحقانية معركته، فهو يخوض معركة إيمان وتحرير ونور ضد الطاغوت والشرك والظلمات، ولهذا يعلن هذا الجيش توكله على الله الذي بيده كل شيء، فالنصر والهزيمة تحت سلطانه يقلبهما بين عباده لما يشاء من الحكمة، والمجاهد المؤمن بين حسنيين، إما النصر أو الشهادة. لكن، هل اقتصر القرآن الكريم على التنبيه على الحرب النفسية التي شنّها المنافقون في محاولة خلق حالة فشل وإحباط وخوف في جيش المسلمين؟! لا، لم يقتصر على ذلك، بل نبه على معنى آخر كان له حضور في هذه المعركة.. إنه الشيطان، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران ١٧٥] قال ابن كثير: «أَيْ: يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ، وَيُوهِمُكُمْ أَنَّهُمْ ذَوُو بَأْسٍ وَذَوُو شِدَّةٍ». وهذه عادة القرآن في التعليق على الأحداث، فدائما يستحضر البُعد الغيبي غير المرئي، وهو هنا الشيطان. فالشيطان هنا يعمل عمله المتمثل في تخويف المؤمنين من قدرات العدو وإمكانياته وعتاده العسكري الجبار، لأن إبليس يعلم أن الهزيمة النفسية تعني بالضرورة الهزيمة في أرض المعركة، فلا يمكن أن ينتصر جيش مهزوم نفسيا، ولهذا فالمعركة النفسية ضد الآخر عنصر مركزي في كل المعارك قديما وحديثا. وبسبب خطورة الحرب النفسية وآثارها المدمرة، أمر الله تعالى في الآية بعدم الخوف من الشيطان وأوليائه، علما أن جيش النبي صلى الله عليه وسلم كان قليلا وجيش العدو كان كثيرا، لأن كيد الشيطان وجنوده مهما انتفخ فهو ضعيف.

473. من دلالات خروج المهدي

إخبار النبي صلى الله عليه وسلم لمسلمي آخر الزمان بخروج حفيده المهدي، إخبار يحمل الكثير من الدلالات التي تستحق التوقف عندها والتفكر في معانيها. سألتقط هنا دلالتين: **(الأولى)** أخبرنا صلى الله

عليه وسلم أن المهدي سيكون رجلا صالحا، يعيش في المدينة المنورة، وسيأتيه قوم من الرجال يشكون إليه ما يعانيه الناس من الظلم والطغيان والطاغوت. الدلالة هنا هي أن الناس يومئذ سيكونون يتجرعون مرارة الطغيان والجبروت والفساد، ومع ذلك لا أحد يتحرك للتغيير والتحرير، لأنه لا يوجد قائد يخوض بهم هذه المعركة، إلى أن يأتي هؤلاء القوم إلى هذا الرجل الصالح ليكون القائد. وهذا يعني ضرورة وجود قيادة تنزل إلى الواقع العملي لتقود الحشود، لأن الشعوب بطبيعتها لا يمكن أن تتحرك للتغيير والتحرير إلا بوجود قيادة، ولأن الاكتفاء بمطالبة الناس بالتغيير موقف يمكنك أن تصفه بما شئت إلا أن تصفه بأنه موقف له ذرة من القيمة والموضوعية. (**الثانية**) أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن المهدي سيكون رجلا صالحا، وسيبلغ الفساد والطغيان والظلم في وقته أقصى ما يمكن، لكن عندما يأذن الله تعالى برحمة هذه الأمة بل والبشرية جمعاء، فإنه سبحانه يصلح هذا الرجل في ليلة واحدة ليكون قادرا على تحمل تكاليف المعركة القادمة ضد طواغيت المنطقة وحلفائهم. الدلالة هنا هي أن أقدار الله تعالى أسرار، فلا يمكن لأي مخلوق أن يحدد لك ماذا سيحدث في اللحظة التالية فضلا عن الأعوام والعقود القادمة. نعم، هناك سنن إلهية ثابتة تضبط حركة تاريخ المجتمعات وتفاعلاتها، لكن من يستطيع أن يقرر متى تظهر نتائج هذه السنن في الواقع العملي؟! لا أحد، ومن ثم، فهذا الخبر أي إن الله يصلح المهدي في ليلة ويهيئه في ليلة، يمنح المسلم العزاء والأمل وأن الله تعالى في أي لحظة زمنية قد يأذن بالتغيير، وعلى المسلم أن يكون مستعدا لذلك دائما، فالله سبحانه لا تقيده حسابات البشر ولا تحده خططهم. وإذا كان أعداء هذه الأمة يكيدون لها كيدا عظيما، فالله من ورائهم محيط، ولهذا أخبرنا القرآن عن أن هلاك الإمبراطوريات الطاغوتية في التاريخ كان مفاجئا بلا سابق مقدمات.

474. اكتساب المرأة العقل

هناك بعض النساء عندما تسمعهن يتكلمن تشعر بقوة العقل فيهن. والعقل فضيلة ينبغي على الخلق السعي للتحلي بها واكتسابها، فما زال الوحي يثني على أهل العقل، حتى إنه كشف بأن أهل النار يعترفون بأنهم لم يكونوا عقلاء بما فيه الكفاية. والمرأة تكتسب العقل بأسباب، من أهمها: (**1**) الحرص على الصلاح والتدين والالتزام، فالاستقامة والصلاح والعبادة، واجتناب المعاصي من أعظم أسباب العقل. (**2**) الحرص على اكتساب ثقافة شرعية صحيحة، فالجهل بالإسلام، عقيدة وقيما وآدابا وأحكاما، من أسباب ضعف العقل. (**3**) الحرص على مطالعة كتب الحكمة والشعر والأدب، وأخبار الناس وتجاربهم. ولدينا في تراثنا عشرات الدواوين الموضوعة لذلك. (**4**) الحرص على قراءة الثقافة المعاصرة المتنوعة، فقد كان يقال في الحكمة: جدير بالعاقل أن يكون عارفاً بزمانه. فمهما التزمت المسلمة بهذه الأركان الأربعة، فإن النتيجة إن شاء الله،

تكون طيبة، ولو بدأت الفتاة المسلمة بهذا الآن فإنه خلال عام واحد فقط ستجد فرقا واضحا بين عقلها اليوم وغدا. والله الموفق

475. قضية الحكم والتشريع

القرآن الكريم تحدث مطولاً عن الشرك، وجعل منه "شرك الحكم والتشريع"، أي وجود طاغوت يشرّع للناس من دون الله تعالى، سواء كان فرداً أو حزباً أو جماعة، وسواء كان تحت شعار الحضارة أو القومية أو الديموقراطية وغير ذلك. والقرآن لم يقصر الشرك على الأوثان والأصنام والقبور، بل أضاف إليه ما يتعلق بالحكم والتشريع، لأن التشريع حق الله تعالى الخالص، فهو من مقتضيات التوحيد ومتطلبات الإيمان، بحيث لا يستقيم إيمان عبد وتوحيده وهو يعطي حق التشريع والحكم للمخلوق. الذي حدث في عصرنا الحاضر، أن كثيرين كثفوا الكلام عن شرك القبور، والتوسل والاستغاثة، وأهملوا شرك الطاعة والحكم والتشريع، علماً أنهم يرون أنه لا توجد حكومة تحكم بشرع الله، بل بمنظومة قوانين لا تكاد تخرج عن توصيات مؤسسات الغرب! والسؤال لماذا هذا الإهمال؟ فالوحي الذي تكلم عن شرك الأوثان والقبور، هو نفسه تكلم عن شرك الطاعة والحكم والتشريع؟ فلماذا التركيز على المعنى الأول وإهمال المعنى الثاني؟ والجواب ببساطة هو أنهم جنحوا إلى هذا، لأن الكلام في النوع الأول من الشرك لن يضر الطاغوت العلماني الحاكم في شيء، بل هو نفسه يفسح لهم المجال واسعاً للخوض فيه، ليشغلوا الناس به، أما النوع الثاني فهو يهدد سلطته، ويسحب عنه الشرعية، ويضع حكم ورئاسته على المحك، ومن هنا فالتكلم فيه، وتوضيح أمره للمسلمين يعني التعرّض لسخط الحاكم العلماني! ولهذا ليس من أمانة العلم أن يصمت العلماء عن هذه القضية العظيمة والمصيبة الكبيرة التي أصابت أمة الإسلام، أي عدم الحكم بالشرع بل التحاكم صراحة وعلانية إلى شرع وضعي؟ علماً أن هذه جريمة كبرى في حق الله ورسوله والإسلام؟

476. النهي عن موالاة الأعداء

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة ٥١] تقرر هذه الآية: **(1)** النهي عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، والولاية تضم معاني المحبة، النصرة، ولهذا فهي نفسية وسلوكية. لكن لماذا هذا النهي؟ **(2)** الجواب هو أن اليهود والنصارى أولياء بعض، يعني بينهم تعاون وثيق ونصرة شديدة وتعلق وجداني، وكل هذا يتولد عنه العداء لكم أيها المسلمون. وها نحن اليوم نشهد صدق هذه الآية واقعا محسوسا، فانظر كيف يتولى اليهود

والنصارى بعضهم بعضا في حربهم لأمة الإسلام، ولا يبالون بأي شيء وراء ذلك، من شعارات فلسفية أو مواثيق دولية أو غيرها. **(3)** ثم تقرر الآية حكم من يتولى اليهود والنصارى، وهو أنه منهم، لأن الولاء شرعا يجب أن يكون لله ولرسوله وللمؤمنين، فحين تأتي تعطي ولاءك لليهود والنصارى، فأنت بلا شك تبرهن على أنك منهم، تحبهم، وتنصرهم، وتتعاون معهم على حساب دينك وأمتك. وهذا لم يتحقق واقعاً في عصر كما هو الحال اليوم، فهناك اليوم حشود هائلة من أولياء اليهود والنصارى هم في الأصل مسلمون، لكنهم ارتدوا على أعقابهم باختيار طريق الولاء لليهود والنصارى، بل بعضهم متصهين أكثر من الصهاينة أنفسهم في عداوته للمسلمين، وإن كان يحاول إخفاء ذلك، وانظر موقفهم اليوم من معركة غزة واليهود. **(4)** ثم تختم الآية ببيان أن اليهود والنصارى قوم ظالمون لأنفسهم بالكفر والعناد ومشاقة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما كان في الآية النهي عن تولي اليهود والنصارى وأن فعل فهو منهم، فهمنا أن حكم الظلم يشمل حتى من تولاهم ممن يدعي الإسلام، وهذا المتولي لهم قد ظلم نفسه لأنه خان الله ورسوله والمؤمنين، ولأنه عصى الله ورسوله، ولأنه تعرض لغضب الله وسخطه بولائه لليهود والنصارى، فالله لا يهديه في الدنيا لما فيه خيره وصلاحه، ولا يهديه في الآخرة إلى الجنة. وهذه الآية لو تفكر فيها الجامية والمداخلة لفهموا أنهم ليسوا بعداء عن حكمها، فإن من تولى متولي المغضوب عليهم والضالين فيوشك أن يكون متوليا لهم، لأن كل خطوة تؤدي إلى أختها التالية، ألا ترى كيف أن بعض هؤلاء في معركة غزة واليهود انبرى لتخذيل المسلمين، وغرس الإحباط فيهم، وشيطنة المجاهدين، وتوهين عقيدة الجهاد في النفوس، فإن لم يكن هذا في صالح اليهود والنصارى [الصهاينة والغربيين] فلا أدري أي شيء هو!! والله أعلم

477. الاعتراض على القدر

الاعتراض على الله في الأقدار قسمان: **(الأول)** اعتراض اللسان، فهنا يتحدث العبد تصريحا بالاعتراض على أقدار الله تعالى سواء فيما يخصه هو شخصيا أو في شؤون الأمة والعالم. **(الثاني)** اعتراض الجنان، فهنا يتحدث العبد نفسيا بالاعتراض على أقدار الله تعالى سواء فيما يخصه هو شخصيا أو فيما يتعلق بالأمة والعالم. وإذا كان القسم الأول في واقع الأمر يكون ساعيا في نشر الاعتراضات على الله تعالى في تدبير شؤون الخلق بين الناس، أي إنه يوسع دائرة الكفر. فإن القسم الثاني الذي يعترض بينه وبين نفسه على ربه يكون شقيا نفسيا وحائرا عقليا، فهو يعتبر –مثل القسم الأول– أن الله سبحانه منعه حقا من حقوقه (لماذا لم أتزوج؟ لماذا لم أتوظف؟ لماذا ولماذا..)، ولهذا ما زال القرآن يعرض في كثير من الآيات ذكر رحمة الله وحكمته وعدله، وأنه لا يظل الخلق مثقال ذرة بل أدنى، وأنه يدبر شؤون الخلق كلهم بالحكمة التي لا يمكن لأحد

منهم استيعاب أبعادها النهائية. والمقصود هنا التنبيه على خطورة الاعتراض الصامت على الله تعالى حيث يفتح العبد على نفسه هذا الباب، ويمنح الشيطان الفرصة لينفخ فيه وساوسه، فتكون النتائج وخيمة، فهذا الاعتراض النفسي من معاصي القلب، ومعاصي القلب قد تكون أشد خطرا من معاصي الجوارح.

478. عبرة من قصة موسى وقومه

قبل آلاف السنين، كان بنو إسرائيل يُسامون سوء العذاب، والإذلال، والهوان في مصر، فقد كان فرعون وعصابته والمجتمع أيضاً يحرصون على إذلالهم إلى أقصى ما يمكن! ثم إن الله تعالى بعث كليمه موسى عليه السلام، لكن، لأن كل تحرير وتغيير لابد أن تسبقه مرحلة تمحيص وغربلة، وتهذيب وإعادة صياغة للشخصية، فقد بقي بنو إسرائيل حتى بعد بعثة الرسول موسى عليه السلام يلاقون أصنافاً من التنكيل من الدولة والمجتمع. ولقد خلّد الله تعالى هذه القصة لتظل كتاب عِبر للأجيال المسلمة إلى يوم القيامة: ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ﴾ [الأعراف ١٢٩]، يعني لا جديد معك أيها النبي، فنحن ما زلنا نعاني الذل والهوان، وهم يريدون أن تحدث معجزة، لكي يتغير كل شيء بين عشية وضحاها، فينتقلون إلى من مرحلة الذلة والهوان إلى مرحلة العزة والكرامة، لكن، بدون جهد ولا فاتورة ولا ضريبة! فماذا كان جواب النبي موسى عليه السلام؟ لقد رد عليهم قائلاً: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف ١٢٩]، وهو جواب له دلالات عميقة وإيحاءات كبيرة. ترجمة جواب موسى هي: لا تستعجلوا، صحيح أنكم لا زلتم تعانون، لكن هناك سنن إلهية لابد أن تجري في مجاريها، ودوام الحال من المحال، فلكل أجل كتاب، وما أنتم فيه من الضغوط والشدائد والضعف والهوان ليس هو المشكلة، لأنها في نهاية المطاف له نهاية، هكذا مضى قدر الله تعالى في الأمم والشعوب، وهكذا سيكون الأمر معكم، وهكذا سيظل الأمر إلى يوم القيامة، فلم يسبق لأي إمبراطورية أن بقيت خالدة في التاريخ حتى وإن بلغت أعلى مستويات القوة والأبهة والعظمة التقنية والعسكرية والاقتصادية، فالإمبراطوريات مثلها مثل الإنسان، لها نشأة وميلاد، ولها قوة وشباب، ولها شيخوخة وهرم، وكما أن لها بداية حياة فلها نهاية موت وفناء. هذه سنة الله تعالى في الممالك والإمبراطوريات، والتاريخ يؤكد هذه الحقيقة، ولن تجد لسنة الله تبديلا. إذن ما أنتم فيه ليس هو المشكلة لأن له نهاية، وإنما المشكلة _كما قال لهم موسى عليه السلام هي: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف ١٢٩] أي سيهزم فرعون وقومه، وستتلاشى إمبراطوريته ويفنى جبروتها، وستخرجون من حال الذل والهوان والضعف إلى حال العز والكرامة والقوة، وهنا فقط سيكون الامتحان الأكبر والاختبار الأعظم: كيف ستتصرفون في حال الرخاء

والسراء، وحال القوة والعزة والكرامة، تطيعون الله تعالى وتلتزمون شرائعه وتتأدبون بأحكامه في خاصتكم وعامتهم، أم تراكم ستنسون سريعا حقوق الله عليكم، فلا تخضعون لشرعه، ولا تؤطرون بوحيه حياتكم، ولا تتواضعون لعبادته ومرضاته؟ وهذه مسألة عظيمة جدا، فإن تأثير حال السراء في موقف العباد من ربهم، من حيث الإلهاء عن الطاعة والعبادة والخضوع لشرعه، أشبه بتأثير الخمر في النفس، ولهذا قال سيدنا عبد الرحمن بن عوف: [ابْتُلِينَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالضَّرَّاءِ فَصَبَرْنَا، ثُمَّ ابْتُلِينَا بِالسَّرَّاءِ بَعْدَهُ فَلَمْ نَصْبِرْ]، وهو هنا يشير للتأثير السلبي لحال السراء على العبد، حيث يورث الغفلة والإخلاد إلى الدنيا، ونسيان الله والآخرة. نعوذ بالله من البلاء والغفلة

479. المبادئ قبل المشاعر

كان معروفاً بين الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم يحب عائشة رضي الله عنها. كما أن كل تصرفات النبي صلى الله عليه وسلم معها كانت تدل على ذلك. لكن؛ حدث مرة أن زوجاته صلى الله عليه وسلم، ومن ضمنهن عائشة، طالبنه بزيادة المصروف والنفقة، وكان هذا الأمر قد مس معنى حسّاسا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فطريقة حياته ومعيشته التي اختارها لنفسه هي الزهد والتخفف من الدنيا، وبهذا ستكون المطالبة بزيادة المصروف تقع في خط مواز لمبدئه صلى الله عليه وسلم، فكان الرفض منه صلى الله عليه وسلم، وتخيير زوجاته ومن ضمنهن عائشة بين العيش معه كما هو أو الطلاق. هذه القصة لها دلالات مهمة، من ذلك: لدينا هنا مبدأ الزهد، ولدينا شعور الحب لعائشة. لقد تعارضا ولا يمكن التوفيق بينهما، فلابد إذن من الاختيار بينهما: المبدأ أو الشعور. وكما هو منتظر من شخص مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ــولا مثيل لهــ، لقد انتصر المبدأ على الشعور، وغلب الزهد الحب، فكان تخيير عائشة بين البقاء أو الفراق، أما التنازل عن المبدأ فلا، وألف لا. لقد ذكرت هذا المعنى لأحد الشباب، حين تعارض مبدؤه مع غرامه. الزوجة جنحت إلى التبرج وتريد أن تعيش حياتها، وهو معه المبدأ الذي هو الغيرة والرجولة. ورغم اعتراف الأخ بحبه لزوجته، إلا أنه بعد محاولات لإصلاح الوضع، قررت هي متابعة طريقها، وقرر هو الالتزام بالمبدأ، فكان الطلاق. وهذا ما يجب على الشباب الوعي به: نعم للحب، لكن ليس على حساب المبدأ.

480. إرادة الله المطلقة

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ. فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس 82-83] إنما إرادة الله سبحانه الحرة الطليقة، بلا حد ولا قيد، يكفي أن يريد تعالى شيئاً

ليكون في وقته المحدد، كما يريد ويشاء. ولهذا جاء التنزيه في الآية التالية، تنزيه له جل جلاله عن كل ظنون السوء التي تختلج في النفوس، فالله يريد بحكمة، ويقدر الأمور بحكمة، ويقصد غاياته لحكمة، لا تستفزه رغبات البشر ولا أهواؤهم، فلو اتبع سبحانه هذه الرغبات والأهواء والأوهام لفسدت السماوات والأرض. ثم كلمة "إليه ترجعون" لها وقع خاص ودلالة عجيبة، فهي تنبيه على أن فصول القصة لا تنتهي عند الدنيا بل هناك عالم آخر فيه فقط ستكتمل هذه الفصول.. عالم ما بعد الموت، هناك الحساب والجزاء، ولهذا قد يظن الظالم المتغطرس الذي مُد له حبل الغطرسة أنه قادر على فعل ما يشاء، وقد يظن المظلوم المقهور أن ما نزل به يذهب سدى، ولكن لا، كلاهما مخطئ، فالجميع سيرجع إلى ربه بعد رحلته في الدنيا للحساب والجزاء. ومن هنا فالأمر فيه عزاء وتسلية للمظلوم وللشعوب المسحوقة، كما أن فيه إنذار شديد وتوعد مرعب للظالم المتغطرس.

481. النظرة الشمولية للأحداث

يقول الله تعالى: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج ٤٧]. هذه الآية تعرض قول المشركين المتعلق بإنزال العذاب الذي يتوعدهم به النبي صلى الله عليه وسلم، واستبطائهم له، واستعجالهم له. لكن قف عند قوله [وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ]، فهو ينظر إلى معنيين اثنين: **الأول** يتعلق بالآخرة، أي إن العذاب الذي تستهينون به، ستلاقونه، ويكفي أن تعلموا أن يوما واحدا في جهنم يساوي ألف سنة أي 354000 يوما بحساب الدنيا. **الثاني** يتعلق بالدنيا، وهذا الذي يهمنا هنا، والمعنى هو أنكم وإن استعجلتم العقوبة، فاعلموا أن الله لا يعجل عجلتكم، فيوم واحد عنده يساوي 354000 يوما عندكم، وهذا يعني أنه لو أخّر عنكم العذاب يوما واحدا الذي هو 354000 يوما عندكم، وذهبتم أنتم في مذاهب الكفر والعناد والتمرد والجحود، فذلك عمليا لا يساوي شيئا عند الله تعالى. العبرة هنا: هذه الآية تؤسس لنظرة جديدة في التعاطي مع الأحداث في الدنيا. فالمسلم مطالَب بأن ينظر إلى الوقائع والأحداث، سواء التي تتعلق به باعتباره فرداً، أو التي تتعلق بالأمة باعتبارها مجموعاً، نظرة شمولية، لا تقتصر على اللحظة الآنية العابرة، بل تمتد لتشمل المستقبل، فالمسلم من حيث هو فرد كم يساوي عمره مقارنة مع الأمة؟ لا يساوي شيئاً، فأقصى ما قد يعيش مائة عام، أما الأمة فعمرها قرون متطاولة. هذا يعني أن المسلم لا يسمح للحدث الراهن أن يغمره ويذيبه في بوتقته، لأن المسلم يؤمن أن واجبه هو القيام بواجبه، أما انتصار الأمة وصلاح حالها فليس واجبا أن يتحقق في مدة عمره، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يشهد انتشار الإسلام في الأرض فقد مات صلى الله عليه وسلم والإسلام لم

يخرج من الجزيرة العربية، بل يوم القيامة سيأتي بعض الأنبياء وليس معهم من أمتهم إلا الفرد والفردان لندرة من استجاب لهم، وليسوا ــصلى الله عليهم وسلمــ ملومين على ذلك أو مؤاخذين به، لأن واجبهم كان القيام بواجب الدعوة فقط، أما الاستجابة فليست بأيديهم ولا حسب رغباتهم. إذن: **1**. لا تسمح للحدث القائم أن يغمرك ويفقدك البوصلة. **2**. انظر إلى الأحداث نظرة شمولية تمتد في خط الزمن. **3**. واجبك القيام بواجبك، ولست مسؤولاً عما وراء ذلك. **4**. أنت الفرد وُجدت لتفنى، أما الأمة المجموع فوُجدت لتبقى. فتأمل هذه المعاني تتغير نفسيتك وتتجدد شخصيتك. والله أعلم

482. التدين لا يعني صلاحية المتدين لكل شيء

جاء أبو ذر الغفاري رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: [يا رَسولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قالَ: فَضَرَبَ بيَدِهِ علَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قالَ: يا أَبَا ذَرٍّ، إنَّكَ ضَعِيفٌ، وإنَّهَا أَمَانَةُ، وإنَّهَا يَومَ القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إلَّا مَن أَخَذَهَا بحَقِّهَا، وَأَدَّى الذي عليه فِيهَا] (صحيح مسلم) أبو ذر صحابي جليل، وهو من أئمة الصدّيقين، تكفيه شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: [مَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ، وَلَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ، مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ] (صحيح، سنن الترمذي). هنا في هذا الحديث أبو ذر جاء يطلب وظيفة إدارية، ونيّته طبعا خالصة صادقة، فهو يريد خدمة الأمة. لكن، ماذا كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم من طلبه؟ لقد رفض طلبه، لماذا؟ صحيح أن أبا ذر من الصدّيقين، العلماء الأبرار، والصالحين الأتقياء، لكنه لا يصلح للعمل الإداري أو قل السياسي، لأن هذا العمل يتطلب إمكانيات شخصية معينة ليكون عملا ناجحا حسب أهداف الدولة والأمة. فخذ من هذا عبرة، وهي: كون فلان تقيا، ملتزما، يعمل الصالحات، لا يعني بالضرورة أن لديه المؤهلات للقيام بأدوار إدارية أو سياسية أو قل بشكل عام للقيام بدور القيادة والتوجيه، والمؤهلات هنا تعني الوعي الناضج بالواقع وتشكيلاته وتشعباته، وتعني الرؤية الصائبة في قراءة الأحداث، من حيث دوافعها، ومساراتها، ومآلاتها، وتعني أيضا القدرة على قراءة موازين القوة قراءة صحيحة. وكلما كان موقع القيادة والتوجيه والتدبير حسّاسا كانت هذه المؤهلات واجبة في الذي يريد أن يكون في هذا الموقع.

483. ضرر الصمت بين الزوجين

صمت الزوج أحد أسباب توتر الحياة الزوجية، فالصمت يدخل العلاقة الزوجية في نفق مظلم، بعد أن يرسخ في الزوجة فكرة سلبية جدا وهي: (أنت لا تساوين شيئاً)، لأن منطق الأشياء يقول (لا يدردش

معك إلا من يحبك أو يرتاح معك). صمت الزوج له أسباب، منها: **1**. يكون الزوج شبّ في بيت صامت، فلا كلام بين الأب وأبنائه، والأم وأبنائها إلا للضرورة، وربما حتى هذه الضرورة تكون في شكل صراخ وصدام وضجيج، فيكبر الابن وقد تطبعت نفسه بطابع الصمت. **2**. يكون الزوج كبر في بيت لا يفسح المجال للأبناء للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم، بل يخنقها ويضغط عليها لتبقى حبيسة نفوسهم. وبهذا لا يتعلم الابن كيف يعبّر عن أفكاره ومشاعره، بل يخاف من التعبير. **3**. يكون الزوج مدمنا للدردشة مع البنات في منصات التواصل وتطبيقات الدردشة، وطبيعة هذه الدردشة تكون ضحكا ونكات، أو تكون مجالا لإظهار الاهتمام بالآخر وتفهم نفسيته ومشاكله، فيكون الزوج بذلك يستنفذ ما لديه من طاقة الكلام، فلا يتبقى لزوجته منه شيء. **4**. تكون العلاقة الزوجية متوترة، وقد قلت في جملة من المنشورات بأنه لا يمكن أن يكون جانب في الحياة الزوجية مستقرا وجانب آخر مضطرب، فطبيعة العلاقة الزوجية تمنع هذا. ومن هنا، فالتوتر بين الزوجين يمنع التواصل الكلامي بينهما. **5**. تكون الزوجة نكدية، فلا تعرف من الكلام مع زوجها إلا "فلان اشترى لزوجته"، "أختي اشترى لها زوجها"، "فلان بنى منزلا فمتى نبني نحن أيضا"، وإلا "فلان يجب أن تشتري هذا"، "وإلا حكاية مشاكل أهلها أو صديقاتها، وهذا يجعل الزوج ينفر من الجلوس معها فضلا عن الدردشة معها. **6**. تكون الزوجة غير ذكية في تحديد متى تدردش مع زوجها، وكيف تدردش معه، فمثلا: زوج عاد من الشغل، من الطبيعي أنه لا يحب كثرة الكلام بل يحب الراحة أولا، وزوجة لا تمزج في كلامها المداعبة والمشاغبة وألفاظ رومانسية، من الطبيعي أن يشعر الزوج أنه يتعامل مع رجل وليس مع أنثى. فالوقت والكيف مهم جدا. فهذه من أهم أسباب ذلك. وعلى كل حال نقول: (أيها المتزوجون تحدثوا تصحوا)

484. قساوة الزوج

مسكينة زوجة طيبة هينة لينة، رقيقة المشاعر عذبة الأحاسيس ابتليت بزوج لا يحسن الكلام معها، ولا يعتني بالحوار معها! إن هؤلاء الغلاظ القساة، لا يدركون أن التحدث مع الزوجة، والتحاور معها، والدردشة المداعبة معها عنصر مهم لاستقرار نفسيتها، بل وعنصر فعّال لنماء أنوثتها، بل وعنصر ضروري لشعورها بقيمتها! نعم، قد يحدث أن ينصرف الزوج عن محاورة زوجته وإطالة الدردشة معها لأسباب لها حظ من الاعتبار، كأن تكثر الزوجة الشكوى من الأوضاع المادية، أو أن يكون حديثها حول مقارنة حالها بحال غيرها، أو ألا تبالي إن كان الزوج مرهقاً من العمل أو لديه رغبة قوية في النوم، أو أن تظل تلح على أمر سبق أن تكلما فيه ورفضه مثلاً، فهنا، حسن جداً أن يكون للزوجة شيء من الذكاء الأنثوي، فالرجل بطبعه حتى

في الدردشة العابرة مع زوجته، يحب أن يشعر أنه يتحدث مع أنثى وليس مع رجل، أي أنه يحب أن يكون أسلوب كلام زوجته وطريقتها في إيصاله تُشعره بأجواء تختلف عن أجواء المقهى مع أصدقائه.

485. الطاغية أجبن الخلق

عندما كان فرعون مصر في قمة طغيانه واستبداده وجبروته، خطب في نخبة المجتمع قائلا: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر ٢٩]. فهو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة والنهائية، أما الشعب بمختلف طبقاته فعليهم التنفيذ والسمع والطاعة، بلا نقد ولا سؤال ولا تعقيب ولا اعتراض! ثم، عندما وجد هذا الطاغية العنيد أن دعوة موسى عليه السلام إلى التوحيد والعدل والحرية والكرامة، ورفض الطغيان والجبروت والاستبداد تلقى آذانا صاغية هنا وهناك، خطب في نخبة المجتمع قائلا عن موسى: ﴿يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ﴾ [الشعراء ٣٥] فتأمل كيف تغير خطابه، ونبرته، وموقفه بشكل حاد! فالآن يظهر نفسه على أنه ولي أمر همه الأكبر هو الشعب، لهذا هو يريد أن يحافظ على "أرضكم" علما أنه بالأمس فقط قال لهم منتفخا: ﴿يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الزخرف ٥١] وهو لهذا حريص على التشاور مع نخبة المجتمع في هذه الداهية العظيمة التي جاء بها موسى يريد بها تفكيك المجتمع، وتأليبه ضد ولي الأمر، بل وطرد الشعب المصري من أرضه، علما أنه بالأمس فقط قال لهم متغطرسا: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر ٢٩] ماذا يعني كل هذا؟! إنه يعني –ضمن ما يعني– أن الحاكم الطاغية وولي الأمر المستبد "أجبن خلق الله"، فرغم مظاهر الأبهة والسلطة، ورغم الطغيان والجبروت، التي تترجم تضخم الذات، والتمركز حول الأنا، ونسيان الله والآخرة، فهي في الحقيقة مجرد ستائر كثيفة تخفي وراءها جبنا نفسيا عارما، وتوترا نفسيا جامحا، وتوجسا نفسيا طاغيا، ومن هنا، فالحاكم الطاغية لا يهنأ له عيش ولا يستقر له بال! النتيجة الحتمية لهذا الجبن الخالع، والتوتر الهالع في الحاكم الطاغية، هي أنه لا يطيق أدنى نقد له، بل يحاسب الناس على الحرف والكلمة، لأنه يخاف شديد الخوف من الإزاحة عن كرسي الحكم، كما يخاف شديد الخوف من المحاسبة على ظلمه وفساده وإفساده وطغيانه. وفوق هذا، فعندما يشعر بأن الأمور بدأت تتجه إلى المواجهة معه، هنا فقط يطأطأ رأسه للمستشارين والعصابة المؤيدة له والمستفيدة منه: ماذا نفعل، أشيروا علي أيها الناس! بل يتجه حتى إلى الشعب الذي ما زال يتفنن في طحنه وسحقه، ليوجه إليهم خطاب الاستجداء، وأنه حريص على مصالحهم، والآخرون يريدون زعزعة الأمن والاستقرار، ويعدهم بمزيد من الإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية!! هذه هي قصة كل طاغية مضى في التاريخ، وكل طاغية قائم في هذا العصر، وكل طاغية يأتي

في المستقبل، فالطغاة نسخة واحدة، في تضخم الذات، وتقديس الأنا، وفي نمط التفكير، ونسق الأعمال، فاسدون مفسدون، ولهذا ينتظرهم الويل الرهيب يوم القيامة، ولهذا يقول الرب عز وجل وقد فني الناس، وتهدم العالم استعداد لإعلان الحشر: [أنا الملِكُ، أيْنَ مُلُوكُ الأرْضِ] (صحيح البخاري)

486. كلام الله مع المؤمن يوم القيامة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ما مِنكُم مِن أحَدٍ إلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، ليسَ بيْنَهُ وبيْنَهُ تُرْجُمانٌ، ولا حِجابٌ يَحْجُبُهُ﴾ (صحيح البخاري)، هذا حديث فخم جداً، فهو يقرر عقيدة من عقائد الإسلام، وهي أن المؤمن: **1**/ سيلتقي ربه عز وجل. **2**/ سيتكلم معه مباشرة. **3**/ سيسمع كلام ربه مباشرة. وهذا يعني: **1**/ وجود الله تعالى وجود حقيقي حسي، وليس وجودا ذهنيا أو مجازيا. **2**/ كلام الله تعالى كلام حقيقي حسي، وليس كلاما مجازيا أو مخلوقا في مخلوق. والحديث قد أخبرنا عن لقاء الله، وسماع كلامه، والكلام معه، ولم يخبرنا عن كيفية ذلك، وهذا سبيل القرآن والسنة في الكلام عن الله تعالى، الإخبار بالإثبات مع الكف عن الكيفية، لأن إدراك الكيفية مستحيل في حق المخلوق، فالإدراك إحاطة، والله سبحانه أعظم من أن يحيط به المخلوق. وهذا يشبه قول أئمة السلف عن الاستواء: أخبر الشرع عن أن الله استوى على العرش ولم يخبرنا كيف استوى، فنحن نثبت الاستواء ولا نخوض في كيفيته. ومن هنا كان من قواعد أئمة الهدى في التعامل مع الصفات، قاعدة: إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل. بمعنى: نثبت ما أثبته القرآن والسنة لله لكن لا نمثل به خلقه، وننزه الله عن النقائص والعيوب لكن لا نعطل أي ننفي حقيقة ما ورد في القرآن والسنة. إذن فهذه المعاني التي تضمنها الحديث معاني جليلة جدا، فهل تفهم معنى أنك أنت المخلوق الضئيل الهزيل، الفاني المحدود، ستلتقي بهذا الخالق الجليل، الملك العظيم، الذي خلقك فسواك، وخلق الكون العجيب من حولك، وستسمع كلامه بلا ترجمان بينك وبينه! ولهذا كان العارفون يقولون: أجل مطالب العارف لقاء ربه تعالى. نسأل الله تعالى أن يكرمنا بحسن لقائه، وسماع كلامه، ورؤية وجهه الكريم مع الأنبياء والمرسلين والصديقين والصالحين. آمين

487. كل شيء محتاج للصيانة

قاعدة: (في عالم النقص والفناء كل شيء يحتاج للصيانة الدورية المستمرة). اشتر أرقى هاتف، حاسوب، سيارة، ابن أفخم منزل، اجمع أجمل أثاث، كل هذا إذا لم تقم بصيانته بشكل دوري، فإنه بعد مدة قصيرة يتحول إلى شيء باهت، مزعج، منفر، يتحول إلى شيء قديم بلا جاذبية ولا إغراء ولا إثارة. أما

الصيانة الدورية فهي وحدة التي تحافظ على جدته، إغرائه وجاذبية، وعلى قدرته على الأداء بشكل جيد جدا إلى مدة زمنية طويلة جدا. هذه القاعدة كما أنها تشمل عالم الأشياء، فإنها تشمل أيضا عالم المعنى: الأفكار، العقل، الوعي، الشخصية، العلاقة الزوجية، العلاقة الأسرية، العلاقات الاجتماعية المختلفة، فهذه أيضا بدون صيانة دورية ومستمرة تتحول إلى رتابة مملة، مزعجة، ومكلفة، لأنها تكون قد فقدت قيمتها ومعناها، أما الصيانة فإنها تحافظ على حيويتها، وقداسة، ورقيها، وجمالها. وبهذا، تتحول الشخصية إلى شخصية تافهة، منغلقة وسطحية، وتتحول العلاقة الزوجية إلى كابوس مرعب أو شيء ممل، وتتحول العلاقات الاجتماعية المختلفة في شيء مكلف. بل هذه القاعدة كما أنها تشمل الدنيا، فإنها تشمل الآخرة أيضا، ألا ترى كيف أن سكان الجنة تتجدد عليهم باستمرار مظاهر النعيم، واللذات، والسعادة، في أنفسهم، وزوجاتهم، وقصورهم، ومآكلهم، وأعظم من ذلك، أن الله صاحب الكمال المطلق والجمال اللانهائي يبيح لهم وجهه الكريم على الأقل مرة في الأسبوع، ليتجدد لهم جمالا وكمالا ورقيا بلا نهاية، فهم أشوق دائما إلى لقائه.

488. كيف أخرجوا المسلمة من بيتها

كيف أخرجوا المرأة المسلمة إلى الخارج؟ من خططهم في ذلك لتحقيق هدف تفكيك الأسرة التي هي اللبنة الأولى في المجتمع، فإذا تفككت تفكك المجتمع بالضرورة، ثلاثة أمور: **(الأول)** تهوين أن تكون أُماً. فقد اجتهدوا بطرق مختلفة "الأفلام، المسلسلات، الروايات، البرامج.. إلخ" في إضعاف قيمة الأمومة في نفس الفتاة المسلمة، وربطوا مستوى قيمتها بالبقاء في البيت والأمومة أو الخروج وتأخير الزواج والإنجاب، كما أنهم ربطوا البيت والأمومة بهدر طاقات المرأة، وخنق شخصيتها. وبهذا صارت الفتاة المسلمة تنظر إلى الأمومة نظرة خوف وتوجس، فإذا كانت مجرد أم وزوجة فهي إذن بلا قيمة ولا معنى لحياتها أساسا. **(الثاني)** تهويل مسؤولية الزواج والأسرة، من خلال تصوير الحياة الزوجية والأسرية على أنها شيء ضخم جدا، يحتاج لخبرات وتجارب ومهارات هائلة جدا، وإلا فإن الفشل ينتظر هذه الفتاة المسكينة، فصرتَ ترى بنات بلغن العشرين بل حتى بعض الآباء وهن يعتقدن أنهن لا زلن صغيرات عن تحمل مسؤولية الزواج. في حين أن خروجها إلى العمل في إدارة أو شركة أو مؤسسة لا يتكلمون عن حجم المسؤولية الواجبة عليها فيه. **(الثالث)** كانت هذه مجرد تهيئة نفسية للفتاة لكي يتمكنوا في ملء نفسيتها بفكرة أخرى هي الهدف والغاية، وتلك هي تعظيم خروجها إلى العمل، بذريعة أن المرأة لديها قدرات خارقة فهي قادرة على القيام بالكثير من المهام وإنجازها، وبذريعة أن تحقيق الذات يستحيل أن يكون إلا بالعمل في الخارج. ولهذا صرت ترى بنات يخجلن من أنفسهن ــوبعض الآباء أيضاــ إذا حصلن على الشهادة الجامعية ولم يعملن، وصار الجميع يتعجب إذا رأوا فتاة معها

شهادة جامعية بلا عمل ولا وظيفة. أما الحقيقة التي يجب أن تفهمها المسلمة فهي أن كل هذه الأموال والأوقات والجهود التي تُنفق على تهوين قيمة الزواج والأمومة، وتعظيم العمل وتحقيق الذات [بعض الإسلاميين يخدعون المسلمة هنا بخطاب شرعي مثل: المرأة مستخلفة مثل الرجل، على المسلمة أن تقوم بدورها في نهضة المجتمع المسلم] كل هذا ليس يقومون به لوجه الله، ولا لسواد عيونك، بل لأهداف خبيثة ماكرة يريدون تحقيقها على المدى البعيد في الأجيال القادمة وهي تفكيك المجتمع، وأنت فقط بوابة لذلك.

489. آثار دعوة عدم الخروج على الحاكم

خلال القرون الأخيرة من عمر الأمة، ارتفعت وانتشرت فكرة عدم الخروج على الحاكم، رغم فساده وظلمه وإفساده واستبداده، بدعوى أن الخروج والمطالبة بالتغيير فتنة، رغم أن بقاءه نفسه فتنة هائلة على الأمة! وما زالت هذه الفكرة تترسخ وتتجذر، رغم مواصلة الحكام والأمراء السير في طريق الإفساد والاستبداد والظلم والطغيان، وكل ذلك بنفس الدعوى، أي درءا للفتنة! فماذا كانت النتيجة التي وصلت إليها الأمة اليوم؟ النتيجة هي أن الأمة اليوم أذل أمة في العالم: تنهب خيراتها، تستنزف ثرواتها، يقتل رجالها، تغتصب نساؤها، يتيم أطفالها، بالإضافة إلى ثلاثية التفقير، والتجهيل، والتفسيق، مع تمزق وحدتها، وتفكك أواصرها! فهذا ما جنته الأمة من التحذير من محاولة تغيير الحاكم الطاغية المستبد درءا للفتنة! فليت شعري، أي فتنة هذه التي قيل لنا يجب الخنوع والخضوع والصبر على الذلة والهوان درءا لها، أكثر وأشد من حال الأمة خلال المائة عام الأخيرة؟! أو قل: إذا لم يكن ما تعيشه الأمة منذ مائة عام فتنة صماء سوداء يجب إخراج الأمة منها، فما هي إذن هذه الفتنة التي غرسوا فينا الخوف منها!!

490. كيف سقطت الحضارة الإسلامية

عندما تقرأ عن أمجاد الحضارة الإسلامية الآفلة، لابد أن تمتزج في نفسك مشاعر الحيرة، مع الغضب، مع الحسرة، مع الألم! كيف استطاع المسلمون بناء هذه الأمجاد التي ستظل خالدة في ذاكرة التاريخ! ثم كيف فرّطوا في ذلك كله حتى كأن شيئاً لم يكن؟! فبعد العز جاء الذل، وبعد الكرامة نزل الهوان، وبعد القوة سقط الضعف، وبعد المهابة في نفوس العالم تحول كله إلى الاحتقار والازدراء لنا! نظرة مجملة على مسيرة الحضارة الإسلامية، تجعلك تلحظ أنها سارت في مسارين متوازيين: **المسار الأول**، على مستوى الخارج: كان هناك المجد المادي والتقدم والازدهار التقني، والانتشار المذهل بين الشعوب، والنفوذ الجبار على مستوى العالم. **المسار الثاني**، على مستوى الداخل: بعد القرنين الأولين تقريبا بدأت تتكاثر عوامل الاضمحلال: الفساد

العلمي، الفساد السياسي، الفساد الاجتماعي، الفساد الديني. وهكذا سيستمر الأمر إلى أن تصل الأمة إلى حالة تكون فيها مهيأة للسقوط، وإنما تنتظر فقط ظهور القوة التي توجه إليها هذه الضربة لتتدحرج في هاويته.. وكانت تلك الضربة هي الاحتلال الغربي لبلدان المسلمين! ولله الأمر من قبل ومن بعد.

491. شرك القبور وشرك القصور

عندما تجد شخصا يركز في قضية التوحيد والعقيدة والشرك على "العبادة والقبور" ولا يبالي ب "التشريع والقصور" فاعلم: **1**. إما أن تصوره للتوحيد قاصر، مختزل، محدود، سواء من حيث الحقيقة أو من حيث الحقوق والمقتضيات. **2**. إما أنه يخشى على نفسه من الطاغوت، فهو يظن أن الكلام في هذا الأمر سيضعه في مواجهة مباشرة معه وهذا سيكلفه كثيرا. وذلك أن التوحيد الذي جاء به الأنبياء، ونزل به الوحي، وقامت لأجله الجنة والنار، ثلاثة أقسام: **1**. توحيد الربوبية الكونية، باعتقاد أن الله سبحانه هو الخالق له والمدبر لشؤونه، على مقتضى الحكمة. **2**. توحيد الشعائر العبادية، باعتقاد أن الله سبحانه هو وحده المستحق للعبادات القلبية والجسدية. **3**. توحيد الشرائع والحكم، باعتقاد أن الله سبحانه هو وحده المستحق لوضع أحكام نشاطات الحياة المختلفة، الخاصة والعامة. فهذه الثلاثية هي أضلاع التوحيد، ولهذا فهي حقوق الله تعالى على الخلق، ولا ينجو العبد ولا يسعد ولا ينجح ولا يفلح في الدنيا والآخرة إلا بها ثلاثتها، بل لا يمكن إقامة ركن منها إلا بالركنين الآخرين. ولهذا خلال تاريخ البشرية الطويل لم تكن القضية في وجود الله من عدمه، اللهم إلا نادرا بين شرذمة قليلين تلاعب بهم الهوس والهوى إلا أقصى ما يمكن، بل كانت القضية دائماً هي "حق الشعائر" و "حق الشرائع"، وهذان هما الأساس المركزي لدعوة الرسل كافة، فهم عليهم السلام لم يأتوا ليجادلوا أقوامهم حول وجود الله أو ليثبتوا وجوده، بل جاءوا لإثبات أحقيته المطلقة للعبادة والشعائر، وللحكم والتشريع. ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل ٣٦] فتأمل هذه الآية فقط دون عشرات الآيات الأخرى لتجد بيان غاية بعثة الرسل والأنبياء وحصرها في "عبادة الله + اجتناب الطاغوت" وهما معنى "حق العبادة + حق التشريع"، ثم بيّن أن الأقوام انقسموا بسبب ذلك إلى "أصحاب هدى" و "أصحاب ضلال"، ثم وجّه المستمع إلى مراجعة التاريخ ليرى عاقبة الذين رفضوا حصر "حق العبادة +حق التشريع = عبادة الله/ اجتناب الطاغوت" في الله وحده لا شريك له، لأنهم كذبوا الرسل في قولهم أن الله وحده يستحق العبادة والتشريع. ولأجل هذا كان منكر وجود الله تعالى كافرا، كما أن عابد غير الله كافر، كما أن منكر الشرع كافر. والله أعلم

492. الزوجة والمنزل

أضاف القرآن البيت إلى الزوجة في ثلاثة مواضع، وهي: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب ٣٣]، ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق ١]، ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب ٣٤]. ومعلوم أن الإضافة هنا أي إضافة السكن والبيت إليهن، ليست إضافة تمليك، أي إضافة مادية، وإنما هي إضافة إسكان، أي إضافة معنوية. وإذ كان الأمر كذلك، فنأخذ منه التالي: **1**. الزوجة واجب عليها رعاية البيت، وحمايته، وتوفير أجواء السكينة فيه، فهو ملك لها ملكاً معنويا، ومعلوم عند العقلاء أن مالك الشيء يحرص عليه، كما أن الحرص على الشيء يكون بقدر اعتقاد المرء ملكيته. **2**. بما أن البيت ملك للزوجة ملكا معنويا، فإذن من حقها أن يكون لها كامل الاحترام والتقدير والمشاركة في النظر في هذا البيت، أي إنها ليست شيئاً زائداً في البيت بلا قيمة، بل هي عنصر مشارك في الحفاظ عليه. وبرهان هذا كله، قول النبي صلى الله عليه وسلم: [كُلُّكُمْ رَاعٍ ومَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ؛ فَالإِمَامُ رَاعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ في أهْلِهِ رَاعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والمَرْأَةُ في بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وهي مَسْؤُولَةٌ عن رَعِيَّتِهَا] (صحيح البخاري)، فانظر كيف جمع مسؤولية الحاكم، وهي مسؤولية سياسية، اقتصادية، عسكرية، وغير ذلك، مع مسؤولية الزوج والزوجة في البيت، للتنبيه ــإن شاء اللهــ على ضخامة مسؤولية الزوجين في التعاون على رعاية بيتهما ماديا ومعنويا، لأنه بذلك فقط تستقر الحياة بينهما، ويكون البيت فضاء واسعا ومناخا صحيحا لتربية الأبناء تربية سليمة. فقارن هذه المعاني بمن يعامل زوجته على أنها لا شيء في البيت، لا رأي لها، ولا قيمة لها، اللهم إلا المطبخ والفراش. وأيضا بمن تعامل زوجها على أنها نِد له، لا فضل له عليها، ولا أمر له عليها، بل لها أن تفعل في حياتها ما تشاء. وهذا وذاك يمكنك أن تدخله في باب الجنون وسفه الرأي، وقلة الوعي، وسخف العقل، والجهل بمعاني الحياة.

493. العناصر الخمسة للتغيير

كل تغيير تنشده، في شخصيتك، أو حياتك الزوجية، أو مجرى حياتك العامة، لابد من توفر خمسة عناصر فيه، وهي: **1**. **الاعتراف**. فأول خطوة في طريق التغيير الاعتراف بوجود الخلل، المشكلة، القصور، لأنه مع عدم إدراك وجود ذلك فطلب التغيير محال. **2**. **الرغبة**. الخطوة الثانية في طريق التغيير هي وجود الرغبة في حصول التغيير، لأنه مع عدم وجود الرغبة في التغيير يكون حدوثه محالا. 3. التنفيذ. المرحلة الثالثة

في طريق التغيير هي ممارسة ما يحقق التغيير، لأنه بدون هذه الممارسة والتنفيذ يظل التغيير مجرد أحلام. **4. الاستمرار**. العنصر الرابع في طريق التغيير هو متابعة شحن النفس بالرغبة في التغيير وممارسة أفعال التغيير، لأنه بلا استمرار لن تحدث النتيجة على المدى المتوسط والبعيد. **5. المرونة**. الركيزة الخامسة في طريق التغيير هي الوعي بأن الكمال محال، فيقتصر الأمر إذن على المرونة في تحقق التغيير المنشود شيئا فشيئا، لأن المقصود هو العمر كله وليس الآن فقط. فهذه هي خماسيتي في التغيير كما أحدث بها جمهوراً من الشباب والبنات حول استفسارات مختلفة. والله الموفق

494. صلاح آخر الأمة

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء ١٠٥]. قف عند قوله [يرثها عبادي الصالحون]، قال ابن كثير في التفسير: [يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا حَتَّمَهُ وَقَضَاهُ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، مِنَ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَوِرَاثَةِ الْأَرْضِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] ماذا يعني هذا بالنسبة لنا؟ إنه يعني أن مجد الأمة، وعزتها وكرامتها، لن يعود إلا بهذا الدين، ولن يعود إلا على أيدي الصالحين، أولئك الذين امتلؤوا بمعاني القرآن والسنة، علماً وحالاً وسلوكاً، ولهذا لا يمكن أن يخوض معركة التحرير والتغيير إلا هؤلاء الصالحون، هكذا كان الأمر في عصر الخلافة الإسلامية العالمية الأولى، وهكذا سيكون الأمر في عصر الخلافة الإسلامية العالمية الثانية، كما قال مالك بن أنس: [لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها]. وإذن؛ فالذي يقول بأنه مهتم بشأن الأمة، وراغب في مجدها وكرامتها، ثم هو لا يحرص على تعلم الإسلام، والوعي بالحقيقة، والترقي في مدارج تزكية النفس، وتهذيب أخلاقه وسلوكياته، ولا يحرص على تربية أولاده على ذلك كله = هذا الشخص في الواقع يعيش في الأوهام والخيالات، لأن الآية نصّت على [عبادي الصالحون] يعني وضعت شرط النصر، وهو لا يريد أن ينهج منهج الصالحين، فيكون فاقداً لشرط النصر. والله الموفق

495. خطأ اختيار الزوج

مرت علي مجموعة من حالات بنات ملتزمات، ورطن أنفسهن في زواج بائس، دفعن ثمنه باهظا جدا! هؤلاء البنات اعتقدن أن الأخ المتقدم إليها يكفي أنه يصلي والافضل أن يكون يصلي في المسجد، وله لحية، ثم لا يبحثن عن شيء آخر! معتقدات أنهن بهذا يتشبهن بالصحابيات! غافلات أو متغافلات عن الفروق الموضوعية بين واقع الصحابة والصحابيات، وواقعهن المعاصر، شكلا ومضمونا!]. الذي يحدث مع هؤلاء

البنات، أنهن يغفلن عن حقيقة جوهرية، وهي: التدين في الزوجين عنصر مهم في الحياة الزوجية، لكنه عنصر واحد وليس كل العناصر المطلوبة لتحقيق الاستقرار والسعادة الزوجية والأسرية! ولهذا، قد تكتشف هؤلاء البنات أن الزوج بلا همة ولا نشاط، فهو يشتغل شهرا وينام دهرا! كما قد تكتشف أنه ذهب بها وحشرها في بيت أهله حيث إخوته الذكور وأخواته البنات، وربما هي منقبة! وقد تكتشف أنه ضعيف الشخصية أمام أهله فهم الذين لهم الكلمة العليا في كل شيء، وربما لا يكونون من أصحاب الدين والصلاح! وبهذا تجد نفسها تغرق في دوامة لا تتوقف، فلا ملابس، ولا اهتمام، ولا خصوصية، ولا مستوى معيشة مقبول، بل قد تطلب تصريحا أو تلميحا من أهلها النفقة عليها وعلى طفلها أو أطفالها، أما الجوانب المعنوية للحياة الزوجية فلا كلام عنها! وبهذا تعيش هذه المسكينة وهي محطمة، وتمر عليها السنوات وهي كذلك، والأخ المتدين يكتفي بضرورة أن تصبر، وأنها نعمة من الله عليه!

496. مسلم بالتقليد

رأينا بعض طلبة العلم الشرعي الجامعيين، بل حتى بعض الأكاديميين الشرعيين يقولون: (مسلم بالتقليد لوالديه ومجتمعه)! حتى إنهم قد يصلون للتشكيك في قيمة إسلام المسلم، لماذا؟ لأنه مسلم لأبوين مسلمين، ومكتوب أنه مسلم في كناشة الحالة المدنية! وهذا جهل قبيح ممن يدعي أنه يشتغل بالعلم الشرعي وبالدعوة إلى الله! لأن الأصل في الإنسان هو الإسلام، أي الإيمان والإقرار بوجود الله والتعظيم له، كما تظاهرت على ذلك أدلة القرآن والسنة وعامة كلام أهل العلم من الصحابة والتابعين والأئمة. ومن كان على الأصل، فكيف يقال له مقلد! ثم إنه لا يوجد أحد يقول: أنا مسلم تقليدا لوالدي! لأن هذا القول كفر، إذ المعتبر في الاعتقاد الشرعي الجزم واليقين، وليس التقليد المحتمل للصواب والخطأ. وهذا الجزم واليقين له مسالك وطرق بعدد أنفاس الخلائق، فلا يلزم ولا يجب على كل فرد أن يتبع طريقاً معينة أو مسلكاً معيناً في تحصيل اليقين، لأن استعدادات النفوس تختلف، وقابليات العقول تختلف، فما يكون سبب يقين لزيد قد لا يكون كذلك لعمرو، وإذا كان غرض الشرع هو الجزم واليقين فلا يهم إذن كيف يتأتّى ولا بأي دليل يثبت. وإنما أتي هؤلاء الطلبة والأكاديميون من جهة سطوة خطاب تعظيم العقل والبحث المنتشرة في هذا العصر!

497. حقوق الله تعالى

النبوات جاءت بنوعين من الحقوق لله تعالى: **الأول**: حق نظري؛ وهو قسمان: 1: يتمثل في اتصافه سبحانه بصفات الكمال والجلال والعظمة، وتسميه بالأسماء الحسنى الرفعيه والعلية، فهو كذلك أزلا وأبداً.

2: يتمثل في المعرفة بربوبية الله تعالى وخالقيته للوجود كله، وسلطانه المطلق على العالم، العلوي والسفلي، عالم الغيب وعالم الشهادة. **الثاني**: حق عملي؛ وهو قسمان: 1: يتمثل في العبادة الشعائرية، فهو وحده لا شريك له المستحق للعبادة والشعائر، والخشوع والخضوع والمحبة والتعظيم والتقديس والاستغاثة والتوكل. 2: يتمثل في العبادة التشريعية، فهو وحده لا شريك له المستحق للحكم والتشريع لخلقه، وواجب التسليم والاتباع لهذه الأحكام في مجالات الحياة. ولهذا يقرن القرآن في جملة من المواضع بين شهادة التوحيد والعبادة أو الحكم، كما في قوله تعالى: [ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ]، وقوله: [وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ]، وقوله: [وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ]. إذن هناك تلازم بين هذه العناصر الثلاثة: (العقيدة) + (العبادة) + (التشريع)، فلا يمكن أن يستقيم بنيان العقيدة إلا بركن العبادة والتشريع، ولا أن يستقيم بنيان العبادة إلا بركن العقيدة والتشريع. والله الهادي

498. إزاحة الزوج عن القيادة

خلق الرجل ليكون قائد الأسرة ورب البيت، والمرأة العاقلة تدرك هذه الحقيقة ولهذا تحترمها لأن هذا أحد أهم أسرار استقرار البيوت وسعادتها. لكن، حين تأتي الزوجة تحاول أن تزيحه عن دفة القيادة، هنا تكون تقترف خطيئتين: **الأولى**، خطيئة في حق فطرة الأنوثة فيها. **الثانية**، خطيئة في حق فطرة الرجولة في زوجها. وهنا يكون الرجل بين قرارين، إما الخضوع لها فتُسمخ فيه معاني الرجولة، وإما سيذهب يبحث عن امرأة تمنحه شعور القيادة والخضوع له فتستحوذ على قلبه بذلك. والجريمة الكبرى هنا التي تقترفها هذه الزوجة هي في حق الأبناء، فهؤلاء الأبناء حين يكبرون في بيت لا توجد فيه سلطة الأب، ولا احترام لرجولته، ولا اعتبار بقيادته، أي لا يوجد نظام ضابط لعلاقة الأب والأم، هنا تتشكل نفوسهم في قالب الفوضى، قلة الأدب، سوء الأخلاق، وهذا بدوره يؤثر على شخصياتهم وحياتهم وعلاقاتهم مستقبلا! والحقيقة أن إزاحة الزوج عن قيادة الأسرة من الأمور المركزية التي تشتغل عليها النسويات وأنصارهن، بكل الوسائل الممكنة، بدء بالنشر في مواقع التواصل، إلى المقالات واللقاءات التلفزيونية، وانتهاء بالمطالبة بتعديل قوانين الأسرة لخنق رجولة الرجل! وبهذا يجد كثيرون اليوم أنفسهم بين خيارين: إما المغامرة بالزواج رغم علمهم بالقوانين المعدّة لهم، وإما العزوبية والصبر على معاناتها! وكل هذا تنفيذ لتوصيات مراكز البحوث في أوروبا وأمريكا الساعية لتفكيك المجتمعات في العالم لإبقائها رهينة للتحكم الغربي!

499. النظر إلى الشرع بموازين غربية

حين تنظر المسلمة اليوم إلى منظومة الأحكام الشرعية المتعلقة بقضايا الرجل والمرأة والزواج والطلاق والأسرة، بمنظار المادية الغربية والفلسفة الليبرالية والعين النسوية، فمن الطبيعي أن تجد في هذه المنظومة الشرعية الكثير من التناقض، والكثير من صور التحيز ضد المرأة، والكثير من مظاهر المحاباة للرجل، ومن ثم تعتبر أن هذه المنظومة الشرعية ذكورية! الأمر طبيعي، لأنك حين تنظر إلى معطيات دين آخر أو فلسفة أخرى أو نمط حياة آخر، بمنظار دين مختلف أو فلسفة مختلفة أو نمط حياة مختلف، ستجد ولابد الكثير من الاختلافات والتناقضات، وحتى صور الظلم! العقل في البشر لا ينظر للأمور ويقومها إلا في إطار مرجعي معين، سمه دينا أو فلسفة أو إيديولوجيا أو ما شئت، المهم لابد له من إطار مرجعي يحدد له ضوابط الرؤية ومعايير الصواب والخطأ والحق والباطل والعدل والظلم. الذي يحدث اليوم بين كثير من البنات والنساء المسلمات، أن بعضهم يتشبّعن بالتصورات النسوية والليبرالية الغربية من خلال القراءة في الأدبيات الغربية، وبعضهن يتشبعن بذلك بلا وعي منهن من خلال الإعلام والروايات ووسائل التواصل ودردشة الصديقات، فتكون هذه التصورات هي الإطار المرجعي عندهن في النظر إلى منظومة الشرع المتعلقة بقضايا الرجل والمرأة والزواج والأسرة، والنتيجة الطبيعية هي أنهن يجدن فيها ما قلناه من التحيز ضد المرأة والمحاباة للرجل! ثم إما أن تنطلق هذه المسلمة في مسار الانحراف خطوة خطوة إلى أن تنخلع عن الإسلام جملة وتفصيلا بعد أن صارت تعتقد أن الإسلام ظلم المرأة! وإما أن تحاول الاحتفاظ بعقيدتها ودينها لكنها تلقي اللوم على العقلية الذكورية عند الفقهاء كما تعتقد، وتقوم بعملية تأويل وقراءة جديدة لنصوص القرآن، أما السنة فمن السهل عليها إنكارها!

500. النظر إلى الشرع بموازين غربية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿سيأتِي على الناسِ سنواتٌ خدّاعاتٌ: 1) يُصدَّقُ فيها الكاذِبُ، 2) ويُكذَّبُ فيها الصادِقُ، 3) ويُؤتَمَنُ فيها الخائِنُ، 4) ويُخَوَّنُ فيها الأمينُ، 5) وينطِقُ فيها الرُّويْبِضَةُ. قِيلَ: وما الرُّويْبِضةُ؟ قال: الرجُلُ التّافِهُ يتَكلَّمُ في أمرِ العامةِ﴾ [حديث صحيح]. هذه الحديث من دلائل النبوة، فالمعلم الأول والثاني والثالث والرابع دلالة على انقلاب المفاهيم، واختلال القيم، وتشوه المعاني الصحيحة في النفوس والعقول، فكأن الناس في هذا الزمان أنعام سائمة، وبهائم هائمة، بلا مرجعية معيارية للحق والباطل، والصواب والخطأ. وأما المعلم الخامس فهي أعجب ما في هذا الحديث! إنه الرجل التافه يتكلم في شؤون فوق عقله، وفوق تدينه، وفوق قيمه، لماذا؟ لأنه تافه أتيحت له فرصة الكلام، وإبداء الرأي، ونشر ما يدور في

رأسه من الأفكار التائهة، والآراء السخيفة، وهو يحسب نفسه أنه مفكر يستحق أن تُحترم آراؤه! وهذه الشخصية التافهة السخيفة رغم أناقة اللباس لديها، والشهادة التي قد تحملها، والوظيفة التي قد تشغلها يستحق وصف الرويبضة، وقد قيل في تفسيرها من جهة اللغة بأنها تصغير لـ (الرابضة) أي الذي ربض عن طلب معالي الأمور، فهو خسيس تافه حقير. وهؤلاء قد كثروا في هذا العصر لا كثّرهم الله.. بعد أن أتاحت وسائل التواصل والنشر لهم بأن ينشروا زبالات أفكارهم، وحثالة آرائهم، والخوض فيما فوق عقولهم، وقضايا أكبر منهم.. قطع الله دابرهم، فهم فتيل كل فتنة، وأتباع كل ناعق.

هذا تمام كتاب إضاءات،

والحمد لله رب العالمين

